نفحات القرآن

الجزء السادس

المؤلف

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

نفحات القرآن .

المقدمة .

منازل الاخرة .

اشراط الساعة .

ظهور علامات القيامة :.

اقتربت الساعة :.

يوم تاتي السما بدخان مبين :.

العلامات التي تنذر بنهاية هذا العالم .

تلاشي الجبال :.

انفجار البحار :.

الزلزال العظيم المدمر.

ذهاب ضؤ الشمس والقمر والكواكب .

انشقاق الاجرام السماوية :.

علامات بد القيامة .

نفخة الصور.

نفخة الموت ونفخة الحياة

ما المراد بـ (نفخة الصور) او صرخة الموت والحياة :.

تاثير الامواج الصوتية على الانسان وسائر الموجودات :.

اجابات حول نفخة الصور :.

من الملك المامور بنفخة الصور :.

ما الفاصلة بين النفختين :.

فلسفة نفخة الصور؟.

كتاب الاعمال :.

الكتاب الذي يتكلم :.

كتب في عليين وآخرى في سجين .

الملائكة المراقبون :.

كتاب صحيفة الاعمال :.

كتاب الاعمال في اليمين او في الشمال :.

كتاب اعمالنا امام انظار الجمع :.

كتب الاعمال في الروايات الاسلامية :.

ماهية كتاب الاعمال :.

فلسفة كتاب الاعمال .

اقسام كتب الاعمال :.

خصائص كتاب الاعمال :.

تجسيد الاعمال .

يومئذ يرى كل عمله :.

استيفا الاعمال يوم القيامة :.

جزاؤكم هو اعمالكم :.

ذكر تجسم الاعمال في الروايات الاسلامية :.

تجسم الاعمال في منطق العقل :.

تجسد اخلاق وسجايا الانسان :.

محكمة الشهود والميزان والحساب .

الجميع محضرون في تلك المحكمة العظمى :.

شهود المحشر :.

ميزان الاعمال :.

السرعة في الحساب :.

منظر عام للمحكمة الكبرى :.

شهود يوم القيامة :.

ماهو ميزان العمل ؟.

ماهي الاعمال الثقيلة في الميزان ؟.

المسائل التي يسال عنها يوم القيامة :.

اليسر والعسر في حساب المحشر :.

الصراط والمرصاد.

ماهي حقيقة الصراط :.

الجنة واصحابها.

موجبات دخول الجنة .

الايمان والعمل الصالح :.

التقوى :.

الاحسان :.

الجهاد والشهادة :.

نهي النفس عن الهوى :.

السابقون الى الايمان :.

الهجرة والجهاد :.

الصبر والتحمل عند الشدائد :.

الايمان والاستقامة :.

اطاعة اللّه ورسوله (٩) :.

الاخلاص :.

الصدق :.

تزكية النفس :.

الانفاق والاستغفار :.

الخوف من اللّه :.

التولي والتبري .

الاهتمام بالصلاة :.

النعم الجسمانية في الجنة .

الجنان :.

ظلال الجنة :.

قصور اهل الجنة :.

الفرش والارائك :.

اطعمة اهل الجنة :.

الشراب الطهور :.

افضل شراب اهل الجنة :.

الاواني (الصحاف والاكواب) :.

الالبسة والحلي :.

حلي الجنة :.

الحور العين :.

الخدم والسقاة :.

المستقبلون :.

النزل :.

النعم غير القابلة للتصور:.

اللذات الروحية :.

الاحترام الخاص :.

اجوا الامن والسلام :.

الامان بعد الخوف :.

الاخلا والاصدقا الاوفيا :.

العلاقات الطيبة :.

الانشراح النفسي :.

الشعور برضا اللّه :.

نظر اللّه اليهم ونظرهم اليه :.

لهم ما يشتهون :.

النعم التي لا يدركها التصور :.

خلود نعم الجنة :.

ابواب الجنة .

ابواب الجنة في الاحاديث الاسلامية :.

المكتوب على ابواب الجنة :.

سعة الجنة .

هل الجنة مخلوقة ؟.

آرا العلما المسلمين في خلق الجنة والنار :.

الوجود الحالي للجنة والنار في الروايات الاسلامية :.

جواب على اعتراضين :.

اين الجنة ؟.

درجات الجنة .

عدد من الاسئلة حول الجنة .

اليست الرتابة مملة ؟.

اتعرف قيمة اللذة بفقدانها ؟.

هل يوجد في الجنة تكامل ؟.

النار واصحاب النار.

لمن النار ؟.

الكفار والمنافقون :.

الصد عن سبيل اللّه :.

ترك طاعة اللّه وشق عصا المسلمين :.

الاستهزا بيات اللّه :.

عدم استخدام العقل والعين والاذن :.

اتباع الشيطان :.

الطغيان والاستكبار :.

الظلم والاعتدا :.

الركون الى الظالمين :.

نسيان الاخرة :.

حب الدنيا :.

اكتناز الذهب :.

الفرار من الزحف :.

قتل الابريا :.

ترك الصلاة :.

عدم ايتا الزكاة :.

اكل مال اليتيم :.

اكل الربا :.

كفران النعم الالهية :.

المطففين :.

الهمز واللمز والغيبة :.

الاسراف والتبذير :.

الجرائم والذنوب :.

تعدي حدود اللّه :.

ماهية جهنم .

اوصاف جهنم :.

فلسفة وجود النار :.

ابواب جهنم ودركاته .

العذاب الجسدي لاصحاب النار.

شدة عذاب اصحاب النار.

الطعام والشراب القاتل لاصحاب النار :.

ثياب اهل النار.

سائر العذاب الجسدي لاهل النار.

رياح مهلكه ، وظلال محرقة :.

زنزانات جهنم الانفرادية :.

لماذا يكون العذاب الالهي شديدا الى هذا الحد ؟.

العذاب الروحي .

الحزن والهم القاتل والحسرة اللامتناهية :.

خلود العقاب .

العذاب الابدي :.

من هم المخلدون في النار ؟.

الكفار :.

المنافقون :.

الغارقون في الذنوب :.

القتلة والجناة :.

آكلو الربا :.

الظالمون :.

الذين خفت موازينهم :.

المجرمون بشكل عام :.

هل ان مرتكبي الكبائر مخلدون في النار ؟.

اعتراضات على خلود العذاب :.

هل يمكن للعرضي ان يصير دائما ؟.

الا يعتاد اهل النار على العذاب :.

هل ان الخلود نوعي ام شخصي :.

هل ينسجم الخلود مع العدل الالهي ؟

القرآن والشفاعة .

الايات ((التي تعتبر الشفاعة خاصة باللّه)).

مفهوم الشفاعة :.

انواع الشفاعة (الشفاعة التكوينية والشفاعة التشريعية).

فلسفة الشفاعة :.

بعث الامل ومواجهة روح الياس :.

ايجاد العلاقة المعنوية مع اوليا اللّه :.

نيل شروط الشفاعة :.

الاهتمام بسلسلة الشفعا :.

متى تكون الشفاعة ؟.

الاعتراضات الاساسية المطروحة بشان الشفاعة :.

الا تعتبر الشفاعة تشجيعا على ارتكاب الذنوب ؟.

لمن الشفاعة ؟.

هل تتناسب الشفاعة مع العدل الالهي ؟.

الا تتعارض الشفاعة مع ارادة اللّه ؟.

عقوبات القيامة هي الاثر التكويني للاعمال ، فكيف يمكن ازالتها بالشفاعة ؟.

الا تتعارض الشفاعة مع التوحيد ؟.

اين الاعراف ومن هم اصحاب الاعراف ؟.

موضع بين الجنة والنار :.

لماذا هذه المعرفة ؟.

الاعراف في اللغة والتفسير :.

الاعراف في منظار العقل والمنطق :.

الاعراف في الروايات والاحاديث :.

خاتمة بحث المعاد :.

نفحات القرآن .

آية اللّه العظمى مكارم الشيرازي (حفظه اللّه).

اسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم .
الجز السادس المعاد في القرآن (٢).
بمساعدة .
مجموعة من الفضل.

المقدمة . ما هو التفسير الموضوعي ؟ وماهي المشكلات التي يعالجها؟.
ان الجواب على هذين السؤالين له الاثر الكبير في فهم مواضيع مثل هذا الكتاب بشكل اصح وافضل ، وما لم يتضح الجواب على هذين السؤالين لايمكن معرفة الهدف الذي ترمي اليه مثل هذه الكتب .
امـــا بـــالنسبة للجواب عن السؤال الاول فنود ان نذكر بان المدة التي تنزل فيها القرآن المجيد دامت (٢٣) ســـنـــة ، وذلك نظرا للمتطلبات والظروف الاجتماعية المختلفة والاحداث المتنوعة ، فكان القرآن يسير وفقا لتطورات المجتمع الاسلامي .
ان اكثر الايات والسور التي نزلت في مكة كانت ترمي الى تركيز دعائم الايمان وترسيخ الاعتقاد بـــالـــتـــوحيد والمعاد ،وكانت تختص بالهجوم الشديد والمستمر ضد الشرك وعبادة الاوثان ، بينما ركـــزت الايـــات والسور التي نزلت في المدينة ـــوذلك بعد تاسيس الحكومة الاسلامية طبعا ـــ على وضـــع الـــقـــوانـــيـــن الاجتماعية والعبادية والسياسية وتاسيس بيت المال والنظام القضائي الاسلامي والـــشـــؤون الـــمـــتعلقة بالحرب والهدنة والجهاد ضد المنافقين وامثال ذلك من الامور التي كان الدين الاسلامي يواجهه.
ومـــن البديهي ان المسائل المذكورة لم توضع على شكل رسالة لبيان الاحكام الشرعية او على شكل كتاب منهجي كما هو المتعارف ، بل كانت الايات تنزل وفقا للمتطلبات والمناسبات والحاجات ، فاننا نرى مثلا احكام الجهاد وفنون القتال واحكام المعاهدات والاسرى والفدية وامثال هذه الامور نزلت مـــتـــفـــرقـــة وبشكل غير مرتب ، وذلك لانها نزلت مناسبة لكل غزوة ومتطلباتها ، كما هو الحال في وصـــفـــات الـــعلاج التي يكتبها الطبيب الماهر ، فانه يصفها للمريض في كل يوم بما يناسب حاله حتى يـــصـــل الـــى الشفا التام فلو فسرنا آيات القرآن

الكريم في اية سورة من السور بالترتيب الذي نزلت عليه فهذا التفسير يسمى بـ((التفسير الترتيبي)) ، واما اذا جمعنا الايات المختصة في ((موضوع)) واحد من سائر سورالقرآن ووضعناها على شكل فصول وفسرناها فهذا التفسير يسمى بـ((التفسير الموضوعي)) فمثلا اذا جمعت كل آيات الجهاد التي نزلت خلال عشر سنين من السور المدنية ، او جمعت الايات الخاصة باسما وصفات اللّه التي نزلت خلال (٢٣) سنة من جميع سور القرآن ، وضمت الى بعضها ، وفسرت بعضها بالبعض الاخر فان هذا يسمى بالتفسير الموضوعي بينما لو فسرت كل آية في موضعها وبشكل مستقل فان هذا هو التفسير الترتيبي ،ان كل واحد من هذين النوعين له مزايا وآثار بحيث لايمكننا الاستغنا عن احدها بالاخر كما يقول المثل ((لكل مقام مقال)) ، ان كلا النوعين من التفسير لازم وضروري للباحثين في القرآن الكريم (ومن الطبيعي ان يقدم التفسير الترتيبي في البداية على التفسير الموضوعي).

مزايا ((التفسير الترتيبي)):.

تعرف اغراض الايات ومفاهيمها من خلال زمان ومكان النزول ، مع ضمها الى ماقبلها و مابعدها من الايات ، ومن خلال القرائن الداخلية والخارجية ، وبدون هذا لايمكن فهم معنى الاية بدقة وبعبارة اخرى فان التفسير الترتيبي ينظر بدقة الى كل آية في موضعها الذي نزلت من اجله ، وياخذ بنظر الاعتبار صلتها بحياة المجتمع الاسلامي وتطوره وتكامله ،وتكشف هذه الصلة بدورها عن مسائل كثيرة .

بينما في التفسير الموضوعي تخرج الايات عن قالبها الجزئي وتاخذ موضعها في قالب كلي وتبتعد الى حد كبيرعن موضعها الذي نزلت من اجله ، وعلى ذلك فان التفسير الموضوعي يمكنه ، ان يرفع الستار عن الامور التالية :.

١ ــ يجمع الابعاد المتشتتة في طيات الايات المختلفة للموضوع ، وينظر الى المواضيع بشكلها المتعدد الابعاد ،وهذا ينتهي طبعا باستخراج حقائق جديدة لتلك المواضيع .

٢ ــ يطرد الابهامات التي تشاهد في بادي الامر في بعض الايات طبقا للمبداالقائل بان ((القرآن يفسر بعضه بعضا)).

٣ ــ يمهد للخوض في نظرية المعرفة الاسلامية بشكل عام وفي كل مسالة من مسائله.

٤ ــ لايمكن رفع النقاب عن الكثير من اسرار القرآن الخفية الا من خلال التفسير الموضوعي ، ولايتيسر الخوض في اعماق آياته ــ على قدر الطاقة البشرية ــ الا بواسطته .

وبنا على هذا فان اي مسلم مهما بلغ من المعرفة والتعمق لايمكنه الاستغنا عن كلا هذين النوعين من التفسيروبالرغم من ان التفسير الموضوعي كان موضع اهتمام منذ اقدم الايام بل حتى في عصر ائمة الهدى : ، فقد كتب علماالاسلام في هذا المجال كتبا جمة ككتب ((آيات الاحكام)) التي تعتبر نموذجا واضحا لذلك ، الا انه يجب الاعتراف بان التفسير الموضوعي لم يحض بالتطور اللائق به ، وهو لحد الان يطوي مراحله الابتدائية ، ويجب ان يرقى الى محله

اللائق من خلال جهد وعطا العلم.

ان كتاب ((رسالة القرآن)) الذي بين يديك هو ابداع واسلوب جديد تماما في التفسير الموضوعي للقرآن ، وقدخطى في هذا الموضوع خطى جديدة فاستقبل ــ والحمد للّه ــ بشكل واسع ومستمر من قبل الكثيرين ونحن بعد في اول الطريق ، ونحتاج الى عون ودعم اكثر من العلما المسلمين والمفسرين المحترمين للوصول الى الهدف الرئيسي ، ونحن نتقبل دوما الارا البناة من اهل الخبرة والاطلاع ، ونسال اللّه دوام الهداية والتوفيق .

قم ــ الحوزة العلمية .

ناصر مكارم الشيرازي .

منازل الاخرة . المقدمة .

ان مسالة المعاد مسالة واسعة جدا ، لان الحديث عنها هو حديث عن عالم واسع ،وبما ان عالم المعاد عالم مجهول ويختلف من جهات عديدة عن عالمنا هذا لذلك سيكون البحث في هذا المجال بحثا معقدا ، ومع كونه معقدا فهو ممتع وجذاب في نفس الوقت ويعود ذلك لسببين :.

الاول : لكونه موضوعا مثيرا ، وهذا ما يبعث عند كل انسان حب التطلع وكشف المجهول .

الثاني : ان التوجه الى هذه المسالة ومعرفة جزئياتها له اثر نفسي وروحي وتربوي كبير في بنا النفس الانسانية ، اذ انها تشتمل على جميع مراحل حياة الانسان ، وربماهذا هو السبب الذي جعل القرآن الكريم يتناول الكثير من الموارد والمسائل التي تتعلق بالمعاد ، وهذا ما لانجده في غيرها من المسائل .

اننا في بادئ الامر كنا قد ارتاينا ان نجمع جميع البحوث المتعلقة بـ (المعاد وفق المنظور (القرآني) في مجموعة واحدة (كتاب واحد) ونضعها بين يدي القاري الكريم تحت عنوان (تفسير رسالة القرآن).

ولهذا نحن بذلنا جهدنا في تلخيص هذه البحوث بالقدر الذي لايؤثر على المحتوى العام ، مع الحرص على تلافي اي خلل او نقص في المسائل المطروحة فيه ، ولكن وبعد ان خضنا في اعماق الايات القرآنية ــ بهذا الفكر القاصر ــ عثرنا على كنوز من الجواهرالنفيسة بحيث لايمكن جمعها في كتاب واحد ، والا اصبح عدد صفحاته يزيد على الالف ولامناص لنا الا ان نعيد النظر في هذا الكتاب وندونه في مجلدين .

واتفق ان البحوث المتناولة في المجلد الاول مغايرة تماما لبحوث المجلد الثاني ،المجلد السابق كان الحديث يدور حول المسائل المرتبطة بالمعاد ، اما هذا المجلد فيتناول جزئيات وخصوصيات المعاد وفق المنظور القرآني ، وبتعبير آخر لو اننا شبهنا مسالة المعادببنا عظيم وشامخ لكان المجلد الاول يمثل اساس هذا البنا ، وهذا المجلد (الثاني) يتناول جزئيات وتفاصيل البنا وما يتعلق به .

ولهذا كان من المناسب ان نسمي هذا الكتاب باسم (منازل الاخرة) او منازل القيامة .

ولابد لنا من الاشارة الى ان البحث حول المعاد عموما وما يرتبط بجزئياته خصوصا يثير الكثير من الاسئلة لهذا فقد سعينا واستطعنا ان نجيب عن جميع الاسئلة من القرآن نفسه او من الاحاديث الشريفة او الادلة المنطقية الفعلية .

كذلك بذلنا جهدنا لتقريب هذه المفاهيم المهمة والمعقدة الى الاذهان بضرب الامثلة الحية ، ولقد استفدنا في هذا المجال من التجارب التي حصلنا عليها من خلال البحوث العقائدية والتفسيرية ، آملين التوفيق في هذا الطريق ، والراى لكم .

ولاشك ان هذا العمل سيمهد الارضية لبذل جهود اكبر في المستقبل وهو عامل مساعد في استمرارية هذه الجهود في هذا المجال ، ولا يمكن ان يدعي احد بانه قال في هذاالمجال كل شي ، ولم يبق ما يقال .

نساله تعالى ان يعصمنا من الزلل سوا كان في العلم او في العمل ، في القلم او في الكلام ، كما نطلب منه تعالى ان يسلمنا ويدخلنا في المنازل الرفيعة منازل الرحمة ، رحمته (جنات عدن) ، (جنة الخلد) ولايمكن لاحد ان يدخلها بسلام الا ان تشمله الطاف وعناية الباري عز وجل .

قم المقدسة ــ ناصر مكارم الشيرازي .

.١

اشراط الساعة . ((علامات القيامة)).

تمهيد :.

يبدا المنزل الاول من منازل الاخرة بظهور امارات القيامة ، وهذه الحقيقة الملموسة نجدها بكثرة في القرآن الكريم حيث ان الكثير من الايات القرآنية تتحدث عن علامات قرب الساعة ، وقد عرفت هذه الامارات بـ(اشراط الساعة) وقد اخذهذا العنوان ــ كما سنرى ذلك ــ من القرآن الكريم نفسه :.

اشراط جمع شرط على وزن هدف بمعنى (العلامة).

و(الساعة) هنا تعنى القيامة ، وهذه العلامات عبارة عن حوادث مهمة ورهيبة تحدث قبل يوم القيامة تنذر كل منها بنهاية هذا العالم او هي البداية لقيام الساعة ولابد ان نشير هنا الى ان هذه الحوادث ليست متشابهة بل هناك فوارق واختلافات بينها ، وبنظرة عامة يمكن تقسيم هذه الحوادث الى ثلاثة اقسام وهي :.

١ ــ الحوادث المهمة ((قبل نهاية هذا العالم)).

٢ ــ الحوادث المرعبة على ((اعتاب نهاية هذا العالم)).

٣ ــ الحوادث الرهيبة ايضا عند ((بداية البعث)) والعودة الى حياة جديدة ولابد من التامل في كل واحدة منها وبهذه الاشارة نعود الى القرآن الكريم ونبدا((بالقسم الاول)) منها ونستعرض الايات التي تدور حول هذا الموضوع وهي .

١ ــ (فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جا اشراطها) محمد ــ١٨.
٢ ــ (اقتربت الساعة وانشق القمر) القمر ــ١.
٣ ــ (فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين) دخان ــ١٠.
تفسير موجز :.
ظهور علامات القيامة :. ان الاية الاولى من آيات هذا البحث تشير اشارة عابرة الى (اشراطالساعة)من دون بيان مصداقها ، فــتــقــول : هل ينتظر هؤلا (الكفار والمستهزئون) ان تقوم الساعة بغتة حتى يؤمنوا في حين اتتهم عــلامــاتها (فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جا اشراطها) (عندئذ لا ينفع ايمانهم) (فانى لهم اذا جاتهم ذكراهم).
وكما اشرنا سابقا فان اشراط جمع شرط بمعنى العلامة ــ وبنا على هذافان معنى (اشراط الساعة) : علامات القيامة .
اما ما المراد من تحقيق هذه العلامات التي اخبرت عنها الايات السابقة الذكر؟ فنبينه كالاتي :.
لــلــمــفــسرين آرا مختلفة في ذلك فيرى اغلبهم ان المقصود من (اشراط) هناهو مبعث النبي (٩) وقــيــامه بالدعوة ونزول القرآن الكريم الذي هو آخر كتاب سماوي ، والدليل على هذا الراي هو الاحاديث الواردة عن الرسول (٩) بهذاالخصوص كالحديث المشهور الذي روى عنه (٩) (بعثت انا والساعة كهاتين ،وضم السبابة والوسطى) ((١)) .
ولــقــد عد البعض الاخر من المفسرين انشقاق القمر من (اشراط الساعة)هذا فيما لو كانت جميع الايــات الــتي تحدثت حول (اشراط الساعة) تشير الى قرب الساعة وليس الى امكانية المعاد الا ان الــبعض اختار المعنى الثاني وقال : ان اصل خلق الانسان هو من تراب وان خلق السموات والارض كــلــهــا عــلامات على قدرة اللّه تبارك وتعالى على اعادة الحياة من جديد بعد الممات وعليه ستكون جميع دلائل امكانية المعاد جز من علامات القيامة و (اشراط الساعة).
ولكن المعنى الاول هو الاصح خصوصا ان بعض الروايات الاسلامية عدت بعض الامور من علامات قــرب الــقــيامة و (اشراط الساعة) مثل الحديث المنقول عن الرسول (٩) (من اشراط الساعة ان يرفع الع لم ، ويظهر الجهل ،ويشرب الخمر ، ويفشو الزنا) ((٢)) .
حتى ان بعض الروايات عدت قيام المهدي (عج) لمقارعة الظلم والفسادجز من اشراط الساعة .
اقتربت الساعة :. تــتــحــدث الايــة الــثانية عن قرب القيامة وانشقاق القمر قال تعالى (اقتربت الساعة ونشق القمر) القمرــ ١.
وهذا جواب عن سؤال طالما تكرر على الرسول الاكرم (٩) وهو متى تقوم الساعة ؟ فيجيب (٩) (انــه قريب ومن علاماتها شق القمر) مضمون الحديث وكما انها دليل على قدرة اللّه عز وجل على كــل شــي (بــضمنهما قدرته على احياالموتى) كذلك فهي تتحدث عن صدق دعوى الرسول الاكرم (٩) الــذي هو آخرالسفرا الالهيين ، وتخبر كذلك عن قرب وقوع القيامة ، كما ذكرنا في شرح الاية السابقة بان الرسول (٩) نفسه قال : (بعثت انا والساعة كهاتين).

ولـــكـــن بعض المفسرين المتقدمين والمتاخرين يرون ان الاية تشير الى حوادث ستقع في نهاية هذا العالم قبيل القيامة .

ومن جملة هذه الحوادث تكوير الشمس ، اي ذهاب ضوئها ونورهاوانشقاق القمر ، اما لماذا عبرت الايـــة عـــن هذه الحادثة (انشق) بصيغة الماضي نقول ان اللغة العربية تعبر عن المسائل المستقبلية الحتمية الوقوع بصيغة الماضي .

ولكن هذا الري (اي ان الاية ناظرة الى حوادث اخر الزمان لم ياخد به اكثرالمفسرين ، لان ظاهر الاية بصيغة الماضي ومرتبط به وليس من الصحيح ان تفسرالاية بكونها تدل على المستقبل من دون اية قرينة واضحة).

ويـــقـــول صاحب تفسير (في ظلال القرآن) : (فهذه روايات متواترة من طرق شتى عن وقوع هذا الحادث وتحديد مكانه في مكة) ((٣)) .

وينقل العلامة المرحوم الطباطبائي في الميزان .

(وقد روي انشقاق القمر بدعا النبي (٩) بطرق مختلفة كثيرة) ((٤)) .

باستثنا بعض المفسرين القدما غير المعروفين .

ويـــقـــول ابو الفتوح الرازي : (ان من يقول ان الاية اعلاه تشير الى الحوادث المستقبلية هو خلاف لاجماع واتفاق العلما) ((٥)) .

وهـــنـــاك بـــحـــوث كـــثـــيرة تتعلق بمسالة كيفية شق القمر وشرح هذا الاعجازالنبوي والروايات الـــمـــتعلقة به ، وامكانية وقوعه من الناحية العلمية ، وبما انها خارجة عن هدفنا الرئيس وهو شرح (اشـــراط الـــساعة) لذا فقد صرفنا النظر عنها وللمزيد من المعلومات في هذا المجال راجع تفسير (نمونة) المجلد : ٢٣ ص ١٢ ــ ١٩.

يوم تاتي السما بدخان مبين :. تشيرالاية الثالثة الى علامة اخرى من علامات قرب الساعة وهي (الدخان) حيث يغطي دخان كثيف صـــفحة السما في ذلك اليوم وياتي على شكل عذاب (فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين # يغشى الناس هذا عذاب اليم) ولقدذكر المفسرون آرا عديدة في تفسير هذه الاية نذكر ثلاثة منها :.

الاول :يـــرى الـــبعض ان الدخان اشارة الى عذاب يوم القيامة وهو دخان مرعب شره مستطير يظلل رؤوس المجرمين ولكننا نرى هذا الاحتمال بعيدا لاننانجد في ذيل الاية ان المجرمين يطلبون رفع هـــذا الـــعـــذاب الالـــهـــي ويظهرون الايمان وياتيهم الخطاب (انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون) الدخان ــ ١٥.

فـــلا يـــمـــكـــن تصور وقوع هذا المعنى في يوم القيامة خاصة وان الاية التي بعدهاتشير الى القيامة وعـــقـــوباتها بشكل مستقل وهذا يدل على ان ما ذكر قبلها يتعلق بغيريوم القيامة (يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) الدخان ــ ١٦.

الثاني :يرى ان الاية تشير الى ان الكفار بعد ان حلت بهم المجاعة والجدب جاؤوا الى النبي

يطلبون منه الدعا لرفع هذا العذاب فدعا النبي (٩)فرفع العذاب عنهم ولكنهم عادوا الى عتوهم وجحودهم .

وبنا على ذلك فان الدخان هنا يراد به المعنى المجازي لا ن الادب العربي يستخدم كلمة دخان كناية عن الشر والبلا الغالب ، كما ذكر ذلك الفخرالرازي في تفسيره ((٦)) .

او قد يراد بالدخان الاتربة والغبار الذي يغطي صفحة السما اثنا سنوات القحط حيث لا وجود للامطار التي تزيل هذا الغبار وهذه الاتربة ((٧)) من هنا يطلق على سنة القحط بـ (السنة الغبرا) او (عام الرماد).

والماخذ الذي يؤاخذ عليه هذا التفسير هو ان الدخان الوارد في الاية الكريمة لم يستعمل بمعناه الحقيقي وقد حمل على معناه المجازي بدون اية قرينة .

اما الثالث : فيرى ان الاية تشير الى احدى علامات قرب القيامة حيث تغطى السما بدخان مبين فيلجا الناس الى لطف اللّه تعالى ليكشف عنهم العذاب فيرفع بكرمه ولطفه عنهم قليلا منه ورغم كل هذا لا يؤمن المنكرون .

ان هذا التفسير اضافة الى كونه مطابقا لظاهر الاية فانه يتفق مع الاخبارالمتعددة التي وردت في مصادر تفسير الشيعة والسنة ، ونقرا هنا حديثا عن الرسول الاكرم (٩) : حيث يقول :(عن حذيفة قال : قال رسول اللّه (٩) : اول الايات خروجا الدجال ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر تبيت معهم اذا باتوا وتقيل معهم اذا قالوا ، وتصبح معهم اذا اصبحواوتمسي معهم اذا امسوا قلت : يانبي اللّه وما الدخان ؟ فتلا هذه الاية :(فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين) يملا مابين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اماالمؤمن فيصيبه منه شبه الزكام واما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من فمه ومنخره وعينيه واذانيه ودبره) ((٨)) .

ولقد ورد هذا المعنى في مصادر الشيعة بشي من الاختلاف فنقل الامام علي (٧) عن الرسول الاكرم (٩) (عشرة قبل الساعة لابد منها : السفياني ،والدجال ، والدخان ، والدابة ، وخروج القائم ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى (٧) ، وخسف بالمشرق ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس لى المحشر) ((٩)) .

وقد وردت روايات اخرى تؤيد هذا المعنى .

وبنا على ذلك يكون التفسير الثالث للاية الشريفة هو التفسير الافضل .

هذه هي اهم (اشراط الساعة) التي ذكرها القرآن الكريم .

الفصل الثاني .

العلامات التي تنذر بنهاية هذا العالم . يستفاد من طائفة اخرى من ايات القرآن الكريم حدوث اضطراب عظيم في نظام الكائنات والارض والسما بنهاية هذا العالم وبتعبير آخر ان انتها

العالم لايكون تدريجيا وانما يكون مباغتا ومقترنا بمشاهد وحوادث مرعبة .
ومن جملة هذه الحوادث التي تعد قسما من علامات الساعة ما ياتي :.
تلاشي الجبال :. ١.
لــذا ورد هــذا الــموضوع في آيات متعددة من القرآن الكريم وذكر له عدة مراحل مختلفة ويمكن تقسيمها وتلخيصها في سبعة مراحل هي :.
١ ــ المرحلة الاولى :اهتزاز الجبال : (يوم ترجف الارض والجبال) المزمل ــ١٤.
٢ ــ المرحلة الثانية : قلعها : (وحملت الارض والجبال) الحاقة ــ١٤.
٣ ــ المرحلة الثالثة : تسييرها : (وتسير الجبال سيرا) الطور ــ١٠.
٤ ــ المرحلة الرابعة : الدك والهدم (فدكتا دكة واحدة) حاقة ــ١٤.
وفي هذه المرحلة تصبح الجبال كالكثبان المتراكمة (وكانت الجبال كثيبامهيلا) المزمل ــ١٤.
٥ ــ الــمــرحــلة الخامسة : تصبح فيها الجبال كالغبار المتفرق (وبست الجبال بسا فكانت هبا منبثا) الواقعة ــ٥ ــ٦.
٦ ــ المرحلة السادسة : تكون الحبال فيها كالعهن المنفوش اي كالصوف المندوف المتطاير في الريح الشديدة ولا يرى في السما الا لونها (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) القارعة ــ٥.
٧ ــ المرحلة السابعة : تلاشي الجبال ولا يبقى منها الا شبح كشبح سراب في صحرا قفر(وسيرت الجبال فكانت سرابا) النبا ــ٢٠.
وهــكــذا سوف تزول الجبال تماما ولا يبقى منها اي اثر وتبدل الى ارض مستوية لا نرى فيها عوجا ولا امتا (فيذرها قاعا صفصفا) طه ــ١٠٦ ((١٠)) .
والــسؤال الذي يطرح هنا هو هل ان هذه الحوادث العجيبة والمرعبة تقع للجبال على اثر انفجارات داخــلــيــة فــيــها واندثار لنظامها الذري وتحرر الطاقة الكامنة في داخلها ؟ ام انها على اثر ضربة خارجية توجه اليها من اصطدام الاجرام السماوية بسرعة وجاذبيه عالية بعضها مع البعض الاخر ؟ ام هناك علل اخرى لم يكتشفهاالعلم اليوم ؟.
لا يــمــكــن لاي شــخص اعطا جواب صحيح عن هذه الاسئلة فالعلوم اليوم عاجزة عن تفسير هذه الظواهر.
ان هناك انفجارات عظيمة حدثت وتحدث في الاجرام السماوية ، ولكن العلم يعجز عن تفسير علل تلك الانفجارات فنحن لانعرف الا ما اخبرنا عنه القرآن من ان هذه الحوادث تقع في نهاية هذا العالم .
انفجار البحار :. ٢.
من العلامات الاخرى لنهاية هذا العالم وقرب قيام الساعة انفجار البحار ،ونقرا في هذا الصدد قوله تعالى :(واذا البحار فجرت) الانفطار ٣.
وقال في موضع آخر (واذا البحار سجرت) التكوير ــ٦ وقال في الاية السادسة من سورة

الطور بعد ان اقسم بايمان متعددة ومتتابعة (والبحر المسجور).
بـــلا شـــك ان الاية الاولى والثانية اشارتا الى (اشراط الساعة) وذلك لان الايات التي وردت بعدها دلت على هذا المعنى بشكل واضح اما فيما يتعلق بالاية الثالثة فقيل في تفسيرها بانها كانت ناظرة الى علامات القيامة .
ولقد وردت في احد موارد هذه الايات عبارة (فجرت) وهذه الكلمة مشتقة من (فجر) واستعملت بمعنى الانفجار ومن الممكن ان تكون هذه اشارة الى انفجار البحار.
لـــقد اصبحت هذه المسالة اليوم مسالة سهلة قابلة التحقق نظرا لا ن المايتكون من عنصرين ، الاول هـــو الاوكـــســـجين والثاني هو الهيدروجين وهذان العنصران قابلان للاحتراق فلو كان هناك عامل يسبب في تجزئة الما لتبدلت البحار الى كتلة عظيمة من نيران محرقة وتكفي قدحة صغيرة لاحراق العالم باسره .
ويحتمل ان تكون الزلزلة الشديدة التي تقع قبيل القيامة هي السبب في تشقق الارض واتصال البحار مع بعضها البعض وعلى اثر ذلك سوف تتصل جميع البحيرات الموجودة على الارض والبحار وهذا ايضا احد الاقوال التي ذكرت في تفسير هذه الاية .
وهـــنـــاك تفسير ثالث يقول : عندما تتلاشى الجبال يسقط غبارها في البحارفتمتلئ ويطغى الما على اليابسة فتصير كلها بحرا واحد.
وبهذه المعاني الثلاثة فسرت الكلمة الثانية سجرت المشتقة من مادة (تسجير) وذلك لان التسجير في الاصل يعني الايقاد وياتي احيانا بمعنى الملي ولذايقال للتنور المملؤ بالنار (مسجر).
وقـــد يـــكـــون اشـــتـــعـــال الـــبـــحـــار بـــســـبب تجزئتها الى عنصرين قابلين للاحتراق (الاوكسجين والـــهـــيـــدروجين) او لعلل اخرى نجهلها اما امتلا البحار فهو اما بسبب تلاشي الجبال وسقوطها في البحار او بسبب سقوط الاحجار السماوية الكبيرة فيها اولعلل اخرى غير معروفة .
الزلزال العظيم المدمر. ٣.
مـــن الـــعـــلامات الاخرى لنهاية هذا العالم وقرب قيام الساعة وحدوث زلزلة عظيمة ليس لها نظير بحيث تهز جميع انحا الكرة الارضية فتدمر كل شي ويدفن جميع الناس في لحظات بقول القرآن : (يـــاايـــهـــا الـــنـــاس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شي عظيم) الحج ــ١ ثم يقول (يوم ترونها تذهل كل مـــرضـــعـــه عـــمـــا ارضـــعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم ب سكارى ولكن عذاب اللّه شديد) الحج ــ٢.
وســـنـــشير في الفصل الثالث تحت عنوان (اشراط الساعة) الى ان هناك زلزلة اخرى تقع قبيل احيا الامـــوات اشارت اليها بعض الايات الكريمة ، ويحتمل ان تكون الاية الكريمة التي نحن بصددها قد اشارت الى هذا المعنى بقرينة :(ولكن عذاب اللّه شديد) ، وبهذا يجب ان نفسر المراد بالمرضعات والـــحوامل تفسيرا مجازيا فشدة الهلع والخوف الناشئ من اثر الزلزلة

العظيمة تجعل كل امراة حامل تسقط جنينها وهذا التفسير على خلاف ظاهر الاية على اية حال ان هذاالمعنى ورد ايضا في الاية ١٤ سورة المزمل : (يوم ترجف الارض والجبال) ((١١)) وجا نظير هذا المعنى في سورة الواقعة آية ٤ : (اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا).

ذهاب ضؤ الشمس والقمر والكواكب . ٤.

من العلامات الاخرى لقرب الساعة انطفا قرص الشمس واختفا ضؤالكواكب كما ذكرت الاية (اذا الشمس كورت واذا الن جوم انكدرت) التكوير ــ١ ــ٢.

(كورت) مشتقة من مادة تكوير ، وهي بمعنى الطي او اللف او جمع الشي مثل لف العمامة على الراس وكذلك جات هذه الكلمة بمعنى الانطفا او الاسفاط ،والظاهر من هذين المعنيين فيما يتعلق بالشمس انها من باب اللازم والملزوم ،فيذهب ضؤ الشمس بالتدريج وتعم الظلمة اما (انكدرت) فهي مشتقة من مادة (انكدار) وهي الظلمه او السقوط والتناثر ، والظاهر ان كلا المعنيين بخصوص الكواكب من باب اللازم والملزوم ، نعم وحسب شهادة القرآن ينطوى ويجمع في نهاية هذا العالم اعظم مصدر للنور في منظومتنا الشمسية وهو الاساس لاضاة جميع السيارات وبهذا سيكون مصير الكواكب الاخرى نفس مصير الشمس ويقول الفخر الرازي في بعض عباراته (ان البعض يرى ان كلمة ((كورت)) ماخوذة من مادة (كور) ((١٢)) بمعنى الاعمى وهذا يعني ايضا ذهاب ضؤ الشمس ونورها).

ويعتقد علما اليوم ان مصدر الطاقة الشمسية هو الانفجارات الذرية (التي يكون وقودها الهيدروجين ورمادها الهليوم) ((١٣)) وبنا على ذلك سوف ينقص من وزن هذا الكوكب ٣٥٠/٠٠٠ مليون طن في كل ٢٤ ساعة وهذا الامر يكون سببا في ضعف وقلة ضؤ الشمس تدريجيا وهذاهو مفهوم جمع نور الشمس وانطفائها وهما المعنيان الكامنان في مادة (تكوير)حسب مايذكر ارباب اللغة بالرغم من ان نقص هذا المقدار وبحكم الظروف الحالية ليس له تاثير فوري عليها وذلك بسبب كبر حجمه.

فاذا حسبنا سرعة النقصان بمقاييسنا الحالية فمن الممكن ان يطول تحقق ذلك ملايين او مليارات السنين .

ولا احد يعلم ماذا يحدث غدا في هذا العالم فمن الممكن ان تحدث امورتعجل في نقصان هذه الاشعة الكونية وتساعد فى انطفا هذا المصدر العظيم للنورواللحرارة بصورة كلية وفي فترة قصيرة .

ويصدق هذا المعنى على سائر الاجرام السماوية فينحل النظام الذي يجمع الكواكب ، وينحل كذلك توازن القوة الجاذبية والدافعة التي لها ارتباطبالاجرام وسرعة حركته.

ولعل هذا هو نفس الشي الذي يذكره القرآن في موضع آخر (واذا الكواكب انتثرت) الانفطار ــ٢ وسوف نتعرض الى تفسير هذه الاية في بحث لاحق ان شا اللّه .

ونــقــرا في سورة القيامة (فاذا برق البصر# وخسف القمر وجمع الشمس والقمر# يقول الانسان اين المفر) القيامة ــ٧.

يتضح من خلال هذه الايات ان جميع هذه الحوادث تقع بصورة مباغتة وليست تدريجية والا سوف لا يكون هناك انسان في ذلك الزمان يقول (اين المفر)(فتامل).

ومن الممكن ان يكون جمع الشمس والقمر بفعل فقدان تعادل القوى الجاذبة والطاردة وسوف ينجذب القمر الى مركزه الاصلي وهوالشمس .

وننهي هذا الحديث بالاشارة الى آية اخرى من القرآن في هذا المجال قال تعالى (فاذا النجوم طمست) المرسلات ــ٨.

هــذا الــعبير بتوافق مع الايات السالفة الذكر ومن لوازمها ايضا ونذكر في نهاية هذا المطاف ان هذه الــمسائل موجودة في عالمنا وتسير بشكل تدريجي ولكن تزداد شدتها في نهاية الكون حيث تحدث سلسلة حوادث متصلة سريعة ومباغتة تزيل هذا النظام وتنهي عمره بامر من اللّه تعالى .

انشقاق الاجرام السماوية :. ٥.

مــن الــعــلامــات الاخرى لنهاية العالم اختلال نظام الكواكب وانشقاق الاجرام السماوية ولقد اشار القرآن الكريم في آيات عديدة وبتعابير مختلفة الى ذلك فاحياناعبر عنه بــ (الانشقاق) ،(اذا السما انشقت) الانشقاق ــ١ ، وجا نظير هذاالمعنى في الاية ١٦ سورة الحاقة (وانشقت السما فهي يومئذ واهــيــة) كــما ورد نفس هذا المعنى بشئ من الاختلاف في الاية ٢٥ سورة الفرقان (ويوم تشقق السمابالغمام).

والمراد من السما في هذه الايات هي الاجرام السماوية حيث تشقق هذه الاجرام في نهاية العالم على اثــر الانــفــجــارات الــمتتابعة ، اما المقصود من تشقق السمابالغمام فيحتمل ان يرافق انشقاق السما حــصــول غــمــام كــثيف بفعل الاتربة والغبارالمتولد عنها والبا في قوله (بالغمام) كما يحتمل ذلك صاحب الميزان للملابسة اي تتفتح السما متلبسة بالغمام (اي متغيمة) ((١٤)) .

ولكن المرحوم العلا مة الطباطبائي لم يستبعد ان يكون الكلام كناية عن انكشاف غمة الجهل وبروز عــالم السما وهو من الغيب وبروز سكانها وهم الملائكة ونزولهم الى العالم الارضي (فالبا في هذه الاية تكون بمعنى (عن) اي تذهب الغيوم جانبا ويظهر غيب العالم).

ولكن لما لم يكن هناك دليل على هذا التفسير الكنائي فيكون من الصعب قبوله .

ومــن الــمــنــاســب ان نــذكر حديثا للامام علي (٧) في هذا الصدد فيقول (انهاتنشق من المجرة) ((١٥)) ان هــذا التعبيرالرائع ينطبق مع اخرالاكتشافات التي توصل اليها العلما في مجال المجرات فــيــقــولــون : ان المنظومة الشمسية والكواكب التي نشاهدها هي جزمن مجرات عظيمة ((درب الــتبانة)) ويمكن رؤيتها بالعين المجردة ويكون انشقاق الشمس والقمر

والكواكب مصاحبا لانشقاق هذه المجرات الكبيرة (تامل).

واحيانا يعبر القرآن بالانفطار (اذا السما انفطرت) الانفطار ١ــ ، ولقد وردنظير هذا المعنى في الايــة ١٨ ســورة الــمزمل (السما منفطر به) ، وكما ذكرناسابقافان كلمة انفطار مشتقة من مادة (فطر) وهي بمعنى الانشقاق .

واحيانا يقول تعالى (واذا السما كشطت) التكوير ــ١١.

فــيمكن ان يكون هذا التعبير اشارة الى ازالة الحجب المانعة عن رؤية ملكوت السموات والملائكة والــجــنة والنار في ذلك اليوم فتزال الحجب وتتكشف للانسان حقائق عالم الوجود وفي هذه الحالة سوف لايكون للاية علاقة بتلاشي السموات .

ولــقــد فسر بعض المفسرين امثال المرحوم الطبرسي في مجمع البيان هذه الاية بقوله (ازيلت عن موضعها كالجلد عندما يزال عن الجزور ثم يطويها اللّه وقيل معناها قلعت كما يقلع السقف) ((١٦)) وقــال تــعالى في موضع آخر(واذا السمافرجت)المرسلات ــ٩ ، ان كلمة مادة (فطر) و(فرج) تدل على نفس المعنى بشئ من الاختلاف فيطلق على حل عقدة المشاكل والمحن بالفرج وهو ما يقابل الشدة والعسر.

وعــبــر احــيــانــا اخرى بــ (فتح) كما نقرا في سورة النبا آية ١٩ (وفتحت السمافكانت ابوابا) ويمكن ان يكون هذا التعبير اشارة الى انشقاق السما ، كما ذكر ذلك بعض المفسرين وفي هذه الحالة تــكــون هــذه الاية منسجمة مع الايات السالفة الذكر اي تحدث شقوق عديدة في السما كانها ابواب ونوافذ عديدة .

ولــكــن بــعــض المفسرين حملوا ذلك على المعنى الكنائي وقالوا ان المرادمن فتح السما هو انفتاح ابواب عالم الغيب وازالة الحجب وارتباط عالم الملائكة بعالم الناس ((١٧)) .

واحيانا اخرى يقول (يوم تمور السما مورا) الطور ــ٩.

(مور) على وزن (قول) وتاتي احيانا بمعنى الحركة العنيفة واحيانا اخرى بمعنى الحركة الدائرية واخرى بمعنى الذهاب والمجي المضطرب ، ويطلق على الغبار والاتربة التي تحملها الريح الى كل جانب بــ (مور).

على كل حال ان هذا التعبير يعني اضطراب الاجرام السماوية واختلال نظمها وزواله.

واحيانا اخرى يقول تعالى : (يوم تكون السماكالمهل) المعارج ــ٨.

ولــقــد فــسر المفسرون كلمة المهل دردي الزيت او الفضة اذا ذابت والمعنى الاخير يناسب الاية اعلاه .

على اية حال ان حصول مثل هذه الحالة في الاجرام السماوية انما هونتيجة لزواله.

وفــي الــنــهاية عبر القرآن بتعبير آخر فقال : (يوم نطوي السما كطي السجل للكتب كما بدانا اول خلق نعيده) الانبيا ١٠٤.

هــذا الــتــعــبير يوضح ابعاد تغيير السموات والكواكب في نهاية هذا العالم ويدل ايضا على

ان جميع الــمنظومات والكواكب السيارة والثابتة تطوى كطي السجل للكتاب ويعاد الخلق كما خلقه اول مرة ويضع اللّه سبحانه وتعالى نظاما جديدا لعالم الوجود وتقوم القيامة على هذا العالم الجديد.

فنستنتج من مجموع هذه الايات السالفة الذكر ان القيامة هي ليست استمرارا للحياة الدنيا بل ان هذا النظام يتغير تغيرا كاملا وذلك لوقوع انفجارات عظيمة وزلازل مرعبة تدمر كل شي ثم يقوم نظام جديد بعد ذلك وتقوم القيامة فيه .

الفصل الثالث .

علامات بد القيامة . عــند بداية القيامة تحدث حوادث عظيمة فكما ان الدنيا تنتهي بوقوع حوادث عظيمة ، كذلك تقترن بداية القيامة بحوادث عظيمة ايضا وقد ورد هذا المعنى في آيات مختلفة من القرآن الكريم .

١ ــ قال تعالى : في سورة ابراهيم : (يوم تبدل الارض غير الا رض والسموات وبرزوا للّه الواحد القهار) ابراهيم ــ٤٨.

هذا التبديل هو اشارة واضحة الى المرحلة الثالثة وذلك لانه تعالى يقول في ذيل الاية (وبرزوا للّه الواحد القهار).

وهــذه النكتة جديرة بالاهتمام فليس المراد من تبديل الارض بارض اخرى هو تبديل لذات الارض كــمــا يتصور البعض بل ان المقصود هو تبدل صفاتهامثل ازالة الجبال او استوائها وصيرورتها قاعا صفصفا كما يذكر القرآن الكريم او زيادة مساحتها وغير ذلك من دون تبديل ذاته.

ودليل هذا الكلام آيات عديدة عن نشور الاموات من قبورهم وبالخصوص الاية ٥٥ طه اذ تذكر (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى).

على كل حال ذكر المفسرون ارا عديدة حول هذه الاية ولا يوجد لديهم اي دليل الا بعض الروايات المرسلة او الاستناد الى بعض اقوال الاخرين فاحيانايقولون ان الارض تبدل بالفضة والسما بالذهب واحــيــانا اخرى يقولون ان الارض تبدل بالنار والسما بالجنان او كل قطعة من الارض تبدل اما الى فضة او الى نارحسب ما يناسب وضعها مع المؤمنين والكفار.

وكل ما نستفيده من هذه الاية بشكل عام : ان هناك تغيرات عظيمة لاتتضح جزئياتها لن.

٢ ــ قــال تعالى في موضع آخر (ا ذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها) الزلزال ــ١ ــ٢.

وهــنــا يطرح هذا السؤال هل ان هذه الزلزلة هي نفس الزلزلة التي تعم جميع انحا الكرة الارضية عند نهاية الكون وتؤدي الى تدمير العالم باسره ؟ ام انها هي التي تقع اثنا يوم القيامة ؟ هناك اختلاف بــين المفسرين بصدد هذه الاية ولقد نقل الفخرالرازي في تفسيره كلا التفسيرين ((١٨)) ولكن اذا تاملنا الاية الثانية من هذه السورة (واخرجت الارض اثقالها) لكان المعنى

الثاني هو الانسب مع سـياق الاية ، وذلك لان الاثقال جمع ثقل اي يخرج كل مادفن فى الارض وهناك احتمال قوي ان المراد بالاثقال الموتى حيث يخرجون من قبورهم كما ذكرت ذلك الاية ٤ من سورة الانشقاق (والقت ما فيها وتخلت).

وبهذا المعنى تحدث الزلزلة الثانية قبل احيا الاموات وشروع القيامة وهذه الزلزلة تعم كل الكون على خلاف سائر الزلازل التي تتحدد بمنطقة صغيرة فان تعبير (اذا زلزلت الارض) يفيد الاطلاق وتعبير زلزالها يؤكد هذاالمعنى .

ولقد ورد ما يشابه هذا التعبير بل وبصورة اوضح في سورة ق آية ٤٤(يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير) ((١٩)) .

يتضح من الايات اعلاه ان انشقاق الارض باسرها وخروج الناس دفعة واحدة من قبورهم يكون متزامنا مع وقوع زلزلة عنيفة تشمل كل ارجاالعالم .

على اية حال ان هذه الزلزلة تقع قبيل احيا الاموات وليس في نهاية العالم خاصة وقد ورد في الاية تعبير (حشر) بدلا من احيا الاموات ، والحشر يعني (اجتماع الناس بعد احيائهم او جمع اجزا الابدان المتفرقة او جمع الارواح والاجساد) ان هذه الزلزلة وعلى خلاف سائر انواع الزلازل زلزلة بنا واعمار فهي ليست مدمرة او مميتة بل انها تاتي لاخراج الناس من قبورهم ليستانفوا حياة جديدة .

وقد ورد نظير هذا المعنى في سورة النازعات (يوم ترجف الراجفة تتبعهاالرادفة).
ويــرى الــكــثــير من المفسرين ان الاية الاولى هي اشارة الى نفخة الصور الاولى (وهي الصيحة العظمى التي تنهي العالم) اما الاية الثانية فهي اشارة الى النفخة الثانية (صيحة الاحيا) وهي الصحية الــتــي تــبــدا بــها القيامة ، وهذا المعنى على خلاف ظاهرالاية وذلك لان الراجفة مشتقة من رجف وحسب ما ذكره صاحب مقاييس اللغة في ان الراجفة تعني الاضطراب .

وحــســب قول الراغب في مفرداته (الرجفة) بمعنى الاضطراب الشديدويقال للبحر الهائج (بحر رجاف) و(اراجيف) هي الاخبار التي تزلزل الافكار العامة للمجتمع ، صحيح ان الصيحات العظيمة تــقــرن عادة مع الزلازل ولكن لاتوجد هناك ضرورة لترك المعنى الحقيقي للزلزلة الاولى والثانية واختيار الكناية او المعنى اللازم .

٣ ــ ان تــبــدل سطح الكرة الارضية من احدى علامات شروع القيامة فتصبح الارض مسطحة ملسا تــمــامــا ويــبرز جميع الناس بوضوح على سطح الكرة الارضية (يوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا) الكهف ــ٤٧.

ان حركة الجبال هي مقدمة لتدمير الارض وعلى اثر هذا التدمير الوارد في الاية التي نحن بصددها وبــعــض الايــات الاخرى ايضا تصبح الارض قاعا صفصفا : اي ملسا مستوية لا يعلوها شي ويظهر جميع الناس عليها بشكل واضح .

ولــو تاملنا في هذه الايات (ويسالونك عن الجبال # فقل ينسفها ربي نسفافيذرها قاعا صفصفا # لا ترى فــيــها عوجا ولا امتا # يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له) طه ــ١٠٥ ــ١٠٨ لاتضح لنا بان هذه الايات تعرض لنا مشاهد من حوادث نهاية العالم ومشاهد اخرى من حوادث بداية القيامة .

هذه خلاصة للبحوث المتعلقة بــ (اشراط الساعة) وامارات القيامة ولقدعرضناها في ثلاثة فصول بــالاستفادة من الايات القرآنية وكذلك عرضنا مشاهد من التغيرات العظيمة التي تقع في نهاية العالم وبداية القيامة .

نفخة الصور. نفخة ((صرخة الموت والحياة)).

تمهيد :.

لقد اشار الكثير من الايات القرآنية الى نفخة الصور ويستفاد مما ورد فيهابان هناك نفختين بالصور :.

الاولى وتقع في نهاية العالم وهي التي تسبب في موت جميع الخلائق وتسمى بنفخة الموت .

اما النفخة الثانية فتقع قبيل يوم القيامة وتعمل على احيا جميع الاموات وتسمى نفخة الحياة .

وفي الحقيقة ان توقف هذا العالم وبد حركة عالم آخر يشبه توقف وحركة القطعة العسكرية حيث يــتــوقف افرادها عند سماعهم لصوت بوق خاص ويتحركون مرة اخرى عند سماعهم لصوت

بوق آخر.

وهنا يطرح هذا السؤال : مامعنى الصور ؟ وما المقصودبالنفخة ؟.

لــقــد خــصصنا لهذاالموضوع بحثا مفصلا سنتطرق اليه فيما بعد ــ انشا اللّه ــوالجدير بالذكر ان القرآن ذكر ستة تعابير مختلفة حول هذا الموضوع .

فاحيانا يعبر عنه بــ (نفخة الصور).

واحيانا اخرى بــ (الصيحة).

وثالثة بــ (النقر في الناقور).

ورابعة بــ (الصافة).

وخامسة بــ (القارعة).

وسادسة (الزجرة).

وسوف نشرح هذه العناوين من خلال الايات الاتية مستمعين اليهابخشوع :.

١ ــ (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا اللّه ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون) الزمر ــ٦٨.

٢ ــ (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شا اللّه وكل اتوه داخرين الا من شا اللّه) النمل ــ٨٧.

٣ ــ (ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون) يس ــ٥١.

٤ ــ (فــاذا نــفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة) الحاقة ــ١٣ ــ١٤.

٥ ــ (فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتسائلون) المؤمنون ــ١٠١.

٦ ــ (ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا) الكهف ــ٩٩.

٧ ــ (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يؤمئذ زرقا) طه ــ١٠٢.

٨ ــ (يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا) النبا ــ١٨.

٩ ــ (قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور) انعام ــ٧٣.

١٠ ــ (ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد) ق ــ٢٠.

١١ ــ (ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) يس ــ٥٣.

١٢ ــ (ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون) يس ــ٤٩.

١٣ ــ (وما ينظر هؤلا الا صيحة واحدة مالها من فواق) ص ــ١٥.

١٤ ــ (يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) ق ــ٤٢.

١٥ ــ (فاذا نقر في الناقور # فذلك يومئذ يوم عسير) المدثر ــ٨ ــ٩.

١٦ ــ (فاذا جات الصاخة # يوم يفر المر من اخيه) عبس ٣٣ــ ــ٣٤.

١٧ ــ (القارعة مالقارعة # وما ادارك مالقارعة # يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) القارعة

ـ١ ـ٤.
١٨ ـ (فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون) الصافات ـ١٩.
تفسير موجز :.
نفخة الموت ونفخة الحياة . لـقد عبرت الثمان عشرة آية السالفة الذكرـ كما اشرنا الى ذلك سابقا ـ عن نفخة الصور تحت ستة عناوين مختلفة وقد جمعنا هذه الايات مع بعضها كي نسلطالاضوا على تفسيرها حتى يتضح المفهوم الحقيقي لنفخة الصور من خلال المقارنة بينه.
لـقـد اشارت الاية الاولى الى نفخة الصور الاولى وكذلك الى نفخته الثانية وهذه هي الاية الوحيدة الي جمعت كلا النفختين (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا اللّه) ويـرى صاحب كتاب (مقاييس اللغة) بان مادة صعق على وزن صعق يعني الصوت الشديد ، ويرى بان الـصـاعـقة مشتقة من نفس المعنى وهي سبب الموت والدمار ، وجات هذه المادة ايضا بمعنى الموت وذكـر صـاحـب كتاب لسان العرب ان المعنى الاول للصعق هو الاغما ، وشل العقل على اثر سماع الصوت الشديد وذكر بان (الموت) من المعاني الاخرى لهذه الكلمة حتى انه ذكر قول بعضهم على ان الموت هو احد معاني الصاعقة .
عـلى اية حال ان مفهوم الصعق في الاية يعني الموت المابغت الذي يعم جميع اهل السموات والارض وذكـرت الايـة الكريمة (الا من شا اللّه) فما المقصودمن هذه العبارة ؟ هناك كلام للمفسرين في هذا الصدد قال بعضهم : ان هذه العبارة هي اشارة الى جمع من ملائكة اللّه الصالحين وهم (جبرائيل ، وميكائيل ، واسرافيل ،وعزائيل) وقال بعض آخر انهم الشهدا ، وقيل ان الاية تشمل ايضا اضافه الـى الـمـلائكـة الاربـعة الذين سبق ذكرهم حملة العرش الالهي ومع ذلك فالنتيجة ان جميع هؤلا يذوقون الموت بحكم قوله تعالى :(كل نفس ذائقة الموت)آل عمران ـ١٨٥ولم يبق الا وجه اللّه الذي هو حي لايموت (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) ص ـ٢١.
ولقد اشار ذيل الاية الى النفخة الثانية (ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون).
الـصـور فـي الاصل بمعنى البوق الذي يستخدم عادة لايقاف او لتحريك الجند واحيانا القوافل ولقد استخدم في هذه الاية بمعنى توقف الحياة باسرها في عالم الوجود ومن ثم حركتها مرة اخرى .
وهناك شرح مفصل لهذا الموضوع سنتعرض اليه ـ ان شا اللّه ـ في فقرة (التوضيحات).
وقـد اشارت الاية الثانية الى النفخة الثانية فقط (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض).
ولـم يـسـتـبـعد البعض ومنهم العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان ان المرادمن هذه الاية كلا النفختين .
ولكن ذيل الاية يذكر (وكل اتوه داخرين) وهذا يدل على ان المقصودهو النفخة الثانية وفي هذه

الايــة ايــضــا نــواجه الجملة الاستثنائية (الا من شا اللّه)حيث اشرنا الى تفسيرها في ذيل الاية الاولى .

امــا الاية الثالثة فتشير الى النفخة الثانية (نفخة الاحيا) (ونفخ في الصورفاذا هم م ن الاجداث الى ربهم ينسلون) ((٢٠)) .

ولــقــد ذكــر الــمفسورن بان هذه الاية تختص بالنفخة الثانية ويشهد على هذاالمعنى ذيل الاية وما بعدها من آيات .

ويطرح البعض هذا السوال اذا كان الناس يهلعون في ذلك اليوم من الحساب الالهي فكيف يفزعون اليه ؟.

فقيل في جواب ذلك بان هذه الحالة حالة لاراديه .

وبهذه الوسيلة يدعوهم اللّه تعالى الى محكمة عدله .

والاية الرابعة ناظره الى النفخة الاولى وهي نفحة اماتة جميع المخلوقات وفناالعالم باسره (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة).

ان تعبير (واحدة) الذي تكرر مرتين في هذه الاية يدل على ان هذه الحوادث تتحقق بصورة مباغتة عــلــى شكل ضربة مميتة ومن جهة اخرى ان هذه الايات تبين القدرة اللامتناهية للّه سبحانه وتعالى حيث تفنى جميع المخلوقات بنفخة صور واحدة بالضبط مثل نفخة البوق التي تحرك جيشا عظيما او توقفه في مكانه .

بلا شك ان الايات السابقة اشارت الى النفخة الاولى اما الايات اللاحقة فقد ورد فيها اضافة الى ذلك كلام عن حوادث المحشر وصحيفة الاعمال واوصاف الجنة ، وبحكم كون الحوادث المذكورة تقع فــي نــهــاية العالم وبداية القيامة ولا توجدفاصلة كبيرة بينهما لهذا السبب نرى في كثير من الايات القرآنية ان حوادث نهاية العالم وقيام القيامة جات مرادفة لبعضها البعض .

ويــرى بعض المفسرين الكبار ومنهم صاحب الميزان فيقول (والذي يسبق الى الفهم من سياق الايات انــهــا الــنــفخة الثانية التي تحيي الموتى) ((٢١)) ونحن نستبعد ان تكون هذه لاية قد اشارت الى النفخة الثانية حيث انها لا تتوافق مع سياق الاية التي تليها والتي تخبر عن دك الارض والجبال ولعل الايــات الــتــي وردت (بــفــاصــلة) عن هذه الاية هي التي ساقته الى هذا المعنى ، في حين ان التامل فــي الايــات الــمــخــتلفة التي تتحدث عن القيامة يدلل على ان هذه الايات تذكراحياناحوادث هاتين النفختين سوية ويميز بينهما بالقرائن .

امــا الايــة الــخــامــسة اشارت بوضوح الى (النفخة الثانية) وذلك لانها تخبرعن عدم تاثير روابط الانــساب بين الناس اثنا (نفخة الصور) (فاذا نفخ في الصور فلاانساب بينهم يومئذ ولايتسالون) فــمــن الــواضــح ان السؤال سوا كان بمعنى التساؤل عن احوال بعضهم البعض او بمعنى طلب العون والمساعدة فان كل هذا يحدث في نفخة القيامة (نفخة الحياة).

ومن الغريب ان نرى بعض المفسرين يحتملون ان المراد في هذه الاية النفخة الاولى .

عـلـــى ايـــة حـــال ان عدم سؤال بعضهم للبعض الاخر محمول على كلاالاحتمالين بحكم انشغال كل بنفسه وبالاهوال التي يتعرض اليها فلا يفكر بالاخرين .

من هنا يطرح هذاالسؤال وهو كيف تتوافق هذه الاية مع غيرها من الايات التي تذكر (فاقبل بعضهم على بعض يتسالون) الصافات ــ٥٠.

وكذلك قوله تعالى (وبرزوا للّه جميعا فقال الضعفا لل ذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب اللّه من شئ) ابراهيم ــ٢١.

فـــيـــتضح الجواب عن هذا السؤال من خلال ملاحظة الايات الكريمة بالنسبة الى غيرها فيستفاد من الايات بان هناك مراحل ومواقف متعددة يوم القيامة ولكل مرحلة من هذه المراحل خصائصها والشاهد على هذا الكلام حديث للرسول الاكرم (٩) في جوابه عن هذا السؤال نفسه حيث قال (٩) : (ثلاثة مـــواطن تذهل فيها كل نفس : حين يرمى الى كل انسان كتابه ، وعند الموازين ، وعلى جسرجهنم) ((٢٢)) .

امـــاالايـــة الـــسادسة والسابعة فقد اشارتا ايضا الى النفخة الثانية قال تعالى :(وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض).

فـــهل ان هذا المشهد العظيم يكون بسبب تراكم الناس ام بسبب حالة الخوف والهلع ام لسيادة الفوضى في نهاية العالم ؟.

يـــرى الـــبـــعض ان هذه الاية هي اشارة الى (قوم ياجوج وماجوج) ((٢٣)) بعد بناسد ذي القرنين (حسب سياق ما قبلها من الايات) ولكننا نستبعد هذا المعنى بقرينة الايات التالية لها (تامل).

عـلـــى كل حال يضيف تعالى في نهاية الاية (ونفخ في الصور وجمعناهم جمعا) وقال في الاية التي تليها (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذزرقا).

زرق : جمع ((ازرق)) وفي الاصل بمعنى زرقا اللون ومن الممكن ان يكون هذا اللون اشارة الى ان اللّه سبحانه وتعالى يحشر المجرمين زرق الابدان اوعميا او عطاشا لشدة العطش الذي تتعرض له ابدانهم .

انـــنـــا نـــرى ان الـــمـــعـــنى الاول هو الانسب وذلك لانه معنى حقيقي اما الثاني والثالث فله بعد كنائي (مجازي).

اما الاية التاسعة والعاشرة : فقد اشارتا ايضا الى النفخة الثانية اي نفخة الحياة والقيامة فقال تعالى : (يوم ينفخ في الصور فتاتون افوجا) وقال (ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد) ان الاتيان افواجا في ذلـــك الـــيـــوم قـــد يكون لورود كل امة مع امامها الى المحشر (الانبيا وغيرهم) او ان كل زمرة من المجرمين الذين اقترفواذنبامعينا يحشرون سوية .

على اية حال فهذه الاية لا تتنافى مع الاية ٩٥ من سورة مريم (وكلهم آتيه يوم القيمة فردا) وذلك ــ كما اشرنا سابقا ــ ان هناك مواطن ومواقف مختلفة في يوم القيامة فمن الممكن ان

يحشر الناس في البداية على شكل مجموعات ثم يحضرون في محكمة العدل الالهي فرادى (فتامل).

الوعيد : تستعمل هذه المفردة على قول الراغب الاصفهاني ومجموعة من المفسرين واهل اللغة فى الشر في حين كلمة وعد تستعمل في الخير والشرواستخدمت الاية الكريمة هذا اللفظ (الوعيد) لانذار المجرمين من ذلك اليوم بالرغم من ان القيامة تشتمل على الوعد بالخير والوعيد بالشر.

الايتان الحادية عشرة والثانية عشرة اللتان وردتا في سورة يس تنذران بوقوع صيحة شاملة تحدث في نهاية هذا العالم هي (صيحة الموت) او (صيحة الحياة) التي تقع في بداية القيامة . ففي مورد واحد اشار الى صيحة ونهاية العالم .

فـــهـــؤلا كانوا يسالون دائما متى يتحقق الوعد الالهي ؟ فكانوا يظنون ان هذا الامر عسير على اللّه سبحانه وتعالى فيقول اللّه تبارك وتعالى : ليس الامر كمايعتقد هؤلا (ما ينظرون الا صيحة واح دة تاخذهم وهم يخصمون).

واشـــار في المورد الثاني الى الصيحة الثانية (صيحة الاحيا) (ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون).

والـــصيحة حسب ما يقول الراغب الاصفهاني (في الاصل بمعنى رفع الصوت واصله) تشقيق الصوت من قولهم انصاح الخشب او الثوب اذا انشق فسمع منه صوت وصيح الثوب كذلك ومن ثم اطلقت هذه الـــكـــلـــمة على جميع الاصوات العالية واحيانا تعني هذه الكلمة طول القامة كما ورد مثلا في شجرة عالية فكانها تصيح بالناس وتدعوهم اليها ولكن صاحب كتاب مقاييس اللغة ذكر ان المعنى الاصلي للصيحة هو الصوت العالي و(تصيح) بمعنى تشقيق الخشب وهي كلمة اصلها واوي ، ويقول انها كانت في الاصل (تصوح) (فتامل).

عـــلـــى اية حال ان المفسرين يرون ان الصيحة الاولى هي نفخة الصور الاولى والصيحة الثانية هي نـــفخته الثانية في حين ان الاية ٥١ من نفس السورة والتي تقع بين هاتين الايتين قد اشارت صراحة الى نفخة الصور ونشور الاموات من قبورهم وقيل ان لا منافاة بين الايتين حيث ان الاية الثانية جات موضحة ومفسرة للاية الاولى ويكون مفهومها ان نفخة الصور الثانية ماهي الا صيحة عظيمة فاذاهم جيمع لدينامحضرون .

ان جـــميع هذه التعابير تدل على هذه الحقيقة وهي ان نهاية الدنيا وبداية قيام الساعة امر سهل يسير على اللّه القادر سبحانه وتعالى ولا مبرر لعجب المخالفين من وقوع هذا الامر فالكل يموت بصيحة واحـــدة عـــظيمة ثم يصبحون رميما وتراباوبصيحة عظيمة اخرى يرجعون مرة اخرى الى الحياة ويحضرون جميعا امام اللّه تبارك وتعالى .

الايـــة الـــثـــالـــثة عشرة والرابعة عشرة : اشارتا مرة اخرى الى الصيحتين (صيحة الموت وصيحة الحياة).

تـــقول الاية الاولى : (ما ينظر هؤلا الا صيحة واحدة مالها من فواق)وهناك عدة اقوال في

تفسير هــذه الايـــة ، فــقــيــل انها تشير الى عذاب الاستئصال (وهوالعذاب الدنيوي الذي يستاصل جذور الكافرين والظالمين مثل عذاب قوم نوح ولوط وغيرهما).

وقــيــل : ان الايـــة اشـــارت الى نفخة الصور والمعنى الاول يتفق مع سياق الايات السابقة للاية التي تـــتحدث عن مجازاة قوم نوح وعاد وثمود وامثالهم ولكن مع اخذ ذلك بنظر الاعتبار فان هذه الاية جات تهديدا لكفار مكة مع ان هؤلامستثنون من عذاب الاستئصال بحكم الاية ٣٣ من سورة الانفال : (وما كان اللّه ليعذبهم وانت فيهم).

وعلى هذا الاساس لا يمكن تفسيرالاية بعذاب االاستئصال فيكون الراي الثاني هو الانسب .

وبنا على ذلك فهل ان الاية اشارت الى نفخة الصور الاولى ام الثاينة ؟هناك اختلاف بين المفسرين ولـــكـــن وبلا شك ان لحن الاية يتوافق مع النفخة الاولى ذلك لان ذيل الاية يقول : (مالها من فواق) وهـــذا التعبير يقال عادة لنفخة الموت ولقد استشهد بحديث نقل عن الرسول الاكرم (٩) حول هذه الاية لبيان النفخة الاولى ((٢٤)) .

((فــواق)) : حسب قول الكثير من المفسرين واهل اللغة هو مابين حلبتي الناقة واصله من الرجوع يقال افاق من مرضه اي رجع الى الصحة .

وعـــلـــى ايـــة حال فان صيحة فنا العالم لا تعطي فرصة لاحد وينتهي كل شي في وقت قصير ويصبح هشيما تذروه الرياح ويقوم سد محكم يحول بين الانسان وماضيه .

ولقد اشارت الاية اللاحقة الى صيحة يوم القيامة (يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج).

ويـــعتقد المفسرون ان هذه ((الصيحة)) هي نفس صيحة القيامة حيث ان ذيل الاية دليل واضح على ذلك والمراد من (الحق) كما يقول المرحوم الطبرسي في مجمع البيان والفخر الرازي في التفسير الكبير والالوسي في روح المعاني هو نفس البعث والنشور.

ولـــكـــن ظـــاهـــر الايـــة ان المراد بالحق الوارد في الاية الكريمة هو نفس معناه الاصلي ، وبتعبير (الـــمـــيـــزان) يـــعـــني القضا الحتمي والنشور هو مصداقه اما تعبير يوم الخروج فالمقصود منه يوم خروج الناس من قبورهم .

وهنا يطرح هذا السؤال ومن الذي يسمع هذه الصيحة ؟ هل تسمعهاالارواح قبل ورودها الاجساد ؟ ام ان الابدان تحيى وترجع اليها الارواح عندالصيحة ؟ وبهذا يستمر الناس في سماعهم للصيحة ومـــثـــل ذلك كمثل ساعة الجرس التي تدق قرب شخص نائم فتوقظه وهناك اقوال اخرى والمعنى الثاني هو الانسب لسياق الاية .

فـــي الايـــة الـــخـــامسة عشر نجد تعبيرا جديدا وهو (نقر) قال تعالى : (فاذا نقرفي الناقور فذلك يـــومـــئذ يـــوم عسير# على الكافرين غير يسير) (نقر) يقول ارباب اللغة في الاصل يعني طرق شي والـــمـــنـــقار هي وسيلة الطرق ومن هنا يكون الطرق ملازماللصوت وتاتي هذه الكلمة احيانا بمعنى ايـــجاد الصوت او سببه وهو هنا النفخ في الصور ولذا نجد ان مجموعة

من المفسرين فسروا الاية بشكل مباشر بالنفخ في الصور ، فالنقر بمعنى النفخ والناقور بمعنى الصور ((٢٥)) .

وهـــنـــاك احتمال آخر وهو ان هذا التعبير (النقر) جا لان الصوت الذي ينبعث من البوق من العظمة والشدة وكانه ينقر الاذن نقرا ويغوص الى المخ .

عـــلـــى ايـــة حـــال ان هذا التعبير هو اشارة الى النفخة الثانية بشهادة الايات التي بعد هذه الاية والتي تـــخـــبـــر عـــن الـــوضـــع العسير الذي يعيشه الكافرون في ذلك اليوم ويقول الفخر الرازي : اذا كان الـــمـــقـــصـــود هـــو الـــنفخة الاولى (كما يحتمل المفسرون) فسوف لايكون ذلك اليوم عيسرا على الـــكـــافـــرين لانهم يموتون في تلك الساعة انما اليوم الشديد على الكافرين عند صيحة الاحيا ولذلك يقولون ياليتهاكانت القاضية ((٢٦)) .

وفـــي الاية السادسة عشر نلاحظ تعبيرا جديدا هو الصاخة قال تعالى (فاذاجات الصاخة # يوم يفر المر من اخيه).

الصاخة : مشتقة من مادة (صخ) ويقول الراغب هو الصوت الشديد الذي ينبعث من اصحاب النطق .

وقال صاحب مقاييس اللغة هي الصيحة التي تصم الاذان وفسرهاالبعض : بمعنى طرق راس الانسان بـــالـــحـــجـــر ((٢٧)) وقـــيل : الاستماع والانصات الصاخة هي التي تصخ الاذان حتى تكاد تمضها ((٢٨)) وتسمى بالصاكة لشدة صوته.

وفـــي كل الاحوال فهذا التعبير اشارة الى ((نفخ الصور)) النفخة الثانية تلك الصيحة العظيمة التي هـــي صيحة الصحوة والحياة ، حيث يساق الجميع الى عرصات المحشر ، وكل واحد مشغول بنفسه الى الحد الذي يفر من اخيه وابيه وامه واصدقائه .

ونواجه في الاية السابعة عشر تعبيرا آخرا حول مسالة نفخ الصور يقول تعالى : (القارعة مالقارعة #وما ادارك مالقارعة # يوم يكون الناس كالفراش المبثوث # فاما من ثقلت موازينه فهو في ع يشة راضية).

الـــقـــارعـــة : مـــن مادة (قرع) على وزن (فرع) وفي الاصل بمعنى الطرق الشديد الذي ينبعث منه صوت عال ومنها (المقرعة).

فما المقصود من القارعة في هذه الايات :.

قـــال بـــعض المفسرين ان هذا التعبير هو احد اسما القيامة وذلك لان الحوادث التي تقع فيها حوادث شـــديـــدة وتـــقرع القلوب لشدتها وهولها ولقد صرح البعض من المفسرين بان هذا التعبير يطلق على مجموعة حوادث القيامة التي تبدامن نفخة الصور الاولى وتنتهي بخاتمة المحكمة الالهية ((٢٩)) .

يقول الفخر الرازي في تفسيره (واختلفوا في لمية هذه التسمية على وجوه ((٣٠)) :.

اولها : ان سبب ذلك هو الصيحة التي تموت منها الخلائق .

ثانيها : ان الاجرام العلوية والسفلية يصطكان شديدا عند تخريب العالم فيسببان تلك القرعة فسميت القيامة بالقارعة .

ثالثها : ان القارعة هي التي تقرع الناس بالاهوال والافزاع .

رابعها : انها تقرع اعدا اللّه بالعذاب والخزي والنكال .

ولكن الايات التي تاتي بعد هذه الايات تدلل بان هذا التعبير ناظر الى النفخة الاولى وهي النفخة التي ترعب جميع الناس ثم تهلكهم وتخرب الجبال ،ولقد ذكرت في تعقيب هذا الموضوع حوادث القيامة كتسلسل طبيعي .

علـــى اية حال ان التعبير اعلاه اما انه يشير الى نفخة الصور الاولى او ان النفخة الاولى جز منها واما ان يـكـون قد اشار الى النفخة الثانية وهذا ما لا يتوافق مع سياق الايات فمن المستبعد جدا ان تـكون الاية (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) قد اشارت الى النفخة الثانية والاية التي بعدها (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) اشارت الى النفخة الاولى (تامل).

اما الاية الثامنة عشر فنلاحظ فيها تعبيرا جديدا آخر الا وهو (الزجرة)(الصيحة العظيمة) في جواب من يعجب من رجوع الحياة بعد الموت اذ تقول الاية لا تعجبوا فذلك ليس بالعسير (فانما ه ي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون).

زجـرة فـي الاصـل الـصـيحة من قولك زجر الراعي الابل او الغنم اذا صاح عليها فريعت لصوته ((٣١)) كـشاف زمخشري وزجرة يزجره اذا صاح بمنعه ثم استعملت بمعنى الطرد وترد احيانا بـمـعـنـى الـصوت وجملة (ينظرون) فمن الممكن ان تعني النظر بحيرة من شدة الخوف او نظر احدهم الى الاخر او انتظار الحكم النهائي .

علـــى ايـة حـال فـظـاهر الاية الكريمة يشير بوضوح الى نفخة الحياة ونشورالناس من قبورهم وتهيئتهم للحساب ، وان اغلب المفسرين قد اشاروا الى هذاالمعنى .

يستفاد من مجموع الايات ان نهاية وبداية العالم الاخر انما تحدثان بصورة مباغتة .

وتـتـزامـنـان عـند وقوع صيحة عظيمة ولقد عبر القرآن الكريم عن ذلك تعابيرمختلفة فاحيانا اسـتـخدم الصيحة واحيانا الزجرة والصاخة والتي هي معنى الصيحة واخرى بالنقر كما عبر عنها في كثير من الموارد بنفخة الصور.

وفي الظاهر لم يلاحظ في هذه الايات شرحا او توضيحا لكيفية النفخ وحكم هذه الحادثة في الواقع كـحـكـم سـائر الحوادث المتعلقة بمشاهد يوم القيامة التي لم ترسم لنا صورة تفصيلية عنها الا ان الاحاديث التي سنوردها بهذا الصدد قدتعرضت الى هذه الحوادث وفصلتها الى حدما ولكنها لم ترفع الايـهـامات بشكل كلي وبعبارة اخرى لم تستطع ان ترفع هذه الاشاكالات وذلك لان هذه الامور من اسـرارالـعالم الاخر من جهة ، ومن جهة اخرى ان عقولنا المحدودة بحدود هذه الدنياعاجزة عن ادراك هذه الحوادث على حقيقته.

ونـواجه في الاية السابعة عشر تعبيرا آخر حول مسالة نفخ الصور يقول تعالى (القارعة

ماالقارعة # وما ادريك ماالقارعة # يوم يكون الناس كالفراش المبثوث # فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية) وفـــي كـــل الاحـــوال فـــهذا التعبير اشارة الى الصيحة الثانية ، تلك الصيحة العظيمة التي هي صيحة الصحوة والحياة حيث يساق الجميع الى عرصات المحشر ، وكل واحد مشغول بنفسه الى الحد الذي يفر من اخيه وابيه وامه واصدقائه .

توضيحات :.

ما المراد بـــ (نفخة الصور) او صرخة الموت والحياة :. ١.

عـــلـــمـــنا ان الصور وحسب قول الكثير من ارباب اللغة يعني البوق او القرن العظيم (كانوا يصنعون البوق من قرن الحيوان).

فكانوا ينفخون فيه من جهة فيخرج الصوت عاليا من الجهة الاخرى .

هل ان هذا التعبير تعبير مجازي كناية عن الامر الصادر من قبل اللّه تبارك وتعالى ينذر بنهاية العالم الـــمـــبـــاغـــتـــة وبداية القيامة ؟ اي هل هو تشبيه لما اعتاد عليه الناس في ايقاف الجند او التوافد او تـــحـــريـــكها فهي وسيلة تستعمل لاعلام الجميع بالوقوف او الحركة ؟ (حيث ان لحن بوق الوقوف يـــخـــتـــلف عن لحن بوق الحركة)حيث لا زال هذا الاسلوب معمولا به في بعض الثكنات والقطعات الـــعـــســـكرية فهناك بوق النوم وبوق النهوض وبوق التجمع ((٣٢)) ؟ ام ان هذا العبير ليس له بعد كـــنـــائي وانـــمـــاهـــي نـــفـــخـــة حـــقـــيقية ؟ ولكن من الواضح ان هذا البوق ليس بوقا عاديا وانما هو صـــاعقة وصيحة عظيمة تعم ارجا السموات والارض وتسبب في موت جميع الموجودات الحية او احيائها وبعث الحياة والحركة فيه.

ان هذا الاحتمال هو الارجح ويتناسب مع ظاهر الايات : ونقرا في هذاالصدد حديثا ورد عن الامام عـــلي بن الحسين (٧) (ان الصور قرن عظيم له راس واحد وطرفان ، وبين الطرف الاسفل الذي يـــلـــي الارض الـــى الطرف الاعلى الذي يلي السما مثل ما بين تخوم الارضين السابعة الى فوق السما السابعة ، فيه اثقاب بعدداروا ح الخلائق ، وسع فمه ما بين السما والارض) ((٣٣)) .

ولقد ورد في حديث آخر عن الرسول (٩).

(الصور قرن من نور فيه اثقاب على عدد ارواح العباد) ((٣٤)) .

وهذين الحديثين يؤكدان ان هذا التفسير هو كناية عن موضوع هام بين في هذا المجال .

ولـــكـــن نـــلاحظ في اقوال بعض المفسرين ان (الصور) ماخوذ من جمع (صورة) وقالوا ان المراد النفخ في صور وابدان الناس فتدب الحياة فيهم .

ان هـــذا الـــتـــفـــســـير يتناسب مع النفخة الثانية اي نفخة الاحيا وليس النفخة الاولى ولقد رفض هذا التفسير من قبل بعض ارباب اللغة ولقد نقل هذا المعنى في (لسان العرب) عن بعض علما اللغة قال : هـــذا خـــطا فاحش ونوع من التحريف في كلام اللّه تعالى وذلك لانه ورد جمع (الصورة) في آيات قرآنية اخرى على (صور)على وزن فعل وليس (صور) واذا قرا احد جملة

(ونفخ في الصور) (نـــفـــخ فـــي الصور)بفتح الواو فقد آفترى على اللّه وحرف كتابه فكما ان هذا التغسير لا يتوافق مـــع الـــروايات السالفة الذكر كذلك لا يتوافق مع الايات التي وردت فيها تعابير (صعقة)(وزجرة) و(ناقور) وغيره.

ولا يـــســـتبعد ان يكون هذا ناتجا عن عدم هضم معنى (نفخ في الصور) في حين ان الصور ليس بوقا عاديا وليست النفخة شبيهة بنفخاتن.

وعـــلـــى اية حال فان التفسير الثاني هو الانسب من بين التفاسير الثلاثة التي قيلت بهذا الصدد ، حيث انـــه يـــنـــسجم وسياق ظاهر الايات ولابد لنا من الاعتراف بعجزنا عن اعطا توضيح كامل عن نفخة الصور.

تاثير الامواج الصوتية على الانسان وسائر الموجودات :. ٢.

من المعلوم ان الصوت نوع من الامواج التي تتحرك في الهوا وفي والسوائل او الجمادات والاصوات التي تسمعها اذن الانسان يجب ان لا تقل ذبذباتها عن ٢٠في الثانية ولا تزيد عن ٢٠٠٠٠ فيها وهناك مـــخلوقات تسمع الاصوات التي تزيدذبذباتها عن ذلك ومن بينها طائر الخفاش حيث ان لهذا الحيوان الـــقـــابـــلية على سماع الاصوات التي يبلغ مقدار ذبذباتها ١٤٥ الف ذبذبة ((٣٥)) في الثانية ، ومن الـــمـــعروف ان الحيوانات تدرك الهزة الارضية قبل الانسان ولعل السبب في ذلك يعود الى هدالعامل حـــيـــث انها تسمع الامواج الصوتية المنبعثة منها والتي لايتمكن الانسان من ادراكها كما هو معلوم ان الامـــواج الـــصوتية الشديدة تسبب احيانا في تدمير كل شي وما تاثير القنابل والمواد المتفجرة على الانـــســـان والابنية الا بفعل هذه الامواج الشديدة التي يعبر عنها بـــ (امواج الانفجار) فهي قادرة في لحظة واحدة على تحطيم اي مقاومة تواجهها ، فتحول الانسان والابنية الى حطام متناثر.

على هذا الاساس ليس من العجب ان تكون صيحة القيامة هي السبب في اماتة الناس وجميع المخلوقات وازالة الجبال في مدة قصيرة ويحبذ ان ننقل كلاماللامام علي (٧) ورد في نهج البلاغة (وينفخ في الصور فتزهق كل مهجة وتبكم كل لهجة وتذل الشم الشوامج والصم الرواسخ فيصير صلدها سرابا ومعهدهاقاعاسملقا) ((٣٦)) .

فـــحرى بنا ان ندرك ان هذه الاشيا تخص (نفخة الاماتة) ومن البديهي ان (نفخة الاحيا) شي آخر فهي صرخة النهوض والحياة والحركة والنشاط.

وتبقى معرفتنا بهذه النفخة وسائر المسائل المتعلقة بيوم القيامة محدودة جد.

اجابات حول نفخة الصور :. ٣.

١ ـــ هل ان نفخة الصور تقع مرتين فقط ؟.

مـــن الـــمعلوم ان الايات القرآنية تشير الى وجود نفختين (نفخة الاماتة ونفخة الاحيا) وقد لا حظنا ذلك في الايات السالفة الذكر.

ولـــكن يستفاد من بعض الروايات ان نفخة الصور تتحقق ثلاث مرات حتى ان بعض الروايات

تستدل بـــالقرآن على ذلك ولقد نقل في كتاب لالي الاخبار عن المرحوم (الديلمي) في كتاب ارشاد القلوب هذا الحديث (وله اي ((اسرافيل)) ثلاث نفخات ((نفخة القرع)) و((نفخة الموت)) و ((نفخة الـــبـــعث))) فاذا فنيت الدنيا امر اللّه اسرافيل ان يهبط الى الارض وينفخ نفخة الفزع كما قال تعالى (ويوم ينفخ في الصورففزع من في السموات ومن في الارض الا من شا اللّه) النمل ــ٨٧ وتزلزلت الارض وتــذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها ويميد الناس ويقع بعضهم على بعض كانهم سكارى وماهم بساكرى ، واما نفخة الاحيا فقال تعالى :(ويوم ينفخ في الصور فصعق من فـــي الـــسـمـــوات ومـــن فـــي الارض) الزمر ــ٦٨ كما قال تعالى : (ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون) الزمر ــ٦٨ ((٣٧)) .

ولـــقـــد اضاف البعض نفخة رابعة الى هذه النفخات الثلاث وهي نفخة الجمع والحضور والظاهر ان هـــذه الـــنـــفـــخـــة اخـــذت مـــن الاية ٥٣ سورة يس (ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) ولكن في الواقع انها نفس هاتين النفختين اتسعتا وتبدلتا الى اربع نفخات وذلك لان الفزع الاكـــبـــر ماهو الا مقدمة لموت الناس الذي يحدث على اثر ادامة واستمرار نفخة الحياة ويمكن ان نـــؤكد هذاالمعنى بالرجوع الى الايات ٦ ،٧ سورة النازعات (يوم ترجف الراجفة # تتبعهاالرادفة) (تامل).

.٢

من الملك المامور بنفخة الصور :. ورد فـــي الاحـــاديث الشريفة ان هذا الملك هو اسرافيل ويعتقد البعض ان هذه الكلمة تعني في اللغة الـــسريانية (عبداللّه) ولقد ورد في حديث عن الامام السجاد (٧) ان اللّه يامر اسرافيل فيهبط الى الدينا ومعه صور ((٣٨)) .

ويـــستفاد من بعض الروايات ان اسرافيل هو اقرب الملائكة للّه ((٣٩)) وهو اول من سجد لادم من الملائكة ((٤٠)) .

ومـــا كـــون نـــفـــخـــة الموت والحياة بيده الا دليلا على عظمة منزلة هذا الملك ويستفاد من الرواية الواردة عن الامام السجاد (٧) ان نفخة الموت تكون من قبل اسرافيل وبعدها يقول اللّه لاسرافيل : مت فيموت اسرافيل وتنفخ نفخة الحياة من قبل الخالق نفسه تبارك وتعالى ((٤١)) .

.٣

ما الفاصلة بين النفختين :. يستفاد من آيات القرآن الكريم بشكل عام ان هناك فاصلة زمنية بين نفختي الاماتة والاحيا وان تعبير (ثـــم) الـــذي ورد فـــي الاية ٦٨ الزمر يؤكد هذا المعنى ولكن ورد في بعض الروايات ان امد هذه الفاصلة اي (ان مابين النفختين اربعون سنة) اي ولا احد يعلم هل ان هذه السنين من سني الدنيا ام من سني وايام الاخرة التي يعادل كل يوم منها خمسين الف سنة .

وعـــلـــى اية حال ان هناك حوادث عظيمة تقع مابين النفختين يتشكل خلالها عالم جديد وحياة جديدة لـــلناس ، ولم يبق في هذه الفترة اي مخلوق حي في العالم باسره الا وجه اللّه الحي القيوم

واما ما جا فـــي الايـــتـــيـــن ٦٨ الزمر ٨٧ النمل اللتين ذكرتا جملة (الا ماشا اللّه) لا يعني ان هؤلا لا يشملهم الـــمـــوت بـــل ان مـــوتـــهـــم مـــوكول الى زمان لاحق اي ان اجلهم يتاخر والشاهد على ذلك جملة (كل نـــفس ذائقة الموت) آل عمران ــ١٨٥ ((٤٢)) حيث وردت اليها في ثلاث آيات من القرآن الكريم والـــجـــديـــربـــالـــذكـــر هـــنـــا ان (الـــنـــفس) مفهوم واسع يشمل جميع الموجودات الحية اما من هم الـــذيـــن اســـتثنتهم الاية فقد ذكر المفسرون احتمالات عديدة في ذلك فقال البعض انهم مجموعة من مـــلائكـــة اللّه المقربين امثال (اسرافيل وجبرائيل وميكائيل وعزرائيل)ولقد اضاف بعضهم جملة العرش وقيل ارواح الشهدا (في الابدان المثالية) وقيل :خزنة الجنة ومالكو النار.

ويستفاد من رواية الامام السجاد (٧) ان جميع الكائنات تموت عندالصيحة الاولى ماعدا اسرافيل الذي ينفخ في الصور ثم يموت بعد ذلك بامر اللّه تعالى .

.٤

فلسفة نفخة الصور؟. اذا كـــانـــت حـــقـــيقة نفخة الصور غير واضحة لنا بشكل تام ، فلم تكن فلسفته التربوية خافية علينا والمهم لنا هو الاثار التربوية لهذه العقائد الحقة .

فنفخة الصور تبين لنا :.

١ ــ امـــاتـــة واحـــيا جميع المخلوقات ليست حالة عسيرة على اللّه تبارك وتعالى فهو تعالى قادر على امـــاتـــة جميع الخلائق باسرها بصيحة واحدة تصعقهاجميعا ، وكذلك هو قادر على ان يحيي جميع الـــخلائق بيصحة عظيمة اخرى وكان المخلوقات كانت في سبات فتبعث هذه الصيحة على ايقاظهم مـــن نـــومـــهـــم الـــعـــمـــيـــق وهـــذا جـــواب لـــمـــن يـــشك في المعاد او لمن يعتقد بان المعاد من الامور المستحيلة الوقوع كما كانوا يسالون رسول اللّه (٩) مرار.

٢ ــ نفخة الصور انذار لجميع الناس بعدم الركون الى الدنيا والاطمئان اليهالكي لايقعوا في الغرور والـــغفلة وان يؤمنوا بان صيحة القيامة ونفخة الموت ممكنة الوقوع في كل حين وانهم سائرون الى ديار العدم الى الموت الذي يطوي جميع آمالهم وامانيهم .

٣ ــ تـــعـــتبر نفخة الصور وايعازها بنهاية هذا العالم وبداية عالم آخر من الدروس التربوية العميقة لـــلـــنـــاس فالايمان بذلك يجعلهم متهيئون لاستقبال مثل هذه الحادثة العظيمة واذا آمنوا بذلك فانهم لن يـــتـــواكـــلـــوا بتاخير الاعمال الى الغد فليس هناك تاريخ معين لوقوع هذه الحادثة المابغتة فهي التي تشرع بلا مقدمات .

ونـــذكر حديثا للامام السجاد (٧) في هذا المعنى ينقله الراوي بعد شرح موجز حول نفخة الصور فيقول : عندما يصل الامام (٧) الى هنا (رايت علي بن الحسين يبكي عند ذلك بكا شديدا) (فالامام في غـــايـــة الـــوجـــل مـــن مسالة النهاية المابغتة للدنيا وحلول الاخرة والحضور امام اللّه تبارك وتعالى) ((٤٣)) .

.٣

كتاب الاعمال :. مـــلاحظة : نجد في كثير من الايات القرآنية بحوثا واسعة حول كتاب الاعمال (صحف الاعمال) قد ذكـــرتـــهـــا بـــتعابير مختلفة فقد ورد في اكثر الايات تعبير (الكتاب)الذي يحمل مفهوما واسعا فهو يشمل الصحيفة ويشمل الكتاب ايض.

ولقد ورد في البعض الاخر تعبير (زبر) جمع (زبور) وهذا التعبير له مفهوم قريب من الكتاب . وكـــذلك ورد في البعض الاخر منها تعبير (طائر) وهو الطير الذي كان العرب يتفالون به وكانوا يعتقدون بان مصيرهم مرتبط به فيقول القرآن لهم ان طائرالخير والشر هو نفس صحيفة اعمالكم وردت فـــي بـــعـــض الايـــات اشـــارت الـــى كلام كتاب صحف الاعمال وعبرت عنهم بتعابير مختلفة كالرقيب والعتيد او رسل اللّه او(كراما) (متلقيان) وكل واحد منهم مامور بعمل خاص (تامل).

مـــن هنا نقول : ماهي صحيفة الاعمال ؟ وهل ان لكل انسان صحيفة اعمال واحدة ،ام اكثر من ذلك ؟ ومن هم كتاب صحف الاعمال ؟ وكيف يتم تسجيل هذه الصحف ؟ وكيف تعطى باليمين او بالشمال ؟.

هناك بحث واسع في هذا الصدد سنتعرض اليه بعد ذكر الايات التي تدورحول هذا الموضوع ، مع عدم الغفلة عن التعرض بالدرجة الاولى للمسائل التربوية والاخلاقية في هذه الايات :.

١ ــ (انا نحن نحي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل شي احصيناه في امام مبين)يس ــ١١.

٢ ــ (ووضـــع الـــكـــتـــاب فـــترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مالهذاالكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها) الكهف ــ٤٩.

٣ ــ (ام يحسبون انا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنالديهم يكتبون) الزخرف ــ٨٠.

٤ ــ (وتـــرى كـــل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها # هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون) الجاثية ــ٢٨ ــ٢٩.

٥ ــ (وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا # اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) الاسرا ــ١٣ ــ١٤.

٦ ــ (وكل شي فعلوه في الزبر # وكل صغير وكبير مستطر) القمر٥٤ ــ٥٣.

٧ ــ (وكل شي احصيناه كتابا) النبا ــ٢٩.

٨ ــ (كـــلا ان كـــتاب الفجار لفي سجين # وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم #كلا ان كتاب الابرار لفي عليين # وما ادراك ما عليون # كتاب مرقوم #يشهده المقربون) المطففين ٧ــ ٩ــ ١٨ــ ٢١.

٩ ــ (اذ يـــتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد # ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) ق ــ١٧ ــ١٨.

١٠ ــ (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) الانفطار ــ١٠ ــ١٢.

١١ ــ (فـــامـــا مـــن اوتـــي كتابه في بيمنيه فيقول هاؤم اقرؤ كتابيه واما من اوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم اوت كتابيه # ولم ادرماح سابيه) الحاقة ــ١٩ ــ٢٥ ــ٢٦.

١٢ ــ (فـــامـــا مـــن اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا # واما من اوتى كتابه ورا ظهره فسوف يدعو ثبورا #ويصلى سعيرا) الانشقاق ــ٧ ــ١٢.

١٣ ــ (فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة # واصحاب المشئمة مااصحاب المشئمة) الواقعة ــ٨ ــ٩ .

١٤ ــ (واصحاب اليمين مااصحاب اليمين في سدر مخضود # واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم) الواقعة ــ٢٧ ــ٢٨ ــ٤١ ــ٤٢.

١٥ ــ (واذا الصحف نشرت # علمت نفس ما احضرت) التكوير ــ ١٠ ــ١٤.

تفسير وفذلكة :.

تتحدث الاية الاولى عن الحياة بعد الموت وعن كتاب الاعمال ذلك الكتاب الذي يكتب بيد القدرة الالهية وتثبت فيه اعمال الناس كلها وعبر عنه بـ (الامام المبين) (انا نحن نحي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل شي احصيناه في امام مبين).

فما المراد بالاثار ؟.

قيل ان عبارة (ما قدموا) اشارة الى الاعمال التي يؤديها الانسان (وآثارهم)اشارة الى السنن التي يخلفها بعد موته او آثار الخير والصدقات الجارية مثل الابنية والاوقاف والكتب العلمية والتربوية .

وقيل ايضا :ان المراد بـ (ما قدموا) النيات التي تحصل قبل ادا العمل و(آثار) اشارة الى الاعمال التيى تنجز بعد النية وقيل ان (ماقدموا) اشارة الى الاعمال الصالحة والسيئة و(آثار) اشارة الى الخطوات التي يخطوها الانسان لانجاز هذه الاعمال .

يقال للقدم من هذه الجهة (اثر) حيث تترك الاقدام اثرها على الارض وخاصة الترابية .

ونذكر حديثا حول نزول هذه الاية حيث ان فريقا من الانصار (طائفة من بني سلمة كانوا في ناحية المدينة فشكوا الى الرسول بعد منازلهم من المسجدوالصلاة معه فارادوا النقلة فقال (٩) : ان اللّه يكتب خطواتكم ويثيبكم عليه فالزموابيوتكم ((٤٤)) (الامام المبين) هو اللوح المحفوظ الذي تثبت فيه جميع الحقائق حسب قوله الكثير من المفسرين وبنا على ذلك يستفاد من التعبير اعلاه ان الامام المبين هوغير صحيفة الاعمال التي تختص بكل فرد وانما هو كتاب عمل عام ، فهو اللوح بمنزلة سجل عام تحصى فيه جميع اعمال الناس ، وسوف نوضح هذا الكلام في موضوع (تعدد صحف الاعمال).

عبارة (مبين) اشارة الى وضوح اللوح المحفوظ وكتاب الاعمال لجميع الاعمال نظرا لانه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الاعمال الصالحة او السيئة الا احصاه.

ولقد جا فى روايات متعددة ان المراد من (الامام المبين) هو الامام المعصوم الذي يبين جميع الحقائق بامر اللّه تعالى وبتعليم من الرسول (٩) ومن جملتها ورد حديث عن امير المؤمنين (٧) في تفسير على بن ابراهيم (٧) قال :.

(انا واللّه الامام المبين ((٤٥)) .

ومن خلال هذه التفاسير يتبين ان للامام المبين مفهوما واسعا فكما يشيرظاهره الى كتاب الاعمال الذي يدون جميع عمال الناس كذلك يشير باطنه الى الامام المعصوم الذي يبين الحق من الباطل من خلال العلم الذي يرثه عن الرسول (٩).

ولقد اشارت الاية الثانية الى هذا المعنى بصراحة اكثر (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولاكبيرة الا احصاها) فهل ان هذا الكتاب هو كتاب اعمال الناس الذي اشارت اليه الاية الاولى ؟ ام انه كتاب اعمال كل امة او كتاب اعمال كل انسان ؟ (وذلك لانه وكماسنوضح ذلك في البحوث المقبلة ان شا اللّه ان

هذه الانواع الثلاثة من كتاب الاعمال اخذت من آيات القرآن الكريم).
فالاحتمالات الثلاثة ممكنة في تفسير هذه الاية ولو ان من الممكن ان يكون ذكر (الكتاب) بصورة الـــمـــفرد اشارة الى كتاب اعمال جميع الناس ويستفاد من الاية الكريمة ان هذا الكتاب يعرض جميع جـــزئيـــات اعـــمـــال الانسان الصالحة والسيئة الكبيرة والصغيرة ، حتى ان اصحابها يصيبهم الوجل والـــخـــوف من اعمالهم وسبب وجلهم يعود الى حضورهم في محكمة العدل الالهي من جهة ومن جهة اخرى انهم قد نسوا الكثير من الاعمال او مالم يعطوها اهمية ولكنها اليوم تجسدت امام اعينهم ، ومن جهة ثالثة ، هو الفضيحة العظمى امام الخلائق .
ويجب ان ننتبه الى هذا المعنى وهو ان كلمة (يغادر) مشتقة من مادة (غدر) بمعنى الترك وبنا على ذلك يكون مفهوم هذه الجملة هو ان هذا الكتاب لايترك شيئا الا سجله ، ويقال لنكث العهد غدر وذلك بسبب عدم الوفابه .
وتـــتـــحدث الاية الثالثة عن كتابة رسل اللّه تبارك وتعالى (ام يحسبون انالانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون).
ومن الواضح ان لا يوجد هناك تضارب بين هذه الاية والاية التي تقول (انانحن نحي الموتى ونكتب اثـــارهم) نظرا لان عمل الرسل والملائكة انما هو في الحقيقة عمل اللّه تبارك وتعالى لانه يجري بـــامـــره ، وهـــناك احتمال بان كتاب اعمال الناس جميعا (الامام المبين) يكتب بيد القدرة الالهية ، اي بـــصـــورة مـــبـــاشـــرة اما كتاب اعمال كل انسان الذي عرض في هذه الاية فيكتب بواسطة الملائكة امـــاتـــعـــبـــيـــر(الرسل) وهو جمع رسول فالمراد به هنا الملائكة الماموون بكتابة الاعمال وليس الـــمقصود وجود عدد من الملائكة لكل انسان بل يمكن ان يكون لكل فرد ملك واحد او ملكان فيكون بصورة الجمع بالنسبة لمجموع الناس .
يقول الزمخشري في الكشاف (السر) ما حدث به الرجل نفسه او غيره في مكان خال اما النجوى ما تكلموابه فيما بينهم همسا ((٤٦)) .
الكتاب الذي يتكلم :. الايـــة الـــرابـــعة تنسب عملية تدوين الاعمال الى اللّه سبحانه وتعالى اضافة الى ذلك دللت بان صحف الاعـــمـــال تـــنطق يوم القيامة (وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها # هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون).
فهي تتحدث بوضوح عن كتاب اعمال الامم والذي هو احد الاقسام الثلاثة لكتب الاعمال وتعدد هذه الكتب يؤكد حقيقة تسجيل كل اعمال الانسان وعدم ترك صغير ولا كبير منها ويدل تعبير ــ تدعى ــ عـــلـــى انهم يدعون ليقراوا كتبهم وبالتالي يكونون هم المحاسبين لانفسهم كما جا صراحة في الاية ١٤ سورة الاسرا (اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا).
وجاثية : مشتقة من (الجثو) على وزن علو بمعنى الجلوس على الركب السبب في اتخاذ هذه الجلسة مـــن قـــبل اهل المحشر يعود اما لشدة الخوف او هي شبه للحالة التي كان يتخذها المتهمون في قديم الـــزمـــان عـــند الحضور في المحكمة لابدا الراي حيث يجلسون جلوس

القرفصا وهو الوضع الذي يتخذه الانسان عندانتظاره للحوادث المهمة .
ومن الملفت للنظر هنا نسبة تسجيل الاعمال الى اللّه سبحانه وتعالى وهذايدل على ان كاتب الاعمال لـــيـــس بـــالـــذي تـــتصور فيه الغفلة او الخطا وهو عليم ومحيطبكل شي (نستنسخ) من مادة (نسخ) وحـــسب قول اهل اللغة ان النسخ ازالة شي بواسطة شي آخر ويلازمه نفي لشي واثبات لشي آخر وتستعمل هذه الكلمة بمعنى النفي احيانا واخرى بمعنى الاثبات وثالثة بمعنى الاثبات والنفي مع.
من هنا يتبين ان الاستنساخ يعني اثبات موضوع مع صرف النظر عن آخر.
ونجد في الاية الخامسة تعبيرا آخر هو (الطائر) (وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا # اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا).
والـــطائر في الاساس هو الطير ويراد به العمل او كتاب الاعمال حسب قول الكثير من المفسرين ، ويـــعـــود هذا الربط الى العادات والتقاليد العربية حيث كانوايتفالون للخير والشر بواسطة الطيور فـــبعض الطيور يبشر بالسعادة واليمن والبركة فاذا عرض لهم هذا الطير اثنا خروجهم من منزلهم او مـــن مدينتهم استبشروا وراواذلك دليلا على الانتصار والنجاح وعلى عكس بعض الطيور التي يـــعـــتـــقـــدون بانها نذيرشؤم فالطائر يستخدم للتفاؤل والتشاؤم معا ، لذا فقد قال بعض المفسرين ان مـــايقابل كملة طائر في اللغة الفارسية هو (البخت) ومن هنا يعتبر القرآن الكريم ان العامل الرئيس لـــلـــســـعادة والشقا هو اعمال الانسان وقد استعملت هذه الكلمة للتعبير عن كتاب هذه الاعمال وبهذا الـــمـــعـــنى فقد صنع القرآن الكريم من مفهوم خرافي لا اساس له حقيقة واقعية ودعا الناس اليها ، مع الاخذ بنظر الاعتبار جملة (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) حيث يمكن القول ان تفسير الـــطـــائربالعمل انسب من تفسيره بكتاب الاعمال وذلك لانه ذكر كتاب الاعمال بشكل مستقل فلكون الاعمال متعلقة بعنق الانسان فهي لاتنفك عنه ابدا فان كان العمل صالحا فيسعد ويانس به صاحبه وان كان سيئا فيؤذي صاحبه كالغل او السلسلة .
وهناك مسالتان اخريان في هذه الاية :.
الاولى : عرض كتاب الاعمال يوم القيامة واطلاع الاخرين عليه ، فيكون عاملا في فضيحة صاحبه لدى جميع الخلائق .
الـــثانية : ان كتاية كتاب الاعمال واضحة بحيث لا حاجة الى الحسيب بل يكفي ان يطلع الانسان على اعماله ويحاسب نفسه بنفسه .
فـــكـــمـــا يـــدلل اصفرار اللون والكبة على وجود حالة مرضية كذلك تدلل الطراوة وامتلا الوجنات والـــنـــشاط على الصحة والسلامة وبهذا يستطيع المريض ان يحكم على نفسه بالمرض او السلامة ولا حاجة لشهادة الاخرين .
فـــي الاية السادسة نلاحظ تعبيرا جديدا بخصوص الاعمال وهو كلمة (زبر)والزبر جمع زبور

وهـــو بـــمـــعنى الكتاب قال تعالى (وكل شي فعلوه في الزبروكل صغيروكبير مستطر) ومع ان هذه الايـــة اشارت الى وضع الاقوام السابقة التي كانت لديها اعمال كاعمال الكفار الذين عاصورا الرسول الاكـــرم (٩) لـــكـــن مـــن الـــبـــديهي انه تعالى عندما يذكر بان جميع اعمالهم مثبتة ومسجلة في كتاب فهذاالمفهوم يعني ان اعمال جميع الناس تكون على هذا النحو.

وزبـــر : مشتق من زبره (على وزن سفره) بمعنى قطعة الحديد الكبيرة ثم اطلقت هذه الكلمة على الـــخـــطـــوط العريضة التي تكتب على الصفحات الكبيرة لذايقول الراغب الاصفهاني في مفرداته كل كـــتـــاب غـــليظ الكتابة يقال له (زبور) ويستفادمن هذا التعبير ان الزبور لا يطلق على كل كتاب بل يشترط فيه عظمة الخط وغلظته وان اختيار هذا التعبير لكتاب الاعمال يعبر عن عمق المعنى فهو يبين ثبوت ووضوح هذا الكتاب .

ان تعبير (الصغير) و(الكبير) وتقديم الصغير على الكبير الذي لم يرد في هذا الموضع من القرآن فقط بل في مواضع متعددة اشارة الى عدم وجود اي استثنافي تسجيل اي عمل واي شخص .

امـــا مـــســـتـــطر فماخوذة من مادة (اسطر) وتعني الكتابة وهذا تاكيد آخر على ان تسجيل الاعمال وجميع الاقوال وحتى النيات قد جمع في مفهوم الاية (تامل).

وقـــد صرحت الاية السابعة بان الكافرين يظنون انهم لن ينالوا جزا اعماله يوم القيامة ، فهم يكذبون الايات الالهية في حين (وكل شي احصيناه كتاب.

واحـــصيناه ماخوذة من مادة (احصا) ومشتقة فى الاصل من احصى حيث كانوا في الماضي يستعملون الـــحـــصـــى لعد الاشيا بدلا من اصابع اليد وكلمة احصابمعنى العد وجات لحفظ الحساب يقول بعض المفسرين ان مفهومها هنا ينطبق مع مفهوم الكتابة ولهذا السبب اعربوا كتابا مفعولا مطلقا لاحصينا في حين يجب ان يكون المفعول المطلق من مادة نفس الفعل الذي قبله وبما ان معنى الكلمتين واحدفيمكن ان يحل احدهما محل الاخر ((٤٧)) .

كتب في عليين وآخرى في سجين . الاية الثانية التي وردت في موضعين من سورة المطففين تشير الى كتاب اعمال الابرار والفجار وقد كشفت عن جزئيات اكثر فقد ذكرت اولا كتاب اعمال الفجار (كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم).

وبعد عدة آيات من نفس السورة جا بذكر كتاب اعمال الابرار (كلاان كتاب الابرار لفي عليين # وما ادراك ما عليون # كتاب مرقوم # يشهده المقر بون).

وقد ورد في هذه الايات كلام عن (سجين) و(عليين) التي تحفظ فيهاكتب اعمال الفجار والابرار لذا يجب توضيح معنى هاتين الكلمتين بدقة :.

ســـجـــيـــن : هي صيغة مبالغة مشتقة من مادة (سجن)بمعنى السجن ولقد ذكرالمفسرون معان مختلفة لـــهذه الكلمة مثل النار او موضع خاص من النار تحفظ فيه كتب الفجار ونحن نقول : ان اصح الاقوال بـــان ســـجـــيـــن كـــتاب جامع تجمع فيه كتب اعمال جميع الفجار وبتعبير اوضح ان هذا الكتاب كمثل السجل العام الذي يسجل فيه حساب جميع الدائنين والمدينين .

امـــا (عـــلـــيـــين) فهي جمع (على) على وزن (ملى) وهو فى الاصل مشتق من العلو وهو اشارة الى الـــمكان المرتفع ولذا يطلق هذا الاسم على الاشخاص الذين يسكنون المناطق المرتفعة من الجبال ، وحسب قول بعض المفسرين ان المرادبعليين اعلى اماكن الجنة او اعلى مكان في السما ، ومن خلال الـــمـــقـــارنـــة بين الاراعلاه حول سجين يتضح ان عليين كذلك يعني السجل الكبير الذي تجمع فيه كـــتـــب اعـــمـــال الابـــرار والـــصالحين وهو سجل عالي المرتبة والمقام في جوار اللّه تبارك وتعالى ((٤٨)) .

الملائكة المراقبون :. الايـــة التاسعة لم تتحدث في الظاهر عن كتاب الاعمال لكونها عرضت هذه الحقيقة بتعبير آخر(اذ يـــتـــلـــقـــى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) فمن الواضح ان التلقي هنا اشارة الى التسجيل في صحف الاعمال ثم قال تعالى للتاكيد اكثر (مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد).

(يتلقى) مشتق من مادة (لقا) ولكن تلقي الاعمال هنا كتابة عن اخذهاوتسجيله.

الـــمـــتـــلقيان : هما الملكان الماموران باخذ وتسجيل اعمال الناس (قعيد) من مادة قعود وهو الجلوس ويـــراد مـــنـــها الملازم والمراقب كما نقول في كلامنا المتداول ان فلان جليس فلان بمعنى الملازم والمراقب له ((٤٩)) .

(يـــلفظ) مشتقة من مادة (لفظ) بمعنى قذف السن كما يقال (لفظت الرحى الدقيق) وتطلق هذه الكلمة على ما يخرجه الانسان من فمه فكانها اشيا تقذف الى الخارج .

(رقيب) قال الراغب في مفرداته مشتق من مادة (رقبة) ويطلق على الشخص الذي يحافظ ويراقب شيئا معينا او شخص.

(عـــتـــيـــد) مشتق من مادة (عتاد) على وزن جهاد بمعنى اعداد عدة وذخيرة شي قبل الحاجة ، لذا يطلق على الشخص المستعد لادا فعل معين بـــ (عتيد).

ولقد قال صاحب كتاب مقاييس اللغة ان المعنى الاصلي لـــ (عتيد) القوة والضرب وهذا المعنى بالنسبة لـــلمعنى السابق كنسبة اللازم الى الملزوم ، على كل حال هل ان كل واحد من هذين الوصفين مختص باحد الملكين والاخر بالملك الثاني فيكون الاول مراقبا والثاني معدا للتدوين والتسجيل ام ان كليهما يدلان على هذا المعنى اي كلاهما يقومان بمراقبة اعمال الانسان وتسجيل وتثبيت اعماله ايض.

يعتقد بعض المفسرين ان الرقيب هو اسم لملك اليمين (الذي هو ماموربكتابة اعمال الخير) والعتيد اسم لملك الشمال (الذي هو مامور بكتابة اعمال الشر).

ولـــكـــن يـــظهر من اقوال بعض المفسرين ، انهم ذكروا كلا الوصفين لكلاالملكين اي ان كل واحد مـــنـــهما رقيب وفي عين الحال عتيد ايضا ولقد نقلت حول هذين الملكين روايات عديدة بالغة الاهمية نذكر من جملتها حديثا عن الرسول الاكرم (٩) (صاحب اليمين امير على صاحب الشمال فاذا عمل حـــســـنـــة كـــتـــبـــهـــا لـــه الـــيـــمين بعشر امثالها واذا عمل سيئة فاراد

صاحب الشمال ان يكتبها قال له صاحب اليمين امسك فيمسك عنه سبع ساعات فان استغفر اللّه منها لم يكتب عليه شي وان لم يستغفر اللّه كتب له سيئة واحدة) ((٥٠)) .

وتحمل مثل هذه الروايات للانسان رسالة تربوية واضحة ، ونستنتج من خلال هذه الرواية وبعض من الروايات الاخرى بان عمل كل من هذين الملكين منفصل عن الاخر وسوف نفصل الموضوع اكثر في فقرة (التوضيحات).

كتاب صحيفة الاعمال :. لقد ورد في نفس هذه الاية كلام عن (الكاتبين) وسعة اطلاعهم ومعلوماتهم (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون).

فمن الواضح ان المراد بـ (حافظين) الملائكة المامورين بحفظ وتسجيل الاعمال وليس المراد حفظ الانسان من الحوادث المختلفة ، واللّه تبارك وتعالى وصف هؤلا الملائكة باربعة اوصاف ولكنها لازمة وملزومة لبعضها في نفس الوقت وهذه الاوصاف هي :.

١ ــ حفظ ومراقبة الاعمال .

٢ ــ (الكرام) وكرام جمع (كريم) وهي اشارة الى عظمتهم وعلو شانهم وان كانوا مامورين باحضار اعمال الانسان لكن هذا العمل لا يشوبونه بالغلظة والقوة بل يقرنونه باللطف والكرامة .

وقيل انهم كرام لانهم يكتبون الاعمال الصالحة مباشرة بعشرة امثالها امالاعمال السيئة وكما ذكر في الرواية السالفة فانهم يمهلون صاحبها سبع ساعات لعله يتوب .

وقيل انهم كرام لانهم يطيرون بالاعمال الصالحة الى السموات ويعرضونهاعلى الملائكة اما الاعمال السيئة وبحكم كونه تعالى (ستار العيوب) فانهم يتسترون عليها ، وكونهم كراما يجعل الانسان يراقب اعماله اكثر وذلك لانه يستحي من ان يرتكب عملا قبيحا في محضر رجل كريم .

٣ ــ (كاتبين) وهذا الوصف يعني كيفية حفظهم الاعمال بصريح قوله تعالى فهم يكتبون كل الاعمال ولا يعزب عنهم شي ومن المعلوم ان الحفظ والكتابة بحاجة الى اطلاع واسع من جميع الجوانب .

٤ ــ (يعلمون ما تفعلون) وهذا التعبير يشمل قول الانسان واعمل جوارحه والعمل الفعلي ايض.

وذكر كلمة (حافظين) بصورة الجمع اما ان يكون هناك ملكان في النهاروملكان آخران في الليل يراقبون اعمال الانسان (كما جا في بعض الروايات) ((٥١)) ، اولكون المخاطب جمع الناس وبهذا فسيكون الملائكة الذين يراقبون الجميع جمع.

كتاب الاعمال في اليمين او في الشمال :. تسير الاية الحادية عشرة الى موضوع جديد وهو اتيان كتاب الاعمال فيؤتى الاشرار والسيئون كتابهم بشمائلهم اما الصالحون والاخيار فيؤتون كتابهم بيمنياتهم وهذه علامة فارقة لتمييز الاخيار من الفجار في محكمة العدل الالهي (فاما من اوتي كتابه في بيمنيه فيقول هاؤم اقرؤ كتابيه) وعلى العكس (واما من اوتي كتابه بشماله

فيقول ياليتني لم اوت كتابيه # ولم ادر ما حسابيه # ياليتها كانت الـقـاضـيـة) ، فهل ان اليد اليمنى واليسرى اشارة الى هذا العضو الخاص من البدن ام هو كناية عن الخيروالشر ولماذا اليد اليمنى كناية عن الخير واليسرى كناية عن الشر ؟.

لـقـد ورد هذا المعنى (كاحتمال) في تفسير (في ظلال القرآن) ولكن نقول لا توجد ضرورة لهذا الـتـاويـل لان اتـيـان كتاب اعمال الصالحين باليد اليمنى والاشراربااليد اليسرى وسيلة لتمييزهم والتعرف عليهم .

امـا كـلمة (هاؤم) فهي على راى الكثيرين من المفسرين وارباب اللغة مركبة من ها وهي اسم فعل (امر) بمعنى خذ وميم وهو ضمير جمع مذكر مخاطب ،وهذه الكلمة تعامل معاملة فعل الامر فيقال (هـا ، هـا ، هائما ، هاؤم ، هاتن (للمفرد ، المذكر والمفرد المؤنث والمثنى وجمع المذكر وجمع الـمـؤنـث)واحياناتبدل الهمزة بالكاف فيقال : (هاك ، هاك ، هاكما ، هاكن) اما الها الواردة في آخر كـلـمـة كـتـابيه وحسابيه) فيطلق عليها اصطلاحا بـ (ها السكون) وهى ليست بضمير وانما هي للاستراحة في الكلام وليس لها مفهوم خاص .

ولـقـد ورد في حديث عن عبداللّه بن حنظلة المعروف بغسيل الملائكة وهو من شهدا احد قال : ان اللّه يـوقـف عبده يوم القيامة فيبدي سيئاته في ظهرصحيفته فيقول له انت عملت هذا فيقول نعم اي رب فيقول له اني لم افضحك به واني قد غفرت لك فيقول عند ذلك هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه حين نجا من فضيحته يوم القيامة ((٥٢)) .

لقد ورد نفس هذا المعنى بشي من الاختلاف (ايتا كتاب اعمال الابراراليمين والفجار بالشمال) في الاية الثانية عشرة من الايات السالفة الذكر(فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا # واما من اوتى كتابه ورا ظهره فسوف يدعو ثبورا # ويصلى سعيرا).

فـذكرت الايات السابقة ان كتاب اعمال الفجار يؤتى بالشمال اما هذه الايات فذكرت ان كتاب الفجار يـوتـى (ورا الـظـهر) ويراد بهذاالمعنى ان المجرمين عندما يعطون كتبهم بشمائلهم فانهم ولشدة حيائهم يجعلون ايديهم ورا ظهورهم حتى تقل رؤية الجمع لهذا السند سند الجريمة والفضيحة ، او لان ايدي الشمال .

مـغـلـولـة ورا ظهورهم فكما انهم جعلوا كتاب اللّه ورا ظهورهم في الحياة الدنيافهنا تجعل كتب اعـمـالـهم ورا ظهورهم ، او لكون وجوههم مقلوبة ورا ظهورهم ولاجل رؤية كتب اعمالهم فهم يـاخـذون كـتبهم من ورا ظهورهم ولا منافاة لاي من هذه المعاني الثلاثة للاية وما ورد في الايات السابقة .

ما المراد بـ (الاهل) الذي ذكرته الاية الكريمة ؟.

قيل ان المراد بالاهل هم النسا والاولاد والاخرين من اهل الايمان الذين يدخلون الجنة قبلهم وقيل ان الاهل هنا اشارة الى الحور العين وقيل ان المقصودبالاهل هم سائر المؤمنين الذين لهم سبق

قدم فـــي الجنة وذلك لان المؤمنين كلهم اهل لبعضهم البعض وفي الحقيقة (انهم جز من عائلة واحدة) ، ونـــرى ان الـــتفسيرالاول هو الانسب بدليل ان نفس هذا التعبير ورد في الاية ١٣ من نفس السورة ويرادبه العائلة والزوجة والاولاد والاقربا واتحاد السياق يدل على ان المعنى واحد.

ولـــقـــد قـــســـمـــت الايـــة الثالثة عشر هذا التقسيم (اصحاب اليمين واصحاب الشمال) بشكل آخر(فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة # واصحاب المشئمة ماصحاب المشئمة).

الـــمـــيمنة : مشتقة من مادة اليمن بمعنى السعادة والبركة ولقد فسرها البعض وقال : انها ماخوذة من مـــادة يـــمين اي اليد اليمنى يقولون : انهم الافراد الذين يعطون كتبهم بايمانهم (صحيح ان مادة يمن) و(يـــمـــيـــن) مـــشتقة من اصل واحد ولكن يعني احدهما الخير واليمن والسعادة ، ويعني الاخر اليد اليمنى التي يرونها مظهرا من مظاهر البركة .

ويـــعتقد الراغب ــ كما ورد في مفرداته ــ ان اساس الكلمتين يحمل نفس مفهوم اليد اليمنى فيرى ان الخير واليمن والبركة تحصل بالافعال التي تنجز بواسطة اليداليمنى .

فهذه الكلمة جات بمعنى الخير والبركة ويقابلها كلمة المشئمة .

والمشئمة : مشتقة من (شؤم) وعلى قول صاحب كتاب مقاييس اللغة ان المعنى الاصل لهذه الكلمة هو نـــفـــس اليد اليسرى وانهم يعتقدون بان اليد اليسرى والاعمال التي تنجز بواسطتها اشارة الى الشر وسؤ الحظ ولهذا استعملت كلمة شؤم بهذا المعنى وبهذا السياق يكون المراد من (اصحاب الميمنة) و(اصـــحـــاب المشئمة) في الاصل نفس معنى اصحاب اليمين واصحاب الشمال الذين يوتون كتبهم اما بـــالـــيـــمـــن او بـــالشمال وبهذا فان تفسير الاية بمجموعه تكون (سعيدة مسرورة)واخرى (شقية تـــعـــيـــســـة) بعد المعنى الثاني من معاني الاية الكريمة ولقد فسر الفخرالرازي اصحاب الميمنة بـــ (اصحاب الجنة) يقول ((٥٣)) :.

هـــم اصحاب الجنة وتسميتهم باصحاب الميمنة اما لكونهم من حملة كتبهم بايمانهم واما لكون ايمانهم تـــســـتـــنير بنور من اللّه تعالى كما قال تعالى (يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم) الحديد ــ١٢ واما لـــكـــون الـــيـــمين يراد به الدليل على الخير ،والعرب تتفال بالسانح وهو الذي يقصد جانب اليمين من الطيور اذ يتفالون بهابالخير والتي تطير من الشمال للشر.

جـــملة (ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشئمة) جات على صيغة استفهامية وهذه اشارة الى المقام الـــرفيع جدا للطائفة الاولى والمقام السحيق جداللطائفة الثانية فكان منزلة وبركات الطائفة الاولى من العلو والكثرة بحيث تخرج عن مستوى تفكير الانسان وهذا التفسير كناية لطيفة عن هذا المعنى ، عـــلـــى عـــكـــس الـــتعبير الثاني الذي هو كناية عن شدة الانحطاط والتدني ، ومع عدم ورود كلام عن كتاب الاعمال في هذه الايات الا اننا اذا اخذنا سائر الايات القرآنية التي اوردت هاتين الكلمتين بنظر الاعتبار يكون التفسير اعلاه مناسبا لهذا المعنى .

امـــا الايـــة الـــرابعة عشر من الايات السالفة الذكر والتي وردت في نفس سورة الواقعة (واصحاب اليمين ماصحاب اليمين في سدر مخضود) (واصحاب الشمال ماصحاب الش مال

في سموم وحميم) و الايات اللاحقة (واصحاب الشمال ماصحاب الشمال في سموم وحميم).
فقد ذكر المفسرون في تفسير هذه الايات نفس المعاني التي وردت في تفسير الايات السابقة .
فقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم او بشمائلهم او هم اصحاب اليمين والبركة او تعيسي الحظ او الذين يتجهون نحو الجنة من اليمين او نحو الجحيم من اليسار او هم الذين يظهر نورهم على يمينهم ((٥٤)) .
كتاب اعمالنا امام انظار الجمع :. نـــلاحـــظ في الاية الخامسة عشرة تعبيرا جديدا حول كتاب الاعمال وهذاالتعبير عميق المحتوى (واذا الصحف نشرت # علمت نفس ماحضرت) (نشرت)مشتقة من مادة (نشر) بمعنى الفتح اما سبب ذكـــر هـــذا الـــتـــعبير بخصوص كتاب الاعمال فاما لكون الكتاب يطوى اثنا الموت ويعاد فتحه عند الـــحـــســـاب يـــوم الـــقـــيـــامـــة ومـــثله كمثل الملف الذي يغلقه بختم المحقق ثم يفتح اثنا المحكمة واما تكون الصحف كلها مجموعة عند اللّه تبارك وتعالى وتنشر وتقسم بين اصحابها يوم القيامة .
لـــقـــد انـــتـــخـــب بعض من المفسرين احد المعنيين السالفين واحتمل البعض كلاهما ، ونحن نقول ان الـــتـــفسير الاول هو الانسب لسياق الاية ، على اية حال ان صحف الاعمال سوف تنشر في ذلك اليوم بـــحـــيـــث لا يطلع عليهااصحابها وحسب بل يطلع عليها اهل المحشر ايضا وتستذكر جميع الاعمال المنسية ، وهذا هو احدعوامل الفرج واستبشار الصالحين وعذاب وثبور وخزى اهل النار ، تقول الاية ١٣سورة الاسرا (ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا) وهذه شهادة على هذاالمعنى .
يـــســـتـــفاد مما ورد في مجموع الايات السالفة الذكر انه اضافة الى احاطة وعلم اللّه تبارك وتعالى باعمال الناس وشهادة الجوارح وسائر شهود يوم القيامة فان اعمالنا مسجلة في كتاب وهذا التسجيل يؤدى بواسطة رسل وملائكة اللّه .
وفي يوم القيامة يؤتى الاخيار كتب اعمالهم باليمين والاشرار بالشمال وتنطق هذه الكتب وتخبر عن كـــل مـــافيها ، وتنشر الصحف وتعرض على الخلائق ويطلع اهل المحشر على اسرار واخبار هذه الـــصـــحـــف فاصحاب الاعمال الصالحة يتلقون كتبهم مسرورين مشستبشرين ويدعون الجميع لقراة كتبهم اما اصحاب الشمال فيعلوا صراخهم وعويلهم وثبورهم من شدة خوفهم وهلعهم .
ونحن نجد في هذه التعابير الكثير من الجوانب التربوية ، سنتعرض اليهافي .
فقرة التوضيحات .
التوضيحات :.
١.
كتب الاعمال في الروايات الاسلامية :. ان لـــموضوع كتب الاعمال او صحف الاعمال صدى واسعا في الروايات الاسلامية وقد جات بعض الروايات كتعبير للايات السابقة ، وهناك روايات

مستقلة عن الايات .

وسنشير الى بعض من هذه الروايات التي تتضمن كل واحدة منها جوانب تربوية هامة :.

١ ــ نقرا حديثا ورد عن الامام الصادق (٧) :.

(اذا كان يوم القيامة دفع الى الانسان كتابه ثم قيل له اقرا قلت : فيعرف مافيه ؟ فقال : ان اللّه يذكره فما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم ولا شي فعله الا ذكره كانه فعله تلك الساعة فلذلك قالوا ياولتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيره الا احصاه.

٢ ــ نقرا في احدى خطب نهج البلاغة ان الامام امير المؤمنين (٧) قال :(ونستغفره مما احاط به علمه واحصاه كتابه ، علم غير قاصر وكتاب غير مغادر) ((٥٥)) .

٣ ــ جا في حديث عن الامام الباقر(٧) ((٥٦)) (وليست تشهد الجوارح على مؤمن ، انما تشهد على من حقت عليه كلمة العذاب ، فاما المؤمن فيوتى كتابه بيمينه).

٤ ــ ونقرا حديثا آخر للامام الصادق (٧) ((٥٧)) : (ان اللّه تبارك وتعالى اذا ارادان يحاسب المؤمن اعطاه كتابه بيمينه وحاسبه فيما بينه وبينه فيقول عبدي : فعلت كذا وكذا وعملت كذا وكذا فيقول نعم يارب قد فعلت ذلك ، فيقول غفرتها لك وابدلتها حسنات فيقول الناس سبحان اللّه اما كان لهذا العبد سيئة واحدة ؟ وهو قول اللّه عز وجل (فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا).

٥ ــ نقل في سنن الترمذي عن رسول اللّه (٩) :.

(يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات : فاما عرضتان فجدال ومعاذير ،واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي : فاخذ بيمينه واخذبشماله) ((٥٨)) :.

ان هذا التعبير تضمن اشارة الى تطاير الكتب الذي جا في عبارات مختلفة واتضح من خلال هذا الحديث ان صحف الاعمال تتحرك من محلها الاصل (عند العرش او عليين او سجين الذي هو مركز جمعها) فتلقى بيد صاحبها فهذاالتعبير يدل بوضوح على ان كتاب الاعمال هو ليس صفحة الروح الانسانية بل هوالاثار التي تثبت خارج وجوده (تامل).

.٢

ماهية كتاب الاعمال :. مما لا شك فيه ان كتاب الاعمال الذي يعرض يوم القيامة ليس كمثل الاوراق والدفاتر والكتب المتداولة وانما هو نقوش معبرة غير قابلة للانكار فلو ان كتاب الاعمال كمثل هذه الاوراق والدفاتر المستعملة اليوم لاستوجب الامر آلاف الاوراق لكتابة اعمال الانسان خلال فترة عمره ولما امكن للجميع مطالعة مثل هذاالكتاب ولما كان موجبا لخزي وفضح الاشرار وفخر الاخيار ، في حين يستفاد من الايات والروايات بان اعمال الانسان مثبتة بحيث يمكن الوقوف عليها بالقا نظرة واحدة ، اضافة الى ذلك ان الخطوط والنقوش الاعتيادية ليست بالشكل الذي لايمكن انكارها في حين يتضح من الايات والروايات ان خطوط هذا الكتاب ليست قابلة للانكار وهى سند حي وواضح لكل شخص

وحتى لاصحابه.

نتطرق هنا بدقة الى بعض التفاسير المختلفة التي قيلت بخصوص كتاب الاعمال :.

١ ــ قيل في تفسيرها : (هي بعينها نفس الانسان التي رسخت فيها آثار اعماله بحيث نقشت بها). وجا ما يطابق هذا التعبير في كتاب المرحوم الفيض الكاشاني حيث يقول (ان كتاب الاعمال هو كناية عــن نفس الانسان التي رسخت فيها آثاراعماله) ((٥٩)) ، الا ان هذا المعنى الكنائي لايتوافق مع ظــواهــر آيــات الــقرآن الكريم وذلك لان القرآن يذكر اتيان كتاب اعمال اصحاب اليمين بيمينهم وكــتــاب الــفجار بشمالهم اومن ورا ظهورهم وهذا التعبير لا يتلائم مع التفسير المزبور الا اذا حــمــل تعبير (يمين)و (شمال) وسائر التعابير الاخرى على المعنى الكنائي وهذا خلاف الظاهر وهــو غــيــرجــائز بــدون دلــيــل اضــافة الى ذلك لايمكن ان يتوافق هذا التعبير مع تطاير الكتب الذي ذكرناه سابق.

٢ ــ لــلمرحوم العلامة الطباطبائي تعبير آخر في هذا الصدد فيقول في تفسير الميزان مستفيدا من الاية ٣٠ (سورة آل عمران) (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سؤ) (ان الكتاب يتضمن نفس الاعمال بحقائقهادون الرسوم المخطوطة على حد الكتب المعمول بها فيما بيننا فــي الــدنــيــا فــهــي نــفــس اعمال يطلع اللّه الانسان عليها عيانا ولا حجة كالعيان ان كتاب الاعمال بحقائقهامستورة عن ادراك الانسان محجوب ورا حجب الغفلة وانما يخرجه اللّه سبحانه وتعالى يوم القيامة فيطلعه على تفاصيله) ((٦٠) .

كــذلك لا ينسجم هذا المعنى بما يتعلق بــ (الملائكة الكاتبين) وسائرالصفات الاخرى التي وردت فــي الايــات والروايات وذلك لان المراد من حقائق الاعمال على الظاهر هو نفس الاثار التي تترك اثرا في داخل نفس الانسان وهنا يردنفس الاشكال على تفسير المرحوم الفيض الكاشاني .

ولــقــد ذكــر صــاحــب كتاب (روح المعاني) نفس هذا التفسير بشي من التفصيل ثم اعترف بان هذا الــتــفــسير لا ينسجم مع ظاهر آيات القرآن الكريم ((٦١)) ومن الممكن ان يقال كما تترك اعمال الانسان اثرا في داخل نفسه كذلك تترك اثرا في العالم الخارجي ايضا ، وتترك اثرا في الفضا والهوا وعلى الارض التي يعيش عليهاوفي كل شي وكان اعماله نقشت بها نقشا طبيعيا غير قابل للانكار.

وهــذه النقوش تنقش في اعماق هذه الموجودات بواسطة قوى عالم الوجود والملائكة ويوم القيامة يــكــشف عنها الحجب وتظهر للعيان وتعطى بيد كل انسان وتكفي نظرة واحدة عليها للاطلاع على حال كل شخص .

مــن الــبــديهي ان هذه الاثار لا يمكن ادراكها والاحساس بها في هذه الدنيارغم انها موجودة ومثبتة وعندما ياتي ذلك اليوم الذي يكشف فيه هذا الغطاويصبح البصر حديدا فسوف نراها عيانا ونقراوها فنصدق .

اســتطاع علما اليوم من خلال دراسة علم الاثار دراسة المتحجرات المتبقية من الكائنات الحية منذ مــلايــيــن السنين فكشفوا اضافة الى شكل هياكلها عن الكثير من حقائق حياتها مع ان المتحجر ليس حيوانا بعينه بل هو بقايا منه بقيت لحقب طويلة داخل الطبقات الارضية .

الــصــخــور الارضــية هي في الواقع كتاب اعمال واشكال تلك الحيوانات مدون بخطوط غير قابلة للانكار.

نحن لا نقول ان كتاب الاعمال الذي يعرض يوم القيامة هو على هذه الصورة وذلك لاننا ذكرنا اكثر من مرة باننا لا ندرك من القيامة والمسائل المتعلقة بهاالا نزرا يسيرا ، ولكن في بعض الاحيان يمكن ان يــكون الاثر الطبيعي هو نفس الاثر ،ومن المناسب هنا ان نذكر حديثا للامام الصادق (٧) ورد فــي تــفسير الاية ١٤ (سورة الاسرا) : (يذكر العبد جميع ما عمل وماكتب عليه ، حتى كانه فعله تلك الساعة ،فلذلك قالوا ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها) ((٦٢)) .

٣ ــ احــتــمــل البعض ان كتاب الاعمال هو (الضمير الباطن) للانسان فقداثبت علم النفس اليوم ان اعــمــال الانــسان تؤثر في وجدان الانسان او اللاشعور ، وهذاالتعبير لايختلف عن تعبير الفيض الــكــاشــاني وسائر المفسرين الذين اشرنا اليهم سابقا ، وفي ا لواقع ان هذا التعبير هو تعبير جديد مشتق من المعنى القديم ،والتفسير الثالث هو الانسب من بين التفاسير الاربعة .

عــلى اية حال يجب ان نقول بما ان مسالة كتاب الاعمال وردت في القرآن الكريم واكدتها الروايات الــمختلفة لذا يجب ان نؤمن بها ايمانا حتى وان لم ندرك مفهومها ومحتواها بشكل تفصيلي مثلها كمثل ســائر الــمــسائل المتعلقة بيوم القيامة ،او ان كتاب الاعمال هو مجموعة الاثار التي خطتها اعمالنا خارج وجودنا وتجمع يوم القيامة وتوضع بين ايدينا حسب الامر الالهي وبتعبير آخر هي مجموعة الاثارالتكوينية التي يمكن تشبيهها من بعض الوجوه بالافلام او اشرطة التسجيل او ماشاكله.

ونحن لا نجزم بان الامر هكذا بل نقول ان هناك اوجه للشبه بينها.
.٣
فلسفة كتاب الاعمال . مـــمـــا لا شـــك فـــيه ان البيان المفصل لكتاب الاعمال في الايات القرآنية والروايات ، مع الاخذ بعين الاعـــتـــبـــار ان هـــذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من اعمالنا واقوالنا ونياتنا الا احصاها يهدف بالدرجة الاولى الى الاثار التربوية له .
ولـــقد ذكرنا ان القرآن اتخذ من بيان جميع المعارف الواقعة وسيلة لتهذيب النفوس وتكامل الارواح وتـــنـــمـــيـــة مكارم الاخلاق وتقوية عامل التقوى عند الانسان كما انذر الناس كافة ليراقبوا افعالهم واقـــوالـــهم وسلوكهم وصرح بان كل شي في كتاب وسوف تعرض الاعمال من خلاله يوم القيامة من غير نقصان .
حـــقـــا ان الاحـــاطـــة الـــعلمية للّه تعالى هي فوق كل شي ومن يؤمن ايماناكاملابالاحاطة العلمية للّه وحـــضوره الوجودي في كل شي وفي كل زمان لا حاجة له بكتاب الاعمال ولكن في الغالب يمكن ان يـــكـــون الالـــتـــفـــات لـــهذه الحقيقة منشا لكثيرمن الاثار على اغلب الناس فمن يعلم بان هناك اشرطة لتسجيل صوته اينما كان وهناك جهاز مجهز بافلام لتصوير كل حركاته وسكناته ، سرها وعلنها ، ظاهرهاوباطنها ، وان هذه الاشرطة والافلام سوف تعرض على شكل ملف كامل غير قابل للانكار فـــي احـــدى الـــمحاكم الكبيرة ، فيقينا ان مثل هذا الانسان سوف يراقب كل افعاله واقواله وسلوكه بشكل كامل وتكون التقوى هي الحاكمة على ظاهره وباطنه .
ان الايـــمـــان بـــكتاب الاعمال الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاهاوالايمان بالملائكة الذين يـــراقـــبون الانسان ليلا ونهارا ويحصون عليه كل اعماله ،وكذلك الاعتقاد بان هذه الصحف سوف تنشر يوم القيامة في ساحة المحشرويكشف فيها عن جميع السرائر فتوجب الخزي والفضيحة امام الاصدقا والاعدا ،كلها لها اثر عجيب في الكف عن الذنوب وارتكاب المثم .
هـــذا عـــلـــى عـــكس كتاب الابرار الذي يكون موجبا للفخر والكرامة في المحشر وحتى انه افضل واعـــلـــى واكـــثـــر تاثيرا مما ذكر في مقال الشريط والقلم ، وهذاعامل مهم جدا للتزود من الاعمال الـــصالحة ولولا ضعف الايمان احيانا ووجودحجب الغفلة التي تكون العامل في ابعاد الانسان عن هذه الحقائق المهمة لكان الاعتقاد بهذا المبدا القرآني كافيا لتربية وتزكية كل انسان .
ونـــذكـــر هنا ومن المسلم به بان ضمن بعض الادعية دروس تربوية للانسان تركز على ابراز هذا المعنى فتقرا في الدعا المعروف بدعا كميل (وكل سيئة امرت باثباتها الكرام الكاتبين الذين وكلتهم بحفظ ما يكون مني ، وجعلتهم شهودا علي مع جوارحي ، وكنت انت الرقيب علي من ورائهم والشاهد على ما خفي عنهم).
ونـــخـــتـــم هـــذا البحث بذكر حديث للامام الصادق (٧) ، جا في الاحتجاج للطبرسي انه : سال

رجل الامـــام الصادق (٧) : عن علة الملائكة المامورين بتثبيت الاعمال الصالحة والسيئة ونحن نعلم بان اللّه (عالم السر والخفيات وما هو اخفى).

فـــقـــال الامـــام (٧) استعبدهم بذلك وجعلهم شهودا على خلقه ليكون العباد بملازمتهم اياهم اشد على طـــاعـــة اللّه مـــواظبة وعن معصيته اشد انقباضا ، وكم من عبد يهم بمعصية فذكر مكانهما فارعوى وكف ، فيقول ربي يراني ، وحفظتي علي بذلك تشهد ٤.

اقسام كتب الاعمال :. كما اشرنا سابقا ومن خلال الايات القرآنية ان هناك ثلاثة انواع من كتب الاعمال :.

الاول : هو الكتاب الذي يختص بكل انسان ويعرض جزئيات الاعمال ويعطى باليمين او بالشمال .

ولـــقد ورد هذا المعنى في كثير من الايات التي سبق ذكرها ومن جملتهاالاية ١٣ (سورة الاسرا) (وكـــل انـــسان الزمناه طائره في عنقه ونخخرج له يوم القيامة ك تابا يلقاه منشورا # اقرا كتابك كفى بـــنـــفـــســـك الـــيوم عليك حسيبا) ، ان تعبير كل انسان ،وكذلك تعبير كتابك اشارة واضحة الى كتاب الاعـــمال الخاص وكذلك جملة (هاؤم اقرؤا كتابيه) ، وجملة (يا ليتني لم اوت كتابيه) وفي سورة الحاقة الايات ١٩ ، ٢٥اشارات اخرى الى هذا المعنى .

الـــثاني : كتاب اعمال الامم ، اي الكتاب الذي تجمع فيه اعمال الامة كماورد في سورة الجاثية (كل امـــة تـــدعى الى كتابها) وقد ورد تعبير كتاب بصيغة المفردوليس بصيغة الجمع وهذا يدل على ان المراد (الامة الواحدة).

الـــثـــالـــث : الكتاب الذي تثبت فيه اعمال جميع الامم وكافة الناس من الاولين والاخرين ، فهو بمثابة الـــســـجل المركزي العام الذي تسجل فيه جميع الحسابات ،ولقد اشارت الاية ٤٩ (سورة الكهف) الـــيه (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) ، وجا هذا التعبير بصورة اوضح في سورة يـــس بـــعـــد ذكر الاحيا والاموات وبيان كتابة الاعمال وآثارها من قبل اللّه تبارك وتعالى (وكل شى احـــصـــيـــناه في امام مبين) ، فورد الكتاب في هذه الاية بصيغة نكره (التي تفيد الافراد) وهذا يدل على احصا جميع اعمال الخلائق بل كل ان الاشيا جمعت في كتاب واحد.

وقـــد اشار المرحوم العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان الى هذه الكتب الثلاثة ((٦٣)) ولو ان هناك اختلاف بين الايات التي استشهد بها وبعض هذه الاقسام التي ذكرناه.

ويـــمـــكـــن ان نستفيد من آيات سورة المطففين (آية ٧ ، ٨) بان (الابرار) او(الفجار) كل منهم له كتاب خاص وهذا يعد النوع الرابع من كتب الاعمال .

عـــلى اية حال لا توجد اية منافاة بين هذه الكتب ولا مانع من تسجيل عمل ما في عدة كتب وسجلات مختلفة لغرض التاكيد والدقة وهذا مانلاحظه في حياتناليومية .

ان هذه الكتب وعلى اختلاف انواعها كلهاتؤكد على حقيقة واحدة مفادهاان يكون الانسان واعيا

يقظا وليعلم بان اعماله لم تسجل في مكان واحد بل انهامثبتة في عدة اماكن وسجلات ، ومن غير الممكن ان يـــصـــدر من الانسان عمل ما ولايحاسب عليه يوم القيامة ويجب ان نعلم بان اللّه تعالى هو الرقيب على الانسان من ورا كل هذه الكتب والشهود.

.٥

خصائص كتاب الاعمال :. من مجموع الايات والروايات السابقة يمكن تحديد الخصائص الاتية لكتاب الاعمال وهي :.

١ ــ كـــتـــاب الاعـــمال هو صحيفة عمل لمجموع عمر الانسان وهو لا يغادرصغيرة ولا كبيرة الا احصاه.

٢ ــ كتاب الاعمال حي ناطق ولا مجال فيه لادنى شك او ريب وهو غيرقابل للانكار وكل شخص يتمكن من الفصل والحكم بمشاهدته وحتى المجرمون انفسهم .

٣ ــ ان كـــاتبي صحيفة الاعمال ملكان وقد عبر عنهما القرآن بـــ (رقيب)و(عتيد) ــ وكما ذكرنا ــ يـــسـتـــفـــاد من بعض الروايات ان ملائكة الليل والنهار منفصلون عن بعضهم البعض وكل واحد منهم يعطي مكانه للاخر ولقد اشارت بعض آيات القرآن الكريم اشارة عابرة الى هذا المعنى .

٤ ــ يـــظـــهـــر من بعض الروايات انه اضافة الى ذلك يوجد ملائكة آخرون توكل بهم مهمة تسجيل بعض الاعمال الخاصة كما ورد في حديث عن الرسول الاكرم (٩) : (اذا كان يوم الجمعة كان على كـــل بـــاب من ابواب المسجد ملائكة يكتبون الاول فالاول ، فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤوا يستمعون الذكر) ((٦٤)) .

٥ ــ يـــسـتـــفاد من بعض الروايات ان الحسنات تكتب فورا اما السيئات فتكتب بعد حين (لعل صاحبها يتوب عن فعله).

ونـــخـــتـــم هـــذا الـــبـــحـــث بذكر بعض الجمل القيمة من ادعية الامام السجاد (٧) والتي وردت في (الصحيفة السجادية) ولنردد معه سوية هذا الدعا(اللهم يسر على الكرام الكاتبين مؤنتنا ، واملا لنا مـــن حـــسناتنا صحائفنا ولا تخزناعندهم بسؤ اعمالنا ((٦٥)) فصل على محمد وآله واجعل ختام ماتحصى علينا كتبة اعمالنا توبة مقبولة) ((٦٦)) .

.٤

تجسيد الاعمال . تمهيد:.

الـــمـــطـــلعون على الايات القرآنية يعلمون جيدا بان بعضا منها يتحدث عن ((تجسيم)) الاعمال يوم القيامة .

اي ان عمل كل شخص يعرض امامه في ذلك اليوم خيرا كان اوشراويكون موجبا لنشوته وسعادته او عذابه ومعاناته موجبا للفخر والكرامة اوللفضيحة والعار.

فـــهل من الممكن ان تبقى اعمال الانسان في حين انها عبارة عن مجموعة حركات تمحى وتزول

حال انـــقـــضـــائها ؟ وهل من الممكن ان يتحول ((العمل)) الذي هوجز عوارض وجود الانسان الى مادة وجسد ويظهر بصورة مستقلة ؟.

ان الكثير من المفسرين عجزوا عن الاجابة عن هذه الاسئلة ، فما كان لهم من حيلة الا القول بالحذف والـــتـــقـــدير فقاولوا مثلا ان المراد بـــ (حضور الاعمال) اومشاهدة العمل ((حضور وشهادة جزا العمل وثوابه وعقابه)).

ولـــكـــنـــنا نحن نعتقد اليوم بان لكل من هذه المسائل جواب وعلى هذاالاساس لانجد اي دليل لانكار ظواهر هذه الايات التي تدلل على تجسد اعمال الانسان .

والـــجدير بالذكر، ان محتوى هذه الايات مع الاخذ بنظر الاعتبار معناهاالحقيقي لا المجازي ، ذات مـــعـــنى عميق ونافذ ومؤثر ويحل لنا الكثير من المشاكل ويجيب عن الكثير من الاسئلة التي تطرح حول عالم القيامة والحساب كما تترك اثراكبيرا ومفيدا في حياة الانسان من الناحية التربوية ، وقبل ان نتناول هذا الموضوع نقرا خاشعين لبعض الايات القرآنية التي تشير الى مسالة تجسم الاعمال :.

١ ــ (يـــومـــئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم # فمن يعمل مثقال ذرة خيرايره # ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) الزلزال ــ٦ ــ٧ ــ٨.

٢ ــ (ووجدوا ماعملوا حاضرا ولايظلم ربك احدا) الكهف ــ٤٩.

٣ ــ (يـــوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وماعملت من سؤ تود لوان بينها وبينه امدا بعيدا) آل عمران ــ٣٠.

٤ ــ (وبـــدا لـــهـــم ســـيـــئات مـــاكسبوا وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن) الزمر ــ٤٨ ((٦٧)) ٥ ــ (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) آل عمران ــ٣٠.

٦ ــ (واذا الجحيم سعرت # واذا الجنة ازلفت # علمت نفس مالحضرت) التكوير ــ١٢ ــ١٤.

٧ ــ (ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لايظلمون) الاحقاف ــ١٩.

٨ ــ (ووفيت كل نفس ماعملت وهو اعلم بما يفعلون) الزمر ــ ٧٠.

٩ ــ (وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لاتظلمون) البقرة ــ٢٧٢ ((٦٨)) .

١٠ ــ (ثم توفى كل نفس ماكسبت) البقرة ــ٢٨١ ، آل عمران ــ١٦١.

١١ ــ (يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لانفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون) التوبة ــ٣٥ ((٦٩)) .

١٢ ــ (انما تجزون ماكنتم تعملون) الطور ــ١٦ ، التحريم ــ٧ ((٧٠)) .

تفسير وفذلكة .

يومئذ يرى كل عمله :. لـــقـــد اشـــارت الايات الاولى الواردة في آخر سورة الزلزال ثلاث مرات الى مسالة تجسم الاعمال (يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم) و (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) ثم (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) :.

اشتاتا : جمع (شت) على وزن شط بمعنى ((التفرق)) ، وقد يكون سبب تفرق صفوف الناس في ذلك اليوم ورود كل امة بامامها او ان يتفرق اهل الايمان عن اهل الكفر والعلما عن المتعلمين والشهدا عن غيرهم ((٧١)) .

مـــثـــقـــال : بـــمـــعنى وزن والذرة هي الاجزا الصغيرة جدا لذا فقد فسرت الذرة احيانا بذرات الغبار واخرى بالنملة الصغيرة جدا، ويشير ظاهر الايات بوضوح ان الاعمال الصالحة او السيئة تتجسد امـــام صـــاحـــبـــها في المحشر، ولو ان بعض المفسرين ــ وبسبب عدم قبولهم لمسالة تجسم الاعمال لـــلاســـبـــاب الـــتي اشرنا اليها في بداية الموضوع ــ قالوا بالتقدير فقدروا كلمة ((جزا)) والمراد حضور ومشاهدة جزاالاعمال ، وقال البعض ان الرؤية هنا بمعنى العلم والمعرفة اي المشاهدة بعين العقل وقال البعض الاخر المراد مشاهدة كتاب الاعمال ومن المسلم ان التفاسير الثلاثة لاتتوافق مع ظـــاهر الاية وذلك لان تقدير اخذ (الجزا) او (صحف الاعمال) ،مخالف لظاهر الاية والرؤية هنا بـــمعنى المشاهدة بالعين لابمعنى بالقلب التي تنصب مفعولين ، فمن المعلوم ان الرؤية القلبية تتعدى الى مـــفـــعـــولين والرؤية الظاهرية تتعدى الى مفعول واحد وبما اننا نجد في هذه الاية مفعولا واحدا لا اكثر(فتامل).

والـــجدير بالذكر ان ابن عباس وبالرغم من كونه اقدم المفسرين قد قبل هنابمسالة تجسم الاعمال فيقول في رواية وردت عنه :.

(لـــيـــس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه اللّه اياه ، اما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته ، واما الكافر فيرد حسناته تحسيراله) ((٧٢)) .

ونـــرى في احاديث المعصومين الواردة في تفسير الايات تعابير واضحة تدلل على تجسم الاعمال ، منها ماقاله امير المؤمنين في هذا المعنى :.

(فـــمن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرة من خير وجده ومن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرة من شر وجده) ((٧٣)) .

ونـــجـــد فـــي الايـــة الـــثانية تعبيرا آخر في هذا المعنى ، فبعد الاشارة الى كتاب الاعمال قال تعالى (ووجدوا ماعملوا حاضرا).

وقال تعالى (ولا يظلم ربك احدا).

لقد استبعد جمع من المفسرين فكرة تجسم الاعمال في هذه الاية فقدفسروها احيانا بمعنى حضور اخـــبـــار الاعمال في كتاب الاعمال واحيانا اخرى بمعنى حضور جزا الاعمال ولكن البعض الاخر احتمل حضور نفس العمل ((٧٤)) .

وعلى حد قول المرحوم العلامة الطباطبائي ((يمكن ان يكون ذيل الاية شاهدا على هذا الموضوع ، وذلك لان حضور نفس العمل لاثبات نفي الظلم عنه تعالى افضل واوضح)) (فتامل جيدا).

ولقد طرحت الاية الثالثة هذا التعبير بصراحة وتفصيل اكثر ، وذلك لان الكلام كان يدور في الاية السابقة حول الكافرين والمجرمين اما في هذه الاية (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير

محضرا وما عملت من سؤ تود لو ان بينها وبينه امدابعيدا) فهناك قولان في تفسيرها :.
الاول : هو ان يجد كل انسان ما عمل من افعال الخير والشر محضرة يوم القيامة .
الثاني : هو ان يجد كل انسان ماعمل من اعمال الخير محضرة ويود ان تكون هناك فاصلة زمانية بينه وبين اعماله السيئة ، ويرجع هذا الاختلاف في تفسيرالاية الى مكان الوقوف فيها ، فمنهم من قال : ان الوقوف بعد (محضرا) ومنهم من قال :ان الوقوف بعد سؤ ((٧٥)) .
لكن النتيجة في كلا التفسيرين واحدة ، وذلك لان المستفاد من المعنى الثاني ايضا هو حضور اعماله السيئة لديه وان كان يتمنى وجود فاصلة بينه وبينه.
وقد ورد احتمال آخر لبعض المفسرين فيرى ان المجرمين يودون لو ان بينهم وبين السؤ الذي عملوه امدا بعيدا او ان بينه وبين هذا اليوم امدا بعيدا ((٧٦)) .
من المعلوم ان الانسان يتمنى ان يكون بينه وبين الامور التي ينفر منها فاصلة مكانية بعيدة في حين ان المراد بـ (امدا بعيدا) الذي ورد في الاية الكريمة الفاصلة الزمانية البعيدة .
ومن الممكن ان يكون سبب هذا التعبير هو ان احتمال الحضور والتلاقي يكون اكثر في الفواصل المكانية ، اما احتماله في الفواصل الزمانية فهو معدوم .
فمثلا ان الشخص الذي يعيش خلال سنوات الحرب العالمية يشعر بنوع من القلق والاضطراب حتى وان كان بعيدا عن ساحة العمليات العسكرية اما الذين تفصلهم فواصل زمنية (بعيدة) عن تلك الحرب فهم لايشعرون باي قلق او اضطراب بسببه.
ومن المعلوم ان (الامد) ياتي دائما للزمان ، ويقول الراغب في مفرداته ان معناه يقترب من معنى (ابد) مع فارق بسيط هو ان (ابد) زمان ليس له اي حد محدود اما (امد) فهوزمان له حد مجهول .
فالحديث في الاية السابقة يدور حول حضور الاعمال ، وتتحدث هذه الاية عن احضار الاعمال ، اي انها تتناول موضوعا اوسع ، ووفقها فان اللّه تعالى وبقدرته المطلقة يحضر جميع الاعمال الصالحة والسيئة شا صاحبها ام ابى ، ولذا قال بعض المفسرين ان هذاالتعبير هو اكثر اخافة وافزاعا من تعبير الاية السابقة .
ونواجه في الاية الرابعة تعبيرا جديدا ايضا حول هذا الموضوع ، قال تعالى :(وبدا لهم سيئات ماكسبوا وحاق) ، (وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن).
بدا : مشتقة من مادة (بدو) بمعنى الظهور التام ، ولهذا قالوا للبراري (البادية)لظهورها بعكس المدن التي كانت تحاط بالاسوار والحصون فتختفي وراه.
(سيئات ماكسبوا) تعني اعمال السؤ ، وقد فسرها البعض بمعنى جزا هذه الاعمال ، او انهم قدروا كلمة جزا لكن ظاهر الاية يفيد ان اعمالهم السيئة تظهر واضحة جلية في ذلك اليوم وذلك لان السيئات ــ جمع سيئة ــ تعنى العمل السي وليس سؤ العمل (تامل جيدا).
ومن الممكن ان يكون هذا التعبير اشارة الى ان الكثير من الاعمال السيئة في

هذاالعالم تخفي صـــورتـــهـــا الحقيقية مثل الريا الذي يراد به غير اللّه تعالى ولكن في ذلك اليوم وهويوم الكشف عن الـــسرائر ويوم الظهور يكشف عن الوجه الحقيقي لجميع الاعمال ، كما نقرافي الحديث الوارد عن الـــرســـول الاكـــرم (٩) فـــي تـــفـــسير هذه الاية (هي الاعمال حسبوها حسنات فوجدوها في كفة السيئات).

وهذا الحديث بدوره شاهد آخر على نظرية تجسم الاعمال ((٧٧)) .

ونـــواجـــه فـــي الاية الخامسة تعبيرا جديدا ايضا فبعد ان ذمت الاية البخلاواخبرت بان البخل ليس خيرا لهم وانما هو ضرر عليهم (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة).

يـــســـتـــفاد من هذا التعبير ان الاموال التي لم تدفع الحقوق المتعلقة بها ولم ينتفع بهااحد ستكون على شـــكل طوق تطوق به رقاب البخلا يوم القيامة ، فكما كان وزرها على عواتق اصحابها دون الانتفاع بها كذلك الامر في يوم القيامة .

ولقد ورد في تفسير العياشي نقلا عن الامام الباقر (٧) في توضيح معنى هذه الاية قال : (مامن عبد منع زكاة ماله الا جعل اللّه ذلك يوم القيامة ثعبانا من نارمطوقا في عنقه) ((٧٨)) .

ولكن ما المقصود بالبخل (مما آتاهم اللّه من فضله) ؟.

يـــعـــتقد بعض المفسرين ان الاية ناظرة الى البخل في العلم والمعرفة وحسب ما جا في سبب نزولها حيث نقل عن ابن عباس ان الاية نزلت في كتمان اليهود لعلامات الرسول (٦) ((٧٩)) .

في حين نجد ان هناك روايات عديدة ذكرت بان الاية تتعلق بمانعي الزكاة ولا يستبعد ان يكون للاية مفهوما واسعا بحيث تشمل كل الهبات الالهية التي ذكرناها والتي لم نذكره.

ويلاحظ ان جمعا من المفسرين لم ياخذوا بظاهر الاية وفسروها بجزاالاعمال ، وقال البعض منهم ان المراد بالاية الكريمة البخلا فهم مكلفون يوم القيامة بالاتيان بمثل هذه الاموال ولكنهم لن يتمكنوا من ذلك (اي ان الذي سيطوقون به هو التكليف وليس نفس الاموال).

ولـــكـــن هـــذا النوع من التفاسير اضافة الى كونه يفتقر الى الدليل كذلك فهومخالف لظاهر الاية ولا يتوافق مع الروايات الكثيرة المنقولة عن ائمة الهدى (:)في تفسير هذه الاية .

وتتحدث الاية السادسة عن موضوع جديد وهو (حضور واحضار العمل)قال تعالى : (واذا الجحيم سعرت # واذا الجنة ازلفت # علمت نفس ما احضرت).

قـــال الـــمرحوم الطبرسي في مجمع البيان : ما احضرت بمعنى ماوجدت حاضرا من عملها، والعجيب انه يقول على اثرها ان لاحضار الاعمال معنى مجازيالان العمل ليس بالشي الذي يبقى اذ انه يفنى بعد الادا وقال البعض ان المقصودهو حضور صحيفة الاعمال ((٨٠)) .

فـــي حين ـــ كما سنوضح ذلك في فقرة (التوضيحات) ـــ ان الاعمال لاتفنى ابدا ولا مانع من تجسمها على شكل صور مناسبة في ذلك اليوم .

ان احـــضار العمل سوا كان بمعنى (الاحضار) او (الحضور) (حيث فسربكلا المعنيين) يدل على مانصبوا اليه من هذا البحث .

استيفا الاعمال يوم القيامة :. يــلاحظ في الاية السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة تعبيرا آخر في مسالة تجسم الاعمال ، حيث ورد فــي هــذه الايــات ان اعمال الانسان الصالحة والسيئة (الخير والشر) ترجع الى الانسان يوم القيامة كاملة غير منقوصة ، والظاهر من كل هذه الايات ان المراد هو استيفا العمل نفسه وليس جزا العمل او كتاب العمل .

قال تعالى في الاية السابعة : (ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لايظلمون).

وقــال تــعالى في الاية الثامنة بعد الاشارة الى محكمة القيامة وكتاب الاعمال والشهود ونفي الظلم : (ووفــيت كل نفس ماعملت وهو اعلم بمايفعلون) فكان هذه الاية تبين علة الحكم بالحق وعدم ظلم الاخــرين الذي ورد في الاية التي تسبقها فتقول : كيف يقع الظلم والجور على احد في حين ان نفس اعماله توفى اليه ؟ ولقد جا نفس هذا المعنى في الاية التاسعة (وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لاتظلمون).

وكــذلــك ورد فــي الاية العاشرة نفس هذا المعنى ايضا ولكن بعبارات اكثرعمومية وشمولية (ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون).

(ووفيت وتوفى ويوفى) كلها مشتقة من مادة (وفا) التي تعني الوصول الى الكمال و (توفيه) بمعنى دفع الشي بصورة كاملة و(توفى) بمعنى اخذ الشي كامل.

ويــجــب ان نــذكــر بان القرآن يشير في بعض الموارد بقوله : (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) (الزمر / ١٠).

ولــكنه يقول في الايات السابقة وبعض الايات الاخرى انهم يستوفون نفس اعمالهم ونحن نقول : انه لامــنافاة بين الاثنين وذلك للاستفادة من مجموع الايات الكريمة انه اضافة الى تعلق الاجر والجزا بالاعمال ان اعمال الانسان تستوفى في ذلك اليوم ، ويمكن ان نشبه هذه المسالة بالسائق الذي يخالف مقررات المرور فكمانه يتعرض لخسارة الاصطدام كذلك يجب عليه دفع الغرامة .

ولقد فسر الكثير من المفسرين هذه الايات بانها كناية عن اخذ جزاالاعمال ، لكننا نقول هذا كلام لا دليل له بل وكما لاحظنا ان هناك الكثير من الايات القرآنية والاحاديث الشريفة (التي سنشير اليها لاحقا) تدلل على تجسم اعمال الانسان يوم القيامة .

لذا فنحن ندع الايات ومعناها الظاهري .

وعلى هذا الاساس نقيم بحث تجسم الاعمال كما فعل ذلك جمع من اهل التحقيق والتفسير والحديث .

وفي الاية الحادية عشرة اشار الى الذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل اللّه ، وكذلك اشــار الــى الــعــذاب الاليم الذي ينتظر هؤلا ، فتذكرهذه الاية بوضوح ان الدراهم والدنانير التي اكــتــنــزوها ولم ينفقوها في سبيل اللّه سوف تظهر في عرصات القيامة وسوف يحمى عليها في نار جهنم وتكوى بها جباههم وظهورهم ، ويقال لهم هذا ماكنزتم لانفسكم (فتامل).

من هنا يطرح هذا السؤال : لماذا خص هذه الاعضا الثلاثة دون غيرها ؟.
قال البعض : لانها تشمل معظم البدن (وانما خص هذه الاعضا لانهامعظم البدن) ((٨١)) .
وقيل : لان صاحب المال اذا راى الفقير قبض جبهته وزوى يمينه وطوى عنه كشحه وولاه ظهره .
وقـيـل : ان المقصود من كسب الاموال حصول فرح في القلب يظهر اثره في الوجوه ، وحصول شبع يـنـتفخ بسببه الجنبان ، ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم ، فلما طلبوا تزيين هذه الاعضا الثلاثة ، لاجرم ان حصل الكي على الجباه والجنوب والظهور ((٨٢)) .
صحيح ان هذه الاية لم تذكر صراحة تجسم الاعمال ولكنها دللت على حضور الاموال في عرصات يـوم الـقـيامة ويمكن ان نعتبر نفس هذا التعبير اشارة الى مسالة تجسم الاعمال وبالرغم من الزوال والـفـنـا الظاهري لهذه الاموال ولكنها بحكم المعاد سوف تعود وتتجسد هناك ويحمى عليها في نار جهنم وتكوى بها جباههم وظهورهم .
ثـم يطرح هذا السؤال : ماالمراد بالكنز هنا ؟ هناك آرا عديدة في الاجابة عنه : فمما لاشك فيه ان الـكنز مفهوم واسع يشمل جميع الاموال النفيسة التي تجمع وتدخر في مكان ما فهل يدل مفهوم الاية عـلـى ان حـرمـة ادخـار جميع الاموال الفائضة عن الحاجة ويترتب عليه ماورد في هذه الاية من عـقـوبـات ؟ ام ان الاية تخص الذين يمتنعون من ادا الحقوق الشرعية كالزكاة وغيرها ؟ اما الذين يؤدون الحقوق الواجبة فلن تشملهم هذه الاية وماورد فيها من عقوبات ؟.
الـمشهور بين الفقها والمفسرين والمحدثين : هو المعنى الثاني ولقدوردت بهذا الخصوص احاديث كثيرة منقولة عن الطرفين (السنة والشيعة) ومن جملتها الحديث المنقول عن الرسول الاعظم (٩) : (اي مال اديت زكاته فليس بكنز) ((٨٣)) .
كما ان هناك احتمالا آخر وهو ان المجتمع الاسلامي اذا تعرض نتيجة تجميد رؤوس الاموال الى ازمـة اقـتـصادية شديدة فيجب على اصحاب رؤوس الاموال اخراجها اما عن طريق الانفاق او عن طريق استثمارها في مجالات العمل المختلفة من اجل تامين المتطلبات الضرورية للمجتمع .
فـفـي مـثـل هـذه الاوضـاع فـاذا اكـتنزوا اموالهم في مثل هذه الاوضاع ولم يخرجوها للتداول والاسـتثمار فسوف تشملهم الاية الكريمة ولعل مايؤكد هذاالمعنى ما ورد عن امير المؤمنين (٧) اذ قال :.
(مـازاد على اربعة الاف فهو كنز ادى زكاته او لم يؤدها وما دونها فهي نفقة فبشرهم بعذاب اليم) ((٨٤)) .
.###
جزاؤكم هو اعمالكم :. يلاحظ في الاية الثانية عشرة تعبير جديد في هذا الصدد وخلاصته ان

جزاكم يوم القيامة هو نفس اعـمـالـكـم ونـجد هذا التعبير في كثير من الايات القرآنية فتارة يقول تعالى (انما تجزون ماكنتم تعملون) ولقد ورد عين هذا التعبير في الاية١٦ سورة الطور والاية ٧ سورة التحريم .

وقال في الاية ٥٤ من سورة يس (ولا تجزون الا ماكنتم تعملون).

وفي الاية ٩٠ من سورة النمل (هل تجزون الا ماكنتم تعملون).

وفي الاية ٥٢ من سورة يونس (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون).

وهناك تعابير اخرى من هذا القبيل بشي من الاختلاف وبنا على ماجافي ظاهر هذه الايات فان جزا الانسان نفس عمله فاعماله ترجع اليه فتكون سببامافي ازعاجه ومعاناته واما في سعادته وسروره وهذا دليل واضح على مسالة تجسم الاعمال وعودتها الى صاحبها وهذا من العدل الالهي .

وقـد اعـتـبـر بعض المفسرين ان (البا) هي البا السببية فيصبح المعنى (بماكنتم تعملون) اي انما تجزون بسبب الاعمال التي اقترفتموها) ((٨٥)) .

فـي حين ان هذا التعبير على خلاف ظاهر الاية وهو غير جائز من غير دليل ولا علة للتقدير في الايـات الـسالفة الذكر، فما المانع من ان تحضر هناك نفس اعمال الانسان لتشكل القسم الاعظم من جزائه .

يـقـول المرحوم العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان ذيل الاية ٧ سورة التحريم (اي ان العذاب الذي تعذبون به هو عملكم السي الذي عملتموه وقدبرزت لكم اليوم حقيقته)) ((٨٦)) .

يـتـضـح مـن مجموع الايات التي تعرضنا الى تفسيرها اننا اذا لم نتلاعب بظواهرها ولم نؤولها او نـحـملها على معنى آخر ولن نقدر لها اي تقدير كجملة او كلمة وبتعبير اوضح ان فسرنا ظواهر الايـات كما هي عليه توضح بان اعمالنا تتجسد في يوم القيامة وفي محكمة العدل الالهي او المواقف الاخـرى من ذلك اليوم فتتجسم وتبرز امامنا باشكال تناسب تلك الاعمال فتظهر السيئة على صورة مـوجـودات قـبـيـحـة مـخـيفة ومزعجة ، الصالحة فتتجسد على صورة موجودات لطيفة مسلية وهذه وتكون قرين الانسان .

توضيحات :.

.١

ذكر تجسم الاعمال في الروايات الاسلامية :. لـقـد طرحت مسالة التجسم بنطاق واسع في الروايات الاسلامية المنقولة عن الشيعة واهل السنة ، وهـذه الكثرة بلغت الى حد جعل المرحوم الشيخ البهائي يقول في احدى محاضراته (تجسم الاعمال فـي الـنشاة الاخروية قد ورد في احاديث متكثرة من طرف المخالف والمؤالف) وسنتطرق هنا الى بعض من هذه الاحاديث :.

١ ــ ورد في حديث عن الرسول (٩) : روي اصحابنا ((رضي اللّه عنهم))عن قيس بن عاصم قال : وفدت مع جماعة من بني تميم على النبي (٩) فدخلت عليه فقلت : يانبي اللّه عظنا موعظة

ننتفع بها، فانا قوم نعبر في البرية ، فقال الرسول الاعظم (٩) : (ياقيس ان مع العز ذلا، وان مع الحياة موتا وان مع الدنيا آخرة ، فان لكل شي حسيبا، وان لكل اجل كتاب وانه لابد لك ياقيس من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وانت ميت ، فان كان كريما اكرمك ، وان كان لئيما اسلمك ثم لايحشر الا معك ، ولاتحشر الا معه ، ولا تسال الا عنه فلا تجعله الا صالحا فانه ان صلح انست به وان فسد لاتستوحش الا منه وهو فعلك).

وورد في ذيل الرواية ان قيس قال : يارسول اللّه احب ان يكون هذا الكلام ابياتا من الشعر نفتخر بها على من يلينا وندخرها فامر من ياتيه بحسان ، فقال الصلصال (كان حاضرا في المجلس) يارسول اللّه قد حضرني ابيات احسبها توافق ماراد قيس ، فقال هاتها فقال :.

تجنب خليطا من مقالك انما ـــــــــ قرين الفتى في القبر ماكان يفعل .

وان يصحب الانسان من قبل موته ـــــــــ ومن بعده الا الذي كان يعمل ((٨٧)) ٢ ــ في حديث آخر نقله ابو بصير عن الامام الباقر(٧) او الامام الصادق (٧) ((٨٨)) :.

(اذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ست صور، فبهن صوره احسنهن وجها وابهاهن هيئة ، واطيبهن ريحا، وانظفهن صورة ، قال : فتقف صورة عن يمينه ، واخرى عن يساره ، واخرى بين يديه ، واخرى خلفه ، واخرى عند رجله وتقف التي احسنهن فوق راسه ، فان اتى عن يمينه منعته التي عن يمينه ثم كذلك الى ان يؤتى من الجهات الست قال : فتقول التي احسنهن صورة : ومن انتم جزاكم اللّه عني خيرا؟ فتقول التي عن يمين العبد: انا الصلاة ، وتقول التي عن يساره انا الزكاة وتقول التي بين يديه انا الصيام ، وتقول التي خلفه : انا الحج والعمرة وتقول التي عندرجليه انا بر من وصلت من اخواني ، ثم يقلن من انت ؟ فانت احسننا وجها، واطيبناريحا وابهانا هيبة فتقول انا الولاية لال محمد صلوات اللّه عليهم اجمعين).

٣ ــ ورد في حديث عن الرسول (٩) : انه قال :(قال لي جبرائيل :(يامحمد واعمل ماشئت فانك ملاقيه) ((٨٩)) .

٤ ــ وفي حديث آخر عن الرسول (٩) : (ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له من انت ؟ فواللّه اني لاراك امرا صدق ، فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة ((٩٠)) .

٥ ــ في الختام نذكر حديثا ورد عن الامام الصادق (٧) :.

(اذا وضع الميت في قبره مثل له شخص وقال له ياهذا كنا ثلاثة ، كان رزقك فانقطع بانقطاع اجلك ، وكان اهلك فخلفوك وانصرفوا عنك وكنت عملك فبقيت معك ، اما اني كنت اهون الثلاثة عليك) ((٩١)) والاحاديث الواردة في هذا المجال كثيرة ومن جملتها احاديث المعراج حيث لما عرج بالرسول (٩) مر على الجنة والنار فراى كل زمرة من العاصين تعذب بعذاب شبيه باعمالهم كذلك شاهد اعمال الصالحين وهم منعمون برفقة اعمالهم .

ومـــا الاخـــبار الواردة حول الغيبة وتجسمها على صورة قطعة لحم متعفنة يتناولها المغتاب الا دليلا آخر على هذا المعنى .

ويـــمكن ان نستنتج من مجموع الروايات والايات السابقة بان اعمال الانسان تتجسم في عالم البرزخ والـــقـــيـــامـــة في صور متناسبة مع العمل وان تعبير(الذين ياكلون اموال اليتمى ظلما انما ياكلون في بـــطونهم نارا) ((٩٢)) يدل على ان باطن العمل يتمتع بنوع من التجسم فاكل مال اليتيم يتجسم في باطنه على شكل نارمحرقة ومن لم تكن له عين باصرة لايرى حقيقة هذا الامر.

مـــن هـــنـــا نـــقـــول انـــه ليس من الضروري حمل جميع هذه الايات والروايات على المعنى المجازي والكنائي او ايجاد تاويل او تقدير لها مع العلم بانه لايوجد اي مانع من العمل بظواهر مثل هذه الايات وكما سنبين ذلك لاحق.

.٢

تجسم الاعمال في منطق العقل :. الاشكال الاول الذي يرد على مسالة تجسم الاعمال ــ كما يتضح من بعض كلمات المرحوم الطبرسي في مجمع البيان ــ هو ان العمل من جنس ((العرض)) لا((الجوهر)) فلا يحمل خواص المادة ولا هو مادة بنفسه لذا فهو ينعدم بعد حدوثه .

والاشـــكـــال الثاني : هو ان العمل يمحى ويزول بعد وجوده لذا فاننا لانجداثارا من احاديثنا وافعالنا الـــمـــاضية الا ما حدثت تغييرا في بعض المواد الموجودة كتحول الحصى والخشب والجص الى بيت معين ، وهذا ليس بتجسم وانما هو تحول ناشي من العمل (تامل).

ولـــكـــن اذا اخذنا النكتتين ادناه بنظر الاعتبار فسوف تتضح الاجابة عن الشبهتين السالفتين وكذلك تتضح مسالة تجسم الاعمال :.

النكتة الاولى : لقد اثبت اليوم بان المادة لاتفنى بل ان اعمالنا تظهر على شكل طاقات مختلفة . فـــان تـــحدثنا فستنتقل اصواتنا على شكل امواج صوتية الى الفضا المحيطبنا وتصطدم بالاجسام التي تـــعـــترضها من جدران وابنية واجسام اخرى وتتحول الى طاقة اخرى ، ومن الممكن ان يتغير شكل هذه الطاقة مرات عديدة ولكنها لن تفنى ،وما حركات ايدينا وارجلنا الا نوعا من الطاقة وهذه الطاقة (الميكانيكية) لاتفنى ابداوانما تتحول الى طاقة حرارية او طاقة اخرى .

والـــخـــلاصـــة : ليست المادة لاتفنى فقط بل وحتى طاقتها فهي ثابتة ولا تفنى ايضا ولكنها تتحول من شكل الى آخر.

الـــنـــكتة الثانية : وقد تم اثباتها بشكل قاطع من خلال بحوث العلماوتجاربهم وهي : ان هناك علاقة قـــريـــبـــة بـــين المادة والطاقة اي ان المادة والطاقة مظهران لحقيقة واحدة ، فالمادة عبارة عن طاقة (متراكمة) اما الطاقة فهي مادة غير متراكمة (منتشرة) ، لذا يمكن ان تتحول احداهما الى الاخرى تـــحـــت شروط معينة ، فالطاقة الذرية هي تحول المادة الى طاقة ،

وبتعبير آخر ان الطاقة الذرية : هـــي انـــشـــطـــار نـــواة الذرة وتحرير طاقتها الكامنة ، ولقد اثبت العلما بان الطاقة الحرارية للشمس تـــحـــصل نتيجة الانفجارات الذرية فيها ولهذا السبب

تفقد مقدارا كبيرا من وزنها كل اربع وعشرين ساعة ولو ان هذا النقصان ضئيل قياسا بوزن وحجم الشمس .

بـــلا شـــك وكـــمـــا ان الـــمادة قابلة للتحول الى طاقة كذلك الطاقة فانها قابلة للتحول الى مادة اي اذا تراكمت الطاقة المنتشرة فانها تاخذ حالة الجسم المادي .

وعـــلـــى هـــذا الاســـاس لايـــوجد اي مانع من عدم فنا ومحو اعمالنا واقوالناالتي هي طاقات مختلفة وارجاعها مرة اخرى بامر اللّه على صورة جسم .

ومـــن الـــمسلم له ان كل عمل سيكون جسما بما يتناسب مع خواصه وصفاته ، فالطاقات التي تبذل في سبيل الاصلاح وخدمة الناس والتقوى تظهر على شكل صورة جميلة تتناسب مع ذلك العمل .

اما الطاقات التي تستعمل في مجال الظلم والجور والقبائح والفسادفتتجسم على شكل صورة قبيحة مخيفة .

وعـــلـــى هـــذا الاساس تعتبر حالة تجسم الاعمال احدى المعاجز العلمية للقرآن ، وكما اتضح ان بقا الـــطاقة وتحول المادة اليها وبالعكس لم تكن مطروحة آنذاك فان الايات والروايات تحدثت عن هذا الامـــر بـــشـــكـــل واضـــح وبـــنـــا عـــلـــى ذلك لم تكن هناك مشكلة لا من حيث كون الاعمال من جنس ((العرض)) ولا من حيث فنائهاــ كما اشرنا ــ لاتفنى وان العرض والجوهر وجهان لحقيقة واحدة ويـــتـــضح هذا المعنى اكثر بالالتفات الى حركة الجوهر حيث ان القائلين بحركة الجوهر يستدلون بالحركات التي تقع في العرض ويرون ان العرض والجوهر لاينفكان عن بعضهماالبعض .

ومن المناسب ان نشير الى هذه النكتة في نهاية الموضوع .

ان الـــعـــالـــم الفرنسي (لافوازيه) استطاع بعد جهود حثيثة ان يكتشف اصل بقا المادة واثبت ان مواد العالم لاتفنى ابدا بل تتحول من شكل الى آخر.

ولـــم يـــمـــر طـــويلا الا واكتشف (پيركوري وزوجته) ولاول مرة العلاقة بين الطاقة والمادة من خـــلال تـــجاربه على اجسام (راديواكتيف) (وهي اجسام تتكون من ذرات غير ثابتة وتتحول بعض اجزاها تدريجيا الى طاقة) وبهذا الاكتشاف تبدل قانون بقا المادة الى قانون بقا (المادة ــ الطاقة).

وبـــهـــذا تزلزل اصل بقا المادة وحل محله اصل بقا مجموعة (المادة ـــالطاقة) واخذت عملية تحول المادة الى طاقة عن طريق انشطار الذرة بعداعلمياواسع النطاق .

ومـــن خـــلال هذا تبين بان هناك علاقة قريبة بين انشطار المادة والطاقة ويمكن ان تتحول احداهما الى الاخرى ، وبعبارة اخرى ان المادة والطاقة شكلان لحقيقة واحدة .

ان هذا الاكتشاف العلمي الكبير احدث تحولا واسعا في مجال البحوث والتجارب العلمية التي اثبتت وحدة العالم اكثر فاكثر.

ان هذا المبدا في مسالة المعاد وبحث تجسم الاعمال ودفع الاشكالات التي كان الاقدمون يطرحونها حول هذه المسالة كان له اكبر الاثر في ازالة موانع اثبات تجسم الاعمال .

.٣

تجسد اخلاق وسجايا الانسان :.

يستفاد من الروايات الاسلامية اضافة الى مسالة تجسيم الاعمال بان اخلاق الانسان تتجسد ايضا في ذلك اليوم على صورة انسان .

وعـــلى هذا الاساس فان الناس يردون المحشر على صور مختلفة بمايتناسب مع اخلاقهم وطباعهم فـــالـــذيـــن لهم قلوب مملؤة بنور الايمان تظهر وجوههم بيضا ونورانية منيرة ، وبعكس ذلك القلوب المظلمة الذين كانوا يعيشون في ظلمات الكفر فتظهر وجوههم سودا مظلمة كما قال تعالى في كتابه الـــكـــريـــم (يـــوم تـــبـــيـــض وجـــوه وتـــسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فـــذوقـــواالـــعـــذاب بـــمـــا كـــنـــتـــم تـــكـــفـــرون # واما الـــذيـــن ابيضت وجوههم ففي رحمة اللّه هم فيهاخالدون) ((٩٣)) .

وقـــال تـــعالى في موضع آخر فيما يتعلق بمصير المذنبين والظلمة (كانمااغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) ((٩٤)) .

نـــعـــم ، ان ذلـــك اليوم هو يوم الظهور ويوم التجسم فتبرز كل الاخلاق والطباع الداخلية والملكات النفسية ويصطبغ جميع جسد الانسان بلونها الخاص كما قال الشاعر الفارسي :.

كلما يستوطن القلب ، له ـــــــــــ هيئة يوم آبعاث البشر.

وآلذي كنت عليه عاكفا ـــــــــــ فيه تحشر يوم المحشر.

ونقل بعض المفسرين الكبار عند تفسيرهم قوله تعالى في الاية ١٨ سورة النبا (يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا) حديثا عن الرسول (٩)وخلاصته :.

كـــان مـــعاذ بن جبل جالسا بالقرب من رسول اللّه (٩) في منزل ابي ايوب الانصاري ، فقال : يارسول اللّه ارايـــت قول اللّه تعالى (يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا)، فقال : ((يامعاذ سالت عن عظيم من الامـــر ثـــم ارسل عينه ثم قال : عشرة اصناف من امتي يحشرون اشتاتا قد ميزهم اللّه من المسلمين فـــبـــعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم عمي يترددون وبعضهم صم بـــكم لايعقلون وبعضهم يمضغون السنتهم يسيل القيح من افواههم لعابا يتقززهم اهل الجمع ، وبعضهم اشـــد نـــتـــنـــا مـــن الـــجيف الحديث)) فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس ، واما الذين على صـــورة الـــخـــنـــازيـــر فـــاهل السحت والعمى الجائرون في الحكم والصم البكم المعجبون باعمالهم والـــذين يمضغون السنتهم العلما والقضاة الذين خالفت اعمالهم اقوالهم والذين اشد نتنا من الجيف الذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق اللّه تعالى في اموالهم ((٩٥)) .

محكمة الشهود والميزان والحساب . تمهيد :.

ان اهـــم مـــنزل من منازل يوم القيامة مرحلة حساب الخلائق في محكمة العدل الالهي بحضور مختلف الشهود، فتوزن الاعمال هناك بميزان خاص .

نعم هي محكمة تزلزل الجمع ، محكمة تشير الخوف والوجل .

قاضيها وحاكمها هو اللّه جل جلاله ، وشهودها الملائكة المقربون .

محكمة كتابها لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فيسال الانسان فيها عن كل شي حتى عن نياته .

وآيـــات الـــمـــعاد في هذا المجال كثيرة فاحيانا تشير الى اصل محكمة الاخرة والى قاضيها سبحانه وتعالى ، واحيانا اخرى تشير الى الشهود وثالثة الى الميزان ورابعة الى كيفية الحساب في ذلك اليوم .

ان الايـــات الـــقرآنية المتعلقة بهذا الموضوع اضافة الى ماتطرحه من نكات ظريفة ودقيقة في كافة الـــمـــجـــالات فـــانها تحمل رسالة تربوية هامة لها ابلغ الاثر في تنوير القلوب بنور التقوى والهداية وتدفع الانسان الى القيام بمسؤولياته على اكمل وجه لتوصله الى طريق السعادة والتكامل .

بعد هذه المقدمة نرجع الى القرآن الكريم ولنقرا هذه الطائفة من الايات :.

١ ــ (وان كل لما جميع لدينا محضرون) يس ــ٣٢.

٢ ــ (اللّه يحكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون) الحج ــ٦٩.

٣ ــ (فما يكذبك بعد بالدين اليس اللّه باحكم الحاكمين) التين ــ٧ ــ٨.

٤ ــ (فالينا مرجعهم ثم اللّه شهيد على مايفعلون) يونس ــ ٤٦.

٥ ــ (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلا شهيدا)النسا ــ٤١.

٦ ــ (وجات كل نفس معها سائق وشهيد) ق ــ٢١.

٧ ــ (يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون) النور ــ٢٤.

٨ ــ (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا اللّه الذي انطق كل شي) فصلت ــ٢.

٩ ــ (يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها) الزلزال ٤ ــ٥.

١٠ ــ (ونـــضـــع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا ان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين) النبا ــ٤٧.

١١ ــ (والـــوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاؤلئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاؤلئك الذين خسروا انفسهم) الاعراف ــ٨ ــ٩.

١٢ ــ (هذا ما توعدون ليوم الحساب) ص ــ٥٣.

١٣ ــ (ان اللّه سريع الحساب) آل عمران ــ١٩٩، المائدة ــ٤، ابراهيم ــ٥١، غافر ــ١٧.

١٤ ــ (الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين) الانعام ــ٦٢.

١٥ ــ (ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم) الغاشية ــ٢٥ ــ٢٦.

١٦ ــ (اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) الاسرا ــ١٤.

تفسير وفذلكة :.

الجميع محضرون في تلك المحكمة العظمى :. الايـــة الاولـــى تـــتحدث عن حضور جميع الامم امام اللّه تعالى في محكمة عدله ،فبعد ان اشارت الى الاقوام السابقة وكيفية هلاكها بذنوبها، قال

تعالى (وان كل لماجميع لدينا محضرون) ((٩٦)) .

صحيح ، ان الناس وجميع المخلوقات في هذه الدنيا وفي كافة الاحوال ،في محضر اللّه تبارك وتعالى ، فهو حاضر في كل مكان وهو معنا اينما كنا وهو اقرب الى انفسنا منا، ولكن هذه المسالة تتخذ بعدا آخر يوم القيامة فمن جهة يكشف عن جميع حجب الغفلة والجهل فتصبح الابصار حادة قوية والقلوب ذات بصيرة نافذة ومن جهة اخرى تتجلى في ذلك اليوم آثار اللّه اكثر من اي وقت اخر فتقام محكمة عدله وتوضع موازين القسط.

حقا انه مشهد عظيم الكل يحضر ليقف على ماقدم وعمل في الحياة الدنيا، الكل في محضر اللّه تعالى .

وتتحدث الاية الثانية عن حكمه وقضائه تبارك وتعالى بين الناس في ذلك اليوم ، وعن الفصل بين جميع اختلافات ومنازعات الناس في دار الدنيا بمختلف اشكالها والوانها (العقائدية ، او اليومية) قال تعالى (اللّه يحكم بينكم يوم القيمة فيماكنتم فيه تختلفون).

من البديهي ان انواع الحجب التي تحيط بفكر وقلب الانسان في هذه الدنيا (حب الذات ، الانانية ، المصالح الشخصية والطائفية ، العصبية حجاب الذنوب) لاتسمح بحل اختلافات الاقوام والشعوب ، ولكن عندما ترفع جميع هذه الحجب ويصبح الحكم للّه الواحد القهار عند ذلك تنتهي جميع الاختلافات والمنازعات ان المبطلين بعد ازالة هذه الحجب ينقادون ويرجعون الى عقولهم بحيث يصبحوا هم المحاسبون لانفسهم وسنبين ذلك في البحوث المقبلة .

الاية الثالثة ابرزت نفس هذا المعنى بلباس آخر فتحدثت عن الانسان الجحود الذي خلقه اللّه سبحانه وتعالى (في احسن تقويم) وعلى اثر سؤ اعماله سقط في (اسفل سافلين) فتقول الاية (فما يكذبك بعد بالدين) ((٩٧)) اي : اي شي يكذبك ايها الانسان بعد كل هذه الحجج والدلائل بالدين الذي هو الجزا والحساب (او اي شي يكذبك ايها الانسان بعد كل هذه الحجج والدلائل على انكار المعاد).

(اليس اللّه باحكم الحاكمين) اي (اليس اللّه باقضى القاضين فيحكم بينك يامحمد وبين اهل التكذيب بك).

اجل فهو احكم الحاكمين لعلمه المحيط بكل شي فلا تخفى عليه خافية ، فالعلم هو الشرط الاول الذي يجب توفره في الحاكم هذا من جهة ومن جهة اخرى انه تعالى غير محتاج لاحد وليس له مصلحة في شي حتى يقضي لاجله على خلاف الحق .

اما الناس فهم محتاجون فيقعون تحت تاثير المصالح الشخصية اوالجماعية واحيانا العواطف والاحاسيس فيحكمون حكما على خلاف الحق والعدل ، وبما ان اللّه سبحانه وتعالى منزه عن كل ذلك فهو احكم الحاكمين وخيرالفاصلين .

والجدير بالذكر ان كثيرا من التفاسير ذكرت هذه الرواية عن الرسول الاكرم (٩) وهي انه (٩) عندما كان يكمل هذه الايات كان يقول : (بلى وانا على ذلك من الشاهدين).

هذا الحديث هو دليل على التفسير الذي ذكرناه سابقا (تامل).

شهود المحشر :. ورد في الاية الرابعة كلام عن شهود يوم القيامة فاشارت الى الذات الالهية المقدسة فهو تعالى الشاهد الاول ، قال تعالى : (فالينا مرجعهم ثم اللّه شهيد على مايفعلون) ((٩٨)) .

فالمحكمة التي يكون حاكمها اللّه جل جلاله وشاهدها الاول ذاته المقدسة فهل من الممكن ان يغفل عن شي ويفوته عند الحساب ؟ ومن البديهي ان تكون مثل هذه المحكمة محكمة مثيرة للقلق والوجل لالاحتمال الحكم بغير الحق بل بسبب سؤ اعمالن.

لقد فسر بعض المفسرين الشهادة هنا بمعنى الجزا والمجازاة في حين انه لاضرورة لمثل هذا التفسير الذي يخالف ظاهر الاية وذلك لعدم وجود اي مانع لشهادة الذات الالهية المقدسة على اعمال العباد في ذلك اليوم وتعيين شهادته تعالى عن طريق الهام الملائكة المامورين بالحساب .

وقيل : ان شهادة اللّه تكون بانطاق اعضا جسم الانسان فتجيب عماقترف من اعمال في الدني.

الاية الخامسة تحدثت عن شهود المحشر ايضا ولكن كان الكلام فيهايدورحول شهادة الانبيا على امهم وشهادة الرسول الاعظم (٩) على سائر الانبياقال تعالى : (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلا شهيدا).

ومع ان هذه الاية لم تذكر صراحة بان شهدا كل امة هم انبياؤها ولكن القرائن تؤكد هذه المسالة وذلك لان نبي كل امة هو اكثر الناس صلاحية للشهادة على امته كمان الاية الكريمة لم تذكر من المراد بكلمة (هؤلا) اي من هم بالدقة ؟ ولذافقد ذكر المفسرون احتمالات لذلك قال بعضهم : انها اشارة الى قوم الرسول (٩)فهو الشاهد عليهم يوم القيامة ((٩٩)) .

ولكن الكثير من المفسرين قالوا : (هؤلا) اشارة الى الانبيا الذين اشارت اليهم الجملة السابقة وبهذا سيكون الرسول (٩) هو الشاهد على جميع الشهود.

ويطرح هنا هذا السؤال : وهو كيف تكون شهادة الانبيا (:) على اممهم او شهادة الرسول (٩) على الانبيا مع العلم ان معنى الشهود مقترن مع الحضور،وان كل نبي من الانبيا وبضمنهم الرسول الاعظم (٩) جاؤوا في مقطع زمني محدد من تاريخ اممهم ؟.

من الممكن ان يكون المعنى ان ارواحهم في عالم البرزخ ناظرة الى احوال اممهم وهذا ينافي قوله تعالى في الاية ١١٧ من سورة المائدة التي تتكلم عن لسان المسيح (٧) : (وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم) فيتضح من خلال هذه الاية الكريمة ان الشهادة هي تعني الحضور المقترن بالرقابة والتصدي للانحراف وليس بالحضور فقط ، اما فيما يتعلق بالرسول الاكرم (٩) فمن الممكن ان يكون حضور روحه المقدسة على طول تاريخ البشرية هو السبب لهذه الشهادة كما ورد في الروايات ان اول ماخلق اللّه تعالى نورمحمد (٩) : عن علي (٧) ان اللّه تبارك وتعالى خلق نور محمد (٩) قبل ان يخلق السموات والارض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار ((١٠٠)) .

وهناك احتمال آخر في معنى الشهادة وهو مقياس الوزن ، وذلك لان الانسان الانموذج يمكن ان يكون بعمله شاهدا على اعمال الصالحين (الاشخاص الذين تشبه اعمالهم اعمال القدوة) وكذلك شاهدا على اعمال الطالحين وبهذاالمعنى لا ينحصر مفهوم الاية بشهود القيامة .

ومـــن المناسب ان نذكر حديثا للرسول الاكرم (٩) في هذا الصدد فقدروي ان النبي (٩) قال لابن مـــسعود (اقرا القرآن علي) قال قلت يارسول اللّه انت الذي علمتنيه قال : احب ان اسمعه من غيري قـــال ابـــن مسعود فافتتحت سورة النساحتى انتهيت الى هذه الاية بكى الرسول (٩) قال ابن مسعود فامسكت عن القراة ((١٠١)) .

وفـــي نـــقل آخر وفي ادامة لنفس هذه الرواية قال : يارب هذا على من انا بين ظهرانيهم فكيف من لم ارهم ((١٠٢)) .

والـــظـــاهـــر ان بكا الرسول (٩) انما كان للمواقف المرعبة للمحشر ولثقل المسؤولية التي وضعت عـــلى كاهله (٩) الا وهي مسؤولية الشهادة على الحاضرين والاهم منها الشهادة على الغائبين والتي سوف يقدر عليها بالتاييد الالهي .

ولـــقد جا في الاية السادسة حديث عن شهادة الملائكة في تلك المحكمة العظيمة ، قال تعالى (وجات كل نفس معها سائق وشهيد).

السائق : هو الذي يسوق النفوس الى محكمة العدل الالهي .

الشهيد : هو الذي يشهد على اعماله.

ومـــع ان الايـــة الـــكريمة لم تصرح بان هذا (السائق) و (الشهيد) هو من الملائكة او من غيرهم ؟ وفي حال كونه من الملائكة فاي ملك منهم ؟.

ولـــكن القرائن تؤكد بانه من الملائكة حتما نظرا لكونهم الانسب لتحمل مثل هذه المسؤولية الثقيلة وان هـــذا الـــعمل يناسب نفس الملكين المامورين بتسجيل ((الحسنات)) و ((السيئات)) حيث انهما اكثر الملائكة اطلاعا على اعمال بني آدم .

وقـــيـــل : ان الـــســـائق هو ملك الموت الذي يسوق الانسان نحو الموت والشاهد هو عمل الانسان او جوارحه او صحيفة اعماله .

وفسر البعض السائق (بالشيطان) والشاهد بالملك .

ويـــلاحـــظ ان جـــميع هذه التفاسير لاتنسجم مع ظاهر الاية باستثنا التفسيرالاول على اية حال ان الملك الاول هو المانع من الفرار ، اما الملك الثاني فهو المانع من الانكار فيومئذ لامحيص للفرار ولا حيلة لانكار الاعمال .

ويـــمـــكـــن ان نشبه حال هؤلا كمثل حال المجرمين الذين يساقون في هذه الدنيا الى المحكمة ، فهناك مامور يسوقهم من ورائهم وآخر يتقدمهم بصحيفة اعمالهم .

وجـــا فـــي نـــهـــج الـــبلاغة : ان الامام امير المؤمنين علي (٧) قال بعد هذه الاية (سائق يسوقها الى محشرها وشاهد يشهد عليها بعملها) ((١٠٣)) .

ولـــقـــد ورد في الاية السابعة كلام عن (شهادة الجوارح) في تلك المحكمة المرعبة قال تعالى (يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون).
وقال في موضع آخر (يومئذ يوفيهم اللّه دينهم الحق).
امـــا الاية الثامنة فهي تشبه الاية السابقة مع شي من الاختلاف الا وهوحديثها عن شهادة الجلود قال تـــعـــالـــى : (حـــتـــى اذا مـــا جاوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون # وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا # قالوا انطقناااللّه الذي انطق كل شي).
يـــظـــهر من الايات اعلاه ان اللّه سبحانه وتعالى يعطي لاعضا البدن وحتى الجلد القدرة على التكلم والـــنـــطق فكل عضو من الاعضا يجيب عما فعله ، فالاذن تجيب عما سمعت والعين عما رات والجلد عما لمس واللسان عما قال واليد عماانجزت والقدم عن الطريق الذي سلكته فتعترف كل من الاعضا الستة عن الاعمال التي اكتسبته.
ويـــقول بعض المفسرين ان بعض هذه الاعضا يشهد على جميع اعمال الانسان كشهادة الزمان وليس عـــلى اعمال ذلك العضو فقط، وهذا لايتناسب مع ظاهر الايات ومن هنا يتضح انه اذا لم تذكر بعض الاعـــضـــا (كـــالقلب والمخ والشفتين والاسنان بالنسبة للنيات والاغذية والاقوال) فلا يعني ذلك ان الـــشهادة تنحصر بهذه الاعضا الستة وعلى مايظهر ان كل عضو يجيب عن اعماله واي شاهد اصدق من هذا من الواضح ان هذه الشهادة (شهادة الجوارح) ولو انها تنطق بقدرة اللّه سبحانه وتعالى الا انها ليست شـــهـــادة اللّه مـــباشرة ولقد نقل ذلك الفخر الرازي في تفسيره ((١٠٤)) كاحد التفاسير التي قيلت بشان هذه الاية .
ومـــن الـــطـــريف ، طبق هذه الايات ان المذنبين يعاتبون جلودهم :(لم شهدتم علينا) او ـــ كيف شهدتم ضدنا ـــ (السؤال الاول سؤال عن السبب اما السؤال الثاني فهو سؤال عن الكيفية).
امـــا بقية الاعضا الخمسة فلا تسال مثل هذا السؤال ، ولعل السبب في ذلك هو ان شهادة الجلود اكثر عـــجـــبا من سائر الشهادات وانها شهادة غير متوقعة تماما اضافة الى ذلك ان الجلود تلمس بشكل من الاشـــكـــال جـــمـــيـــع الافـــعال ولا تختص بعضو معين لا كما قال بعض المفسرين بان هذه اشارة الى ((الفرج)) فقط.
ونـــخـــتـــم كـــلامـــنا في هذا البحث بالاشارة الى انه يستفاد من بعض الايات الكريمة بان سائر اعضا الـــجـــســـم مـــاعدا ((اللسان)) تشهد على الانسان اولا ، وبعد ان تتضح المسائل يعترف اللسان ايضا بـــالـــحـــقيقة كما ورد ذلك في الاية ٦٥ سورة يس (اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوايكسبون).
الاية التاسعة تتحدث عن (شهادة الارض) على الانسان بما عمل قال تعالى : (يومئذ تحدث اخبارها) (بان ربك اوحى لها).
وبـــهذا تعتبر الارض التي نؤدي عليها اعمالنا احدى اهم الشهادات في ذلك اليوم ، كما ورد ذلك في حديث عن الرسول الاعظم (٦) اذا قال : (اخبارهاان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على

ظهرها تقول عمل كذا وكذا، ويوم كذاوكذا، وهذا اخبارها) ((١٠٥)) .

وقـــال ابـــو سعيد الخدري اذا كنت بالبوادي فارفع صوتك بالاذان فاني سمعت رسول اللّه (٩) يقول (لايسمعه جن ولا انس ولا حجر ولا شجر الا يشهدله) ((١٠٦)) .

واعـــطى بـــعض المفسرين احتمالات اخرى في تفسير الاية : من جملتها ان الارض تخبر عن قيام الـــســـاعـــة فـــي هـــذه الاثـــنا وعندما يشاهد الانسان زلزلة الساعة يقول مالها : (وقال الانسان مالها) ((١٠٧)) .

وورد هـــذا الاحتمال ايضا وهو ان الارض تحدث اخبارها بما اخرجت من اثقالها فتقول (رب هذا ما استودعتني) ، مشيرة الى الابدان التي تلفظه.

ولكن التفسير الاول اضافة الى انه ينسجم مع سياق آيات السورة كذلك يتوافق مع الاحاديث الكثيرة المنقولة عن الرسول الاعظم (٩).

ولـــقد وردت احاديث كثيرة عن الامام علي (٧) بخصوص شهادة الارض على الصلاة وعلى تقسيم بيت المال : حيث قال : (صلوا المساجد في بقاع مختلفة فان كل بقعة تشهد للمصلي عليها يوم القيامة) ((١٠٨)) .

وهـــنا يطرح هذا السؤال كيف تتحدث الارض عن اخبارها ؟ لقد اخذ بعض المفسرين بظاهر الاية بان الارض ستكون في ذلك اليوم وبقدرة اللّه ذات ادراك وشعور وقدرة على النطق فهي تجيب عن الـــحوادث التي جرت على ظهرها ولاعجب من هذا الامر، حيث (وان الدار الاخرة لهى الحيوان) ((١٠٩)) فحياة القيامة هي الحياة الحقيقية فكل شي يصبح حيا وحتى الارض فمن الممكن ان يكون لها نوع من الادراك والشعور.

وقـــيـــل ان المراد : هو ان اللّه سبحانه وتعالى يخلق فيها امواجا صوتية ففي الواقع ان المتحدث هو اللّه ســـبـــحـــانـــه وتعالى (ويمكن ان نشبه هذا المعنى باشرطة التسجيل حيث ان المتكلم ليس جهاز التسجيل وانما هو الانسان الذي سجل الشريط).

وهـــنـــاك احـــتمال آخر : هو ان المقصود من (حديث الارض) هو اظهار آثارالاعمال التي اكتسبها الانسان على ظهرها حيث ان لكل عمل آثار.

وانسب هذه التفاسير هو التفسير الاول :.

نـــســـتـــنتج من مجموع الايات السالفة الذكر ان في يوم القيامة بالاضافة الى شهادة اللّه تبارك وتعالى بالنسبة لاعمال العباد كذلك تشهد الانبيا والملائكة والجوارح والارض .

ميزان الاعمال :. الايـــة الـــعاشرة ناظرة الى مسالة ((ميزان الاعمال)) قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا).

فكل شي يوزن بهذا الميزان كبيرا كان ام صغيرا حتى وان كان بمقدار حبة من خردل فسوف ياتي به اللّه تعالى للحساب .

وحـــبـــة الـــخردل : حبة صغيرة جدا خفيفة الوزن وتضرب بها الامثال لصغرحجمها وخفتها ،

وهي اشارة الى اصغر الاعمال اي كل شي في ميزان حتى صغائرالاعمال .

مــوازيــن : جــمع ميزان وهو الوسيلة لقياس الاشيا وهذا التعبير يدل على ان في ذلك اليوم لايوجد مــيــزان واحــد لــلاعمال بل هناك عدة موازين قيل : من الممكن ان يكون لكل انسان ،او امة او عمل ميزانا ، فالصلاة مثلا توزن بميزان وكذلك الصيام والحج والجهاد اي لكل واحد منها ميزان خاص .

وقــيــل : ان الــمــيزان هو واحد لا اكثر ((١١٠)) والدليل على هذا القول بعض الروايات في هذا المجال (وسنعرض لها لاحقا) وما صيغة الجمع (موازين) الا لبيان عظمة الميزان حيث يعادل الاف الــمــوازين ولكن ــ وكما سنتطرق الى ذلك ــ لايوجداي دليل على هذا التفسير الذي يخالف ظاهر الاية بل هناك عدة ادلة على تعددالموازين .

وما يجب معرفته هنا هو ان ميزان القيامة هو كالموازين الدنيوية لكل ميزان كفتان ولكن يختلف عنها بكبره وعظمته ؟.

واذا كان الامر كذلك فكيف توزن الاعمال وهي لا وزن لها؟.

هناك عدة آرا في هذا المجال :.

فقيل ان ما يوزن هو صحيفة الاعمال ، وقيل : ان الاعمال تتسجم يوم القيامة ويصبح لها وزن .

والــخــلاصة ان الذين يعتقدون بان موازين القيامة تشبه موازين هذه الدنياقد اجبروا على القول بان هناك نوعا من الاوزان والاثقال حتى يمكن وزنها بمثل هذه الموازين .

ولــكن القرآن يدلل بان المقصود بالميزان هو وسيلة لقياس الاوزان بمعناهاالعام وذلك لاننا نعلم ان لــكــل شــي وســيــلة وزن تناسبه فمثلا وسيلة قياس الحرارة يقال لها ميزان الحرارة او المحرار ووسيلة قياس الهوا ((ميزان الهوا)) او المحرارايض.

وبــنــا على ذلك فان المراد بــ (موازين الاعمال) هم الذين تقاس اعمال الاخيار والاشرار باعمالهم كما ينقل المرحوم العلامة المجلسي عن الشيخ المفيد(ان امير المؤمنين والائمة من ذريته (:) هم الموازين) ((١١١)) .

وقــد نــقل في (اصول الكافي ومعاني الاخبار) عن الامام الصادق (٧) ان شخصا سال الامام الصادق (٧) عــن مــعــنى الاية اعلاه فقال : (هم الانبياوالاوصيا :) ((١١٢)) ونقرا في احدى الزيارات المطلقة لامير المؤمنين (٧) قوله : (السلام على ميزان الاعمال) ((١١٣)) .

فان هذه الشخصيات العظيمة موازين الاعمال فالاعمال التي تشابه اعمال هذه الشخصيات تعتبر ثقيلة فــي الــمــيــزان والاعــمــال التي لا تشابه مع اعمالهم تعتبرخفيفة او لاوزن لها اصلا فاوليا اللّه هم موازين الاعمال في هذه الدنيا ولكن تبرزوتتجسد هذه المسالة في العالم الاخر.

ومن هنا اتضح الجواب عن سبب ورود (الموازين) بصيغة الجمع لكون هؤلا العظما متعددين .

وهناك روايات ومسائل اخرى في مجال (ميزان الاعمال) وسوف نتعرض لها في فقرة التوضيحات .

الاية الحادية عشرة جات مكملة ومفسرة لموضوع ميزان الاعمال :.

(والــوزن يــومــئذ الــحق # فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بياتنا يظلمون).

والــجــديــر بــالذكر ان اللّه سبحانه وتعالى جعل لكل انسان عددا من الموازين ، وهذا التعبير يؤيد التفسير الذي يقول ان لكل عمل ميزان وهناك احتمال :بان لكل من الروح والجسم والاقوال والافعال ميزان خاص وهذا المعنى على القول بان الموازين جمع ميزان ، في حين يرى البعض ان موازين جمع مــوزون (يعني الشي الذي يوزن وهي نفس اعمال الانسان) فمن المسلم ان يكون لكل انسان والحالة هــذه موازين ، اي ان له اعمال متنوعة توزن في ذلك اليوم ، لكن هذا المعنى يبدو بعيدا نظرا لذهاب اغلب ارباب اللغة والمفسرين الى ان الموازين جمع ميزان دلت الروايات السالفة الذكر ان الموازين بمعنى وسائل لقياس الوزن ، وبناءعلى هذايكون ثقل الموازين بسبب ثقل الاعمال التي توضع فيه.

وهناك بحث آخر حول ميزان العدل في يوم القيامة سنتطرق اليه في فقرة التوضيحات .

السرعة في الحساب :. تــحــدثت الاية الثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة عن يوم الحساب وسرعة الاعمال في ذلك اليوم من قبل اللّه تعالى .

ولــقد تحدثت الاية الاولى بعد ان اشارت الى الايات التي قبلها الى جنات عدن وما فيها من نعم كثيرة من اطعمة واشربة ، وحور عين فقالت (هذا ماتوعدون ليوم الحساب).

ان مسالة الحساب يوم القيامة مسالة واضحة جلية بحيث ان ذلك اليوم يسمى بيوم الحساب ((١١٤)) .

ولقد ورد في الاية التي بعدها حديث عن سرعة الحساب (ان اللّه سريع الحساب) وكذلك ورد هذا الــمــعــنى في آيات عديدة من القرآن الكريم ((١١٥)) وهذاالتكرار يدلل على اهمية وعظمة هذه المسالة ، فمن جهة انها بشرى للصالحين حيث تخبرهم هذه الايات بانهم ينالون جزاهم بسرعة ، ومن جهة اخرى ان هذه المسالة هي وعيد للكافرين والاشرار بان مجازاتهم لن تتاخر ابدا وسوف ينالون مصيرهم بسرعة كذلك .

ولقد ورت حول هذا الموضوع (سرعة الحساب) روايات مثيرة نذكر منها :.

ورد فــي حــديــث عن امير المؤمنين علي (٧) ((انه سبحانه يحاسب جميع عباده على مقدار حلب شاة)) ((١١٦)) .

هــذا الــتــشــبيه في الحقيقة يدل على قصر فترة الحساب لذا جا في رواية اخرى (ان اللّه يحاسب الخلائق كلهم في مقدار لمح البصر) ((١١٧)) .

ان ســبــب هــذه السرعة واضح حيث ان الحساب منوط بالعلم والاطلاع الكامل ومنوط ايضا بالقدرة الخارقة ورعاية العدالة .

وبما ان اللّه سبحانه وتعالى يمتلك الحد الاكمل من هذه الصفات لذا فانه تعالى له القدرة على

محاسبة جميع الناس في لمحة بصر.

ان وضـــع اعمال الانسان والاثار التي تتركها في روحه وجسمه خالدة الى الابد فهي تحتفظ بنفسها حـــســـاب جـــمـــيع الاعمال ويمكن تشبيهها من هذه الجهة بالسيارات او الطائرات او السفن حيث من الـــمـــمـــكن حساب جميع ماقطعته السيارة او الطائرة من خلال طيلة عمرها من خلال العداد (جهاز الـــكـــيـــلـــومتر) فكذلك حساب اعمالنا فلن تحتاج الا الى نظرة واحدة لترى وتقرا هذا المقياس في وجود الانسان وعينه واذنه ويده ورجله وروحه .

ان كل هذه التعابير لها اهداف تربوية هامة ، ويتضح هذا بشي من التامل والتدبر في هذه الايات .

لـــقد تحدثت الاية الخامسة عشرة عن حساب اعمال العباد من قبل اللّه تبارك وتعالى فقالت صراحة : (ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم).

في حين ان الاية السادسة عشرة تقول : (اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ولكن لايوجد اي تضاد او منافاة بين الاثنتين .

فـــالـــحـــســـيب الاصل هو اللّه تبارك وتعالى ولكنه يقول للانسان ايضا انت تستطيع ان تحاسب نفسك بنفسك وفي النتيجة تكون جميع المحاسبات واحدة لاتحيد عن الحق والعدل لماذا؟.

لان ادلة الحساب في غاية الوضوح والجزا معين ، والقوانين الالهية في ذلك اليوم صريحة جلية فلا مجال للاستنباطات النظرية التي هي منشا الاختلافات في احكام القض.

ومـــن الـــجـــدير بالذكر ان كلمتي ((الينا)) و ((علينا)) اللتين وردتا في : (ان الينا ايابهم) (ثم ان عـــلينا حسابهم) ، خبر مقدم تفيدان الحصر ، اي رجوعهم الينا وحدنا، وسيكون حسابهم علينا فقط وبهذا الترتيب ان هذا تنفي جميع الاحتمالات والاشكالات الاخرى على اية حال ان هذا وعيد للكفار والمجرمين الذين اعرضوا عن آيات الحق وقد اشارت الى هذا المعنى الايات التي تسبق هذه الاية .

ويـــمكن ان تكون هذه الايات بشرى لاوليا اللّه الذين يعلمون بان حسابهم على اللّه وسوف يرجعون الـــى مـــحـــبـــوب قـــلوبهم فيجزيهم الجزا الاوفى ، وان كان عندهم زلل او خطا فهو يغفر لهم بلطفه وكرمه وهناك نكتة اخرى جديرة بالاهتمام حيث ورد في بعض الروايات والزيارات ان اياب الخلق وحسابهم على علي (٧)والائمة المعصومين (:) ولقد انتقد هذا الاعتقاد بعض مفسري اهل السنة مثل الالوسي في روح البيان حيث قال بان هذا الكلام يتنافى مع ماورد في الايات اعلاه .

فـــي حين نحن نعلم بان الامام علي والائمة المعصومين (:) كلهم مطبقون لاوامر اللّه واحكامه وبنا عـــلـــى ذلـــك يصبح حسابهم هو حساب اللّه تعالى وحكمهم كحكم الاعمال التي تقوم بها الملائكة في عـــالـــم ((الـــتـــكـــوين)) و ((التشريع))وتنسب جميع هذه الاعمال الى اللّه سبحانه وتعالى لحكم حصولها بامره ، وفي نفس الوقت تنسب الى الملائكة ايض.

وهناك شبهة اخرى مشهورة طرحها هؤلا في هذا الصدد وهذه الشبهة هي ((مابالعرض)) و ((ما بـــالذات)) وبتعبير اوضح انه لا احد يزعم بان حساب الخلائق وايابها ينسب الى علي والائمة (:) بـــصـــورة مـــســـتقلة بل ان الكل يقول ان هذا الفعل بذاته يختص باللّه وينسب بالواسطة الى علي (٧) والائمة (:) وهذه المسالة لاتختلف عن مسالة الشفاعة وعلم الغيب وغيرها من المسائل فجميع هذه الامورتنسب بالذات الى اللّه تعالى وتنسب بالعرض للانبيا والاوصياوالملائكة .

ومـــن العجب ان الالوسي ((١١٨)) قد التفت في آخر كلامه بشكل عابر الى هذه النكتة ولكنه عاد وادار مـــسير الحديث معترضا بقوله ان كان المقصود هذا فلماذايختار عليا (٧) لادا هذا العمل من بين الانبيا والمرسلين والملائكة المقربين ((١١٩)) .

الاجـــابـــة عـــن هـــذا السؤال واضحة : وهي ان الامام علي (٧) رجل شامخ وذو درجة رفيعة وكان مجهول القدر بين الامة الاسلامية فشا اللّه تعالى ومن هذه الطريق ان يبرز مقامه الرفيع لكافة الناس .

والشاهد على هذا الكلام ان هناك روايات كثيرة رويت عن طرق اهل السنة تدلل بان الرسول (٩) قال بحق الامام علي (٧) ياعلي انت قسيم النارو الجنة .

ومن جملة هذه الاحاديث :.

١ ــ يـــنـــقـــل ((ابن المغازلي)) في كتاب ((ؤمنين ٧)) عن رسول اللّه (٩) انه قال : ((انك قسيم الجنة والنار)) ((١٢٠)) .

٢ ــ ورد نفس هذا المعنى ايضا عن رسول اللّه (٩) في مناقب الخوارزمي ((١٢١)) .

٣ ــ يـــنـــقل ابن حجر في الصواعق المحرقة عن (الدار قطني)، قال الامام علي (٧) ضمن خطاب طويل في الشورى التي اوصى بتشكيلها عمر (ستة اشخاص) : هل فيكم رجل غيري ، قال الرسول بحقه : (ياعلي انت قسيم الجنة والنار ؟ ((١٢٢)) .

٤ ــ لـــقـــد خـــصـــص ((الحافظ سليمان القندوزي الحنفي في كتابه ((ينابيع المودة)) بابا تحت هذا الـــعـــنـــوان (فـــي بـــيان كون علي (٧) قسيم الجنة والنار) ونقل في هذا الباب الكثير من الروايات ((١٢٣)) .

٥ ــ لقد نقل (ابن الاثير) في كتابه ((النهاية)) هذا الحديث .

٦ ــ يلاحظ هذا المعنى صراحة في الشعر المنسوب للامام الشافعي :.

علي حبه جنة ـــــــــــ قسيم النار والجنة .

وصي المصطفى حقا ـــــــــــ امام الانس والجنة ((١٢٤)) وهناك احاديث كثيرة في هذا المجال .

مـــع كـــل هذه الادلة فكيف يجرؤ الالوسي في روح المعاني ويقول ان هذاالحديث كذب وافترا على علي (٧) ؟ لماذا يمنع التعصب باب التحقيق العلمي ؟.

توضيحات :.

.١

منظر عام للمحكمة الكبرى :. مــن الــمعلوم ان سجنا هذه الدنيا لايمكنهم ادراك الحقائق المتعلقة بالقيامة بشكل تفصيلي ، وذلك لان عــالــم القيامة عالم فوق هذا العالم وهو اعلى حتى من ان نتصور المفاهيم المهيمنة عليه العالم ومثل هذا كمثل الطالب الابتدائي حيث لايمكنه ان يتصور العلوم الجامعية الواسعة .

ومع هذا يمكننا ان نرسم على ضؤ الايات والروايات الواردة في هذاالمجال صورة اجمالية عن هذه المحكمة .

ان عالم الاخرة عالم يكشف فيه عن جميع الحقائق المستورة عالم تعم الحياة فيه كل شي ، وكل مكان ، وحــتــى الــجــمــادات اليد، الرجل ، العين ، الاذن ،وحتى الجلد وسائر اعضا البدن كلها تصبح ناطقة وتــجــيــب عــن الاعمال التي اكتسبهاالانسان في الدنيا، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى تتجسم امام الانــســان جــمــيع اعماله ،وتعرض صحف الاعمال بخطوط غير قابلة للانكار ويؤتى بالشهود من الملائكة والانبيا والاوصيا، والاهم من هذا كله شهادة الذات الالهية المقدسة على اعمال الانسان .

نعم : انها عرصات مرعبة مخيفة فيحاسب الانسان على كل شي وحتى عن الاعمال التي بمقدار حبة خــردل او مــثــقــال ذرة فــتبدو في صحف الاعمال حتى النيات وفي لحظة واحدة يتم حساب جميع الــخــلائق وتــظــلــل رايــة الحق والعدل جميع ارجا هذه المحكمة العظيمة ، فيحضر فيها الصغير والــكــبــيــر حــتــى الانــبياوالمرسلون فتطوى جميع الخلافات وينهى كل جدل ويحق حق جميع مظلومي العالم ويرى الناس باعينهم الكثير من الحقائق التي ماكانوا يصدقون بها من قبل .

ان الايــمــان والاعــتقاد بهذه الحقائق له آثار تربوية عميقة في الانسان فتنقذه من الضياع والحيرة وتخمد الشهوات وتقضي على المفاسد وتصنع من هذا الانسان ــالمادي ــ ملاكا طاهر.

وفي الحقيقة ان الهدف من عرض هذه الايات هو نفس هدف القرآن الكريم في بنا الانسان وتزكيته .

.٢

شهود يوم القيامة :. كــمــا قــرانــا في الايات السالفة الذكر ان شهدا تلك المحكمة كثيرون وعلى راسهم الذات الالهية المقدسة .

ثم الانبيا والمرسلون .

وبعدهم الملائكة المقربون .

وبعدهم اعضا وجوارح الانسان .

ثم الارض التي نعيش على ظهره.

اضافة الى ذلك فقد اشارت الروايات الاسلامية الى شهدا آخرين ومن جملتهم :.
الاوصيا والائمة المعصومين :.
نقرا حديثا ورد عن الامام الصادق (٧) حول ذيل الاية ٤١ سورة النسا :(فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلا شهيدا) قال : نزلت في امة محمد (٩) خاصة شاهد عليهم ، ومحمد شاهدعلينا ((١٢٥)) .
مـــن الـــممكن ان يكون ذكر امة محمد (٩) خاصة للتاكيد اي ان هذه الامة خاصة يوجد في كل قرن امام معصوم يشهد عليه.
وبنا على ذلك هذا لايتنافى مع شهادة الرسول الاعظم (٩) على الانبيا السابقين .
والشاهد السابع من شهود المحشر كما تنقل بعض الروايات هو ((الزمان))فقد ورد في رواية عن امـــيـــر المؤمنين علي (٧) قال : مامن يوم يمر على ابن آدم الاقال له ذلك اليوم يابن آدم انا يوم جديد وانـــا عـــليك شهيد فقل في خيرا، او اعمل في خيرا اشهد لك به في يوم القيامة ، فانك لن تراني بعده ابدا ((١٢٦)) .
ومن هنا يطرح هذا السؤال : لماذا كل هذه الشهود؟.
الارض والزمان والملائكة والرسل وجوارح الانسان والاهم من هذا كله شهادة اللّه تبارك وتعالى الا تكفي شهادة اللّه وحدها ؟.
نعم : انها كافية لانه (احسن الناظرين) و (احكم الحاكمين) (وعالم السروالخفيات).
ولكن الهدف من كل هذه الشهادات هو تربية الانسان وتزكيته ، فكلما كان عدد الشهود والمراقبين لـــلانـــسان اكثر زاد من تاثيرها التربوي على الانسان ، من هنانرى ان اللّه سبحانه وتعالى زاد عدد الشهود وجعلهم يحيطون بالانسان ويقفون على اعماله بشكل تام .
بـــلا شـــك انـــه يـــكـــفي للمؤمن الالتفات الى احد هؤلا الشهود ليكون مراقبالاعماله فكيف وكل هذه الشهود؟.
ان عمل الشهود ليس له بعد تكليفي (اداري) حتى نقول لماذا نصب هذاالعدد من الشهود لعمل واحد ؟ وانـــمـــا هـــي سلسلة حقائق غيبية خارجية حيث ان اعمالنا تترك اثرا على اعضا جسمنا فجلودنا وجـــوارحـــنـــا والـــمـــحيط الذي يحيط بناوالارض التي نمشي عليها والزمان الذي نعيش فيه كمثل الـــشريط يحفظ ويسجل آثارعمرنا باكمله ان حضور الملائكة او شهادة الارواح الطاهرة للانبيا والاوصـــيـــا هـــي احـــدى الـــحـــقائق التي تنبع من قدرة ارواحهم وعظمتها، وان حضور اللّه تبارك وتعالى ايضا في كل مكان وكل زمان حقيقة غير قابلة للانكار.
لـــقد تمكن العلما اليوم من خلال التجارب والبحوث التي اجروها على الطبقات الارضية والحيوانات الـــمـــطمورة بين طياتها والاثار الباقية من الانسان القديم من اكتشاف حقائق عن هذه الحيوانات فقد وقـــفـــوا عـــلى كيفية معيشتها وطراز حياتهافي تلك العصور السحيقة وكتبوا

عنها الكثير من الكتب والمقالات .

فــاذا تــمــكــن الانــســان بعلمه المحدود ان يتكلم عن مثل تلك الحوادث ويكتشف الكثير من حقائق الــحــيوانات ، والانسان القديم من خلال آثارها الباقية ، في حين ان الدنيا دار الخفيات والاخرة دار الظهور ويوم البروز اذن فكيف ستكون القيامة ؟.

من هنا عندما يتامل الانسان بدقة في هذه المسائل ويفكر في عمقهاوعظمتها حقا حقا انها تهزه ولعله يصرخ واغفلتاه اهكذا عملت مع كل هذه الشهود ؟ ٣.

ماهو ميزان العمل ؟. يــقول المرحوم الشيخ المفيد (٢) : (ليس الامر في معنى ذلك على ماذهب اليه اهل الحشو من ان في الــقــيــامــة مــوازيــن كموازين الدنيا لكل ميزان كفتان توضع الاعمال فيهما والخبر الوارد ان امير الــمــؤمــنــين والائمة من ذريته هم الموازين فالمرادانهم المعدلون بين الاعمال فيما يستحق عليها والــحــاكــمــون فيها بالواجب والعدل) ((١٢٧))

ولكن بعض المفسرين ردوا هذا الكلام وقالوا ان الــمــيــزان فــي الاخــرة كــموازين الدنيا فنوضع الاعمال فيها ، حيث تصبح الاعمال ذات وزن او توزن صحف الاعمال التي لها وزن .

ويــقــول الــبــعــض كالعلامة المجلسي (٢) : (نحن نؤمن اجمالا بالميزان امافيما يتعلق بجزئياته وكيفيته فلا نقول شيئا من عندنا).

روي ان داود (٧) سـال ربـه ان يـريه الميزان فاراه ، كل كفة كما بين المشرق والمغرب ، فغشي عليه ، ثم افاق فقال الهي ملاتها بثمرة ((١٢٨)) .

وجـا فـي حـديـث آخـر عـن الامـام الـصـادق (٧) : انه سئل عن الميزان ،فقال : الميزان العدل ((١٢٩)) من هنا يطرح هذا السؤال كيف يكون الجمع بين كل هذه الاحاديث ؟ فقدورد في بعضها : ان الميزان بمعنى الوجود المقدس للائمة المعصومين (:) وفي حديث آخر بمعنى العدل وفي حديث داود : (كل كفة كما بين المشرق والمغرب)وفي الظاهر ان هذه الاحاديث الثلاثة متضادة ، ولكن اذا اخـذنـا هذه النكتة بنظرالاعتبار فسوف يزول هذا الاختلاف الصوري ، ان حقيقة الميزان هي العدل الالهي وان الرسول الاعظم (٩) والائمة الاطهار (:) هم مظهر عدله تعالى ومن جهة اخرى اننا نعلم انه (بالعدل قامت السموات والارض) ((١٣٠)) .

ومـن هـنـا يـتضح سبب دهشة داود عند مشاهدته لعظمة الميزان وذلك لان راى عظمة مقام العدل ومقامات محمد وآله (:) بحيث وجد اعماله لاشي قباله.

ومن الطريف ان هذا الميزان وبهذه العظمة يمتلئ بثمرة واحدة اذا كان فيها روح الاخلاص فتوجب رضا اللّه تبارك وتعالى .

ويـعـتـقد بعض المحققين : ان الائمة المعصومين واوليا اللّه بمنزلة كفة الميزان الاولى ، واعمال الانسان وعقائده ونياته بمنزلة الكفة الاخرى فيوازن بينهمايوم القيامة .

ويـمكن ان نستفيد من هذا الكلام من خلال الايات القرآنية التي تذكر (من خفت موازينه) او (فمن ثـقلت موازينه) او التعبير الذي ورد في سورة الكهف (فلانقيم لهم يوم القيمة وزنا) حيث ان خفة مـوازيـن هـذه الطائفة ناشئة من عدم امتلاك الاعتقادات الحقة والاعمال الصالحة واما ثقل موازين الطائفة الاخرى فهي ناتجة عن امتلاك الرصيد الثقيل من الاعمال الصالحة والاعتقادات الحقة وعلى اية حال تقام الموازنة بين الناس من جهة واوليا اللّه من جهة اخرى فكلما كانت اعمالناوعقائدنا شبيه ومقاربه لاوليا اللّه فسيكون ميزان عملنا ثقيلا (تامل).

.٤

ماهي الاعمال الثقيلة في الميزان ؟. تـلاحـظ في الروايات الاسلامية تعابير مختلفة حول الاعمال الثقيلة في ميزان العدل الالهي ، وهذه الاعـمال هي موجبات النجاة ونيل الكرامة في يوم القيامة ،وتجسد هذه الاعمال نظرية الاسلام في المسائل المختلفة ومن جملة هذه الاعمال ماياتي :.

١ ــ ورد عـن الرسول الاكرم (٩) : (مامن شي يوضع في الميزان اثقل من حسن الخلق وان صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة) ((١٣١)) .

٢ ــ وجـا فـي حديث آخر عن الرسول (٩) في باب الشهادة بوحدانية اللّه ونبوة الرسول (٩)انه قـال (خف ميزان ترفعان منه وثقل ميزان توضعان فيه) ((١٣٢)) ٣ ــ وفي حديث

آخر عن الامام الــباقر او الصادق (٨) قال : (ما في الميزان شي اثقل من الصلاة على محمد وآل محمد وان الرجل لتوضع اعماله في الميزان فتميل به فيخرج الصلاة عليه فيضها في ميزانه فيرجح به).

٤ ــ ورد في بعض الروايات ((١٣٣)) (ان بعض الاذكار مثل الحمد للّه وسبحان اللّه واللّه اكبر وكذلك لا اله الا اللّه تملا ميزان العمل يوم القيامة) ((١٣٤)) .

ويــســتفاد من الاحاديث السابقة بان العمل قد يكون صغيرا ولكن له اهمية كبيرة يجعل ميزان العمل ثــقــيــلا ويــملا كفتيه وهذا بسبب الاهمية العظيمة التي يوليهاالاسلام لمثل هذه الحقائق (حقيقة الــتوحيد) (حقيقة محمد٩) (حقيقة التسبيح)وكذلك الارتباط المعنوي بمحمد وآل محمد(٩) او (حسن الخلق)وغيره.

ولقد قرانا في بعض الاحاديث السابقة ان تمرة واحدة تنفق باخلاص لوجه اللّه تعالى وابتغا مرضاته تملا كفة ميزان العدل الالهي الذي يملا مابين المشرق والمغرب .

٥ ــ يــستفاد من بعض الروايات ان الناس يوضعون في الميزان ويوزنون فذكر المرحوم الطبرسي في مجمع البيان ذيل الاية ١٠٥ الكهف قال : ورد في رواية صحيحة ان الرسول (٩) قال :(انه لياتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن جناح بعوضة).

والــسبب واضح وهو ان هؤلا وعلى الرغم من حسن ظاهرهم لكن اعمالهم وافكارهم وشخصياتهم كانت في هذا العالم فارغة جوف.

.٥

المسائل التي يسال عنها يوم القيامة :. هــناك روايات كثيرة تتعلق بالامور التي يسال عنها يوم القيامة وكل واحدة من هذه الروايات تحتوي على تعابير عميقة المعنى ، وان دراسة هذه الراوايات له ابلغ الاثر في تربية الانسان وابراز معالم القيم الاسلامية .

ومن هذه الروايات مایاتي :.

١ ــ جا في حديث للرسول الاكرم (٩) انه قال : (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسال عن اربع : عــن عــمــره فــيــما افناه وشبابه فيما ابلاه ، وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه ، وعن حبنا اهل البيت) ((١٣٥)) .

٢ ــ وجــا فــي حــديث آخر عن الرسول الاعظم (٩) انه تفتح للعبد يوم القيامة على كل يوم من ايام عــمره اربعة وعشرون خزانة ــ عدد ساعات الليل والنهار ــفخزانة يجدها مملؤة نورا وسرورا فينالله عن مشاهدتها من الفرح والسرور ما لو وزع على اهل النار لادهشهم عن الاحساس بالم النار ، وهي الساعة التي فيها اطاع ربه ــ ثم يفتح له خزانة اخرى فيراها مظلمة منتنة مفزعة فينالله عن مشاهدتها من الفزع والجزع ما لو قسم على اهل الجنة لنغص عليهم نعيمها وهى الساعة التي عصى فيهاربه ثم يفتح له خزانة اخرى فيراها فارغة ليس فيها ما يسره ولا مايسوؤه وهي الساعة التي نام فيها او اشتغل فيها بشي من مباحات الدينا فينالله من الغبن

والاسف على فواتها حيث كان متمكنا من ان يملاها حسنات ما لايوصف ومن هذا قوله (ذلك يوم التغابن) ((١٣٦)) .

٣ ــ وجــا في حديث آخر للرسول الاعظم (٩) : (انا اول قادم على اللّه ثم يقدم علي كتاب اللّه ثم يــقــدم عــلــي اهــل بــيتي ، ثم يقدم علي امتي فيقفون ، فيسالهم مافعلتم في كتابي واهل بيت نبيكم) ((١٣٧)) .

٤ ــ وجــا في حديث آخر : (اول ما يحاسب به العبد الصلاة فان قبلت قبل ماسواها) ((١٣٨))

٥ ــ وجا في حديث آخر : (ان اول مايسال عنه العبد يوم القيامة عن جلسائه) ((١٣٩)) .

فمن الممكن ان يشعر القاري بان هناك تضادا فيما يتعلق باول مايسال عنه الانسان يوم القيامة فاذا كان احــدهــمــا هــو الاول فكيف يكون غيره الاول ايضا ، ولكن يظهر ان المراد بان هناك مجموعة من الاعــمــال يــســال عنها ضمن المرحلة الاولى ،وكل الذي ورد في هذه الاحاديث انما من اجزا هذه الــمــجــمــوعــة ، ومن المعلوم ان هذه الاحاديث توضح اهمية الموضوعات المذكورة في المنظور القرآني ، اي توضح اهمية (التوحيد ، والنبوة ، وحب اهل البيت ، والصلاة ، والجلسا).

ويــوجــد احــتــمال آخر بان هناك مواقف عديدة يوم القيامة واول ما يسال عنه في كل موقف من هذه المواقف هو احد هذه الامور.

٦ ــ وجــا فــي حــديــث آخــر عــن امير المؤمنين (٧)انه قال : (اتقوا اللّه في عباده وبلاده فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم) ((١٤٠)) .

يخبر هذا الحديث بان الانسان مسؤول حتى عن البيئة والحيوانات وسوف يسال عنها يوم القيامة .

٦.

اليسر والعسر في حساب المحشر :. نــســتــفــيد من مجموع الروايات وحتى الاشارات الواردة في بعض الايات القرآنية ان حساب يوم القيامة حساب دقيق للغاية وجا في حديث عن الامام الصادق (٧) ((١٤١)) انه قال لرجل : (يا فلان مــالك ولاخيك ؟ قال : جعلت فداك كان لي عليه حق فاستقصيت منه حقي ، قال ابو عبداللّه : اخبرني عــن قول اللّه (وتخافون سؤ الحساب) اتراهم خافوا ان يجور عليهم او يظلمهم ؟ لا واللّه خافوا الاستقصاوالمداقة).

وفي حديث آخر عن الامام الباقر (٧) قال : (انما يداق اللّه العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ماآتاهم من العقول في الدنيا) ((١٤٢)) .

ونــســتــفــيد من هذا التعبير ان هناك علاقة متينة بين ((مستوى الفهم والادراك))و((التكليف)) فالحساب يكون على قدر العقول .

وفيما يقابل هذه الطائفة (ذات الحساب العسير) طائفة اخرى يكون حسابها يسيرا للغاية قال تعالى : (فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابايسيرا) الانشقاق ــ٧ ــ٨.

وورد فـــي حديث عن الرسول (٩) انه قال : (ثلاث من كن فيه حاسبه اللّه حسابا يسيرا ، وادخله الجنة برحمته : تعطي من حرمك وتصل من قطعك ، وتعفوعمن ظلمك) ((١٤٣)) .

ويـــســـتـــفـــاد مـــن بعض الروايات ايضا ان (حسن الخلق) يخفف من حساب يوم القيامة ، قال الرسول الاكرم (٩) : (حسن خلقك يخفف اللّه حسابك) ((١٤٤)) .

عـــلـــى ايـــة حال يستفاد من كل هذه المصادر الاسلامية بان الناس يختلفون اختلافا كبيرا فيما بينهم بالحساب يوم القيامة ، فطائفة يشدد اللّه في حسابها وتضم الذين يشددون في حساب الناس في الدار الـــدنيا وذوي الاخلاق السيئة ، والظلمة وطائفة اخرى يكون حساب افرادها سهلا يسيرا ، بسبب اعـــمـــالـــهـــم الـــصـــالـــحة وحسن اخلاقهم ، وتساهلهم وتسامحهم مع عباد اللّه او عدم تلبسهم بمال ومقام الدني.

وطـــائفة ثالثة وهي التي تدخل الجنة بغير حساب كما ورد في حديث عن الرسول الاعظم (٩) في تـــقـــســـيم الناس يوم القيامة قال : (ومنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، لانهم لم يلبسوا من امر الدنيا شي ، وانما الحساب هناك على من تلبس بها هيهنا) ((١٤٥)) .

وفي المقابل : منهم الذين يدخلون النار بغير حساب كما ورد هذاالحديث عن الرسول الاعظم (٩) : (ان اللّه عز وجل يحاسب كل خلق الا من اشرك باللّه عز وجل فانه لا يحاسب ويؤمر به الى النار) ((١٤٦)) ونـــقل عن الامام الصادق (٧) انه قال : (واما الثلاثة الذين يدخلهم الناربغير حساب فامام جائر ، وتاجر كذوب ، وشيخ زان) ((١٤٧)) .

ونـــخـــتـــم هذا البحث بحديث آخر للرسول الاعظم (٩) : (ستة يدخلون النار بغير حساب الامرا بالجور ، والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر ، والتجاربالكذب ، والعلما بالحسد ، والاغنيا بالبخل) ((١٤٨)) .

الـــهي نسالك بلطفك وكرمك لما يسرت علينا حساب يوم القيامة وارحمنابرحمتك الهي انك تعلم اننا قادمون اليك بيد خالية وصحيفة مظلمة يارحم الراحمين ويا اكرم الاكرمين .

الصراط والمرصاد. تمهيد :.

الـــصـــراط : هو جسر ينصب على جهنم وعلى الجميع عبوره واشير اليه في الايات الكريمة بينما ورد ذكـــره بـــالتفصيل في الروايات الاسلامية ، وكذلك وردت اشارات حول المرصاد الذي يفسر احيانا بمعنى الصراط واحيانا اخرى بانه ممرخاص من نفس الصراط.

وتـــدل كـــل الـــتعابير انه لاجل الوصول الى موضع الرحمة الالهية اي الجنة يجب العبور على جهنم وهذا الامر غير ميسر الا للصالحين والاخيار.

فـــالـــمـــذنبون والمجرمون والفاسقون والظالمون لايمكنهم اجتياز وعبور هذه القنطرة وسوف تزل اقـــدامـــهـــم عـــنها ويقعون في جهنم ولقد وردت في تفسير هذين اللفظين وكذلك في حقيقة الصراط والمرصاد احاديث كثيرة في الروايات الاسلامية وبحوث المفسرين .

ان الاهـــتـــمام بهذا الموضوع يساعد في فهم وبيان الكثير من المسائل المتعلقة بالمعاد من جهة ،

ومن جهة اخرى ان هذا الموضوع له اثر تربوي كبير في تزكية نفوس المؤمنين .
نكتفي بهذه المقدمة ، ونرجع الى القرآن الكريم ولنستمع الى آياته خاشعين :.
١ ــ (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا # ثم ننجي الذين اتقواونذر الظالمين فيها جثيا) مريم ــ٧١ ٧٢.
٢ ــ (ان ربك لبالمرصاد) الفجر ــ١٤.
٣ ــ (ولو نشا لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى تبصرون) يس ــ٦٦.
٤ ــ (ان جهنم كانت مرصادا # للطاغين مبا) النبا ــ٢١ ــ٢٢.
تفسير وفذلكة :.
طريق الجنة يمر عبر جهنم :.
الايــة الاولى تخاطب الجميع ، وتقول (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا) ثم قال (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) من هنا يطرح هذا السؤال ، ماالمقصود من ورود جهنم ؟.
هــنــاك آرا عــديــدة وتفاسير مختلفة حول هذه الاية فيعتقد البعض من المفسرين ان الورود خلاف الــصدور وهو قصد الما ثم يستعمل في غيره يقال وردت الما اره ورودا فانا وارد والما مورود ، وقد وردت الابل الما ، قال تعالى (ولما ورد ما مدين) القصص ــ٢٣.
ومــفــهوم هذا ان الناس انما يحضرون النار ويشرفون عليها من غير ان يدخلوها ويكون هذا المعنى نفس تفسير (الصراط) اي الجسر الذي يمر على جهنم فعلى الجميع اجتيازه وعبوره ، فتزل اقدام المجرمين ويتردون في النار اما المؤمنون فيجتازونه بسرعة ويدخلون الجنة .
وخلاصة الحديث يقول صاحب الميزان (والحق ان الورود لا يدل على ازيد من الحضور والاشراف عــن قــصــد) ((١٤٩)) او بــتعبير الفخر الرازي (وقد ذكر وجهين لمعنى الورود) احدهما ان الورود بمعنى القرب .
ويــســتفاد من مجموع الايات القرآنية التي وردت فيها هذه الكلمة انها قداستعملت بمعنى الحضور والــقــرب واستعملت ايضا بمعنى الدخول اي انها تحمل مفهوما عاما يشمل كلا المعنيين لذا قال تعالى مخاطبا المشركين (انكم وما تعبدون من دون اللّه حصب جهنم انتم لها واردون # لو كان هؤلا الهة ما وردوها وكل فيهاخالدون) الانبيا ــ٩٨ ــ٩٩.
وعــلى هذا الاساس فلا مانع من ان نفسر (الورود) بمعنى القرب والاشراف وانه اشارة الى جسر الــصــراط والشاهد على هذا التفسير حديث ورد عن الامام الصادق (٧) حيث قال في تفسير الاية اعلاه : (اما تسمع الرجل يقول : وردنا مابني فلان ، فهو الورود ولم يدخله) ((١٥٠)) .
واوضــح مــن هذا التعبير ماورد في حديث قصير نقله القرطبي في تفسيره وهو مروي عن رسول اللّه (٩) : (الورود الممر على الصراط) ((١٥١)) .

وهـــنـــاك تـــفسير آخر يرجحه اغلب المفسرين : وهو ان البر والفاجر يدخلان جهنم فتكون بردا وسلاما على المؤمنين وعذابا لازما على الكافرين والمجرمين ،كما اصبحت النار بردا وسلاما على ابـــراهيم (٧) فالنار لا تحرق اجسام المؤمنين بسبب عدم سنخية هذه الاجسام مع النار فيكون حكم اجـــسامهم كحكم المواد التي تخمد النيران في حين ان سنخية الكفار تتلائم مع النار ، كمثل المواد المساعدة على الاحتراق .

والـــدلـــيـــل على هذا الكلام رواية نقلت عن جابر بن عبداللّه الانصاري اذسئل عن هذه الاية فقال : ســـمـــعـــت رسول اللّه يقول : (الورود الدخول لا يبقى بر ولافاجر الا دخلا فتكون على المؤمنين بردا وسلاما حتى ان للناس ضجيجا من بردها) ((١٥٢)) .

اذا انتخبنا هذا التفسير تكون الاية دليلا على مسالة جسرالصراط.

الايـــة الـــثـــانية : عبارة عن وعيد للظالمين فبعد ان ذكر عذابهم الدنيوي الشديد قال تعالى (ان ربك لبالمرصاد).

الـــمـــرصـــاد : مشتقة من مادة (رصد) على وزن (حسد) وهو المكان الذي يرصد منه ويرقب (قال الراغب الرصد الاستعداد للترقب) والمرصد : موضع الرصد.

فـــمـــا المراد بـــ (المرصاد) ؟ قال البعض : ان اللّه سبحانه وتعالى رقيب يرقب اعمال عباده في هذه الدنيا وياخذهم بالعذاب اذا طغوا وجا في الميزان (ان اللّه سبحانه وتعالى رقيب يراقب اعمال عباده حتى اذا طغوا واكثروا الفساد اخذهم باشد العذاب) ((١٥٣)) .

ولـــكـــن ورد في حديث عن الامام الصادق (٧) انه قال : (المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة) ((١٥٤)) .

وجا في حديث آخر في روضة الكافي عن الامام الباقر(٧) عن الرسول (٩) بعد ان ذكر خصائص جسر الصراط انه قال : وهو قول اللّه تبارك تعالى (ان ربك لبالمرصاد) ((١٥٥)) .

نـــســـتـــفيد من هذين الحديثين اللذين وردا في تفسير الاية اعلاه ان الاية ناظرة الى القيامة وجسر الـــصـــراط مع عدم وجود اي مانع من ان تكون الاية ناظرة الى كليهما يعني ان اللّه تبارك وتعالى كما انـــه رقيب يرقب اعمال عباده في هذه الدنياكذلك هو رقيب في العالم الاخر في جوار الصراط لكن وعـــلـــى كـــل حـــال فـــالايـــة ليس لها مفهوم مكاني وذلك لان اللّه تعالى لا يحدد بمكان والمقصود هو الاحاطة الوجودية للّه على جميع الامور.

وجا حديث عن ابن عباس : انه قال : (ان على جهنم سبع قناطر ، يسال الانسان عند اول قنطرة عن الايـــمان ، فان جا به تاما جاز الى القنطرة الثانية ، ثم يسال عن الصلاة فان جا بها جاز الى الثالثة ، ثم يـــســـال عـــن الـــزكاة فان جا بها جاز الى الرابعة ، ثم يسال عن صيام شهر رمضان فان جا به جاز الى الخامسة ، ثم يسال عن الحج والعمرة ، فان جا بهما جاز الى السادسة ثم يسال عن صلة الرحم فان جا بهاجاز السابعة ، ثم يسال عن المظالم ، وينادي مناد : الا من كانت له مظلمة فليات ،فيقتص للناس منه ، ويقتص له من الناس ، فذلك قوله تعالى : (ان

ربك لبالمرصاد) ((١٥٦)) .

ونحن نستبعد ان يكون هذا الحديث وبهذه التفاصيل من الاستنباطات الشخصية لابن عباس ولا بد انه قد سمعه كرواية من الرسول الاعظم (٩) اوالامام علي (٧).

ولقد ورد تعبير (المرصاد) في سورة النبا الاية ٢١ قال تعالى : (ان جهنم كانت مرصادا).

ولكن الظاهر من هذه الاية ان جهنم نفسها مرصاد للطاغين والمجرمين ،ومع اخذ الايات السابقة لها بنظر الاعتبار يقول جمع من المفسرين ان المقصودبالمرصاد هو القنطرة التي تمر من فوق جهنم (يقال للمكان الذي اختص بالرصدوبما انهم غير قادرين على اجتيازه فيسقطون في جهنم) ((١٥٧)) اضافة الى ان التعبيربـ (المرصاد) يطلق على الطرق والمعابر وبما ان جهنم التي تعتبر باصطلاح آخرخطالذا لاتتناسب مع معنى المرصاد وهذه قرينة اخرى على التفسيراعلاه .

الاية الثالثة والاخيرة اشارت الى وضع الكفار والمجرمين يوم القيامة وانهم سيختم في ذلك اليوم على افواههم ولا تتكلم الا ايديهم وارجلهم قال تعالى : (ولونشا لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون) ((١٥٨)) لقد ذكر الكثير من المفسرين : ان هذه الاية ناظرة الى وضع هذه الطائفة في دار الدنيا حيث فسرواالصراط بـ (طريق الحق) اي انهم يجهدوا انفسهم في سبيل العثور على طريق الحق وطريق النجاة ولكن اللّه سبحانه وتعالى وبسبب اعمالهم السيئة جعلهم عميالايبصرون وبهذا فهم ليسوا بقادرين على تمييز ومشاهدة طريق النجاة .

ويوجد هذا الاحتمال ايضا وهو ان هذه الاية ناظرة الى وضع هذه الطائفة اثنا عبورها من الصراط (جسر جهنم) فاذا اراد اللّه محا اعينهم بشكل كامل حتى لايقدروا على المرور من الصراط مهما جهدوا انفسهم في ذلك .

والظاهر ان عبارة تفسير (في ظلال) لها نفس هذا المعنى ونقل القرطبي هذا التفسير كاحد الاقوال في تفسير الاية ، اضافة الى ذلك هكذا ينقل عن (عبداللّه بن سلام) ((١٥٩)) في تفسير هذه الاية انه قال :(اذا كان يوم القيامة ومد الصراط ، نادى مناد ليقم محمد(٩) وامته ، فيقومون برهم وفاجرهم يتبعونه بجواز الصراط ، فاذاصاروا عليه طمس اللّه اعين فجارهم ، فاستبقوا الصراط فمن اين يبصرونه حتى يجاوزوه ، ثم يناد مناد ((١٦٠)) .

ونحن نستبعد ان يكون هذا البيان من استنباط (عبداللّه بن سلام) حيث ان ماورد في هذه الرواية يعد من اخبار الغيب ولا يطلع على الغيب الا المعصومون (:).

ولايستبعد بانه قد نقل ذلك كرواية عن الرسول الاعظم (٩).

.###

توضيحات .

ماهي حقيقة الصراط :. لقد اشرنا عدة مرات بان اهل الدنيا ليس لهم اطلاع مفصل عن الحقائق

المتعلقة بيوم القيامة وعالم ما بعد الموت حيث هو عالم فوق هذا العالم ، ولكن هذاالامر لا يمنع من المعرفة الاجمالية بهذا الموضوع .

ويستفاد من الروايات الاسلامية ان الصراط جسر على جهنم في طريق الجنة ويرده كل بر وفاجر فالابرار يمرون عليه بسرعة ويصلون الى النعم الالهية غيرالمتناهية اما الفجار فتزل اقدامهم ويتردون في نار جهنم .

ولقد ورد في بعض الروايات ان سرعة عبور الناس على الصراط ترتبطبمستوى ايمانهم واخلاصهم واعمالهم الصالحة .

فقد ورد في حديث عن الامام الصادق (٧) انه قال :(منهم من يمر مثل البرق ، ومنهم من يمر مثل عدو الفرس ، ومنهم من يمر حبوا ، ومنهم من يمر مشيا ،ومنهم من يمر متعلقا قد تاخذ النار منه شيئا وتترك شيئا ((١٦١)) .

وهنا يطرح هذا السؤال :.

لماذا يجب المرور عبر جهنم للوصول الى الجنة ؟.

هناك نكات لطيفة سنتعرض لها وهي ان اصحاب الجنة عندما يمرون على جهنم يدركون قيمة الجنة افضل ادراك ومن جهة اخرى ان وضع الصراط هناك عبارة عن تجسم لاعمالنا في هذه الدنيا لذا يجب المرور عبر جهنم (المحرقة للشهوات) من اجل الوصول الى جنة التقوى ، ومن جهة ثالثة هذا انذار جدي لكافة المجرمين والمذنبين حيث ان مصيرهم يؤول الى العبور من هذا الممر الخطير لذاورد في حديث (مفضل بن عمر) يقول سالت الامام الصادق (٧) عن الصراط فقال (الطراط الطريق الى معرفة اللّه سبحانه وتعالى) ثم قال : ((هما صراطان : صراط في الدنيا ، وصراط في الاخرة ، فاما الصراط الذي في الدنيا ، فهو الامام المفروض الطاعة ، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الاخرة ، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الاخرة فتردى في نارجهنم)) ((١٦٢)) .

وفي تفسير عن الامام الحسن العسكري (٧) ((١٦٣)) انه فسر الصراطين (صراط الدنيا والاخرة) الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر من الغلو وارتفع عن التقصير واما الصراط في الاخرة فهو طريق المؤمنين الى الجنة .

وهناك نكتة مهمة اشارت اليها الروايات الاسلامية ، وهي انه من العسيرالعبور على هذا الطريق فقد ورد حديث عن الرسول الاكرم (٩) وكذلك عن الامام الصادق (٧) ايضا (ان على جهنم جسرا ادق من الشعر واحد من السيف) ((١٦٤)) .

نعم هكذا الصراط (المستقيم) وحقيقة (الولاية) و (العدالة) في هذه الدنيافهي ادق من الشعرة واحد من السيف وهذا يرجع الى ان الخط المستقيم خط واحددقيق لا اكثر اما الخطوط الاخرى فهي منحرفة نحو اليمين او الشمال ومن الطبيعي ان يكون صراط القيامة هكذا فهو

تجسم عيني لـــلـــصـــراط الـــدنيوي ، ومع هذا فهناك طائفة تمر على هذا الطريق الخطر سريعة في ظل ايمانها واعمالها الصالحة .

بـــلا شك ان التمسك بالرسول الاكرم واهل بيته الطاهرين يسهل اجتياز هذاالطريق المخوف ، فقد جا في حديث عن الرسول الاكرم (٩) (اذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنم لم يجز عليه الا من كان معه جواز فيه ولاية علي بن ابي طالب (٧) ((١٦٥)) ولقد ورد نفس هذا المعنى بتعبير آخـــر يتعلق بـــ فاطمة الزهرا(٣) ومن البديهي ان ولاية الامام علي (٧) وولاية الزهرا(٣) هما مـــن ولاية الرسول الاعظم (٩) ولايمكن الفصل بين القرآن والاسلام وسائر الائمة المعصومين ، فاذالم يكن هناك ارتباط ايماني واخلاقي مع هؤلا العظام فلا يمكن الجواز على الصراطوتوجد في هـــذا المجال روايات عديدة ، وللمزيد من المعلومات راجع كتاب بحارالانوار المجلد ٨ وبالاخص هذه الروايات : (١٢ ،١٣ ،١٤ ،١٥ ،١٦ ،١٧).

ونـــخـــتـــم حديثنا بالاشارة الى البعد التربوي للايمان والاعتقاد بمثل هذاالصراط حيث هو صراط مـــخـــوف مـــرعب متزلزل تشوبه الاخطار ، صراط ادق من الشعر واحد من السيف ، صراط له عدة مـــواقف وفي كل موقف يسال فيه عن شي فاما الاول فيسال عن الصلاة واما الثاني فعن الامانة وصلة الـــرحم والثالث عن العدالة وما شابه ذلك ، ممر لايمكن لاحد العبور عليه واجتيازه الا اذا كان معه جواز فيه ولاية الرسول الاعظم وولاية الامام علي (٧) والتخلق باخلاقهم والسير على نهجهم .

وفـــي النهاية نقول انه ممر تتوقف قدرة اجتيازه على قدر نور الايمان والعمل الصالح ، ومن لم يقدر عـــلـــى اجتيازه فسيقع حتما في نار جهنم وسوف لن يصل الى موضع النعم الالهية المادية والمعنوية (الجنة) ابد.

مما لاشك فيه ان الاهتمام بمثل هذه المفاهيم والاعتقاد بها له اثار واسعة في افعال الانسان وتربيته فـــتحثه على التخلق باخلاق اوليا اللّه وتمنحه البصيرة في انتخاب سبل حياته والتمييز الدقيق بين الحق والباطل .

الجنة واصحابها. تمهيد :.

ان جميع بحوث المعاد تختتم لامحالة باحدى النقطتين : (الجنة) (النار).

فاما الجنة فهي موضع لانواع المواهب والنعم الالهية المعنوية والمادية .

واما النار : فهي موضع لانواع العذاب ومختلف العقوبات والحرمان من هنا نتسال عن حقيقة الجنة ، وكيف تكون ؟ واين تقع ؟ وهل هي مخلوقة ام لا ؟.

هـــنـــاك آرا عـــديـــدة فـــي هـــذا الـــمجال ولاخذ الجواب الصحيح عن هذه الاسئلة يمكننا الاستعانة بـــالتصريحات او الارشادات الواردة في الايات الكريمة ،اضافة الى ذلك هناك آيات كثيرة تتحدث عن خواص الجنة واصحابها ، والنعم الموجودة فيها من الحدائق ، والانهار ، والعيون ، والاطعمة ، والاشـــربـــة الـــطـــهـــورة ،والالـــبـــســـة ، والحور العين ، والولدان

المخلدين ، والخدم ، والحشم ، والاحـــتـــرام ،والاكـــرام المنقطع النظير من الملائكة وكذلك المواهب المعنوية والذائذالروحية وتشكل مجموع هذه الايات القسم الاعظم من آيات (المعاد).

ونـــرى مـــن الـــضروري الاشارة الى هذه النكتة وهي ان افكارنا وتصوراتنامحدودة ضمن المعايير والاطـــر الدنيوية لذا فان عقولنا لا تدرك حقيقة الجنة وما فيهامن نعم مخفية ، الجنة افضل واعلى واعمق مما راينا او كتبنا او قران.

ولـــكن على اية حال يمكننا وعلى ضؤ دراسة الايات القرآنية والروايات الواردة في هذا المجال ان نـــرسم صورة اجمالية عن الجنة ومافيها من نعيم ، ومن المعلوم ان لهذا التصور آثارا تربوية قيمة ، فمهما كانت دوافع الانسان المادية او المعنوية فانها تدعوه اليها وتجذبه نحوه.

بـــهذه المقدمة نرجع الى القرآن الكريم ونستعرض الايات التي تتحدث عن الجنة ، ومن الطريف ان هذه الايات جات في ثمان مجموعات على عدد ابواب الجنة .

.١

موجبات دخول الجنة . في المنظور القرآني .

لقد تحدثت آيات كثيرة في القرآن الكريم عن اوصاف اهل الجنة كماحددت الاوصاف والاعمال التي توصل الانسان الى الجنة والتنعم بالمنزلة الرفيعة فيه.

وبـــهذا فقد بينت هذه الايات المنظور الاسلامي في مسالة النجاة والسعادة الابدية وتكامل الانسان ، ويمكن اجمال هذه الاوصاف بالنقاط الاتية :.

.١

الايمان والعمل الصالح :. ان راس المال للنجاة والسعادة وفتح ابواب الجنة هو الايمان والعمل الصالح قال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات اؤلئك اصحاب الجنة هم فيهاخالدون) البقرة ـــ٨٢.

ولـــقـــد ورد نـــفـــس هـــذا التعبير او ما يشبهه في كثير من الايات وما تكراره الا دليلا على اهمية الموضوع وعناية القرآن الخاصة به ((١٦٦)) .

وبـــهـــذا فـــان الـــقـــرآن الـــكريم قد كشف النقاب عن الاوهام التي كان يعتقد بهاجمع من اهل الكتاب والـــســـائريـــن عـــلى نهجهم من سائر الامم حيث كانوا يتصورون بان النجاة ودخول الجنة تقوم على اســـاس ســـلسلة علاقات وروابط معينة او اي انهم وضعوا ضوابط غير الايمان والعمل الصالح فجا القرآن ليعبي الناس ويبني انفسهم على اساس بعدين رئيسيين هما (العقيدة) و (العمل).

و هذه الاية التي نحن بصددها جات على اثر الايات التي تتحدث عن اليهود الذين كانوا يعتقدون بانهم اوليا اللّه واحباؤه (وقالوا لن تمسنا النار الا ايامامعدودات).

مـــن الـــبديهي ان علاقة الايمان والعمل الصالح هي كعلاقة (الشجرة) و(الثمرة) فالشجرة الطيبة (من اشجار الفواكه) لن تخلو من الثمرات الطيبة وكذا الحال بالنسبة للايمان فهو لا ينفك

عن العمل الـصـالح الا ان يكون ضعيفا او خاليا من الروح فيتاثر بالشهوات والاهوا النفسية لذا نقرا حديثا عن الامـام الـصادق (٧) عندماسئل عن حقيقة الايمان فقال (الايمان ان يطاع اللّه فلا يعصى) وبتعبير اوضـح :(الـعـمـل الصالح هو تجسيم الايمان القلبي) ولا يعني هذا الحديث ان العاصين اومرتكبي الكبائر كفار ((١٦٧)) كما يعتقد الخوارج وانما المقصود ان الايمان القوي لا ينفك ابدا عن العمل الصالح ، اما الايمان الضعيف فيمكن ان ينفك عن هذا العمل الصالح ويقع صاحبه في ارتكاب الكبائر.

ومـن الـجدير بالذكر ان اغلب الايات الكريمة تقدم الايمان على العمل الصالح بالرغم من ان الاتيان بـالـواجبات وترك المحرمات هو اكثر صعوبة من الايمان ومقدم عليه عرفا ولعل السبب في تقديم الايـمـان عـلى العمل الصالح يعود الى ان القرآن الكريم يريد ان يبين بان الايمان هو اساس الاعمال الصالحة .

واخـيـرا فـان تعبير الايمان والعمل الصالح تعبيران واسعان الى حد يشملان جميع مراحل الايمان بـاللّه وسـائر الاصول الاعتقادية ، من جهة والاتيان بكافة الاعمال الفردية والاجتماعية والعبادية والسياسية من جهة اخرى وهذا هو المفتاح الاول من مفاتيح الجنة .

.٢

التقوى :. العامل الاخر من عوامل دخول الجنة هو (التقوى) ولقد ذكرت الكثير من الايات القرآنية هذا العامل مـن جـملتها ماورد في سورة مريم بعد الاشارة الى (جنات عدن) وبعض من نعمها (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) مريم ــ٦٣ ((١٦٨)) .

من المعلوم ان الاسلام اعطى اهمية كبيرة للتقوى ، واعتبرها احد شعاراته المشهورة كما ورد ذلك فـي سورة الحجرات الاية ١٣ (ان اكرمكم عند اللّه اتقاكم)فتقول الاية (ان الشرف والكرامة هو بتقوى اللّه سبحانه وهي الوسيلة الوحيدة الى سعادة الدار الاخرة) فليس من العجب ان تصف الكثير من الايات القرآنية (التقوى)بانها مفتاح الجنة .

والـتـقـوى : هـي اجتناب الذنوب والمعاصي والامتثال لاوامر اللّه ونواهيه ،واتباع الحق والعدل وبتعبيرآخر : هي حالة الخوف الباطنية والوازع الذاتي الذي يمنع الانسان من الوقوع في المعاصي والاثام اي ان التقوى مفهوم جامع يضم كافة التكاليف الالهية والاخلاقية والانسانية .

الـتـعـبير بـ (تلك) في بداية الاية والذي يشير الى البعيد هو اشارة الى عظمة الجنة وكانها عالية بدرجة خارجة عن نطاق الفكر والخيال .

واما كلمة (الارث) فيمكن ان يشير بها الى المعاني الاتية :.

١ ــ كل تمليك ثابت ، لان الملك الوحيد الذي لا يقبل الرجوع والفسخ هوما ينتقل عن طريق الارث وكذلك الجنة فان اللّه سبحانه وتعالى يورثها للمتقين .

٢ ــ قـبـل ان يـكـون لـلوراثة بعدا قانونيا وتشريعيا فان لها بعد تكويني وطبيعي اذ تنقل مجموعة الصفات الوراثية للابا والامهات الى الابنا ، وبهذا يكون المرادبالارث في الاية اعلاه :

هو ان هناك علاقة معنوية تكوينية بين التقوى والجنة .

٣ ــ الاموال الموروثة : هي اموال تصل الى الانسان بدون تعب وعناغالباوالنعم الالهية في الجنة من الــعــظمة بحيث تعتبر اعمال المتقين لا شي قبالهافكان الجنة تعطى لهم مجانا وبدون اي مقابل لضلة اهمية اعمال المتقين قياسابهذه النعمة العظيمة .

وبــتــعــبــير آخر نقول : حقا ان اعمال الانسان وتقواه هي الاساس في استحقاق الجنة ولكن عظمة الجنة ومافيها من النعم كانها اعطيت للمتقين مجان.

مــن هنا يجب القول اضافة الى كون الجزا الاخروي له بعد استحقاقي كذلك له بعد تفضلي ايضا ، اي ان الجنة هى تفضل من اللّه سبحانه وتعالى للمتقين .

٤ ــ ونــقرا رواية وردت في تفسير هذا المعنى عن الرسول الاكرم (٩)قال : (ما من احد الا وله مــنــزل في الجنة ، ومنزل في النار : فاما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة) ((١٦٩)) .

فــيــدل هــذا الــحديث على ان جميع الناس خلقوا احرارا في اختيارهم فكماخلق عندهم الاستعداد لدخول الجنة كذلك خلق عندهم الاستعداد ايضا لدخول النار وهذا يرتبط بكامل اختيارهم وارادتهم ((١٧٠)) .

.###

.٣

الاحسان :. الاحــســان عامل آخر من عوامل الدخول في موضع النعمة الالهية ولقداشار القرآن الكريم الى هذا الــمــفــهــوم الواسع في آيات عديدة من جملتها الاية ٨٥ المائدة فبعد ان اشارت هذه الاية الى وضع مــجموعة من علما اهل الكتاب الذين انقلبوابعد سماعهم آيات القرآن الكريم وفاضت اعينهم بالدمع مــمــا عــرفــوه مــن الحق ، قال تعالى بصددهم (فاثابهم اللّه بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيهاوذلك جزا المحسنين) ((١٧١)) .

صــحــيــح ان القرآن يذكر بان كل هذه النعم التي آثابهم اللّه بها لما قالوا بعظمة القرآن والايمان به ولــكن من البديهي ان هذا لم يكن قولا فقط بل كان قولاممزوجابالايمان ، ذلك الايمان الذي ملا كل وجــودهــم لــذا تقول الايات التي قبلها(ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) لكن كيف يــكــون كــلام هــؤلامــصــداقــا لــلاحــسان ؟ يمكن القول اضافة الى انهم درسوا القرآن وتدبروا معانيه جيداكذلك انهم اقروا واعترفوا بدين الحق وعملوا به بشكل جيد.

ونــستفيد من بعض الروايات ان الاحسان هو العبودية المقترنة باليقين الكامل والشعور بان الانسان تــحت رقابة اللّه تبارك وتعالى في جميع الاحوال كماورد ذلك في حديث عن الرسول الاعظم (٩) فقد سئل عن الاحسان فقال :(ان تعبداللّه كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) ((١٧٢)) .

من الواضح ان من يشعر بمثل هذه المراقبة فلن تكون عبادته عبادة حقة لها روح وحقيقة فحسب بل ان اثار هذا الشعور ستنعكس على جميع اعمال الانسان واقواله وسلوكه .

.###

.٤

الجهاد والشهادة :. ان كل من له ادنى اطلاع على منطق القرآن والاسلام يعلم جيدا بالمقام السامي والدرجة الرفيعة للمجاهدين والشهدا في الاسلام ، فلقد وعد القرآن صراحة هذه الطائفة المضحية بالجنة ، ومن جملة الايات قوله تعالى (ان اللّه اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة # يقاتلون في سبيل اللّه فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من اللّه فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) ((١٧٣)) .

حقا انها لتجارة لا نظير لها ،فالمشتري هو اللّه سبحانه وتعالى والبائعون هم المؤمنون المجاهدون .

البضاعة : الانفس والاموال التي وهبها اللّه اليهم والثمن الذي يدفع اليهم هو جنة الخلد وسند هذه المعاملة الكتب السماوية الثلاثة اضافة الى كل هذا هناك تبريك من قبل المشتري للبائع .

كم هي تعابير جميلة ورائعة مبارك وخالد وكم هو مقدار اللطف والمحبة في هذه المعاملة من قبل اللّه تبارك وتعالى ؟.

وعن جابر بن عبداللّه قال : نزلت هذه الاية على رسول اللّه (٩) وهو في المسجد (ان اللّه) فكبر الناس فاقبل رجل من الانصار ثانيا طرفي ردائه على عاتقه فقال : يا رسول اللّه انزلت هذه الاية ؟ قال : نعم فقال الانصاري : بيع ربيح لا نقيل ولانستقيل) ((١٧٤)) .

ونستفيد من الاية السالفة انها لا تختص بالشهدا فقط بل ان هذه المعاملة تشمل المجاهدين في سبيل اللّه ايض.

ونلاحظ في الاية تقدم عبارة (يقتلون) على (يقتلون) وهذا دليل على ان الهدف الرئيس من الجهاد هو تدمير العدو لا الشهادة وبنا على ذلك فان الشهادة درجة رفيعة لا يبلغها الا الخاصة من اوليائه .

من هنا لا يمكن ان يكون الغرض من الجهاد هو الشهادة ابدا وبتعبير ادق الشهادة ليست هدفا وانما هي وسيلة لتحقيق الهدف .

.###

.٥

نهي النفس عن الهوى :. من الامور الاخرى التي هي من موجبات دخول الجنة الخوف من اللّه تعالى ونهي النفس عن الهوى قال تعالى في الاية ٤٠ ، ٤١ سورة النازعات :(واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى).

مـــمـــا لا شـــك فيه ان هناك علاقة متبادلة بين (الخوف من اللّه) و (نهي النفس عن الهوى) فالاولى بمنزلة الشجرة والثانية ثمرها ، فعندما يتجذر الخوف من اللّه تعالى في اعماق روح الانسان عندئذ تـــشـــن حرب من الداخل لمواجهة هوى النفس ،ومن المعلوم ان مصدر جميع المفاسد والذنوب على ســـطـــح الارض هو (عبادة الهوى) ، من هنا يكون الخوف من اللّه مصدر كل الاصلاحات ، لذا ورد هـــذا الـــحـــديـــث فـــي ذيل الاية ٤٣ سورة الفرقان (ارايت من اتخذ الهه هواه) قال (٩) : (ما تحت ظل السما من اله يعبد من دون اللّه اعظم عند اللّه من هوى متبع) ((١٧٥)) .

والجدير بالذكر ان ما يقابل هاتين الصفتين (الخوف من اللّه ونهي النفس عن الهوى) صفتان آخريان وردتـــا فـــي الايـــات الـــتـــي تسبق هذه الاية من نفس السورة وهما(الطغيان وايثار الحياة الدنيا على الاخـــرة) (وامـــا مـــن طـــغى واثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي الماوى) والحقيقة ان هاتين الصفتين مصدر كل البلايا كما ان تلك الصفتين مصدر كل خير.

وعلى حد قول بعض المفسرين فالمنابع التي تنبع منها الذنوب السبعة المذكورة في قوله تعالى :(زين لـــلـــنـــاس حـــب الـــشهوات من النسا والبنين والقناطيرالمقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانـــعام والحرث) تتلخص في هوى النفس ، وان منبع هوى النفس هو عدم المعرفة وعدم الخوف من اللّه تعالى ((١٧٦)) .

من هنا فما المقصود من (مقام ربه) ؟ هناك آرا مختلفة حول تفسير هذاالتعبير فقيل : المراد مقامه من ربه يوم القيامة حين يساله عن اعماله .

وقيل انه اشارة الى مقام علم اللّه ومراقبته لعباده .

وقيل انه اشارة الى مقام عدالته تعالى .

ولـــكـــن هـــذه الـــتـــعـــابير ترجع في الحقيقة الى الخوف من الاعمال والذنوب وذلك لان اللّه (ارحم الـــراحمين) ولا يوجد في ذاته تعالى مايوجب الخوف منه ،فكما ان المجرمين يخافون رؤية القاضي الـــعـــادل ويـــهلعون من سماع اسم المحكمة فكذلك الحال بالنسبة للمذنبين فانهم يخافون من مقام العدل والـــحـــســـاب والـــعـــلـــم الالـــهـــي ، وفي الحقيقة ان هناك جحيم في هذه الدنيا هي جحيم الشهوات ، والجحيم الاخروية انما هي جحيم مجازاة تنبع من هذه الجحيم .

ونـــخـــتـــم هـــذا البحث بحديث عن الامام الصادق (٧) قال : (من علم ان اللّه يراه ، ويسمع ما يقول ، ويعلم مايعمله من خيراو شر ، فيحجزه ذلك عن القبيح من الاعمال ، فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) ((١٧٧)) .

.###

.٦

السابقون الى الايمان :. مـــن الـــمـــعـــلـــوم ان ظـــهـــور اي دين جديد يقترن بمخالفة السنن والتقاليد الرائجة في ذلك المجتمع وخصوصا الدين الاسلامي الذي ظهر في محيط خرافي ملي

بانواع المفاسد والسنن الكاذبة الخاطئة .

فمن البديهي ان يكون السبق الى الايمان بمثل هذا الدين امرا عسيراللغاية ويحتاج الى شهامة منقطعة الـــنـــظـــير فالسابقون للايمان يتعرضون عادة لاشد هجمات الجاهلين المتعصبين وبما انهم يشكلون الاقـــلية من المجتمع لذا فتكون انفسهم واموالهم في خطر دائما ، اضافة الى ذلك يعتبر هؤلا القدوه الحسنة والانموذج الامثل للاخرين وهم الوسيلة والعامل الرئيس في نشر تعاليم السما في الارض ،فمن هنا يكون للسابقين في الايمان امتيازا كبيرا ودرجة رفيعة وقد وعدهم اللّه تعالى وعدا قاطعا بدخول الجنة ، كما ورد ذلك في قوله تعالى :(والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم) الواقعة آية ـــ١ ((١٧٨)) .

هـــذا فـــي حـــالـــة تـــفـــســـير (السابقون) بمعنى السابقون الى الايمان ، لكن بعض المفسرين فسروا (السابقون) بمعنى السابقون الى طاعة اللّه (اطاعة اوامر اللّه) اوالسابقون الى الصلوات الخمس او الـــجـــهاد ، او الهجرة ، او التوبة واعمال البر ، لان السابق الى الخير انما يقتدى به في الخير وهو شاهد على المراد حتى على هذه الصورة .

وكذا الرجال السابقون المؤثرون المتوكلون على اللّه تعالى لهم الاحقية في السبق الى جنات النعيم .

وقيل ان (السابقون) ـــ كما جا في الروايات الاسلامية ـــ (الامام علي بن ابي طالب ٧) حيث كان اول الـــقـــوم اسلاما من الرجال وقيل ان السابقين هم (هابيل) و(مؤمن آل فرعون) و(حبيب النجار) و(الامـــام علي بن ابي طالب ٧)حيث يمثل كل واحد منهم في عصره مصداقا واضحا للقدوة الحسنة في السبق الى الايمان والجهاد واعمال الخير ((١٧٩)) .

ومما تجدر الاشارة اليه ان اول موهبة جعلهااللّه لهم هي موهبة القرب من اللّه تبارك وتعالى (اولئك المقربون) والتي تفوق كل النعم العظيمة بما فيها جنات النعيم .

ومن المعلوم ان (جنات) تفي بالغرض من دون ذكر (النعيم) الذي هوجمع نعمة وانما ذكرها تعالى لـــلـــتـــاكـــيد ، ولاعطائها اهمية اكبر ، من هنا يمكن الاشارة الى نكتة اخرى وهي ان الجنات موضع الـــرحمة والنعم الالهية فقط وهي على خلاف البساتين الدنيوية التي يلزم ادارتها وصيانتها وحفظها جهودا كبيرة اضافة الى ذلك فانها معرضة للافات والفنا والعدم .

.٧

الهجرة والجهاد :. الـــهـــجرة بمعنى الابتعاد عن بؤرة الكفر والشرك والظلم والمعاصي ، وتكون في كثير من الموارد السبيل الوحيد لخلاص المؤمنين والصالحين وانقاذهم من معاناتهم ، فهم يبتعدون عن اجوا محيطهم الـــمـــلوث ليعملوا على بنا انفسهم واعدادها من اجل تعبئة كافة امكاناتهم وطاقاتهم للهجوم على اعدا اللّه مـــن كـــافـــريـــن ومـــشـــركـــين وظلمة ولقد هاجر المسلمون مرتين في عصر صدر الاسلام ، الهجرة الاولى (هجرة الحبشة) وهى هجرة خاصة حيث هاجرت مجموعة من المسلمين من مكة الى الـــحبشة ، والهجرة الثانيه (هجرة عامة) من

مكة الى المدينة وتعتبر هذه الهجرة بداية فصل جديد فـــي تاريخ الاسلام ، ومن البديهي ان ترك المنازل والممتلكات والاهل والاقارب والاصدقا والوطن الـــذي نشا فيه المر وترعرع فيه امر عسير للغاية هذا من جهة ومن جهة اخرى مواجهة المشاكل لـــغـــرض الاعـــدادلـــلـــجـــهـــاد والـــهـــجـــوم على مواطن الكفر والفساد لذا فان القرآن الكريم وعد المهاجرين باعظم الدرجات وبشرهم برحمته ورضاه (وجنات لهم فيها نعيم مقيم).

قـــال تـــعالى في سورة التوبة الاية ٢٠ ،٢٢ (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوافي سبيل اللّه باموالهم وانـــفسهم اعظم درجة عند اللّه واولئك هم الفائزون # يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم) ((١٨٠)) .

تـــتـــحـــدث الايـــة الكريمة عن ثلاث صفات (الايمان ، الهجرة ، الجهاد)طبعاان كل واحدة من هذه الـــصفات ترتبط مع الاخرى برابطة العلة والمعلول فكان ايمانهم هو السبب في هجرتهم وهجرتهم مقدمة لجهادهم وجعل اللّه سبحانه وتعالى جزاهم ثلاثة امور هي (الرحمة الالهية) و (الرضوان) و(جـــنات النعيم) وبهذافقد جعل اللّه سبحانه وتعالى مقابل كل صفة اجرا عظيما فالايمان يستوجب مـــغـــفـــرة الذنوب والهجرة تستوجب جلب الرضوان الالهي والجهاد بالاموال والانفس هوالسبب في دخلوهم جنات النعيم .

روى الحاكم ابو القاسم الحسكاني قال (بينما شيبة والعباس يتفاخران اذمر عليهما علي بن ابي طالب (٧) قـــال : بـــما تفخران ؟ قال العباس : لقد اوتيت من الفضل مالم يؤت احد سقاية الحاج وقال شيبة : اوتـــيـــت عـــمارة المسجد الحرام ، وقال علي (٧): وانا اقول لكما لقد اوتيت على صغري مالم تؤتيا فـــقـــالا : وما اوتيت ياعلي ؟ قال ضربت خراطيمكا بالسيف حتى آمنتما باللّه تبارك وتعالى ورسوله فنزل جبرائيل (٧) بالاية (اجعلتم سقاية)) ((١٨١)) .

ولـــلـــمفسرين بحوث كثيرة في مسالة (كيف اعتبر القرآن درجة الذين هاجرواوجاهدوا اعلى من درجة غير المؤمنين ؟ في حين ان (غير المؤمنين) ليس لهم اية درجة اصلا).

يـــمـــكن القول في جواب قصير ان المراد بيان ان النسبة بينهما هي نسبة الافضل الى من لا فضل له وهذا كثير في مورد الصفات التفضيلة كقوله تعالى (ولعبدمؤمن خير من مشرك) ويلاحظ امثال هذا التعبير الكثير في القرآن والروايات وكلام العرب .

والخلاصة : ان نفس عمل سقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام عمل حسن من اي شخص كان اما اذا كان الفاعل كافرا او مشركا فلا قيمة له ، حيث ان الكفر والشرك يحبطان الاعمال الصالحة .

.٨

الصبر والتحمل عند الشدائد :. مـــســـالـــة الاســـتقامة هي اساس لكل الاعمال الصالحة وركن اساس في امتثال كل طاعة واجتناب كل معصية .

وعـــلى هذا الاساس فلا عجب ان تعد الاستقامة من احدى العوامل المهمة في دخول الجنة كما

ذكر ذيل الاية ١٢ سورة الدهر : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) ((١٨٢)) .
وعـنـد دخـولهم الجنة تستقبلهم الملائكة بالترحيب ، وهذا دليل على عظمة مقام الصابرين (سلام عليكم بما صبرتم) الرعد ــ٢٤.
مـن المعلوم ان الاية التي نحن بصددها هي من آيات سورة الدهر التي نزلت على قول اكثر مفسري الشيعة والسنة فى حق علي وفاطمة والحسن والحسين (:) ، حيث ضربوا اروع الامثلة في الصبر والتحمل حينما تصدقوا بماعندهم من طعام الى (المسكين) و(اليتيم) و (الاسير) وبقوا ثلاثة ايام متتابعة يفطرون بالما فقط وهذا هو الصبر على الطاعة .
مـن الـبـديـهي : ان الصبر والتحمل عند مشاكل ومصاعب الحياة وكذلك الصبر والتحمل على ترك مانهى اللّه عنه من عوامل الاثارة والذنوب والمعاصي يكون مفتاح من مفاتيح الجنة فيبدل اللّه تعالى ما لقوه من المشقة والكلفة نعمة وراحة .
ومـمـا تـجدر الاشارة اليه ان هذه الاية خصت من بين جميع النعم الالهية الالبسة الفاخرة الجميلة ويـعود السبب في ذلك اما لان هذه الثلة من الصابرين اضافة الى ما جادوا به من الطعام للجياع كذلك انـهـم وما وهبوه من الالبسة اليهم واكتفوابلباس بسيط او ان جمال ظاهر الانسان بالدرجة الاولى يكمن في زيه ولباسه كما ان لباس (التقوى) هو زنية وجمال الباطن .
.###
.٩
الايمان والاستقامة :. ركـزت بـعـض الايات القرآنية على مسالة الاستقامة والثبات على طريق الايمان واطاعة الاوامر الالـهية فقد ورد في سورة الاحقاف آية ١٣ ، ١٤ قوله تعالى :(ان الذين قالوا ربنا اللّه ثم استقاموا فـلا خـوف عـلـيـهـم ولا هم يحزنون # اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزا بما كانوا يعملون) ((١٨٣)) .
اسـتـقـاموا مشتقة من مادة (الاستقامة) اي ملازمة الطريق المستقيم والثبات على الطريق الصحيح وبتعبير آخر الابتعاد عن كل زيغ وانحراف والثبات على ماشهد الانسان به من دين الحق والتفسير بـ ((الاعتدال)) من اربات اللغة انما هو من هذا الباب ايض.
قـال الـراغـب في مفرداته : (يقال الاستقامة الطريق الذي يقع على خطمستقيم ولهذا يقال للطريق الحق (الصراط المستقيم) واستقامة الانسان هي ملازمة الطريق المستقيم) ((١٨٤)) .
اضـافـة الـى ان مـفـهـوم الاستقامة يعني استوا الطريق كذلك انه يعني المقاومة والثبات وعلى هذا الاسـاس فتعبير الاستقامة على النهج الصحيح من عوامل الدخول الى موضع اللطف والكرامة الالهية (الا وهي الجنة) وورد عن الائمة المعصومين (:) في تفسير الاية انهم قالوا :(استقاموا على ولاية امير المؤمنين)والتي تعد الخط المستقم للاسلام الصحيح ((١٨٥)) .
ولـو تـامـلـنا فى الاية الكريمة لوجدنا انها ذكرت (الايمان) اولا (قالوا ربنا اللّه)وبعدها عطفت (الاسـتقامة على الطريق الصحيح) على الايمان بـ ((ثم)) التي تفيدالعطف المباشر

لتوحي الى ان عـــملا كـــهـــذا هو نتيجة مثل ذلك الايمان ومما تجدرالاشارة اليه ان الانسان يحزن على امور قد حـــدثت في الماضي واحيانا اخرى يخاف ويقلق من امور قد تحدث في المستقبل يقول القرآن الكريم في الاية مورد البحث :(لا خوف عليهم ولا هم يحزون).

ونختتم هذا الموضوع بحديث عن الرسول الاكرم (٩) قال سفيان الثقفي قلت يارسول اللّه اخبرني بـــامـــر اعـــتصم به قال الرسول الاعظم (٩) : (قل ربي اللّه ثم استقم) قال فقلت : ما اخوف ما تخاف علي : فاخذ رسول اللّه (٩) بلسان نفسه فقال (هذا) ((١٨٦)) .

.١٠

اطاعة اللّه ورسوله (٩) :. مـــن الاعـــمـــال التي توجب دخول الجنة هي اطاعة اللّه والرسول (٩) كماوردذلك في سورة النسا الايـــة ١٣ : (ومن يطع اللّه ورسوله يدخله جنات تجري من تحتهاالانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم) ((١٨٧)) .

تعبير (جنات) يدل على تعددها وان كل واحدة منها احد مقامات العارفين والصالحين والاطهار.

اما تعبير (تجري من تحتها الانهار) فدلالة على جمال بساتينها ورونقهاودوام خضرتها لان انهارها دائمة الجريان .

خـــالـــدين فيها : اضافة الى ان الاية نفت احتمال فنا وسلب النعمة التي هي عادة من عوامل القلق جات الاية بصيغة الجمع وهذه اشارة الى ان اهل الجنة يتمتعون بنعمة الاجتماع والانس مع بعضهم البعض .

فـــي حـــيـــن ان الاية التي بعدها والتي تتحدث عن عصيان اللّه ورسوله جات بصيغة المفرد (خالدا) وهـــذه اشارة الى انهم (اهل النار) يتعذبون بالوحدة والعزلة وكان كل واحد منهم سجين في زنزانة انفرادية في نار جهنم .

.###

.١١

الاخلاص :. خـــلوص العقيدة ، وخلوص العمل ، وخلوص النية ، من موجبات دخول الجنة ، قال تعالى : في سورة الصافات الاية ٣٩ ــ ٤٣ (وما تجزون الا ماكنتم تعملون # الا عباد اللّه المخلصين # اولئك لهم رزق معلوم # فواكه وهم مكرمون # في جنات النعيم).

فبعد ان اشارت هذه الايات الى عذاب اهل النار استثنت المخلصين وقالت بانهم في معزل من كل هذا العذاب .

من هنا يجب ان نعرف من هم (المخلصين) (بفتح اللام) ، اذا تاملنا فى الايات القرآنية فسوف ندرك جـــيـــدا بـــان (الـــمـــخـــلـــص) بكسر اللام يعني الشخص الذي اخلص نفسه واعماله ونيته ، وغالبا ما يستعمل هذا في مراحل بنا الانسان لنفسه ،في حين ان (مخلص) (بفتح اللام) يطلق على الذين بلغوا الـــدرجـــات الـــعـــلـــى من الايمان والمعرفة والعمل ، فهؤلا خارجون عن وساوس الشيطان واحابيله فـــلاســـلـــطان للشيطان عليهم قال تعالى (فبعزتك لاغوينهم

اجمعين الا عبادك منهم المخلصين) ص ــ٨٣.

وفـــي الـــحـــقيقة ان ادران وجود الانسان على قسمين : الاول يمكن تشخيصه وعلاجه ، والثاني لا يمكن ازالته وعلاجه اما لكونه مخفي عن الانسان او انه ظاهروجلي ولكن لا قدرة له على ازالته ، فـــعـــنـــدما يضع الانسان قدمه في طريق الاخلاص ويعمل على تخليص نفسه من ادران القسم الاول والتي تقع ضمن استطاعته وقدرته فان اللّه سبحانه وتعالى يخلصه ويزكيه بلطفه وكرمه من ادران القسم الثاني وحينئذيليق لمقام الـــ ((مخلص)).

والـــعجيب ان اللّه سبحانه وتعالى وهب لهذه المجموعة من المواهب والعطايا مالم يعط غيرهم ، ومن جـــملتها الرزق المعلوم وهو رزق خاص لا يشبه رزق غيرهم فهؤلا يتلذذون بلذة القرب من الذات الالهية المقدسة فاللّه تعالى اخلصهم لنفسه فلا يشاركه فيهم احد فقلوبهم لم تتعلق بشي غيره تعالى فـــلـــيـــس فـــيـــهـــا الا اللّه سبحانه ولقد اشار تعالى الى ذلك في قوله :(اولئك لهم زرق معلوم) ، ومن خـــواصـــهم الاخرى انهم في حرز من الوساوس الشيطانية وقد اشرنا الى ذلك سلفا ، ومن خواصهم كذلك بلوغهم مقاما ساميا من العرفان فعباد اللّه المخلصين يصفونه تعالى وصفا يليق به او بما يلقب به مـــن الاوصاف ، لا كما يصفه الكفار او المشركون ، قال تعالى في سورة الصافات الاية ١٥٩ ــ١٦٠ (سبحان اللّه عما يصفون # الا عباد اللّه المخلصين).

وبهذا فان معرفتهم باللّه اعلى المعارف واليقها ، وصيانتهم من الشيطان وهوى النفس اشد وجزاؤهم يـــوم الـــقـــيامة اجزل واوفر وهذا هو جزاالمخلصين (اللهم اجعلنا من المخلصين بحق محمد وآله الطاهرين).

###.

١٢.

الصدق :. قلما نجد في اعمال الانسان مثل جمال وجاذبية (الصدق والواقعية) ،ويتبين من الايات والروايات ان وزن الـــصـــدق ثـــقـــيل جدا في ميزان الاعمال ، وذلك لانه يعدمن اسمى اوصاف اوليا اللّه وهو احد مـــفـــاتيح الجنة كما صرح بذلك القرآن في سورة المائدة الاية ١١٩ (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهارخالدين فيها ابدا) ((١٨٨)) .

مـــن الواضح ان المراد بالصدق في هذه الدنيا هو الصدق في العقيدة والقول والفعل وكل صفة من هذه الـــصـــفـــات هـــي عـــلامة من علامات (التقوى) عندالانسان في هذه الدنيا والا فلا محل للصدق في الاخرة حيث لايكذب هناك .

اضـــافـــة الى هذا الاوضاع يوم القيامة لا مجال فيها الا للصدق ، وحتى المذنبون فانهم ان عمدوا الى انكار الحقائق مؤقتا فسوف يدركون سريعا بان لاجدوى من الانكار وبالتالي يعترفون بجميع ذنوبهم .

ويـــمـــكـــن ان نستفيد من هذا التعبير ضمنا بان جميع الاعمال الصالحة تنحصر في الصدق ،

ويتضح الـتـحليل المنطقي لذلك بشي من التامل حيث ان جميع الذنوب انما هي ناشئة من عدم الصدق في ادعا الايمان والاسلام فالشخص الذي يعترف ويقر بقانون كيف يسمح لنفسه بمخالفته .

وتتضح اهمية الصدق من هذه الناحية وهي ان اللّه سبحانه وتعالى جعله الوسيلة لكشف حقائق الناس ، كما ورد ذلك في حديث عن الرسول الاعظم (٩) :قال (لا تنظروا الى كثرة صلاتهم وصومهم ، وكـثـرة الـحـج والـمعروف ، وطنطنتهم بالليل ، ولكن انظروا الى صدق الحديث ، وادا الامانة) ((١٨٩)) ، وقـال (٩) فـي حـديـث آخـر (ان الـصـدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة) ((١٩٠)) .

اذن فالصدق مفتاح من مفاتيح الجنة .

.١٣

تزكية النفس :. مـما لا شك فيه ان الجنة هي محل الصالحين والاخيار ، ولقد ذكر القرآن ذلك صراحة كجزا لمثل هـؤلا الاشـخـاص ونـقلت الاية ٧٥ ، ٧٦ ، طه عن لسان سحرة فرعون بعد غلبة معجزة موسى وايـمان وتسليم السحرة بما جا به والتمرد على فرعون فقالت :(ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزا من تزكى).

تزكى : مشتقة من مادة (تزكية) وتشمل تزكية العقيدة وكذلك تزكية الاقوال والافعال ايض.

وفي الحقيقة ان الجنة محل مطهر من جميع القذارات والادران ومن الطبيعي ان هذا المحل لا يصلح الا للاخيار الذين لم يلبسوا ايمانهم بظلم .

وقد قال بعض المفسرين ان (الدرجات العلى) جعلها اللّه لمن كان له ايمان وعمل صالح وتزكية نفس .

وعـلى هذا الاساس لا يتنافى ان تكون الدرجات الاقل للمؤمنين الذين خلطوا اعمالا صالحة باخرى سيئة ، او حتى الذين ارتكبوا احياناالمنكرات .

ولكن هؤلا لن يستطيعوا دخول الجنة التي هي محل القدس والطهارة ما لم يتطهروا من هذه الذنوب ، وهـنـاك احـتـمـال آخـر وهو ان هذه الايات لم تكن عن لسان سحرة فرعون وانما هي كلام اللّه المباشر ولكن ومهما كان تفسير الاية فان المعنى واحد.

.١٤

الانفاق والاستغفار :. الاسـتـغـفار من الذنوب والتوبة والانفاق في السرا والضرا وكظم الغيظوالعفووالصفح عن الناس وعـدم الاصـرار عـلـى الـذنب مجموعة من الصفات تعرضت لهاالايات ١٣٣ ــ ١٣٦ من سورة آل عـمـران واوعـدت فـي مـقـابل ذلك الجنة قال تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها الـسـمـوات والارض اعـدت لـلمتقين)وهذه الاية كالتوطئة لذكر ما يذكره تعالى بعد من اوصاف الـمـتـقـيـن ثم شرع

ببيان هذه الاوصاف وقال :(الذين ينفقون في السرا والضرا والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس واللّه يحب المحسنين # والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا اللّه فاستغفروا لذنوبهم) ، واوعدهم في نهاية الاية المغفرة والجنة (اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار).

المسارعة : هي الاشتداد في السرعة وهي ممدوحة في الخيرات ومذمومة في الشرور ، والمسابقة الى المغفرة هي اشارة الى السبق الى اسباب المغفرة ، لذا فسرها البعض بالاسلام وقبل ادا الفرائض وقبل الهجرة وقيل الصلوات الخمس وقيل الجهاد وقبل التوبة والتي تعد كل واحدة منها من عوامل المغفرة الالهية ، وتشكل هذه الاوصاف موجبات السبق الى الجنة والفوز بها ، ولقد اشارت الايات بعدها الى مسالة الانفاق والاستغفار والعفو والصفح والاحسان وكل هذه الامور من الاسباب المهمة للمغفرة ودخول الجنة .

ولقد ورد نفس هذا المعنى في سورة الحديد الاية ٢١ بشي من الاختلاف حيث ورد تعبير (سابقوا) محل (سارعوا) قال تعالى : (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السما والارض) ومن البديهي ان (سارعوا) من باب (مفاعلة) وتاتي بمعنى التسابق والنتيجة واحدة (تامل).

ولكن بعض المفسرين فسروا (سارعوا) بمعنى المبادرة او الاشتداد في السرعة ولم يروها من باب (مفاعلة).

على اية حال ان هذه التعابير تدلل على ان الدنيا ساحة تسابق والهدف النهائي من هذه المسابقة هو الوصول الى المغفرة والفوز بالجنة وبهذه السعة التي وصفتها الاية الكريمة وسوف نتكلم حول (سعة الجنة) في نهاية هذا المجلدان شا اللّه .

.١٥

الخوف من اللّه :. الخوف من اللّه تبارك وتعالى يعني الخوف من عدالته ، وحسابه وكتابه وعقابه درع حصين امام الذنوب والمعاصي وعامل فعال في مواجهة الظلم والفسادوالعصيان ولهذا السبب يعتبر الخوف مفتاحا من مفاتيح الجنة كما قال تعالى في سورة الرحمن آية ٤٦ (ولمن خاف مقام ربه جنتان).

ولقد ذكر المفسرون في تفسير (مقام ربه) احتمالين :.

الاول : الاحاطة العلمية للرب تعالى بجميع اعمال الانسان ونواياه .

الثاني : اي مقامه بين يدي ربه للحساب (حيث يوجد مقدر في هذه الصورة والتقدير هو : ((مقامه بين يدي ربه)) ((١٩١)) .

ومهما كان التفسير فان الخوف من اللّه هو الوازع من كل معصية وخطيئة كما ورد ذلك في حديث عن الامام الصادق (٧) قال : (من علم ان اللّه يراه ويسمع ما يقول من خير او من شر فيحجزه ذلك عن القبيح من الاعمال فله جنتان) ((١٩٢)) .

ولقد قيل في تفسير (جنتان) ارا عديدة :.

١ ــ الــمــقــصود الجنة (المادية) و(المعنوية) كما ورد ذلك في سورة آل عمران آية ١٥ (جنات تــجــري مــن تــحــتها الانهار ورضوان من اللّه) فالاولى هي البساتين التي تجري من تحتها الانهار والثانية رضا المعبود والمحبوب الحقيقي اي اللّه تعالى .

٢ ــ وقيل الجنة الاولى للايمان والثانية للعمل .

٣ ــ وقيل جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي .

٤ ــ وقيل جنة جزا للعمل وجنة تفضل من اللّه .

وهــذه الاقــوال ــ كــمــا تــرى ــ لادليل على شي منها ، ويمكن ان يكون التعبيرالاول هو الانسب ، واعتبار جميع الارا ممكن ايض.

.١٦

التولي والتبري . اي مــحــبــة اوليا اللّه ومعاداة اعدا اللّه وبتعبير آخر التودد للصالحين والاخيار ، والتبغض للكفار والاشرار ، والقرآن الكريم اعتبر التولي والتبري مفتاح الجنة كما جا ذلك في الاية ٢٢ من سورة المجادلة حيث قال تعالى :(لا تجدقومايؤمنون باللّه واليوم الاخر يوادون من حاد اللّه ورسوله ولو كانوا آباهم او ابناهم اواخوانهم او عشيرتهم).

ثــم قــال تــعالى :(اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار) المجادلة ــ٢٢ كما اشار تعالى في ذيل الاية الكريمة الى اجرهم المعنوي بقوله (رضي اللّه عــنــهم ورضوا عنه) وفي النهاية اعطاهم اللّه تاج الفخر والشرف ونعتهم بانهم حزب اللّه (اولئك حزب اللّه) ومن الواضح ان لا تجتمع محبتان في قلب واحد فاما محبة اللّه او محبة اعدائه ، وعلى هذا الاساس فان اقوى الاواصر وامتنها هي تلك المبنية على اساس محبة اللّه ومحبة اوليائه ، اما ما ســواهــافــهي علاقات زائفة لا معنى لها (فيبين تعالى ان بين الايمان وموادة اهل المحادة تضاد فلا يجتمعان لذلك).

ان هذه الموادة لسيت هي علاقة فحسب بل هي برنامج عمل متكامل في كافة المجالات والاصعدة اي هــي حــرب ضد ظلم الظالمين وفساد المفسدين وجرم المجرمين وهؤلا هم المخلصون في ايمانهم وقــوله تعالى : (اولئك كتب في قلوبهم الايمان) يحمل معنى عميقا فالكتابة جرت بيد القدرة الالهية وعــلــى صفحة القلب وهي بمعنى ثبات ورسوخ حقيقة الايمان في قلوبهم بحيث لا تتغير ولا تزول ابــداجــل فــمثل هؤلا الافراد المؤيدين بروح القدس ايضا هم الجديرون بحمل اسم (حزب اللّه) الذي هو مظهر من مظاهر التولي والتبري .

.١٧

الاهتمام بالصلاة :. ذكرت الايات ٢٢ ــ ٣٤ من سورة المعارج تسع صفات من صفات اهل الجنة وعلى اثر هذه الصفات يــعدهم اللّه تعالى بالجنة ، وهذه الصفات هي :المحافظة على الصلاة ، وتعيين حق ثابت في اموالهم للمحرومين ، والايمان بيوم الجزا ، والخوف من عذاب

اللّه ، والمحافظة على الفروج ، وادا الامانة ، والـــوفـــابالعهد ، والقيام بالشهادة ، والمحافظة على اداب وشرائط وروح الصلاة ، وبعد ذكرهذه الـــصـــفـــات قال تعالى :(اولئك في جنات مكرمون) وهذا التعبير تعبير واجدلجميع النعم الجسمانية والروحانية .

ومن الطريف ان هذه الصفات التسع ابتدات بالصلاة واختتمت بالصلاة ايضا مع هذا الاختلاف ، وهو انـــهـــا ابـــتـــدات بـــالاســـتـــمـــرار عـــلى الصلاة وانتهت بالمحافظة عليها اي حفظ آدابها وشرائطها وخـــصوصياتها تلك الاداب والشرائط تحفظ مظهرالصلاة من الفساد والبطلان وكذلك تقوي روح الـــصـــلاة التي تتمثل بحضور القلب وازالة موانع قبولها كاكل السحت ، وشرب الخمور ، والغيبة ، وامثال ذلك .

اذن فالاية تدلل على ان اعمال الخير كلها تبدا بالصلاة وتنتهي بالصلاة ايضا ، ومن الناحية العملية ان اول ما يجب على الانسان البالغ الصلاة واخر ما يلازمه حتى نهاية عمره الصلاة ايضا اللطيف هو ان لـــلمحافظة على الصلاة طرفين الاول وجوب المحافظه عليها من الفساد والخلل والثاني ان الصلاة تـــحـــفـــظ الانـــســـان من الفحشا والمنكر (ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر) ونختم هذا البحث بـــحـــديث عن الرسول الاعظم (٩) قال : (من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة) ((١٩٣)) .

الخلاصة :.

ان كـــل مـــا اشـــرنـــا اليه في الفقرات الماضية يمثل جانبا مهما من اسباب دخول موضع الرحمة وهذه الامور تعكس النظرية الاسلامية في مجال توفيراسباب النجاة والسعادة الابدية ، ومن جهة اخرى تـــمـــثـــل الدافع القوي للتزودبالاعمال الصالحة الانسانية والاخلاقية والاجتماعية ، وبلا شك ان استلهام هذه المفاهيم له اكبر الاثر في ايصال الانسان الى اوج التكامل والتربية والافتخار.

الهي وفقنا لطاعتك ولا تحرمنا من مفاتيح ابواب جنانك .

.٢

النعم الجسمانية في الجنة . تمهيد :.

لـــقـــد اتـــضح في بحث المعاد الجسماني ان المعاد في المنظور القرآني له بعدجسماني وبعد روحاني ايـــضـــا ، حيث ان الانسان في تلك العرصات يحضر بحسمه وروحه ، وان المواهب والعطايا الالهية تـــشـــمـــل الاثـــنين معا ، فالذين يعتقدون ان النعم في الجنة كلها نعم معنوية وروحية وان الايات التي تـــتـــحدث عن هذه النعم المادية انما هي تعبر بلغة الكناية فان هؤلا قد اغفلوا عن هذه الحقيقة وهي انـــهـــم وبـــحـــصـــرهم النعم هناك بالنعم الروحية فانهم ينفون المعاد الجسماني وهذا خلاف صريح للايات القرآنية التي تؤكد على وجود هذه النعم ، وكما ذكرنا في بحث المعاد الجسماني فان الجسم والروح توامان مرتباطان معا ولا يمكن ان يبلغا التكامل بمعزل احدهما عن الاخر اضافة الى هذا انه لايمكن للروح ان تلتذ بالمواهب والعطايا

الالهية بمعزل عن الجسم .

عـــلـــى ايـــة حال فالنعم الجسمانية في الجنة كالنعم الروحية متنوعة وواسعة للغاية وجاذبة للنفس ، ولـــقد اكد على ذلك القرآن كثيرا لكي يجلب انتباه الناس الى الاعمال والصفات والفضائل التي توجب هـــذه الـــمواهب (ومن المعلوم ان الانسان يفكر بالنعم المادية قبل الروحية) في نفس الوقت فتح اللّه سبحانه فصلا مهما لبيان النعم المعنوية واللذات الروحية (وسنتطرق الى هذا في الفصل اللاحق).

واذا لـــم تكن النعم الروحية من ناحية شمولية البيان بمقدار النعم المادية لكنها اكثر بكثير من النعم الـــمـــادية من الناحية الكيفية ، وسنستعرض ادناه جملة من المواهب والنعم الجسمانية الموجودة في الجنة تحت هذه العناوين :.

١ ــ الجنات (البساتين).

٢ ــ الظل والظليل .

٣ ــ المساكن والقصور.

٤ ــ الفرش والارائك .

٥ ــ الاغذية والاواني .

٦ ــ الشراب الطهور.

٧ ــ افضل شراب اهل الجنة .

٨ ــ الاكواب والصحاف والاواني والكؤوس (الاقداح).

٩ ــ الالبسة والحلي .

١٠ ــ حور العين .

١١ ــ الخدم والسقاة .

١٢ ــ المضيفون .

١٣ ــ النزل .

١٤ ــ النعم التي لا تتصور.

ولـــقـــد وردت فـــي كـــل مـــن هـــذه المواضيع آيات متعددة في القرآن الكريم وسوف نستعرض هذه المواضيع على ضؤ تلك الايات .

١.

الجنان :. يـــتـــبين على ضؤ الايات الواردة في هذا المجال بان الجنة هي مجموعة بساتين لا مثيل لها ولا نظير فـــي هـــذه الدنيا وكل ما رسمه لنا القرآن لا يمثل الا صورة تقريبية كي يتمكن ساكنو هذه الدنيا من ادراك هذه المعاني والا فان حقيقة الجنة هي ما ورا ادراكنا ، لقد ذكر القرآن اكثر من مائة آية حول الـــجـــنة وبتعابير مختلفة مثل (جنات) او (جنة) او (جنتان) فنقرا في الاية ١٣ سورة النسا (ومن يطع اللّه ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار) ،

وفي الاية ٢٢١ البقرة (واللّه يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه) وفي الاية ٤٦ الرحمن (ولمن خاف مقام ربه جنتان) ، فهذه الكلمات (جنات ، جـنـتـان ، جـنـة) مـشتقة من مادة (جن) (على وزن فن) وهو الستروالتستر ويقول الراغب في مفرداته ستر شي من الحس وعلى هذا الاساس له مشتقات كثيرة .

والجنة : بمعنى البستان وذلك لا ن ارضها مستورة باغصان الاشجار ولكن صاحب كتاب مقاييس اللغة يـقول : الجنة مايصير اليه المسلمون في الاخرة وهوثواب مستور عنهم اليوم ، ولكن نحن نستبعد هـذا الـمـعـنـى وذلـك لان بـسـاتـين الدنيايقال لها ايضا جنة وهذا لا يكون الا لسبب ستر ارضها بواسطة اغصانها (تامل).

و(الـجـنـيـن) الولد في بطن امه والجنان : القلب لا نه مستور في الصدروالمجن : الترس ، وكل مـااسـتتر به من السلاح فهو جنة (على قول صاحب مقاييس اللغة) و(الجن) و (الجان) يطلق على الـمـوجـودات الـحـيـة الـمـستورة عن اعين الخلق ،وكذلك على الثعابين العظيمة تشبيها لها بـ ((الـجن)) (الذي هو موجود خطرخفي)ويطلق على عظام الصدر ـ جناحين ايضا ـ ولعل السبب كونها درعا لحفظالقلب .

جـنون : بمعنى ذهاب العقل واصل الجنون هو الستر ، جنون الليل : سواده وستره للاشيا ، على اية حـال ان الـمـهـم فـي هذا الموضوع هو ان بساتين الجنة كثيفة الاشجار الى درجة سترت ارضها باغصانها المتدلية .

ولقد ورد في عشرات الايات بعد ذكر (جنات) جملة (تجري من تحتهاالانهار) وهذا يدل على ان الما يجري دائما تحت الاشجار وبتعبير آخر ان اغصان اشجارها تظل على المياه التي تجري تحتها فيكون الما تحتها(تامل) ، وهذا يعودالى :.

اولا : ان الما والشجر يشكلان مع بعضهما البعض منظرا جميلا في منتهى الروعة والجمال ، وكان كل واحد منها ناقص ويحتاج الى اكمال من الاخر.

وثانيا : ان الانهار تؤمن طراوة دائمية للاشجار فالتي تجري من تحتها المياه تكون خضرا زاهية ، امـا الاشـجـار الـتـي لا تـتـوفر لها مياه دائمة او يؤتى به من الخارج فلا تتمتع بمثل هذه الطراوة والاخضرار ، فالما هو اساس حياة النباتات ولا بد من توفر هذا العنصر الاساس للحياة بجانبها دائما ، وجـا في احدى الروايات :(ان انهارالجنة ليست في اخاديد انما تجري على سطح الجنة منضبطة ((١٩٤)) والاعجب من هذا انه ليس الاشجار تجري من تحتها بل و ـ كما جـا فـي بعض الايات ـ ان (الغرف) بنيت على الانهار ايضا فالانهار تجري من تحتها : كما وردفي الاية ٥٨ العنكبوت ((١٩٥)) (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاتجري من تحتها الانهار).

.٢

ظلال الجنة :. لـقـد اشـارت آيات عديدة الى ظلال الجنة ومن جملتها سورة الواقعة

(واصحاب اليمين # ماصحاب اليمين # في سدرمخضود # وطلح منضود # وظل ممدود # وما مسكوب) الواقعة ــ٢٧ ــ٣١.

مــن الــمعلوم ان ظلال الاغصان هي اجمل واروع من اي ظلال فظلال الاشجار ليست كمثل ظلال الــخــيــام والغرف المظلمة الفاقدة للتهوية حيث تعمل الرطوبة الملائمة للاوراق على تلطيف الظل ويــضيف لها عطر الاشجار وتفتح الازهارجمالا آخر الى جمالها ، وظلال الجنة ظلال دائمة لذا فلا يختل سكينة الانسان وراحة باله ابدا (اكلها دائم وظلها) الرعد ٣٥ وعبر عنه احيانا بــ (ظل ظليل) قال تعالى :(وندخلهم ظلا ظليلا) النسا ــ٥٧ ((١٩٦)) .

اتضح من خلال مامر : ان اجوا الجنة لا مثيل لها ولا نظير فهي في منتهى اللطافة والجمال والاعتدال كــمــا نــقــرا ذلــك فــي ســورة الانسان الاية ١٣ (لايرون فيهاشمسا ولا زمهريرا) ((١٩٧)) ((١٩٨)) اي انهم لا يرون شمسا يتاذون بحرها ولا زمهريرا يتاذون ببرده .

.###

.٣

قصور اهل الجنة :. لــقــد اشــارت آيــات عديدة من القرآن الى مساكن اهل الجنة وبتعابيرمختلفة ، قال تعالى في سورة التوبة الاية ٧٢ (ومساكن طيبة في جنات عدن) ولقدورد نفس هذا التعبير في سورة الصف الاية ١٢.

طــيــبــة : لــها معنى واسع جدا يشمل جميع المزايا ومعناها في الاصل :الشي الذي ترتضيه النفس الانسانية ويبعث عند الانسان (طيب النفس) او ان السكن فيها مطهر وصالح في كل الاحوال ، وهذه الــكــلــمــة جــمــعت كل خواص السكن الجيد ، وقد عبرت الاية ٧٥ الفرقان عن المساكن بتعبير (غرفة) وتعني : البنا فوق البن.

قال تعالى (اولئك يجزون الغرفة بما صبروا).

غــرفة : من مادة (غرف على وزن فعل) : وتاتي بمعنى رفع شي وتناوله ويقال (غرفة) للشي الذي يــرفــع ويتناول ثم اطلق ذلك على القسم العلوي للبنا(الغرفة كما قيل : البنا فوق البنا فهو الدرجة العالية من البيت وهي كناية عن الدرجة العالية في الجنة).

ومــما تجدر الاشارة اليه ان الغرف تتمتع بعدة خصائص فاجواؤها الطف واجمل الاجوا ومناظرها احــســن الــمــنــاظــر ، ومحلها يؤمن افضل سكن لساكنيها وماتعبير ((غرفة)) الا اشارة الى هذه الــخيرات ، ولذا نقرا في سورة سبا الاية٣٧ (وهم في الغرفات آمنون) ، وهناك تعبير آخر في هــذا المجال في سورة الزمرالاية ٢٠ (لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتهاالانهار) ، وقــال تــعــالــى فــي الاية ٥١ ، ٥٢ عندما اشار الى محل اقامة اهل الجنة :(ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون) ومن هنا يجب الاشارة الى هاتين النكتتين :.

١ ــ لقد اشارت بعض الايات الكريمة (مثل الاية ١٢ سورة الصف) من بين جميع النعم في

الجنة الى (المساكن الطيبة) ويعود في ذلك الى ان (السكن) يعتبراحد اهم عوامل راحة الانسان وسكينته ، وهذا المسكن هو مسكن طاهر ومطهر من جميع القذارات الظاهرية والباطنية فهو يؤمن كل اسباب الامن والامان والاستقراروراحة البال للانسان ، ومما تجدر الاشارة اليه ان (السكن) اخذ من مادة (سكون)وتعني الهدؤ.

٢ ــ لقد ذكر القرآن الكريم عدة امور واعتبرها من موجبات السكينة والاطمئنان وهي :.

١ ــ البيوت السكنية المناسبة سوا في الدنيا او في الاخرة (واللّه جعل لكم من بيوتكم سكنا) النحل٨٠ .

٢ ــ الازواج الصالحة (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنواإليها) الروم ــ٢١.

٣ ــ الليل من موجبات السكينة والهدؤ (وجعل لكم الليل سكنا)الانعام ــ٩٦.

٤ ــ دعا الرسول (٩) للذين يؤتون الزكاة (ان صلاتك سكن لهم).

٥ ــ السكينة الناتجة عن الايمان (هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين)الفتح ــ٤.

ولاشك ان لبعض هذه الامور بعدا ماديا وللاخر معنوي.

.٤

الفرش والارائك :. من النعم الالهية الاخرى فى الجنة الفرش والارائك المختلفة وهي في منتهى الروعة والجمال والجذابية .

قال تعالى في الاية ٥٤ الرحمن : (متكئين على فرش بطائنها من استبرق)ومن الطريف ان بطانة هذه الفرش من افخر الاقمشة في الدنيا اما ظاهرها فهو من اللطافة والجمال والقيمة بحيث يعجز عنها الوصف وعلى قول بعض المفسرين هي من الامور التي يقول القرآن بصددها (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين) السجدة ــ١٧.

ولقد ورد حديث عن الرسول (٩) قال : (ظواهرهانور يتلالا) ((١٩٩)) وفي الاية ١٦ من سورة الغاشية نجد تعبيرا آخر ضمن توصيف النعم المختلفة في الجنة (وزرابي مبثوثة).

((زرابـــي)) جـــمـــع ((زربية)) (على وزن شرقية) وهي على قول بعض ارباب اللغة مشتقة في الاصل من الكلمة الفارسية ((زربفت)) وهو القماش الذي يستعمل في نسيجه الذهب بدلا من القطن والـــصـــوف وتاتي احيانا بمعنى القماش الغالي الثمن ((٢٠٠)) (البسط الفاخرة) ، وقال بعض ارباب الـــلـــغة والمفسرين ان (زربي) جمع ازربي بكسرالزا و (زربية) في الاصل بمعنى انواع النباتات الـــتـــي اخـــتلطت فيها الالوان الصفراوالحمرا الخضرا ، ولهذا السبب يطلق على الفرش التي تحمل الوانا زاهية متنوعة ، ((٢٠١)) وقد وصفت هذه الفرش بـــ (مبثوثة) ، وهي (المبسوطة المنشورة اوالمفرقة في المجالس).

ونجد في نفس هذه السورة في الاية السابقة عبارة اخرى تصف الوسائدوتقول : (ونمارق مصفوفة) ((نـــمارق)) جمع (نمرقة) (على وزن غلغلة) ويقول (صحاح اللغة) هي وسائد صغيرة يتكا عليها (وقد توضع اثنا الاستراحة والجلوس على الرجلين ويتكئ عليها).

وفـــي الايـــة ٧٦ سورة الرحمن نجد تعبيرا آخر فيما يتعلق بالفرش في الجنة قال تعالى : (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان).

رفرف : على قول الراغب في المفردات الاوراق والمناشف ثم اطلق الاقمشة زاهية الالوان ، وقال بـــعـــض ارباب اللغة ان الرفرف : بمعنى اطراف الخيمة التي تهتز بحركة الريح ، ورفرفة : بسط جناحي الطائر ((٢٠٢)) (تحريك الطائر جناحيه).

وقـــيـــل : ثـــياب خضر تبسط على السرير ، ويوجد هذا الاحتمال ايضا وهوالبساتين التي ترف من نـــضـــارتـــها ، لان رفرف تعني كسر الخبا ونحوه حيث تتحرك حين هبوب الريح ويقول ابو الفتوح الرازي في تفسير (الرفرف) : المروج الخضر.

اما ((عبقرى)) فهو مشتق من ((عبقر)) (على وزن جعفر) ويقول (صحاح اللغة) و (المفردات) مـــوضـــع كـــانـــت العرب تزعم انه كثير الجن ثم اطلق على كل مايتعجب من كماله وقوته وحذقه ، ويطلق على كل شخص عالم ماهر عبقري وجمعه عباقرة ((٢٠٣)) .

عـــلـــى اية حال ، انه يطلق على الاشخاص الذين ليس فوقهم شي وعلى الاشيا الفاخرة النفيسة وفي الاية هو وصف للاقمشة الفاخرة وقيل هو الديباج ،وقيل البسط.

وقيل : (عبقر) اسم مدينة مشهورة بحياكة احسن انواع الاقمشة ((٢٠٤)) .

اما فيما يتعلق بالسرر التي يجلس عليها اصحاب الجنة وقد عبر بـــ (السرر)جمع (سرير) كما في الاية (١٥ ــ١٦) سورة الواقعة فقال : (على سرر موضونة ــمتكئين عليها متقابلين).

ولـــقـــد تـــكـــرر هـــذا التعبير في خمسة مواضع من القرآن الكريم ، فقد وصف هذه السرر في الاية الـــســـالـــفـــة بـــــ (مـــوضونة) وهي مشتقة من مادة ((وضن)) (على وزن وزن) وفي الاصل بمعنى (النسج) واطلاقه على نسج السرر استعارة يراد بها احكام نسجه .

ومـــن هـــنا يمكن ان يكون هذا المعنى اشارة الى ان الاسرة منسوجة بنسج خاص من اللؤلؤ والياقوت والـــجـــواهـــر او مـــنـــســـوجة من خيوط الذهب والفضة (اومنسوجة بقضبان الذهب

مشبكة الدرر والـــجواهر) او لانها مرتبة بترتيب خاص على اختلاف ارا المفسرين وقد وصفت في آيات اخرى بـــ ((مصفوفة)) مثل (متكئين على سرر مصفوفة) الطور ــ٢٠ وقال في آيات اخرى ((مرفوعة)) (فـــيـــهـــا سررمرفوعة) الغاشية ــ١٣ فلقد اشارت الاية الاولى الى ترتيبها وتقاربها ، والثانية الى علوهاوارتفاعه.

ويشير ارتفاع سور اهل الجنة الى علو مكانتهم وطهارتهم وقربهم او انهم يشرفون من فوقها على مناظر الجنة المحيطة بهم من كل جانب .

عـــلـــى ايـــة حال ان هذه السرر تكون بهيئة مجاميع حتى يبلغ اصحابها انسهم وحسن عشرتهم وصفا بـــاطنهم ، كما جا ذلك في موضعين من القرآن حيث وردتعبير (على سرر متقابلين) الحجر ــ٤٧ ، الصافات ــ٤٤ اي (يستمتع بعضهم بالنظر الى وجوه بعض ولا يرى بعضهم قفا بعض).

والـــجـــديـــر بالذكر هو ان (سرر) جمع ((سرير) من مادة (سرور) وكان الجلوس على الاسرة عـــمـــوما وعلى اسرة الجنة خصوصا من عوامل النشاط والارتياح والسرور ، اضافة الى انها متعلقة بمجالس الانس والسرور.

وفـــي مواضع اخرى عبر القرآن الكريم بتعبير آخر (الارائك) ، وورد هذاالتعبير خمس مرات في القرآن فقال في موضع : (متكئين فيها على الارائك) الكهف ٣١ ولقد ورد نفس هذا التعبير بشي مـــن الاخـــتـــلاف في الاية ٥٦ سورة يس (في ظلال على الارائك متكئون) وورد نفس هذا التعبير ايـــضـــا فـــي سورة الانسان الاية ١٣ ، وقال تعالى في آيتين من سورة المطففين (٢٣ ، ٣٥) :(على الارائك ينظرون).

ارائك : جـــمـــع اريـــكـــة ، وعـــلى قول الكثير من المفسرين (مثل صاحب مجمع البيان ، والقرطبي ، والـــفـــخـــر الـــرازي ، وصاحب روح المعاني) بمعنى الحجلة اذا كان فيها سرير ، وفسرها البعض بالسرير الذي فيه مظلة ، الاريكة السرير في الجملة وهي (البيت المزين للعروس).

ويقول الراغب في المفردات : ماخوذة من (اراك) وهي اسم شجرة معروفة .

ويـــقول ابو الفتوح الرازي في ذيل الاية ١٣ سورة الانسان ان ((السرير)) و((الاريكة))معنيان مختلفان اخدهما فيه مظلة والاخر بدونه.

وتدل تعابير القرآن على هذا المعنى ، لان الكلام عن السرر طرح في مواردمجالس انس اهل الجنة وهـــم مـــتـــقـــابلون ويتسامرون ، في حين ان الارائك تختص بجلساتهم الخاصة اي عندما يختلون مع ازواجهم كما ورد ذلك في سورة يس الاية٥٦ (هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون).

ومـــن هنا يمكن ان نستنتج : انه عندما يقول القرآن : (متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمـــهـــريـــرا) الانـــســـان ــ١٣ ، فمن الممكن ان تكون الاية قداشارت الى هذا

المعنى ، وهو ان الشمس تشرق عليهم عندما يجلسون على هذه الاسرة الخاصة ، ولو ان هناك تفسيرا آخر قد اشير اليه في حينه .

ومـــن الـــطـــريف انه وردت في القرآن خمس آيات حول الاسرة وخمس آيات حول الارائك ، ولقد وردت اشارات متساوية عن الحياة العامة والخاصة لاهل الجنة .

وهـــنـــاك كلام طويل حول اوصاف هذه الاسرة والارائك ورد في الاخباروالروايات اعرضنا عن ذكرها لاجل الاختصار.

.٥

اطعمة اهل الجنة :. ان الاغـــذيـــة الـــجسمانية لاهل الجنة ــ كما يستفاد من القرآن الكريم ــ متنوعة للغاية ، ويستفاد من مجموع آيات القرآن الكريم ان الغذا الرئيسي لاهل الجنة هومن جنس الفواكه ، وورد هذا المعنى تحت عناوين مختلفة مثل ((فاكهة)) ((وفواكه))((وثمره)) و((ثمرات)) و((اكل)) في آيات كثيرة من القرآن الكريم .

فقال تعالى في بعض منها : (فيها من كل فاكهة زوجان) الرحمن ــ٥٢.

وعـــلـــى قـــول صاحب كتاب مقاييس اللغة ((فاكهة)) في الاصل مشتقة من مادة ((فكه)) وتدل على طيب واستطابة ، ومن ذلك الرجل الفكه الطيب النفس ومن الباب : الفاكهة لانها تستطاب وتستطرف ومن الباب : المفاكهة ، وهي المزاحة ومما يستحلى من الكلام .

ويـــعتقد الكثير من المفسرين ان الفاكهة تشمل جميع اقسام الفواكه ، ويؤكدهذا المعنى الراغب في مـــفـــرداتـــه فـــي حين ان البعض يقول (الفاكهة) تشمل جميع الفواكه ماعدا العنب والرمان (او ماعدا الرطب والرمان) ، وذلك لان سورة الرحمن الاية ٦٨ عطفت هذين الجنسين على الفواكه ، من هنا فانهم يعتقدون انها لن تدخل في مفهوم الفاكهة في حين ان هذه الاية لا تدل على هذا المعنى وانما نجد في كثيرمن المواطن يذكر الخاص بعد العام لاهمية الخاص .

وفـــي اعـــتـــقـــاد جـــمع من المفسرين ان تعبير ((زوجان)) اشارة الى ان لكل ثمرة نوعان وضربان مـــتشاكلان : نوع في هذه الدنيا ، ونوع من شكله غريب لم يعرفوه في الدنيا وقيل : ان هذا التعبير هـــو اشـــارة الـــى تنوع فواكه الجنة كل نوع اكثر لذة من الاخرولقد بينت سورة الواقعة الاية ٢٠ تنوع اغذية اهل الجنة بهذا الشكل (وفاكهة ممايتخيرون).

وجـــا فـــي ســـورة المرسلات الاية٤٢ (وفواكه مما يشتهون) ولقد اكدت بعض الايات على فواكه خاصة (فيها فاكهه ونخل ورمان) الرحمن ــ ٦٨.

وقال الفخر الرازي في تفسيره (انه تعالى ذكر نوعين من الفواكه الشجرية وهما الرمان والرطب لانهما متقابلان فاحدهما حلو والاخر غير حلو وكذلك احدهما حار والاخر بارد واحدهما فاكهة وغـــذا والاخـــر فـــاكـــهـــة ، واحـــدهما من فواكه البلاد الحارة والاخر من فواكه البلاد الباردة ، واحـــدهـــما اشجاره في غاية الطول والاخر اشجاره بالضد واحدهما ما يؤكل منه بارز وما لايؤكل كـــامـــن والاخـــر بـــالـــعـــكـــس فهما في الضدين والاشارة الى الطرفين تتناول

الاشارة الى مابينهما) ((٢٠٥)) .
وقال في موضع آخر (وحدائق واعنابا) النبا ــ٣٢.
وجا في آية اخرى (في سدر مخضود وطلح منضود) :.
لــقد فسر اغلب المفسرين ((الطلح)) بمعنى شجرة الموز التي لها اوراق عريضة خضرا جملية ، وثمرتها حلوة ولذيذة الطعم .
و ((منضود)) من مادة ((نضد)) وتعني ((المتراكم)) اي اذا جعل بعضه على بعض ، وهذه اشارة الى عذق الموز وشجرة الموز ذات الاوراق العريضة الخضراالجميلة وثمرتها حلوة المذاق .
وقــيــل : الــمــنــضــود (الــمراد الورق لان شجر الموز من اوله الى اعلاه يكون ورقا بعد ورق) ((٢٠٦)) .
ويــجــمــعــهما (السدر ، والطلح) نوعان : اوارق صغيرة ، واوراق كبيرة والسدرفي غاية الصغر ولطلح وهو شجر الموز في غاية الكبر فقوله تعالى (في) اشارة جامعة لجميع الاشجار نظرا الى اوراقــهــا ((٢٠٧)) واضــافــة الــى ذكــر الــفــاكــهة اشار القرآن الكريم اشارة عابرة مختصرة الــى ((الــطــلــح)) بــشــكــل عــام والــى ((لحم الطير)) بشكل خاص فقال في احد المواضع بعد ذكــرمــجــموعة مهمة من النعم الموجودة في الجنة (وامددناهم بفاكهة ولحم ممايشتهون) الطور ــ٢٢ ((٢٠٨)) .
جــمــلــة (مــما يشتهون) لها معنى واسع جدا حيث تشمل كل انواع الاغذية بكافة اقسامها واشكالها وكيفياته.
وقال في موضع آخر بعد ذكر انواع النعم وانواع الفواكه في الجنة (ولحم طير مما يشتهون) ولعل الــســبــب فــي تقديم الفواكه في كلا الايتين : هو ان الفواكه الغذا الافضل والاحسن والالذ ويعتقد الــبــعــض ان الغذا الطبيعي للانسان هوالفواكه ويرونه موجودا ((اكل الفواكه)) ولهذا السبب لا يــســتــطيع الانسان الانتفاع من اللحوم ابدا على وضعها الطبيعي ، بل لابد من اجرا تغييرات عليها ، ومزجها مع اشيا اخرى حتى يكمن الاستفادة منه.
في حين ان الفواكه مالوفة لديه على شكلها الطبيعي ومن دون اجرا اي تغييرات عليه.
ويتبين مما مضى ان اكل الفاكهة قبل اللحوم فيه لطف خاص .
.٦
الشراب الطهور :. ان الاشــربــة في الجنة كالفواكه وسائر الاغذية متنوعة ومنعشة للغاية ،ولقد عبر القرآن الكريم عــنها بتعابير مختلفة والغريب ان الكثير من هذه الاشربة تكون على شكل انهار ولقد اشارت سورة مــحــمــد(٩) الاية ١٥ الى اربعة اقسام منها قال تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ما غير آسن وانهار من لبن لم يتغيرطعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى).

هــذه الاشربة الاربعة والتي تجري في انهار الجنة الاربعة لا تجري كل واحدمنها في نهر خاص بــل فــي كــل الانــهار تبين مجموعة من انواع مختلف الاشربة المختلفة فالما لرفع العطش ، واللبن للتغذية ، والعسل للذة والقوة ، والشراب الطهور للنشاط.

ان هذه الاشربة مخلوقة بشكل لا يبعث طول الزمان على فسادها او تغييرطعمها ابدا وتحتفظ دائما بحداثتها فالجنة محيط منزه من كل كدروة فلا وجود فيهاحتى لميكروب واحد يفسد اطعمة اهلها واشربتهم .

والــجدير بالذكر ان ما هذه الدنيا يتغير لونه وطعمه بمرور الزمان ، اما انهارالجنة فهي تبقى على حــالــهــا ووضــعــها الاول صافية ، زلال مطهرة ، وكذلك الحال بالنسبة للبن ففي الدنيا يتغير سريعا بمرور الزمان فيتبدل طعمه الى طعم حامض وهذه مقدمة لفساده وتلفه اما لبن الاخرة فهو لبن سائغ شرابه لذيذ لا يتغير طعمه ولايعتريه عارض كالذي يصيب الالبان في الدني.

الخمر والشراب شراب غير مستساغ ولا لذة فيه ويوصف بمرارة المذاق ورداة الطعم فهو مذهب للعقل ، ومفسد للروح .

امــا شــراب اهــل الــجــنــة فــهو شراب لذيذ منعش يبعث في النفس النشاطوالحيوية الرحمانية لا الشيطانية .

وعسل الدنيا تشوبه في الغالب الكثير من الكدورات والشوائب اما عسل .

الاخرة فهو عسل مصفى خالص بمعنى الكلمة ، ومن الجدير بالذكر: ان القرآن الكريم اعتبر العسل جز من المشروبات وحتى في الاية ٦٩ من سورة النحل والتي تتحدث عن (النحل) ذكره كشراب (يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه) سورة النحل ــ٦٩.

ولــعــل الــسبب في ذلك هو ان العسل اذا شرب كمشروب (شربت العسل)فيكون اكثر لذة ومنفعة وحيوية .

ولــقــد اشارت آيات سورة الدهر والتي تعرضت لانواع النعم التي وعدهااللّه سبحانه للابرار من عباده الى مجموعة اخرى من الاشربة قال تعالى :(ان الابراريشربون من كاس كان مزاجها كافورا # عينا يشرب بها عباد اللّه يفجرونهاتفجيرا) الدهر ــ٥ ، ــ٦.

وقال في الاية ١٧ ، ١٨ من نفس السورة : (ويسقون فيها كاسا كان مزاجهازنجبيلا # عينا فيها تسمى سلسبيلا).

وقال تعالى في الاية ٢١ من نفس السورة :(وسقاهم ربهم شرابا طهورا).

فهذه الايات اشارت الى عدد من الاشربة ((الطهور)) في الجنة :.

الاول : الكافور ، وهو شراب خاص مهدئ ، حيث ان الكافور في اللغة له عدة معان :.

مــنــهــا الرائحة الطيبة ، ومنها مادة بيضا اللون يضرب المثل في برودتهاوبياضها ولها رائحة قوية خــاصــة مــهدئة ، وهي تقابل الزنجبيل الحار وهو عبارة عن جذور بنية لهاطعم ونكهة

طيبة تضاف احيانا الى الاطعمة والاشربة .

ومما تجدر الاشارة اليه ان العرب يستخدمون نوعين من الشراب ولحالتين مختلفتين الاول : منشط ومقوي ، والاخر مضعف ومهدئ ، الاول يمزجونه مع الزنجبيل ، والثاني مع الكافور ، ومن المعلوم ان حقائق العالم الاخر لا تستوعبهاعقولنا ، لذا فلا حيلة لبيان هذه الحقائق الا ان نستخدم هذه الالفاظ بمفاهيم اوسع واعلى .

وقال جمع من المفسرين ايضا : ان الكافور : اسم عين ما في الجنة تشبه الكافور في صفارها وبياضها ورائحتها الطيبة وبرودتهاولكن ليس بطعمها ، (ولا بدمن الاشارة الى ان الكافور المالوف هو نوع من الصمغ يستخرج من شجرة في جنوب الصين او بلاد الهند وله استخدامات طبية) ان التفسير الذي اشرنا اليه هو الانسب وذلك لا ن شراب الكافور يقابل شراب الزنجبيل).

والجدير بالذكر ان القرآن يقول : ان هذا الشراب الزنجبيلي ينبع من عين في الجنة اسمها (سلسبيل) ويعتقد الكثير ان هذه الكلمة مشتقة من (سلاسه) بمعنى الجريان ويرى البعض انها مشتقة من (تسلسل) بمعنى الحركة المتتابعة والمستمرة وهي اشارة الى انها سلسلة تتسلسل في الحلق .

وقيل : ان هذه الكلمة مركبة من كلمتين ((سال)) و((سبيل)) بمعنى طلب الطريق وهذه اشارة الى غاية سلاسته وعذوبته .

على اية حال يستفاد من مجموع التعابير ان عين السلسبيل فيها شراب في غاية اللذة والسلاسة .

الشراب الثالث الذي اشارت اليه الاية الكريمة هو ((الشراب الطهور))وساقيه هو اللّه تبارك وتعالى ومن وهو يبعث على تطهير الجسم والروح من كافة الادران والكدورات (وهذا شراب خاص للابرار والمحسنين كالنوعين السابقين)بعكس خمر الدنيا الذي هو نجس وينجس الروح والبدن .

ويعتقد بعض المفسرين : ان هذا الشراب يسقى بعد تناول الاغذية (فاذااكل [الانسان] ماشا سقي شرابا طهورا فيطهر بطنه ويصير ماكل رشحا يخرج من جلده اطيب ريحا من المسك) لقد ذكر هذا التفسير الفخر الرازي كرواية .

وقال صاحب تفسير الميزان : قال : (وسقاهم) اي بالغا في التطهير لا تدع قذارة الا ازالتها ومن القذارة قذارة الغفلة عن اللّه سحبانه وتعالى والاحتجاب عن التوبة اليه فهم غير محجوبين عن ربهم) ((٢٠٩)) .

وورد في تفسير ((منهج الصادقين)) نقلا عن الامام الصادق (٧) (اذا شرب المؤمن الشراب الطهور نسي ما سوى اللّه وانقطع اليه بالكامل) ((٢١٠)) .

وذكرت سورة المطففين ضمن عرضها للنعم الالهية التي وعدها اللّه سبحانه وتعالى للابرار :(يسقون من رحيق مختوم) ثم قال : (ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) وفي

الختام قال : (ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بهاالمقربون).
كـلـمـة رحـيق على قول اغلب المفسرين هو الشراب الخالص من الغش والقذى (اي خمر صافية خالصة من كل غش).
مختوم : ممنوع من ان تمسه يد حتى يفك ختمه للابرار ، وهذا تاكيد آخرعلى خلوصه وصفائه .
خـتـامه مسك :اشارة الى الذي ختم اناؤه بالمسك ، ويستخدم الختم عادة للتاكد والاطمئنان من عدم لـمسه او فتحه حيث يوضع الشي في انا معين ويغلق غلقا محكما من جميع الجوانب ثم يختم ويوضع عـلـى (الـخـتـم) مـقدار من الطين اوالعجين او الشمع الاحمر او النحاس او اية مادة اخرى تفي بـالـغرض وبهذا (لايمكن فتح او كسر هذا الانا) فلا سبيل الى مافي الانا الا بكسر ذلك الختم ، وكان العرب ينظرون الى ختم الانا قبل كل شي ليعرفوا انه لم تصل اليه يد ويسمونة بالمختوم .
وهناك تفاسير عديدة في هذا المجال لانراها تتناسب وظاهرالاية .
تـسـنيم : من مادة ((سنم)) (على وزن صنم) وفي الاصل على راي صاحب (مقاييس اللغة) بمعنى (الـعـلـو والارتـفاع) ومنه (سنام البعير) ، واطلق على السنة النار ، والغيوم المرتفعة والدخان وسنابل النباتات ايض.
لذا ((عين التسنيم)) عين في الجنة تكون سببا في الارتفاع والعلو يقال :سنمه اي رفعه ومنه سنام الابـل ، ولـعل من هذا انه اذا شربها المقربون فيتقربون من المقام الالهي والفنا في نور الحق اكثر فاكثر.
وقـيل : تسنيم : عين تقع في الطبقات العليا في الجنة ينصب شرابها عليهم من علو انصبابا وقيل هو نـهر يجري في الهوا فيصب في اواني اهل الجنة وهوخالص للمقربين ويمزج بمقدار من الرحيق المختوم للابرار وهو نوع آخر من شراب الجنة .
ويـظـهـر مـن خـلال الجمع بين هذه المعاني : ان هذه العين لها مكانة عالية رفيعة من ناحية المكان وكذلك من حيث التاثير المعنوي فهي توصل الروح وتجذبهاالى مقام القرب الالهي .
.٧
افضل شراب اهل الجنة :. لـقـد عـرضـت الايات السالفة الذكر سبعة انواع من الاشربة ، ونستنتج من مجموع هذه الايات ان مـشـروبـات الـجنة على انواع واقسام مختلفة ، فمنها يجري في الانهار (انهار من لبن وعسل وما وخمر) ومنها : مختومة ، ومنها ينبع من عيون من سما الجنة او طبقاتها العليا ومن الواضح ان اشرف شراب اهل الجنة هو الشراب الذي يسمى ((تسنيم)) وهو خاص بالمقربين .
وورد فـي تـفسير علي بن ابراهيم ((ان اشرف شراب اهل الجنة تاتيهم في عالي تسنيم وهي عين يـشرب بها المقربون ، والمقربون آل محمد(٩) والمقربون يشربون من تسنيم بحتا صرفا وسائر المؤمنين ممزوجا ((٢١١)) .

ويـــاتي (الشراب الطهور) في الدرجة الثانية ، ولقد اشارت اليه سورة الانسان الاية ٢١ ، بقرينة ، انه الشراب الوحيد في القرآن الكريم الذي يكون ساقيه هو اللّه تعالى .

ومـــن الـــمعلوم ان جميع هذه الاوصاف التي نسمعها ونقرؤها ماهي الا شبحا باهتا يتجسم في اذهاننا عـــن ذلـــك العالم الكبير، والا فلا يمكن توصيف هذه النعم وهذا الشراب الطهور من قبل سجنا عالم المادة (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين) الم سجدة ــ١٧.

والـــطـــريـــف ان الـــقرآن الكريم عبر بتعابير مختلفة لرفع اي ابهام في مجال الاختلاف الواضح بين الاشـــربـــة الـــدنيوية المكدرة بانواع الكدورات ، والشراب الطهورفي الجنة قال تعالى : (بيضا لذة للشاربين) الصافات ــ٤٧، لا كمثل شراب الدنيا المرالطعم غير المستاغ الشراب حتى ان شاربيه يـــتـــجرعونه في بادئ الامر ، اما شراب الجنة فهو شراب لذيذ منعش تعقبه نشوة معنوية وروحية غير قابلة للوصف .

ثـــم يـــضـــيف تعالى بقوله :(لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) ، ان شراب الدنيا يفسد العقل ويسكر الابـــدان بـــحـــيث يصبح الجسم من الضعف والوهن فلا يقدرعلى الحركة وحفظ التوازن اما اشربة الـــجنة فتعمل على تاجيج شعلة العقل والذكا ، وتشد من جاذبية العشق ، وتهي الجسم والروح للتمتع باللذات المعنوية والمادية بشكل افضل ((٢١٢)) .

وقـــال فـــي مـــكـــان آخـــر بعد الاشارة الى بعض من اشربة الجنة : (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) الواقعة ــ١٩.

يصدعون : من مادة ((صداع)) (على وزن غبار) وهو الصداع المعروف (اي لا ياخذهم من شربها صداع) واصله (صدع).

فـــعـــندما يتعرض الانسان الى صداع شديد فكان راسه يريد ان يتصدع من شدة الالم ، فتستعمل هذه الكلمة للتعبير عن آلام الراس الشديدة .

الـــخـــلاصـــة : ان اشـــربة الدنيا رديئة الطعم كريهة الرائحة تجلب الصداع وموجبة لفقدان الوعي وضـــعـــف الـــعقل وتسبب الكثير من الامراض الجسمانية والروحانية وقد يعقبها حالة التهوع والتقي والالام المعوية ، القلب في حين ان اشربة الاخرة اشربة لذيذة منعشة تزيد العقل وتعمل على تربية الجسم والروح ولهانشوة روحية ومعنوية غير قابلة للوصف .

.٨

الاواني (الصحاف والاكواب) :. مـــما لاشك فيه ان المطلوب الرئيس من الاغذية والاشربة هو نفسها لاالاواني ، ولكن بلا ريب ان لـــكـــيفية عرض الغذا والاواني المستعملة فيها تاثير عميق في جذابية الاطعمة والاشربة وصفاها ومضاعفة اللذة الناتجة منها لهذا السبب رسم القرآن الكريم وفي آيات عديدة صورة اجمالية عن هذه الاوانـــي الـــتـــي هـــي في منتهى الروعة والجمال في عبارات قصيرة عميقة المحتوى ان جميع هذه الالفاظوالمعاني لا تمثل الا صورة باهتة عن الوضع هناك ، والا فكل شي هناك فوق حدالتصور.

قال تعالى في سورة الزخرف الاية ٧١ : (يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب).
(صـــحـــاف) جمع (صحفة) على وزن (صفحة) وتعني : الاواني الكبيرة والواسعة (لان هذه المادة في الاصل بمعنى الاتساع).
(اكـــواب) : جـــمـــع كوب وهو القدح الذي لا عروة له (وهناك معان اخرى ولكن المشهور هو هذا القول).
والجدير بالذكر ان وصف (من ذهب) ذكر بخصوص الصحاف ولكن عطفها على الاكواب يدلل على انها من ذهب ايضا ((٢١٣)) .
وقال تعالى في وموضع آخر : (باكواب واباريق وكاس من معين) الواقعة ــ١٨.
ابـــاريق : جمع ((ابريق)) وحسب ماصرح به ارباب اللغة انها مشتقة من الكلمة الفارسية (آبريز) بمعنى القدح الذي له عروة وخرطوم لسكب السوائل .
يـــقـــول : ((الـــجـــواليقي)) في ((المعرب من الكلام الاعجمي)) ان هذه الكلمة تعني في الفارسية اماطريق العبور من الما ، او سكب الما ، وقيل : ان هذه الكلمة ماخوذة من مادة ((برق)) والتي هي كـــلـــمـــة عـــربـــيـــة ((٢١٤)) ، وبـــنا على ذلك ان ماجا في تفسير مجمع البيان والقرطبي (في ذيل الاية)غيرصحيح .
كاس : القدح الممتلي بالشراب وقال بعض المفسرين وعلى عادة العرب في شرابهم تكون لديهم اوان كبيرة فيها الخمر معدة ثم يغرفون منها بالاباريق ثم يصبونه في الاقداح ويلاحظ هذا الترتيب ايضا في (الشراب الطهور).
حـــيـــث تـــكـــون فـــي البداية في الاكواب ثم الاباريق واخيرا الكاس ((٢١٥)) ، وعبر في الشعر القديم عن هذا الموضوع بتعبير (القدح) (الكاس).
ومما تجدر الاشارة اليه ان جنس اواني الجنة حسب مايستفاد من الايات الكريمة مختلف ،فبعضها من الذهب كما اشرنا الى ذلك وبعضها من ((الفضة)) وبعضها من ((البلور)) قال تعالى :(ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب كانت قواريرا) الدهر ــ١٥.
والعجب انه يقول بعدها مباشرة : (قوارير من فضة قدروهاتقديرا).
قوارير : زجاجات لها بياض الفضة وصفا القوارير وهذه من خواص الجنة ، وذلك لان القوارير في الدنيا لا تصنع من الفضة وانما تصنع من الزجاج ، في حين ان الفضة احدى الفلزات ، ولكن ليس ببعيد ان يـــخـــلـــق اللّه نـــوعـــا مـــن الـــفضة الشفافة تصنع منها هذه القوارير كما ورد في حديث عن الامام الصادق (٧) قال : (ينفذالبصر في فضة الجنة كما ينفذ في الزجاج) ((٢١٦)) .
وهذا دليل على ان كل شي في الاخرة هو اعلى وافضل واكمل من هذاالعالم .
عـــلـــى ايـــة حال وكما اشرنا سابقا ان اواني اهل الجنة من اللطافة والرونق والجمال بما يضاعف لذة الماكول والمشروب لاهل الجنة .

.٩

الالبسة والحلي :. لـــلـــباس اهمية كبيرة في الحياة الدنيا فهو اولا يحفظ الجسم ويقيه من البرودة والحرارة ، ومختلف العوارض ، وثانيا يعتبر اللباس زينة مهمة للانسان فكم نجد ان لطراز الالبسة ابتدا من جنس القماش وحـــتـــى نـــوع خياطته ولونه يحكي عن طرزتفكير المر وشخصيته ، ونجد على طول التاريخ ان للملابس دورا مهما في زينة الانسان وبهائه .

مـــمـــا لاشك فيه ان اللباس في الجنة لا يهدف الى دفع البرد والحر او حفظالجسم من انواع الافات والامـــراض والـــعـــوارض ، حيث ان كل شي هناك في حدالاعتدال فلا امراض ولا آفات و من هنا تكون الملابس مظهرا من مظاهر الزينة ،ولعل لهذا السبب ركزت الايات القرآنية على ابراز مظهر زيـــنـــة الـــلـــباس وجا ذلك ضمن تعابير مختلفة ، ولكنها تحكي جمال وبها وجذابية ملابس اهل الجنة قال تعالى :(ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق) الكهف ــ٣١.

وورد نـــفـــس هـــذا المعنى بشي من الاختلاف في سورة الدخان الاية ٥٣ ،وسورة الدهر الاية ٢١ فـــيـــقـــول تعالى في الاية الاولى :(يلبسون من سندس واستبرق)وفي الاية الثانية :(عاليهم ثياب من سندس خضر واستبرق) ((٢١٧)) .

ونقرافي تعبير آخر : (ولباسهم فيها حرير) الحج ــ٢٣.

ولقد ورد نفس هذا التعبير في الاية ٢٣ فاطر، وشبيهه في سورة الدهرالاية١٢ .

كلمة ((سندس)) حسب اجماع اهل اللغة والمفسرين (مارق من الثياب)وهي ثياب حريرية فاخرة واصلها غير عربي (فلقد ورد في بعض كتب اللغة ان اصلها فارسي او رومي ((٢١٨)) ، ولو اننا لم نعثر على هذا المعنى في اللغة الفارسية .

وقـــال الـــبعض : ان اصلها يوناني ((٢١٩)) وقال اخرون : السندس : قماش من الحرير يستعمل في نسجه خيوط من الذهب .

وامـــا ((استبرق)) على قول ارباب اللغة والمفسرين (ما غلظ من الملابس الحريرية و لا يراد به الغلظ في السلك انما يراد به الثخانة في النسيج).

وقيل ان الاستبرق فارسي معرب اصله ((استبر)) او ستبر والذي يعني السميك ، وقيل هو الديباج الـــمـــنسوج بالذهب ، وقيل السندس الديباج الرقيق الفاخرالحسن والاستبرق الديباج الغليظ الذي له بريق وهذا يدل على ان ثياب اهل الجنة من الحرير الخالص وباشكال مختلفة .

ويـــمـــكن الاشارة هنا الى ان الحرير وبسبب نعومته ولطافته وقبوله لالوان مختلفة يعتبر من افضل الاقمشة وافخره.

وبـــمـــا ان الناس لم يعرفوا لباسا اغلى وافخر من الحرير لذا استعملت هذه الكلمة في توصيف لباس اهل الجنة ، والا فكل شي في الجنة فوق حدالتصور.

والجدير بالذكر ان الايات الكريمة تحدثت عن اللون الاخضر، ولعل السبب في ذلك هو ان هذا اللون اجـــمل الالوان في عالم الطبيعة والخلق ، فهو لون يبعث على البهجة والارتياح في النفس

، فالنباتات بـشـكـل عام خضرا ، والبحارو المياه تبدو احيانا زرقا واحيانا اخرى خضرا ولهذا فان هذا اللون يبعث في الروح الانسانية البهجة والطمانينة والارتياح .

ويـعتقد بعض العلما ان اللون الاخضر لون مهدئ ومسكن ، ونقرا في احدالكتب مقالة تحت عنوان : (الـصـحـة والـلـبـاس) : (ان اللون الاخضر له اثر كبير في علاج الامراض العصبية والنفسية والـهـسـتـريـا والارهـاق العصبي ، وكذلك له الاثر في زيادة قوة الادراك والتحمل ويبعث الامل والاعتدال ، كذلك له الاثر في ازالة حالات الارق وتخفيف ضغط الدم ، وتسكين اوجاع الاعصاب ، ويلاحظ ان اغلب الذين ينتخبون اللون الاخضر في الوهلة الاولى رحما واقعيون ، ويتمتعون بتعادل روحي ونفسي .

ولـقد اجريت تجربة على ثلاث مجاميع من العمال المجموعة الاولى عهد اليها حمل صناديق خضرا الـلـون ، والثانية صناديق سودا اللون والثالثة رمادية اللون ، فلوحظ ان اغلب المراجعين للمستشفى هم من المجموعة الثانية والثالثة وكانوا يشكون من آلام في الظهر وآلام اخرى .

كـان جـسـر اسـود الـلون في لندن وكان الكثير من الناس ينتحرون من فوقه ،ولما غير لونه الى الاخضر لوحظ انخفاض نسبة الانتحار بشكل كبير)) ((٢٢٠)) .

وعـرف مـنـذ الـقدم هذا القول (ثلاث يذهبن الحزن : الما والخضراوالوجه الحسن) ونختم هذا الـموضوع بما نقله احد المفسرين : (لو بسط ثوب من اثواب الجنة في الدنيا لاندهش اهلها جميعا) ((٢٢١)) ١٠.

حلي الجنة :. اشرنا في البحث السابق الى البسة اهل الجنة ، وسنتطرق في هذا البحث الى حليهم ايضا.

مـن الـمـعـلـوم ان للحلي والزينة المناسبة اثر نفسي كبير على روح الانسان ،فتبعث فيها الارتياح والانبساط والبهجة ، واذا لم تخرج عن حد الاعتدال فلا باس في ذلك وهو عمل مرضي ، لذا نجد ان الـكثير من الايات القرآنية والروايات اكدت على الزينة والتجمل والتطيب حتى اثنا العبادة ومن جـمـلـتـهـا : ارتدا الالبسة الطاهرة ، اختيار الالوان المناسبة ، تمشيط الشعر ، استعمال العطور والطيب ،والتختم باليمين ونحو ذلك .

ويـسـتفاد من آيات عديدة من القرآن بان اهل الجنة يتجملون ويتزينون بافخر انواع الحلي ، وبهذا فـهـم يتمتعون بلذة نفسية كافية ، ولقد ورد في ثلاث آيات من القرآن الكريم قوله تعالى : (يحلون فيها من اساور من ذهب) ((٢٢٢)) .

(اساور) : جمع (اسورة) (على وزن تجربة) وهي ايضا جمع (سوار) (على وزن غبار وكتاب) ومشتقة من الكلمة الفارسية (دستوار).

ولـقـد صـرحـت آيـتـان مـن الايات الثلاث بالاضافة الى (الذهب) بـ (اللؤلؤ)ايضا، ويقول بعض المفسرين انها اشارة الى اساور الجواهر واللؤلؤ ولو اخذنا بنظرالاعتبار ان (اللؤلؤ)

عطف على محل (من اساور) وهو منصوب فيكون بمنزل المفعول به لـ ((يحلون)) فيكون معنى الاية هكذا (يحلون فيها لؤلؤ واساور من ذهب).

ومن الممكن ان تكون زينة اللؤلؤ مشتقة من الاساور، وكذلك يمكن ان تكون جزا منه.

ويحتمل البعض : ان اهل الجنة بالاضافة الى تزينهم باساور من ذهب كذلك انهم يتزينون باساور من اللؤلؤ الخالص ايض.

ولقد اشار القرآن الكريم في موضع واحد الى (اساور الفضة) (وحلواساور من فضة).

من هنا يطرح هذا السؤال : ان الاساور سوا كانت من ذهب او من فضة فهي من زينة النسا ، ولا يتحلى الرجال عادة بالاساور فهل يختلف الامر في الجنة ؟.

يجب ان يلاحظ هذه المسئلة وهي اننا نجد وفي اماكن مختلفة من هذاالعالم ان كلا الجنسين يتزينون بالاساور ولا يختص بالنسا فقط.

ويتبين من اعتراض فرعون على موسى الذي كان يقول : (فلولا القي عليه اسورة من ذهب) ((٢٢٣)) بان هذا الموضوع كان له شياع في عرف اهل مصر، وتدل الزينة على شخصية الرجال وعظمتهم .

لقد اشرنا في البحوث السابقة ولمرات عديدة الى هذه المسالة وهي ان القرآن يحدثنا بلغتنا وماهو سائد عندنا ، ومن البديهي ان زينة اهل الجنة وحتى زينتهم المادية هي اعلى من ان تحيط بها افكار اهل الدني.

.١١

الحور العين :. يعتبر اختيار الزوجة الصالحة من اهم عوامل الراحة والسكينة والانس والحيوية في هذه الدنيا.

فالزوجة الصالحة (وكذلك الامر بالنسبة للزوج الصالح) تسهل على الزوج تحمل جميع مشاكل الحياة وصعوباتها وتعطي للحياة طعما خاصا مليئا بالمحبة والبهجة والسعادة .

وعلى العكس ــ في حالة عدم امتلاك زوجة او امتلاك الزوجة غيرالصالحة ــ فسوف تتبدل حلاوة الحياة وعذوبتها الى جحيم لايطاق حتى وان توفرت جميع اسباب الراحة .

وبتعبير آخر ان الزوجة الصالحة التي تتحلى بالفضائل الاخلاقية والخصال الحميدة لم تكن اساس اللذة الجسمانية فقط وانما تعتبر اساس اللذة الروحانية ايض.

فليس من قبيل المصادفة ان يركز القرآن الكريم ضمن عرضه لانواع النعم في الجنة على هذه المسالة ، فقد عبر بتعابير عميقة المحتوى في هذاالمجال .

قال تعالى في موضع : (ولهم فيها ازواج مطهرة) ((٢٢٤)) وصف الازواج بكونها (مطهرة) له مفهوم جامع وشامل ، فكما يدل التعبيرعلى نقائها وصفائها من كل النقائص والاقذار الجسمية والخلقية ، كذلك يشمل ايضانزاهتها من العيوب والادران المعنوية والخلقية ، ومن المعلوم ان اهم شرط في اختيار الزوجة هو طهارته.

ان تعبير ((مطهرة)) اكثر عمقا من تعبير طاهرة (فمطهرة) تشير الى ان اللّه سبحانه وتعالى هو الذي طهرها ومن يطهره اللّه ويشهد على طهارته تكون حالته واضحة بينة .

وجـــا نـــفـــس هذا المعنى في هذا الحديث (ازواج مطهرة من انواع الاقذاروالمكاره) ((٢٢٥)) لقد عـــبـــر الـــقـــرآن في عدة مواضع عن زوجات اهل الجنة بـــ (الحور العين) ،فقال تعالى في الاية ٥٤ ســـورة الـــدخان : (وزوجناهم بحور عين) وورد نفس هذاالتعبير في الاية ٢٢ الطور وذهب الى ابـــعد من ذلك في الاية ٢٢ الواقعة : (وحورعين كامثال اللؤلؤ المكنون) ((٢٢٦)) وقال تعالى في الاية ٧٢ الرحمن : (حور مقصورات في الخيام).

وفـــي الايـــة ٥٦ ، ٥٨ نقرا : (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان كانهن الياقوت والمرجان).

((حور)) جمع (حورا) و ((احور)) ، وعلى قول الكثير من ارباب اللغة والمفسرين (شدة بياض العين في شدة سوادها) وهذا غاية جمال العين ولعل السبب في ذكر القرآن لجمال العين هو ان اكثر جـــمـــال الانـــسان في عينه ، ولقد فسره البعض ببياض جميع الجسم لذا يطلق كلمة التحوير لعملية غـــســـل الـــملابس وتبييضها ويمكن الجمع بين المعنيين بانهم يتصفون ببياض الجسم وجمال العيون وسعته.

ومـــن هذا الباب ايضا اطلق كلمة (الحواريون) على اصحاب السيدالمسيح (٧) الذين كانوا يرتدون الملابس البيض.

امـــا كـــلـــمـــة ((عـــيـــن)) جمع ((اعين)) (على وزن افضل) و ((عينا)) في الاصل بمعنى العين الـــوســـيعة ، وتطلق هذه الكلمة على المراة التي تمتلك عينين واسعتين جميلتين وجذابتين او الرجل كذلك .

ومـــما تجدر الاشارة اليه ان كلمتي ((حور)) و ((عين)) تطلق على المذكروالمؤنث ايضا، لهذا فـــهي تحمل مفهوما واسعا بحيث يشمل جميع الازواج في الجنة ، زوجات للرجال المؤمنين ، وازواج للنسا المؤمنات (سنتكلم عن هذاالموضوع ايضا في مكان آخر).

يـــلاحظ ان القرآن الكريم قد اكد على جمال العيون ـــ وكما اشرنا ـــ ان جمال الانسان يكون قبل كل شي وبعد كل شي في عينيه ، فالعيون معيار جمال الجسم والروح .

(لـــؤلـــؤ): اي الـــدر الـــمصون المخزون في الصدف لم تمسه الايدي ، والذي يكون لها صفاا ورونقا خـــاصا حين استخراجه من الصدف وتشبيه ((حور العين)) بـــ(اللؤلؤ المكنون) اشارة الى لطافتها وجمالها الخارق ومن الممكن ان يكون اشارة الى انها مستورة بشكل كامل عن انظار الاخرين ، فلايد مستها ولا عين وقعت عليه.

وقال بعض المفسرين ايضا ((٢٢٧)) بما ان (حور) مشتقة من مادة (حيرة)،فيكون مفهومها هو ان الحور العين من الجمال بحيث تتحير العين عن النظر اليه.

وبعدها امتدح اللّه (الحور العين) بقوله : (خيرات حسان) ، اي نسا خيرات الاخلاق حسان

الوجوه ، وذكر صفة اخرى لهن وهي (مقصورات في الخيام)، قيل المقصور بمعنى المستور اي مستورات فـــي القباب ، وقيل مصونات محفوظات مخدرات لايبتذلن ، وقيل مقصورات اي قصرن على ازواجهن فقط دون غيرهم .

وقـــيـــل نـــفـــس الشي في تفسير قوله تعالى : (قاصرات الطرف)، وذلك لان ((طرف)) على وزن (حـــرف) بمعنى (جفن العين)، لانها تطرف فينطبق عليها تارة وينفتح تارة ، ويكون المعنى : قصرن طـــرفـــهـــن عـــلى ازواجهن لم يرون غيرهم وهذه اعظم صفة واكبرامتياز حيث لاترى احسن من زوجها فليس لها اي علاقة بغيره .

ومـــمـــا تـــجـــدر الاشارة اليه ان كلمة ((الخيمة)) في اللغة العربية لاتنحصر بالخيمة المصنوعة من القماش ، بل تطلق على كل بناية مدورة ، حتى قال بعض ارباب اللغة : ((كل بناية بنيت من الحجر و وغـــيـــره هـــي خيمة ، وان الخيمة في الاصل حسب قول صاحب كتاب مقاييس اللغة بمعنى الاقامة والثبات)).

ويـــســـتفاد من الروايات الاسلامية ان خيام الجنة وحكمها كسائر النعم الالهية الاخرى لايوجد اي شبه بينها وبين الخيام الدنيوية ،فبعضها قطع من اللؤلؤ.

وجـــا في وصف آخر للحور العين في الاية ٥٨ الرحمن حيث شبههن بالياقوت والمرجان : (كانهن الياقوت والمرجان)، اي هن على صفا ولون وتلالؤالياقوت وبياض وجمال المرجان .

ومن المعلوم انه اذا امتزج هذان اللونان مع بعضهما فيشكلان احلى الالوان واجمله.

ياقوت : حجر معدني في غاية الشفافية ، وعادة يكون احمراللون .

مـــرجـــان : يشبه اغصان النباتات ويوجد في البحار، وله الوان مختلفة ويرادمنه هنا اللون الابيض ، وقيل انه اللؤلؤ الصغير، حيث تتصف مثل هذه اللئالي ببياض وجمال وشفافية اكثر ((٢٢٨)) ولكن يـــعـــتقد العلما اليوم ان (المرجان) موجود حي ويشبه الاغصان الصغيرة للشجرة وينمو في اعماق الـــبـــحار، وكان العلما يعتقدون لفترة طويلة بانه نوع من انواع النباتات ، ولكن اتضح فيما بعد بان له صفات الحيوان رغم انه ملتصق بصخور قاع البحر.

وجا في سورة الواقعة (٣٤ ، ٣٧) وصف آخر لهن وهو (ابكار) ثم ((عرب))و((اتراب))للّه قال تعالى : (فجعلناهن ابكارا عربا اترابا).

((ابكار)) جمع ((بكر)) اي خلقناهن عذارى كلما آتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا ، ويستفاد من بـــعـــض الـــروايات وكلمات المفسرين ان هذه الحالة حالة دائمية لاتتغير ، ((عرب)) (على وزن كتب) جمع ((عروب)) (على وزن صبور) او (عربا) اي متحننات على ازواجهن متحببات اليهم ، وقـــيـــل عـــاشـــقـــات لازواجـــهـــن ، وقيل العروب اللعوب مع زوجها ، وفي الاصل ماخوذة من مادة (اعراب) التي تعنى الاظهار، وقدتعني ان لسان حالها يدل على عفتها وطهارته.

وفسرها البعض ايضا بمعنى الدلال وهو قريب من المعنى السابق .

ولـــقـــد ذكرت كلمة ((اتراب)) في ثلاث آيات من القرآن الكريم كوصف للحورالعين ((٢٢٩)) وهي جمع ((ترب)) (على وزن حزب) بمعنى المتساويان في السن ،وتستخدم في الجنس المؤنث عـــلـــى الاغـــلـــب ، وقيل : انها في الاصل مشتقة من ((ترائب)) بمعنى اضلاع القفص الصدري : اي مـــتـــشـــابهات وقال البعض انها مشتقة من مادة (تراب) وكانهم ولدوا في وقت واحد ووطؤوا تراب الارض سوية .

على اية حال ان التساوي في السن يمكن ان يكون اشارة الى تقاربهم ،حيث ان الازواج المتقاربين في السن يدركون غالبا احاسيس ومشاعر بعضهم البعض على نحو افضل ، او انه اشارة الى تشابههن في الخلقة والقامة والصورة والسن حتى يصبحن متشاكلات .

ولـــكـــن ذكر هذا الوصف مع بقية الاوصاف الاخرى مثل ((عرب)) و((كواعب)) و((قاصرات الطرف)) يدلل على ان المعنى الاول هوالانسب .

((كـــواعـــب)) لقد ورد هذا الوصف مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة النبا و(كواعب) جمع (كاعب) بمعنى الفتاة صغيرة السن ، وهي مشتقة من مادة (كعب) والتي تعني في الاصل بروز ظاهر القدم ، واستعملت هنا للاشارة الى الفتيات الصغيرات السن اللاتي اشرفت اثداهن ، ولقد ورد كذلك ان الكواعب اشارة الى مرحلة البلوغ الجسمي حيث يبدا الجسم بالنمو السريع في هذه المرحلة .

وبـــهـــذا الشكل فان الحور العين تتصف بجميع الصفات والمحاسن وحسن الظاهر والباطن

والفضائل الجسمانية والروحانية والاخلاقية ، وبذلك فيتصفن بكل ماهو حسن .
ونـــكـــرر مـــرة اخرى ونقول ان كل ذلك اشارات لحقائق مادية ومعنوية علياللعالم الاخر ولايمكن ادراك تفاصيله.
.١٢
الخدم والسقاة :. ان اللّه ســبـــحـــانـــه وتعالى اتم نعمته على اهل الجنة واعطاهم كل شي ومن جملتها المضيفون الذين يخدمونهم وباعلى كيفية .
والـــســـقـــاة : الـــذين يطوفون عليهم ويسقونهم من الشراب الطهور ان حسن ظاهرهم ولطف باطنهم وصـــلاح خـــلقهم وخلقهم من الدرجة بحيث يجذب اليهم اهل الجنة وينسيهم كل ما تحملوه من الالام والمعاناة في الدنيا في سبيل اطاعة اوامر اللّه تعالى .
ولـــقـــد تحدث القرآن الكريم في آيات عديدة عن (الغلمان) و (الولدان المخلدون) ووصفهم باجمل الاوصاف .
ان الـــتـــعـــابير الواردة في هذا الصدد، وكسائر المواهب والعطايا الالهية متنوعة ومختلفة ، فقد جا تعبير ((غلمان)) في قوله تعالى : (ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون) الطور: .٢٤
تـــعـــبير (يطوف) (مع ملاحظة كونه فعل مضارع يفيد الاستمرار) دليل على ان طوافهم حول اهل الجنة طواف دائمي .
((لـــؤلؤ مكنون)) وصف للخدمة ، فهم في حسنهم وصباحتهم وصفاتهم وبياضهم كالؤلؤ المصون في الصدف ، او الذي اخرج توا من الصدف .
صـــحـــيح ان الجنة ــ حسب التعابير الواردة في الايات والروايات ــ لاتحتاج الى خدم ، وكل مايريد اهـــل الـــجنة مهيا وجاهز ، ولكن هذا يعبر عن مقدار الاحترام والاكرام المنقطع النظير لاهلها من قبل الخدم .
ولو ان هذه الاية لم تخبر صراحة عن علة طوافهم ، ولكن الايات التي بعدها اشارت الى ان مهمتهم تتعلق بخدمة وتضييف اهل الجنة بانواع الاشربة والشراب الطهور، ومختلف الاغذية .
التعبير بـــ (لهم) يدل على ان لكل واحد من اهل الجنة خدما خاصين به ،وقيل ليس على الغلمان مشقة في خدمة اهل الجنة بل لهم في ذلك اللذة والسرور اذليست تلك الدار دار محنة .
وقد نقل الكثير من المفسرين هذا الحديث عن رسول اللّه (٦) :.
قـــيـــل يارسول اللّه الخادم كالؤلؤ فكيف المخدوم ؟ فقال : (والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب) ((٢٣٠)) .
ومن الجدير بالذكر ان (الغلمان) جمع غلام وتعني في اللغة (الصبي) لاالعبد ((٢٣١)) .
ومن البديهي ان الافراد بهذا السن يتمتعون بالنشاط والحيوية والجدية .
وذكـــر الـــقرآن الكريم تعبيرا آخر بخصوص الخدم وهو ((ولدان)) ، قال تعالى : (يطوف

عليهم ولدان مخلدون # باكواب واباريق # وكاس من معين)الواقعة : ١٧ ، ١٨.
ولدان : جمع ((وليد)) بمعنى (مولود) ، وهنا بمعنى (الغلام) وما مثله البعض بانهم صغار المؤمنين يـــخدمون آباهم بعيد ((٢٣٢)) ، وذلك لانهم ان كانوا مؤمنين فهم يخدمون لا انهم خدم للاخرين ، وان كـــانـــوا غـــير مؤمنين فلا سبيل لهم هناك تعبير(مخلدون) اشارة الى بقائهم على حالهم فيبقون صغارا دائما لايكبرون ولا يلتحون فهم على هيئتهم من حداثة السن والنشاط والحيوية .
ولـــقـــد ورد نفس هذا التعبير بتوضيح اكثر والطف ، قال تعالى : (ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) الانسان :١٩.
وهـــذا شـــاهـــد آخر على ان المراد من (ولدان) هو نفس (الغلمان) الذين وصفتهم الايات السابقة بـــ (لؤلؤ مكنون) ، وهنا وصفتهم هذه الاية بـــ (لؤلؤ منثور).
ولقد احتمل الكثير من المفسرين ان هؤلا الغلمان هم اطفال المشركين والمؤمنين الذين رجحت كفة ســـيئاتهم ، فلم يؤاخذهم اللّه سبحانه باعمال آبائهم ولكن جعلهم خدما لاهل الجنة وهم مسرورون بذلك .
ولـــو اخـــذنا بنظر الاعتبار ما اشرنا اليه سابقا لضعف هذا الاحتمال ، ومالرواية التي نقلت في هذا المجال الا رواية مرسلة لا اكثر.
وجـــا فـــي تـــعبير آخر (بصيغة المبني للمجهول) يشير الى المضيفين في الجنة ، قال تعالى : (يطاف عليهم بكاس من معين) الصافات : ٤٥.
ولـــقد ورد شبيه هذا المعنى بشي من التفاوت كدليل على تنوع الموائدفي الجنة فقد ورد في الاية ١٥ من سورة الدهر (ويطاف عليهم بنية من فضة واكواب كانت قواريرا).
ونقرا تعبيرا آخر ورد في الاية ٧١ الزخرف (يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب).
(صـــحـــاف) جـــمـــع ((صحفه)) وعلى قول الزمشخري (طبق ما جا في مصباح اللغة) انا مستطيل (كبير) ، واذا اخذنا بنظر الاعتبار المادة الاصلية للكلمة والتي تعني الانبساط والاستوا ، فيمكن ان يكون اشارة الى انا يشبه الصينية .
واكواب جمع كوب وهو انا للشراب لاعروة فيه وقد يعبر عنه بـــ (القدح)احيان.
والجدير بالذكر وعلى قول بعض المفسرين (صحاف) (جمع كثرة)و((اكواب)) جمع ((قلة)) ، وهـــذا يـــعـــود الـــى ان تـــنوع الاغذية وصحافها اكثر من تنوع المشروبات واكوابها ((٢٣٣)) ، وتقتضي فصاحة القرآن التطرق حتى لمثل هذه الجزئيات (تامل).
واخـــيـــرا ، ولـــو ان هـــذه الايات الاخيرة لم تبين اوصاف المضيفين ، ولكن يمكن ان تفسرها الايات السابقة وتدلل عليهم وعلى مواصفاتهم .
.١٣
المستقبلون :. يـــلاحـــظ في مجالس الضيافة ولاجل تقدير واحترام الضيوف على احسن وجه

حضور شخصية او مـــجـــمـــوعة من الشخصيات المحترمة وهؤلا يقومون بواجب الضيافة كدعوتهم الضيوف الى تناول الطعام او المراجعات او سائر لوازم الضيافة ،وغالبا مايكون هؤلا من غير الخدم .

وهذا يعتبر احتراما مضاعفا ، وكذلك يمنح الضيف اهمية وعظمة خاصة ،بالاضافة الى ذلك يزيد من احترامه وتقديره .

ويـــســـتـــفاد من الايات الكريمة ان هذا المعنى عهد به الى الملائكة وخزنة الجنة فانهم يدعون اهل الجنة للانتفاع من نعمه.

قـــال تـــعـــالى في الاية ١٩ سورة الطور (ومن دون ان يذكر القائل) : (كلواواشربوا هنيئا لكم بما كنتم تعملون) ولقد ورد عين هذا التعبير في الاية ٤٣ سورة المرسلات .

فهل ان المتكلم هو اللّه تبارك وتعالى ؟ وهل ورد هذا الكلام كاحترام واكرام وعناية ولطف خاص من قبل اللّه تبارك وتعالى ؟ ام ان هذا الكلام صادر عن الخزنة والملائكة ؟.

على اية حال ، ان جميع نعم الجنة هنيئة ، وما قول (هنيئا لكم) الا وعناية اخرى تضاف الى جميع النعم .

ولقد ورد شبيه هذا التعبير بشي من الاختلاف في الاية ٢٤ سورة الحاقة (كلوا واشربوا هنيئا بما اســـلـــفـــتـــم في الايام الخالية) ((٢٣٤)) ان هذه الاية لم تشر الى المتكلم ايضا ، وما جا في الايات لايختلف عما ذكرناه في الاية السابقة .

.١٤

النزل :. نـــلاحـــظ في بعض الايات تعبيرا عميق المعنى يكشف عن حقيقة جديدة وهذاالتعبير هو (النزل) ، وقـــد ورد في سورة آل عمران الاية ١٩٨ : (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند اللّه وماعند اللّه خير للابرار).

كـــمـــا ورد نفس هذا المعنى في الاية ١٠٧ الكهف ، والاية ١٩ السجدة ،والاية ٦٢ الصافات والاية ٣٢ فصلت .

ولاجـــل تـــوضـــيح المفهوم الحقيقي لهذه الايات لابد من توضيح المعنى الدقيق للنزل قال الراغب في مفرداته (النزل مايعد للنازل من الزاد) ، وعلى ضؤ هذاالتفسير تكون جميع النعم التي تعد لاستقبال الـــضـــيـــوف مـــصـــداقـــا مـــن مـــصـــاديـــق النزل ،ولقد ورد نفس هذا المعنى في ((صحاح اللغة)) و ((المقاييس)).

وقـــال بـــعض المفسرين : (النزل مايعطى الملك النازل وقت نزوله قبل ان يجعل له راتبا او يكتب له خـــبـــزا) ((٢٣٥)) وقـــيـــل : (الـــنزل) ((٢٣٦)) اول طعام يقدم الى الضيف (وكما هو جار في زمـــانـــنـــاحـــيث يقدمون الشربت ، او الفواكه للضيف في اول حلوله) وينسجم هذا المعنى مع مفهوم النزول .

وبـــنا على ذلك ومع الاخذ بنظر الاعتبار ((الجنات)) بكل نعمها ومواهبهايكون مفهوم ((النزل

)) في ذلك المضيف الكبير هو : وجود استقبالات اعلى واهم ولعلها تكون اشارة الى تلك النعم المعنوية والـــجـــذبات الروحانية والمظاهر القدسية ،ولهذا السبب ورد في الاية ١٩٨ آل عمران بعد جملة (نزلا من عند اللّه) قوله تعالى (وما عند اللّه خير للابرار).

حتى وان كان (النزل) بمعنى مايعد للضيف من الكرامة والبر والطعام والشراب (كما قال ذلك بعض الـــمـــفـــسرين) فانه لايمكن الانكار بان ضيافة الشخص الكريم لاتنحصر باطعام الضيوف فقط ، بل تـــشـــمـــل اضافة الى ذلك تقديم انواع الهدايا والعطايا التي تهدى اليهم ، وما الطعام والشراب الا شيئا يسيرا قبال هذه الامور.

وبـــنـــا على هذا ومهما كان معنى (النزل) ، فانه اشارة لطيفة الى تلك المواهب المعنوية والروحانية للجنة .

.١٥

النعم غير القابلة للتصور:. مـــمـــا لاشـــك فيه ان النعم الجسمانية في الجنة لا تنحصر بما قيل سلفا ،فطبيعة هذا العالم المحدود تحول دون ان يكون لدينا تصور متكامل عن النعم الجسمانية والروحانية في العالم الاخر.

ومـــن جـــهـــة اخرى ، ان حب التنوع عند الانسان يدفعه لطلب المزيد من المواهب والنعم المختلفة ، ولـــذا عني القرآن الكريم بهذه المسالة عناية خاصة واعلن صراحة : (وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين) الزخرف ٧١.

وهـــذا التعبير هو اكثر التعابير شمولية وجمعا فيما يتعلق بالمواهب والنعم الالهية في الجنة ، يقول الـــمـــرحوم (الطبرسي) في مجمع البيان : (لو اجتمع الخلائق كلهم على ان يصفوا ما في الجنة من انواع النعيم لم يزيدوا على ما انتظمته هاتان الصفتان) ((٢٣٧)) .

والملفت هو ذكر هذه الجملة بعد بيان العديد من نعم الجنة حتى يعرف بان نعم الجنة لاتنحصر به.

وهنا يطرح هذا السؤال : لماذا ذكر تعالى لذة العين بعد لذة النفس ؟ هناك عدة احتمالات :.

الاول : ان جـــمـــلـــة ((تشتهيه الانفس)) تشمل جميع اللذات ، اما لذة ((الاعين))ولما لها من اهمية استثنائية فقد وردت على شكل (ذكر الخاص بعدالعام).

الـــثـــانـــي : ان الـــجـــمـــلـــة الاولى اشارة الى لذات جميع الحواس (حاسة السمع ،واللمس ، والذوق ، والـــشم) ، اما جملة ((تلذ الاعين)) فهي اشارة الى لذة حاسة البصروهذه اللذة تعادل جميع اللذات او اكثر.

الـــثـــالـــث : ان الـــجملة الاولى اشارت الى جميع اللذات الجسمانية (المادية) ،اما الجملة الثانية فقد اشارت الى اللذات الروحانية والمعنوية اي النظر بعين البصيرة الى جمال الخالق المطلق ، ومشاهدة صفات الجمال والجلال التي تعادل كل لحظة منها جميع النعم المادية في الجنة .

ومن الواضح ان محيط الجنة محيط منزه ومقدس ، لذا فان طلبات الانسان من انواع النعم (المشروبة والـــمـــاكولة والملبوسة والمشمومة وغيرها) لا تتعدى الاشيا الظاهرة التي تليق بالانسان الطاهر وعلى هذا فلا استثنا في عمومية الاية ،ولا تحتاج الى توضيحات هذا وذاك بانها هل تشمل الطلبات السيئة للنفس ؟.

لـــقـــد ورد نفس هذا المعنى في سورة فصلت الاية ٣١ قال تعالى : (ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ماتدعون) ((٢٣٨)) .

قال بعض المفسرين ان الجملة الاولى اشارة الى جميع النعم المادية في الجنة ، اما الجملة الثانية فهي اشـــارة الى المواهب المعنوية بقرينة الاية ١٠ سورة يونس : (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمدللّه رب العالمين).

ان هـــذا الـــتـــفـــسير يعتبر تفسيرا مناسبا ، حيث ان شهوة النفس تكون اكثر فيمايتعلق بـــ (المسائل المادية) ، اما الدعا فيستعمل عادة في المسائل المعنوية .

ونقرا تعبيرا آخر في سورة الانبيا الاية ١٠٢ (وهم ف يما اشتهت انفسهم خالدون).

واضافة الى ماذكرنا هناك آيات اخرى في هذا المجال :.

فـــنجد في سورة النحل الاية ٣١ تعبيرا جديدا (لهم فيهامايشاؤن) نحل ـــ٣١ وكذلك ورد نفس هذا التعبير في سورة الفرقان الاية ١٦.

ويـــلاحـــظ هذا التعبير ايضا(وبشي من الاختلاف) في ثلاث سور اخرى من القرآن (الزمر ٣٤ ، والشورى ٢٢ ، و ق ٣٥).

يـــتضح من مجموع ماذكر في هذا الفصل ، ان العطا الالهي في الجنة لاتحده اي حدود ، لا من حيث المقدار ، ولا الكيفية والنوع ، ولا الزمان والمكان وبناعلى ذلك فان ما ذكر في الفصول الماضية انما هـــو عـــبـــارة عـــن نماذج واضحة لما يمكن ان يدركه اهل هذا العالم اجمالا ، اما النعم التي هي فوق تصورناوادراكنا فقد اشارت اليها الايات القرآنية اعلاه بعبارات اكثر شمولية وعمومية .

وفـــي الـــحقيقة ان الجنة والعطا الالهي فيها ماهو الا مظهرا كامل من مظاهرالقدرة واللطف الالهي ، وبما ان لا نهاية لقدرته ولطفه تعالى فكذلك لا نهاية ولاحدلعطاياه ومواهبه في الجنة (تامل).

خالدون) واضافة الى ماذكرنا هناك آيات اخرى في هذا المجال :.

فـــنجد في سورة النحل الاية ٣١ تعبيرا جديدا (لهم فيهامايشاؤن) نحل ـــ٣١ وكذلك ورد نفس هذا التعبير في سورة الفرقان الاية ١٦.

ويـــلاحـــظ هذا التعبير ايضا(ويعني من الاختلاف) في ثلاث سور اخرى من القرآن (الزمر ٣٤ ، الشورى ٢٢ ، ق ٣٥).

يـــتـــضـــح مـــن مجموع ماذكر في هذا الفصل ان العطا الالهي في الجنة لا تحده اي حدود لا

من حيث المقدار ولا الكيفية والنوع ، ولا الزمان والمكان ، وبنا على ذلك فان ما ذكر في الفصول الماضة انما هــو عــبارة عن ذكر نماذج واضحة تشكل اجماليا لما يمكن ان يدركه اهل هذا العالم ، اما النعم التي هي فوق تصورنا وادراكنافقد اشارت اليها الايات القرآنية اعلاه بعبارات اكثر شمولية وعمومية .

وفــي الــحــقيقة ان الجنة والعطا الالهي فيها ماهو الا مظهرا كاملا من مظاهرالقدرة واللطف الالهي وبما ان لا نهاية لقدرته ولطفه تعالى فكذلك لا نهاية ولاحدلعطاياه ومواهبه في الجنة (تامل).

.٣

اللذات الروحية :. نظرا لوجود ابعاد روحية وجسمية في ((المعاد)) ونظرا لكون الروح اسمى واشرف من الجسم بمرات ومرات ، فينبغي اذن عدم الشك في ان النعم الروحية والمعنوية للجنة افضل واسمى واعظم بمرات من النعم المادية والجسمية ولكن لما كان الوصف لايتسع عادة للتعبير عن هذه النعم ، وهي امورتعتمد على المشاهدة (القلبية) لا عــلــى الــقول والسماع ولهذا غالبا مانعثر في الايات القرآنية على اشارات مبهمة لهذه النعم التي يــتمتع بها اصحاب الجنة باستثناالموارد التي يمكن شرحها وبيانها حيث تولى القرآن الكريم شرح وتبيان عدد منه.

وبــعــبــارة اخرى : فان لذة ادراك معرفة اللّه ومافيها من نفحاته الجلالية والجمالية وانوار الطافه الــخــفية ، والشكر من ارتشاف كاس العشق لذاته المقدسة تعادل بل وتفوق اللحظة الواحدة منها كل النعم المادية في هذا العالم .

قد نشعر نحن احيانا في هذه الدنيا ببعض الامثلة الواهية جدا لهذاالموضع وهو مايلوح للانسان حين يختلي مع ربه للعبادة فيستغرق مع ربه ناسياالدنيا وما فيها فيذوب في لحظات قصيرة في جمال اللّه الذي لا مثيل له ، لاسيما اذا كان ذلك في بعض الاماكن ((المقدسة)) كجوار الكعبة او في عرفات والــمشعروامثالها من الاماكن الخاصة بالعبادة فيشعر الانسان بنوع من اللذة التي لا يتاتى لاي قلم او بيان وصفه.

تــصــور لــو ان هذه المشاعر تحصل وبشكل اكثر قوة بلاف المرات وتستمرلساعات وايام وليال واشهر وسنوات متواصلة ، كيف سيكون الحال ؟ خاصة مع انعدام عوامل الغفلة عن ذكر اللّه وزوال المسببات التي تعصف باستقرار القلب وحضوره ، وانكشاف الحجب وموانع المعرفة من امام الابصار ، حــيــث يــصــبــح ادراك الانسان وبصيرته اشد واقوى ولا وجود هناك للهواجس الشيطانية التي تتربص دومالسالكي هذا الطريق .

يــمــكــن حــينذاك تصور ما يجري هناك وماهي الجلبة التي تثيرها النعم المعنوية ، وماهي النفحات الــجذابة التي تستقطب الروح الى جوار قرب اللّه ،وتجعلها غارقة في انوار ذاته وغافلة عن ذاتها حتى يصل بها الحال الى عدم رؤية ماسواه ولا تطلب سواه ، ولا ترى الا ما تحب وتحب كل ما ترى .

ونعود الان الى القرآن مع الالتفات الى الاشارات المذكورة اعلاه لنسمع القرآن نفسه وهو يبين هذه النعم التي يمكن تلخيصها تحت الابواب الاتية :.

١.

الاحترام الخاص :. يبدا احترام اهل الجنة منذ الحظة دخولهم فيها فيقابلهم خزنتها مهنئين ،كماورد في القرآن :(وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) الزمر ــ٧٣.

يستفاد من هذه الاية ان خزنة الجنة ينتظرون المتقين بلهفة على ابواب الجنة وقد فتحوها لهم من قبل وما ان يصلوا الى الجنة حتى يسارعوا الى استقبالهم باجمل التحيات ووافر الاحترام ويدعوهم باطيب العبارات الى لجنة والحياة الخالدة فيها ((٢٣٩)) .

نعم هذه هي الاصول المتبعة في استقبال الضيف العزيز ، فاول الامر تفتح الابواب والمضيفون ينتظرون علي الباب وما يكاد يدخل حتى يستقبلوه بالترحاب وهذه من اللذات المعنوية الثمينة .

((والخزنة)) جمع خازن وهو بمعنى الحارس والمراقب والمقصود هنا هوالملائكة الذين يتولون المحافظة على الجنة وتسيير شؤونه.

وفي المرحلة اللاحقة بعد دخول الجنة يؤمر ملائكة اللّه المقربون بالدخول عليهم من كل باب والترحيب بهم وتهنئتهم ورد في الاية (٢٣) من سورة الرعد :(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب # سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) ((٢٤٠)) يفهم من الاية السابقة ان مجاميع من الملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، مع الالتفات الى ان كل باب من ابواب الجنة مخصص لواحد من الاعمال الصالحة مثل : (باب الصلاة ، وباب الجهاد ، وباب الحج) فيتضح ان كل مجموعة من الملائكة تدخل عليهم لاجل واحد من الاعمال الصالحة التي ادوها في الدنيا ،والطريف في الامر ان كل هذه الاعمال تتلخص في معنى الصبر بكل انواعه : الصبرعلى الطاعة والصبر على المصيبة ، والصبر على المعصية .

والاهم من كل ذلك التحية والسلام الصادر من اللّه الى اهل الجنة وهوسلام فاتح بالمحبة وملي باللطف والرحمة ، كما جا في الاية الكريمة ٥٨ من سورة (يس) (سلام قولا من رب رحيم) ((٢٤١)) .

هذا السلام وهذه التحية الالهية التي تنفذ في اعماق النفس وتملؤهابالطاقة فتشد اليها نفوس اهل الجنة بما فيها من لطف واحسان وتجعلها مستغرقة بالبهجة ، وهذه نعمة لا تضاهيها نعمة نعم ان سماع ندا المحبوب المنبعث من جوده ولطفه لهو افضل من الدنيا وما فيه.

ان نفحة لقا المحبوب ورؤية لطف الحبيب والسلام الذي يعني رفع الحجب يحوي من اللذة والاشواق والبهجة بحيث ان لو بقي العشاق بعيدين عن فيضه المعنوي لما صبروا كما روى بعض مفسري السنة حديثا قيما عن اميرالمؤمنين (٧) يقول فيه :((لو حجبت عنه ساعة

لمت)) ((٢٤٢)) .

وعـــلى اية حال فان اسمى اماني اهل الجنة واشرف مفخرة لهم واحب ساعة اليهم هو ان يسل م عليهم الرب الرحمن الرحيم .

وتجدر الاشارة الى ان وجود آيات عديدة اخرى في القرآن الكريم تتضمن اهدا التحية لاهل الجنة مـــن غـــيـــر ان تـــحدد مصدر التحية والسلام كمافي :((الاية ٤٦ الحجر ــ والاية ٧٥ الفرقان ــ والايـــة ٣٤ ق)) فـــربما يكون مصدر التحية الملائكة ويحتمل في بعضها ان يكون السلام من اهل الجنة على بعضهم ، او ربمايكون من اللّه وهذا افضلها واكمله.

.٢

اجوا الامن والسلام :. ان اكـــثـــر ما يعكر صفو روح الانسان في الدنيا هو عدم الشعور بالامان في شتى مناحي الحياة وعدم الـــشعور بحلاوة الدنيا يعود في الغالب الى عدم ثقة الانسان بمابين يديه فهو غير واثق من المستقبل ولا هـــو واثـــق مـــن ابـــنـــا جـــنـــسه لا سيما اذا كانت لدية نعمة اكثر فهو يجد نفسه عرضة لامواج متلاطمة من الحقد والحسد والكراهية بما يجعل الدنيا مظلمة في عينه .

واحـــدى الـــنـــعم الروحية المتوفرة في الجنة هو الشعور بالامن والامان في جميع المجالات ، فلا خوف من اندلاع الحرب ولا وجل من المخاصمات فلاالحقد له وجود ولا الحسد ، والعشق والوفا يملا الارجا ، وكذلك المحبة والاخوة تحيط بالجميع .

نـــلا حظ في القرآن الكريم آيتين فيهما وصف جميل وغني للجنة وهو ((دارالسلام)) وهو ما جا في الاية (١٣٧) من سورة الانعام : (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون).

وكذلك جا هذا الوصف في سورة يونس الاية (٢٥) : (واللّه يدعو الى دارالسلام).

ينقسم المفسرون في تفسيرهم لمعنى دار السلام الى قسمين :.

الاول : يرى ان السلام هنا يعني السلامة من كل الم وآفة وبلا وهو من اوصاف الدار اي الجنة فلا وجود هناك لصراع الناهبين في الدنيا المادية ولا اثرللسلوكية المنحرفة لاصحاب الثروة الغافلين عن ذكر اللّه ، ذلك المكان خال من الحروب واراقة الدما ولا مكان فيه للاستعمار والاستثمار ، نعم هناك دار السلام والوئام والامن والامان ((٢٤٣)) .

الـــثـــاني : يرى بان السلام من اسما اللّه وعلى هذا فدار السلام هي من قبيل المضاف والمضاف اليه ، وهو اشارة الى ان الجنة دار اللّه ، وكلا المعنيين جميل رغم ان المعنى الاول يبدو مناسبا اكثر لان اصـــل هـــذه الـــمـــفـــردة ــ بنا على قول الراغب الاصفهاني ــ يعني الخلو والسلامة من العيب والنقص الـــظـــاهـــري والـــباطني ، حتى ان هذه المفردة اطلقت على ذات الباري عز وجل كواحدة من صفاته واسمائه الحسنى لان ذاته المقدسة سالمة من العيب والفن.

ويظهر كذلك من جملة (لهم دار السلام) بانها تتطابق والمعنى الاول ،(فتامل).

وورد في حديث عن ابن عباس انه قال : (دار السلام : الجنة واهلها لهم السلامة من جميع الافات والعاهات والامراض والاسقام ، ولهم السلامة من الهرم والموت وتغير الاحوال عليهم ، وهم المكرمون الذين لا يهانون ابدا ، وهم السعداالذين لا يشقون ابدا ، وهم الفرحون المسرورون الذين لا يبغتمون ولا يهتمون ابدا ،وهم الاحيا الذين لا يموتون ابدا ، فمنهم في قصور الدر والمرجان ابوابها مشرعة الى عرش الرحمن والملائكة يدخلون عليهم من باب سلام عليكم بماصبرتم فنعم عقبى الدار) ((٢٤٤)) .

واخيرا تاتي تكملة هذا الموضوع في الاية (٢٧) من سورة الحجر حيث جا فيها :(ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين # لايمسهم فيهانصب وماهم منها بمخرجين) ((٢٤٥)) .

وبما ان كلمة ((غل)) تحتمل الكثير من المعاني الواسعة التي تدل في الغالب على الصفات الباطنية القبيحة التي تعكر صفو الروح والجسد والعائلة والمجتمع ، لهذا يفهم من هذه الاية ان صدور اهل الجنة خالية من الحقد ولا تحمل قلوبهم اي ضغينة وعداوة وكبر وحسد ، فاللّه قد نزع من قلوبهم كل هذه الصفات الرذيلة ، فسادتهم روح الاخوة والمحبة وما اجمل والطف مثل هذه الاجوا الخالية من تلك الصفات التي يخيم عليها الحب والعطف والسلام والوئام .

وحتى في الحياة الدنيا كلما ازيلت امثال هذه الرذيلة من المجتمع كلماساده الامن والاستقرار ، وعلى العكس من ذلك كلما انتشر وجود امثال هذه الظواهرفي اي بيت او مجتمع اصبحت مصدرا للنزاعات الدامية والمؤسفة وسببا لزعزعة الامن والاستقرار.

ومما يثير الاهتمام ان القرآن الكريم جعل الاستقرار الداخلي مكملاللاستقرار الخارجي قائلا ، لا يوجد في الجنة تعب او اضطراب وينعدم فيهاالخوف من زوال النعم وهو الهاجس الذي يقلق بال الانسان الذي ينعم بالخيرات ويكدر عليه عيشه وكل هذه الاسباب تجعل من نعم الجنة هنيئة مستساغة ((٢٤٦)) .

.٣

الامان بعد الخوف :. ان نعمة الامن وبغض النظر عن جذورها التي اشرنا الى بعضها في بحثناالسابق ــ تعد من اكبر النعم المعنوية التي يعز على الانسان فقدانها ولو للحظة واحدة ، وهذه الحقيقة يشعر بها الاشخاص في المناطق الصحراوية الخطيرة ، او في المناطق الحربية المعرضة في اي وقت للقصف بالصواريخ والقنابل ، فهناك يتكدرما الحياة الصافي وتمضي الساعات والدقائق ثقيلة وعسيرة ، والنقطة المقابلة لذلك هي مناطق الامن والامان ((٢٤٧)) .

يصف القرآن المجيد حال المتقين بقوله :(ان المتقين في مقام امين) الدخان ــ٥١ فلا هم يخشون هجوم الشياطين ولا يخافون سلطة الطواغيت ولا هم يتعرضون للافات والبلايا ولا يعتريهم الحزن والغم ولهذا السبب يضيف في مكان آخر :(ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون) سورة الاعراف ــ٤٩.

لــقــد لاحظنا من خلال التجربة ان بعض الناس ــ ورغم مايتوفر له من متطلبات الحياة ومستلزمات الــراحــة ــ يــعــيش حالة من القلق والاضطراب بسبب الحزن والهم الذي يستحوذ عليه او لوجود الــخوف والهلع الذي يهز احشاه فنراه لايلتفت مطلقا الى كل تلك النعم ولا يعير ادنى اهتمام لما بين يديه ففي مثل هذه الاحوال يمكن لمس حقيقة وعمق التعابير القرآنية بشان اهل الجنة .

لابــد ان اهــل الــجــنــة يشعرون حتى في هذه الدنيا بشي من ذلك الامان والسكينة في ظل ايمانهم ، وينعمون بالاستقرار حتى في اشد المعضلات من خلال الاعتماد على حقيقة التوكل وروح التسليم والــرضــا فــي بالارادة الالهية :(الا ان اولياءاللّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون # لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة) سورة يونس ٦٢ ــ٦٤.

.٤

الاخلا والاصدقا الاوفيا :. ومــن اهــم الــلــذائذ الروحية الاخرى معاشرة الاصدقا المخلصين والاخلاالذين يتصفون بالايمان والسجايا الرفيعة ، وتفوح ارواحهم بالمحبة والمودة ان الجلوس مع هؤلا لحظة واحدة يغمر النفس ببهجة لاتوصف وتذكر الايات القرآنية الشريفة ان اهل الجنة ينعمون بهذه النعم فيجالسون الاخلا ويــتــحــدثــون الــيــهم ولكن ماهي المواضيع التي تدور حولها احاديثهم ؟ هذا ما لا يمكن التكهن به لــعلهم يتحدثون في مواضيع يستحيل علينا ادراكها اليوم ولكن من البديهي انها من نوع الاحاديث التي تحيي القلوب .

تطالعنا الايتان ٧٩ و ٨٠ من سورة النسا بماياتي :.

(ومن يطع اللّه ورسوله فاولئك مع الذين انعم اللّه عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اولئك رفيقا ((٢٤٨)) # ذلك الفضل من اللّه وكفى باللّه عليما).

نــعم : ان الاخلا في الجنة هم خيرة ذوي الفضائل في العالم : كالانبياالعظام والخلص من اصحابهم والصديقين والشهدا والصالحين .

ولــو انــنــا قــارنا هذا مع مايجري في هذه الدنيا حيث يضطر الناس في كثير من الاحيان الى تحمل الــعــذاب الناتج عن معاشرة اشخاص لا يجمعهم واياهم انسجام او ترابط ، يمكن حينذاك فهم ماهية الاوضاع الموجودة في الجنة .

والذي يسترعي الاهتمام هنا ان الكثير من المفسرين قد نقلوا روايات عديدة بشان نزول هذه الاية ، ننقل فيما يلي ملخصها (مع وجود بعض الاختلاف بين المفسرين في النقل) :.

((يــروى)) انــهــا نزلت في ثوبان مولى رسول اللّه (٩) اذ كان شديد الحب لرسول اللّه (٩) قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فساله رسول اللّه (٩) عــن حــاله فقال يارسول اللّه مابي وجع غيراني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حــتــى الــقــاك فذكرت الاخرة فخفت ان لاراك هناك لاني ان ادخلت الجنة فانت تكون في درجات الــنــبــيــين وانا في درجات العبيد فلا اراك وان انا لم ادخل الجنة

فحينئذ لاراك ابدا فنزلت الاية ((٢٤٩)) .

وكلمة ((ذلك)) التي تستعمل عادة اشارة للبعيد ، جات هنا للدلالة على عظمة هذه النعمة الالهية ، وكـــانها عالية الى الحد الذي يجعلها بعيدة عن متناول ايدينا وكذلك عبارة ((فضل من اللّه)) انما هي تـــاكـــيـــد عـــلى هذا المعنى واشارة الى ان هذه النعمة لا يمكن الحصول عليها بمجرد العمل ، بل تنال بفضل اللّه .

وتـــجـــدر الاشارة الى قضية اخرى في هذه الاية وهي ذكرها لاربع جماعات بالترتيب واعتبارهم كاصدقا في الجنة وهم :((الانبيا ، والصديقين ، والشهدا ،والصالحين)).

ويبدو ان هذا الترتيب يدل على تسلسل درجاتهم فقال بعضهم ان الانبياوضعوا في المقام الاول لانهم وصلوا في مجال المعرفة الالهية الى حد رؤيته عن قرب بباصرة القلوب والصديقون في المقام الثاني مـــن المعرفة وهم كمن يرى الاشيابعينه من بعيد ، والشهدا في المقام الثالث وهم كمن يدرك وجود الـــشـــي بـــالادلـــة الـــعـــقـــلـــيـــة ، والصالحون في المقام الرابع وهم كمن يقبل الاشيا عن طريق تقليد الكباروا تباع اهل الفن)) ((٢٥٠)) .

يـــمكن في كثير من الحالات اطلاق كلمات (الشهدا والصالحين والصديقين) على الانبيا ايضا ، لكن ربما يقال ان هذه الاوصاف الاربعة عندماتصبح في ازا بعضها فانها تعطي مثل هذا المعنى .

ويـــبدو ان هناك تفسيرا اكثر روعة بشان هذه الدرجات الاربع وهو ان الحاجة الى هداية المجتمع الانـــساني تحتاج في بداية الامر الى الانبيا اي (القادة الربانيون) ومن بعدهم ياتي دور الصديقين اي الـــمـــبـــلـــغين الصادقين في القول والعمل الذين ينشرون دعوتهم من بعدهم وفي المرحلة التالية عند اصـــطـــدامـــهـــم بالعوائق والموانع تبرز الحاجة الى اشخاص يهبون للدفاع ويقدمون التضحيات حتى يتمكن الصالحون اخيرا من حكم المجتمع .

وفـــي هذه المناسبة ينبغي الاشارة الى ان مرافقة هذه الفئات الاربع لاتعني وحدة المقام معها بل تعني امكانية الارتباط بها كما هو الحال في اتصال الطالب باستاذه او الجندي بمره .

ورد مـــا يـــشبه هذا المعنى ــ ولكن بثوب آخر ــ في الاية (٤٧) من سورة الحجر :(ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين).

ويلحظ في الاية (٣١) من سورة الكهف اشارة الى نفس المعنى ايض.

وعـــلـــى ايـــة حـــال فان مرافقة هؤلا الصالحين والاتصال بهم يعد من اكبر اللذات المعنوية لاصحاب الجنة .

٥.

العلاقات الطيبة :. ان مـــايـــمـــلا اجـــوا الـــحياة بهجة هي الاحاديث الطيبة التي يتبادلها الناس مع بعضهم فلو كانوا كلهم صادقين ويفكرون بشكل اصولي ويتعاملون فيما بينهم بالانصاف والمودة ويتبادلون الحب والاحترام لـــكانت حياتهم مملؤة بالاستقراروالبهجة ، ولكن لو انحرفت

العلاقات فيما بينهم نحو الكلام القبيح وتبادلوا التهم والاكاذيب والذم والتقريع وتنابزوا بالكلمات الفجة التي تاباها الاداب العامة يصبح من الصعب على احدهم صيانة شخصيته والتعامل في مثل هذه الاجوا بل ان هذه الاجوا تصبح خانقة ومؤلمة له .

واحد الخصائص الموجودة في الجنة هي خلوها من هذه الظواهر فاهل الجنة لا يسمعون كلمة كذبة واحدة على مدى الاف السنين ولا تطرق اسماعهم الكلمات النابية ولا الاحاديث الباطلة وهذه من اهم الفضائل المعنوية التي يتمتعون به.

قال تعالى في القرآن الكريم :(لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلاسلاماسلاما) الواقعة ـ٢٥ ـ٢٦.

فيحيي بعضهم الاخر ، والملائكة ايضا تسلم عليهم ، والاهم من كل ذلك هو سلام اللّه عليهم وما تحمله تلك التحيات من المحبة والاخلاص والصفا ، اجل ان مجالس اهل الجنة فواحة بالحب والمودة واذا توفرت مثل هذه الاجوا في اي مكان فهو نموذج من الجنة .

وجا في موضع آخر من الكتاب المجيد :(لا يسمعون فيها لغوا ولاكذابا) النبا ـ٣٥.

((اللغو)) في اللغة يعني الكلام الفارغ ، وبعبارة اخرى : الكلام الذي لايتضمن اية افكار او معان ، ويبدو ان الكلمة ماخوذة اصلا من ((لغا)) وهو صوت زقزقة العصافير اما الضمير ((فيها)) فقد ارجعه اغلب من فسر هذه الاية الى احد هذين الاحتمالين :.

الاول : انه يرجع الى كلمة الجنة ، الثاني : انه يرجع الى كلمة الكاس التي وردت في الاية السابقة لها فاذا كان الاحتمال الاول فالمعنى واضح واذا صح الاحتمال الثاني فيكون المعنى ان شراب اهل الجنة لا يسكر ولايسبب فيه اي لغو.

لكن التفسير الاول اكثر انسجاما مع معنى ((في)) والايات الاخرى المشابهة ، وورد نفس هذا المعنى في آية اخرى اقصر واكثر وضوحا حيث يقول :(في جنة عالية لاتسمع فيها لاغية) الغاشية ـ١٠ ـ١١ ((٢٥١)) اضافة الى ماذكر ، يتنعم اهل الجنة بكثير من المتع المؤنسة ومجالس الفرح والبهجة والاحاديث المسلية والمزاح اللطيف كما يصفهم القرآن :(ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون).

تعني كلمة ((شغل)) اية حادثة او حالة تشغل الانسان ، ولكنها هنا تفيدمعنى الحالة المسلية التي تبعث السرور وذلك بوجود قرينة ((فاكهون)) وهي جمع ((فاكه)) وتعني الانسان المسرور ، وهي مشتقة من كلمة ((فكاهة)) ومعناها المزاح ،وتعني كلمة ((فاكه)) في اللغة العربية الانسان الممازح المرح الذي يجيد الاحاديث الطريفة .

وبما اننا نجهل طبيعة الاشيا التي يتسلى بها اهل الجنة لاننا نقيس كل شي في هذا العالم بمعيارنا المحدد الصغير ، فمن البديهي ان النعم التي يشغلون بها هناك لا يمكننا حتى تصورها في هذا العالم .

وعلى اية حال فان الامور التي تستهويهم وتشغلهم هناك تكون سببالنسيان آلام هذا العالم

وهول الـــمـــحشر او فقدان بعض الاحبة ولا شك ان مواضيع التسلية السبعة او العشرة التي ذكرها بعض الـــمفسرين انما هي موضوعة وفقاللمعايير والتصورات الدنيوية للتسلية ، والا فالاوضاع في ذلك العالم تختلف عما في هذا العالم ((٢٥٢)) .

٦.

الانشراح النفسي :. قـــد يـــدعـــى الانـــسان احيانا الى اجمل الحدائق ، وتوفر له كافة مستلزمات الراحة ، الا ان روحه منقبضة فلا يتلذذ باي منها ، فالانسان يشعر بلذة النعم الالهية فيما اذا كان منشرح النفس .

يـــســـتفاد من مجمل الايات الواردة في هذا الصدد ان الفرح والانشراح يظهرعلى وجوه اهل الجنة بـــكل وضوح وقد استخدم القرآن الكريم عبارات جذابة في هذا الصدد ، فاليك مثلا قوله :(ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون) الزخرف ــ٧٠.

فكلمة ((تحبرون)) ماخوذه من المصدر ((حبر)) على وزن كلمة فكر ، وتعني في الاصل الاثار الجميلة حسب ماوردت في كتاب (مقاييس اللغة) ، ولذلك يطلق على الاشيا المزينة اسم ((محبر)) عـــلـــى وزن مشجر وسمي الحبر حبرا لانه يترك وراه اثرا جميلا ويقال للعلما ((احبار)) لانهم يـــمـــتـــلـــكـــون آثارا قيمة ، وهذه الكلمة تعني هنا البهجة والانشراح الذي يظهر اثره على الوجوه ((٢٥٣)) .

وقد وردت الاشارة الى هذا الموضوع بتعبير آخر في الاية (٢٤) من سورة المطففين :(تعرف في وجوههم نظرة النعيم).

فـــكـــلـــمة ((النظرة)) تعني في الاصل الجمال ، والمقصود من نظرة النعيم الطراوة والنعومة التي تـــظـــهـــر من اثر وفرة النعمة والحياة المرفهة وتعكس حالة (الارتياح والانبساط الداخلي) كما ان ((تعابير الوجه تفشي سرالداخل)) ((٢٥٤) .

وقـــد فـــسر بعضهم هذه الكلمة بمعنى السعيد والفرح والمستبشر كما جافي الاية (٣٩) من سورة عـــبس : (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة) ((٢٥٥)) ولكن الايات السابقه لها تظهر ان هذه الاية تشرح حال المؤمنين في مشهد المحشر وليس في الجنة .

وفـــسرها البعض الاخر بمعنى النور والجمال والاشراق الذي لا يتيسرللبيان وصفه ، ((٢٥٦)) وذهـــب الـــبـــعض الاخر الى انها تعني البشر والبشاشة التي تظهر على وجوههم شعورا منهم برضا المحبوب اي اللّه سبحانه وتعالى ((٢٥٧)) .

ونقرا في الاية (٨) من سورة الغاشية هذا الوصف : (وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية).

كـــلـــمـــة ((ناعمة)) ماخوذة من مصدر ((النعمة)) وتعني هنا الاستغراق في النعمة الى حد ظهور آثارها من السرور والارتياح على الوجه .

وقال آخرون انها تعني النعومة واللطافة ، وهذه ايضا حاصلة من النعم المختلفة ((٢٥٨)) .

ومـــن الـــطبيعي ان هذه النعومة والطراوة ، او تلك الوجوه المنيرة على قول بعض المفسرين وكانها الـــقمر في الليلة الرابعة عشرة ، ليست معلولة للنعم المادية فقط لان النعم المادية لا يمكنها لوحدها ايـــجـــاد مـــثل هذه الاثار ، ومن المؤكد ان هذاالاثر ناتج عما يختلج في نفوس اصحابها من احاسيس ومـــشاعر معنوية وروحية سامية تنعكس آثارها على اجسامهم ، وختام الاية شاهد على هذا المعنى ايض.

.٧

الشعور برضا اللّه :. لـــيـــس هناك شعور يخامر الانسان اكثر من شعوره برضا محبوبه وعزيز قلبه ،فهذا الشعور يثير لديه بهجة وارتياحا لا يوصفان .

نـــعم ان نيل رضا المحبوب من اكبر اللذات المعنوية ، وهي لذة ممزوجة بالشعور بالشخصية وقيمة الوجود ، لانه ان لم يكن يتحلى بالقيمة والشخصية ، لماكان موضع قبول محبوبه الاكبر.

لقد اشار القرآن الكريم مرارا الى هذه القضية المهمة وجعل منها ركيزة يستند عليها، فبعد الاشارة الـــى الجنان اليانعة والازواج المطهرة ورد في الاية ١٥ من سورة آل عمران :(ورضوان من اللّه) فهذه النعمة التي تعتبر افضل من جميع النعم قدلخصت في جملة قصيرة وبليغة .

وفي الاية ٧٢ من سورة التوبة ازيح الستار اكثر عن هذا الموضوع ، فبعدالاشارة الى مجموعة من الـــنـــعـــم المادية المتوفرة في الجنة ومنها الحدائق التي تجري من تحتها الانهار والمساكن الطيبة ، يقول تعالى :(ورضوان من اللّه اكبر) ثم تختتم الاية بالجملة : (ذلك هو الفوز العظيم). فـــاســـتـــخـــدام تعابير من امثال ((اكبر)) و((ذلك الفوز العظيم)) يظهر بوضوح عدم وجود نعمة تضاهي هذه النعمة وبالشكل الذي يتضمن مفهوم الحصر وكان الجملة تريد ان تقول :(ذلك هو الفوز العظيم لاغير).

لـــقـــد ذكـــرنـــا عدة مرات عدم امكانية تصور اي من النعم المادية للعالم الاخرفي نطاق هذا السجن الدنيوي المحدود ، فكيف يجوز ذلك بشان نعمة روحية ومعنوية كبرى الا وهي ((رضوان اللّه)).

ونحن يمكننا ان نفهم بشكل اجمالي الفارق بين النعم المادية والمعنوية واللذات المنبثقة عن اي منهما فـــنحن نعرف مثلا ان اللذة الناتجة عن لقا الحبيب الغالي بعد سنوات من الفراق ، او الشعور باللذة من جـــرا اكـــتـــشـــاف قضية علمية معقدة كنا نبحث عنها لسنوات طويلة ، والاكثر من كل ذلك النفحات الـــروحـــية والانشراح النفسي الذي يغمرنا حين العبادة الخالصة والمناجاة المقرونة بحضورالقلب والـــمـــحـــبة الدافئة ، نعرف انه لا يمكن مقارنة كل هذا بلذة الطعام والشراب وسائر اللذات المادية الاخرى .

فقد روى ابو سعيد الخدري حديثا عن رسول اللّه (٩) قال فيه :.

((ان اللّه يـــقول لاهل الجنة : ياهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك ، فيقول : هـــل رضـــيـــتـــم فـــيـــقولون ومالنا لا نرضى يارب وقد اعطيتنامالم تعط احدا من خلقك : فيقول : الا اعـــطـــيـــكـــم افضل من ذلك ، فيقولون يارب واي شي افضل من ذلك فيقول : احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا)) ((٢٥٩)) وورد نفس هذا المعنى عن الامام علي بن الحسين (٧) ولكن بـــتـــعبيرآخر ، جا في آخره : ((فيقول تبارك وتعالى : رضاي عنكم ومحبتي لكم خير واعظم مما انـــتـــم فـــيـــه)) ((٢٦٠)) ((رضوان)) يعني الرضا والارتياح بالمعنى المصدري ، ومجيئها هنا على هيئة النكرة يدل على العظمة ، اي ان رضوان اللّه الاكبر اهم من كل شي سواه .

وقـــيل ايضا ان تنكيرها هنا فيه دلالة على القلة ، اي ان اقل رضا من اللّه يعتبر اكبر من جميع

النعم المادية المتاحة في الجنة .

وعلى آية حال ، فليس في ميسور احد وصف تلك النفحات الروحية واللذات المعنوية التي ينالها الانسان بسبب الشعور برضا اللّه نعم ان اي جانب من هذه اللذة الروحية يفوق جميع النعم والمسرات الموجودة في الجنة .

ومما يسترعي الانتباه ان الاية (١١٩) من سورة المائدة وبعد سردها للنعم المادية في الجنة ، اشارت الى الرضوان وصورته وكانه امر متبادل بين الخلق والخالق قائلة : (رضي اللّه عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم) وما اجمل ان يكون الرضا من الجانبين ، فهو يغرقهم بالنعم حتى يرضون ، ويغمرهم بالمحبة بحيث يعلن لهم عن رضاه وخلاصة القول انه لا فوز اكبر من ان يشعر الانسان بان مولاه ومحبوبه ومعبوده راض عنه ودلالة ذلك الرضا انه يفيض عليه بكل ما يتصور وما لا يتصور من النعم .

وعبارة راضية مرضية من الاية (٢٨) من سورة الفجر هي ايضا اشارة الى نفس هذا المعنى ، اذ تصور النفس المطمئنة لعباد اللّه المخلصين الذين يصلون الى جوار قرب المحبوب قائلة : ان صاحب النفس المطمئنة يرجع الى ربه وهو راض عنه وربه راض عنه ايضا ، وهنا يصدر الامر الالهي : (فادخلي في عبادي) كتاج للكرامة يزين به الراس فياله من فخر كبير عندما يخاطب تعالى الانسان في قوله : ((عبادي)) نعم هذه هي عقبى من اجتاز مرحلة النفس الامارة والنفس اللوامة ووضع قدمه على اعتاب النفس المطمئنة فكبح جماح الاهوا ، والجم الشيطان وامتطى مركب التقوى .

ولا تقتصر الايات المتعلقة برضا اللّه في يوم القيامة باعتباره نعمة الهية ،على ما ورد اعلاه فهذا المعنى يلوح للعيان في آيات اخرى ايضا ويعكس الاهمية الاستثنائية لهذا الموضوع ((٢٦١)) ٨.

نظر اللّه اليهم ونظرهم اليه :. ان من اثمن اللذات المعنوية هي ان يجود المحبوب الجامع لكل الكمالات بنظرة لطف على الانسان ويتحدث اليه ، والاكثر اهمية من كل ذلك ان يتمكن الانسان من بلوغ مقام شهود ذاته المقدسة اي انه يراه بقلبه ويغرق في بحر جماله .

وقد اكد القرآن الكريم مرارا على هذه النعمة المعنوية ، فتذكر احدى الايات العذاب الالهي الاليم على من يكتم آيات اللّه بالقول : (ولا يكلمهم اللّه يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم) البقرة ــ١٧٤.

ويتحدث القرآن في موضع آخر عن نفس هذا الموضوع والعذاب الالهي على من يشترون بعهد اللّه ثمنا قليلا : (ولا يكلمهم اللّه ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب اليم) آل عمران ــ٧٧.

نعم ، انهم محرومون من لذة التكلم مع اللّه ونظرة رحمته ولطفه ولذلك فهم لا يطهرون ، ولما كانت الجنة ماوى الاطهار فهم يبقون في جهنم يذوقون اليم عذابه.

يتضح من هاتين الايتين ان هذه النعم لاينالها غير المؤمنين ، فاللّه يكلمهم بلطفه ، ولهم نفس المنزلة التي كانت للانبيا في هذه الدنيا وكانت من دواعي اللذة لهم ، وهل هناك لذة افضل من هذه ؟ الـــى تكليمه اياهم فهو ينظر اليهم بلطفه الخاص ايضا ، وهل هناك نعمة اعظم من هذه ؟ فهو ينظر الى المحب الصادق نظرة مليئة باللطف والحنان .

ومـــن الـــبـــديـــهـــي ان الـــكـــلام لا يكون باللسان ولا النظر يكون بالعين فاللّه سبحانه اجل من الجسم والجسمانية .

ربـــمـــا يحصل احيانا ان يغضب الاب على ابنه فلا يكلمه ولا ينظر اليه ، واذاكان الابن واعيا فهو يـــعـــتـــبـــر هذا التجاهل من ابيه تجاهه اكبر تعذيب نفسي له اما في حالة الرضا عنه فهو يجلس اليه وينظر الى قوامه ويحادثه بانشراح ومحبة وهذا من دواعي فخر الابن وسعادته .

هذا في عالم المادة والجسم والصورة ، ونفس هذه القضية تحدث بمقياس اسمى في عالم المعنى بين المولى الحقيقي وعباده .

وذكرت سورة القيامة لذة النظر الى الجمال الذي لا مثيل له للمحبوب الحقيقي (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) القيامة ــ٢٢ ــ ٢٣.

ومـــا يلفت الانتباه هنا هو ان تقديم (الى ربها) ــ وهو ما يفيد الحصر ــ ،يدل على انهم ينظرون اليه فقط في ذلك اليوم ولا ينظرون الى سواه وهم ان نظروا الى غيره فهي ليست الا نظرة عابرة ، ومع ذلـــك فهم يرونه هو ايضا لان كل ما في العالم مظاهر لذاته المقد سة وآثار لطفه ورحمته ، ورؤية الاثر هي رؤية المؤثر.

وهناك احتمال آخر ايضا في تفسير هذه الجملة (الى ربها ناظرة) يشيرالى انتظار الناس لرحمة اللّه ولـــطفه كما نقول احيانا ان الشخص الفلاني لا ينظر الا اليك اي انه ينظر كرمك وفضلك ، او عندما نقول اننا نعقد الامل عليك ولا مانع من اتساع معنى الاية لتشمل كلا المفهومين .

وقد استدل اغلب مفسري اهل السنة عند وصولهم الى هذه الاية ببعض الروايات الضعيفة التي تشير الـــى الـــمـــشاهدة الحسية للّه تعالى ، وقالوا ان احد نعم اهل يوم القيامة رؤية اللّه بهذه العين حتية ان بعضهم قال ان اللّه يظهر في السما على هيئة النور نور اللّه بهذه العين المجردة .

وقـــد بـــحـــثنا في الجز الرابع من هذا التفسير وبشكل موسع في بطلان مثل هذه التصورات المليئة بالشرك والتي تهبط في تصوير الاله على انه جسم محدودبالمكان والاتجاه ، وشرحنا كذلك ضعف هـــذه الاحاديث ولا نرى لزوم تكرار ماسبق القول فيه واننا نعتبر مثل هذا الخطا الفاحش ناتجا عن الابـــتـــعاد عن تعاليم اهل البيت (٧) ونسيان حديث الثقلين المتواتر ((٢٦٢)) من البديهي ان آثار عـــظمة اللّه في ذلك اليوم اوضح بكثير مما عليه الحال في الدنيا وكذلك الحجب المظلمة التي تغطي قـــلـــوب المؤمنين في هذا العالم فانهاستزاح جانبا حتى ليمكنهم مشاهدة ذاته المقدسة من خلال نظرة قـــلـــبـــيـــة وروحـــيـــة واحـــدة بـــل ويكون الفيض الشهودي احيانا اعمق فيغمرهم بجماله فينسون الجنة والنعم التي فيه.

نختم بحثنا هذا بية اخرى تتحدث عن هذا الموضوع باسلوب آخر اذورد فيها : (كلا انهم يومئذ عن ربهم لمحجوبون) المطففين / ١٥.

وهـل هـنـاك جزا اشد ايلاما من حرمان الانسان من لقا اللّه ومنعه من الحضور في المحضر الالهي المقدس .

ومـفـهـوم هذا الكلام هو ان المؤمنين غير محجوبين في ذلك اليوم ، بل يتمتعون برؤية جمال الحق ويتلذذون بفيض لقا المحبوب الذي لا نظير له وان كان ذلك الحجاب عذابا اليما للكفار فهذا اللقا هو من امتع اللذات بالنسبة للمؤمنين .

.٩

لهم ما يشتهون :. قد يقوم المضيف احيانا بتهيئة جميع المستلزمات الضرورية لضيوفه الاعزا ، الا انها عادة ما تكون مـحدودة بشكل او آخر الا انه عندما يعده بتوفير كل مايشتهي وما يطلب بلا استثنا فالضيف يشعر في مثل هذه الحالة بالارتياح والسكينة لانه يتاكد من انعدام اية قيود او حدود في هذا الصدد.

وهذا الكلام يصدق ايضا على النعم المادية في الجنة وهو كذلك يصدق تماما على النعم المعنوية فيها وبـعـض تـعـابير الايات القرآنية تتسق معانيها اكثر مع النعم المعنوية فمثلا تقول الاية (٢٢) من سورة الشورى بعد التحدث عن حدائق الجنة :.

(لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير).

فـتـعـبـيـر ((عـنـد ربهم)) وتعبير ((ذلك هو الفضل الكبير)) يتناسبان مع العطاياالمعنوية والروحية في الجنة وقد اشير اليهما بعد تبيان النعم المادية .

وقد ورد نفس هذا المعنى في الاية (٣٤) من سورة الزمر دون الاشارة الى النعم المادية :(لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزا المحسنين).

وعـلـى هـذا فلا توجد هناك اية قيود على النعم في الجنة وخاصة في الابعاد الروحية والمعنوية اضـافة الى ما تتضمنه هذه التعابير من دلالات على عدم محدوية نعم الجنة في الاطر المادية ، فهي تظهر ايضا عدم وجود اية محدوية في اي من الجانبين .

وبـتـعبير آخر ان اللّه يهب الانسان القدرة التي تجعل من ارادته سببا لحصول اية نعمة ، خلافا لما عـلـيـه الحال في الدنيا اذ ان ارادة الانسان فيها تابعة لوجودالاسباب وتوفر العوامل فعندما يرغب الانسان في التجوال في روضة او بستان ولايكون الجو معتدلا ولا الاشجار يانعة ، فارادة الانسان لا تستطيع مطلقا خلق اجواربيعية او اشجار مورقة ندية ، ولكنه في الجنة ما ان يطلب الانسان شيئا حـتى يتحقق له باذن اللّه ، وهذا الامتياز مثير للعجب ((٢٦٣)) وقد طرح بعض المفسرين ، الذين يـصـرون على قضية رؤية اللّه تعالى ،هذه المسالة هنا وقالوا انها تتضمن المشاهدة ايضا ، فمن ذا الـذي لا يـطـلـب ولا يبغي رؤية اللّه جل وعلا ؟ ((٢٦٤)) لكن خطاهم الفاحش يكمن في عدم رغـبـتـهـم لـلاذعـان لهذه الحقيقة وهي ان مشاهدة اللّه

حسيا امر غير ممكن وذلك لان الاتصاف بالجسمية والمكان والجهة لا تعدو ان تكون من الصفات الخاصة بالمخلوقات وهو امر مستحيل بشان ذاته المقدسة واهل الجنة لا يطلبون المحال اما المشاهدة القلبية والباطنية فهي متيسرة في هذا العالم وكذلك في العالم الاخر.

وفي نفس هذا السياق ورد في الاية (٣٥) من سورة ق ماياتي :.

(لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد).

ويدل هذا التعبير على توفير كل ما تتسع له جملة ((لهم ما يشاؤون)) وكل ما تشتمل عليه ارادتهم اضافة الى توفير جميع النعم والعطايا التي لم تخطر على بال اي انسان ، ويشملهم بلطفه الذي يستعصي على البيان وصفه .

ويستدل من بعض الروايات ان جملة ((ولدينا مزيد)) هي اشارة الى ايام الجمعة التي يحظى فيها اهل الجنة بكرامات وعنايات خاصة من قبل الباري جل وعلا ، وهو اكثر مما لديهم باثنين وسبعين مرة ((٢٦٥)) وتوجد هناك آيات اخرى في القرآن الكريم تتسق بشكل او آخر مع الايات السالفة ((٢٦٦)) ١٠.

النعم التي لا يدركها التصور :. تلحظ في القرآن الكريم تعابير تذهب الى اكثر بكثير مما ذكرناه لحد الان فهي تتحدث عن قضية تخرج عن اطار التفكير لدى جميع ابنا البشر ولا تسعهادائرة والتصور والخيال والوهم ، وهي ابعد مما قرانا وكتبن.

ان استدلال الايات القرآنية بمثل هذا الامر يعكس مدى عظمة النعم الالهية والتي يعجز البيان عن وصفها وهي من الايات العجيبة في القرآن مثل : (فلاتعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزا بما كانوا يعملون) الم السجدة ــ١٧.

وجا في حديث مشهور عن النبي (٩) انه قال : ((ان اللّه يقول اعددت لعبادي الصالحين مالا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)) ((٢٦٧)) .

تجدر الاشارة الى ان هذه البشارة العظمى قد وردت في القرآن الكريم في اعقاب سرده لصفات المؤمنين الذين يقومون الليل لمناجاة ربهم (صلاة الليل)والذين ينفقون من اموالهم ، وهذه دلالة على ان افضل الطاعات والعبادات والاعمال الصالحة هي ((صلاة الليل)) ((والانفاق)) والغريب في الامر ان صلاة الليل عبادة يؤديها المؤمن في الخفا وكذلك الانفاق الخالص فانه غالبا ما يجري في الخفا كذلك ، ويكون الجزا على ذلك من قبل اللّه تعالى في الخفا ايضا فجعله مستورا ولم يطلع عليه احد.

وهناك نقطة اخرى ايضا تسترعي الانتباه وهي ان تعبير ((قرة اعين)) يعني اساما برودة الاعين ((٢٦٨)) لانه من المعروف بين العرب ان ((دموع الشوق)) التي تنهمرعادة من الاعين عند الفرح الشديد تكون باردة ، على العكس من دموع الحزن التي تتصف عادة بالحرارة والحرقة لذا فان العربي عندما يريد القول ان الموضوع اوالحادثة الفلانية مدعاة للسرور والارتياح ، نراه يقول ((قرة العين او قرة اعين)).

وعلى اية حال فهنالك كلمات وآيات لا يبلغها عقل الانسان مهما بلغ من التسامي ومهما ارتقى من الذرى ، وكـــلـــمـــا تعمق لسبر اغوارها كلما توصل الى مفاهيم وابعاد جديدة حتى يصل الفكر الى مكان يقف عـــنـــده ويـــعـــترف بعدم القدرة على بلوغ اعماقه والاية التي نبحث فيها تمثل في الواقع اشارة قيمة وذات مـــغـــزى لـــلنعم الروحية والمعنوية العظيمة لاصحاب الجنة ، وبما ان الاية تحمل بين طياتها هـــذاالـــمفهوم وهو عدم استطاعة اي انسان حتى الانبيا المرسلين والملائكة المقربين من بلوغ هذه الحقيقة ومعرفة ما اخفى اللّه من جزا لخاصة عباده من المؤكد انهم يبلغون درجات عالية من القرب الـــى ذاتـــه الـــمـــقـــدسة ومراحل رفيعة من وصال لقائه ومنازل سامية من عنايته والطافه وهي مما لا يدركه انسان .

.١١

خلود نعم الجنة :. ومما يضفي على الجنة اهمية بالغة وقيمة معنوية كبيرة ويميزها تماما عن جميع النعم الدنيوية هو (عـــدم امـــكانية فنائها او زوالها) فلا قلق هناك من ذلك ولاخوف ولا وجل من انقطاعها فالانسان مطمئن البال في هذا الجانب تماما وهذاالشعور بالامان يضفي على تلك النعم طعما خاص.

هـــذه الحقيقة يعرف معناها كل من ينال نصيبا وافرا من النعمة ثم تنتابه الهواجس الداهمة في امكانية ذهابها ، فتمسي حلاوتها مرارة في فمه .

ويـــتضمن القرآن الكريم آيات عديدة في هذا المجال وهي تذكر دوما بهذه الحقيقة وتزف البشرى للانسان معلنة عن خلود النعم الالهية ، ليهنا بها الانسان ويعيش في فرح وحبور.

جا في الاية (٣٥) من سورة الرعد : (اكلها دائم وظلها).

ولـــمـــا كـــان هـــذا الـــبحث يرتبط ارتباطا وثيقا بمسالة الخلود فاننا سنتناوله بالبحث في فصل آخر وبشكل مستقل .

.٤

ابواب الجنة . تمهيد :.

مـــن الـــمتعارف ان طريق الدخول الى اية دار او بناية او حديقة مسيجة انمايكون من ابوابها ، وعلى هـــذا فابواب الجنة تحدد مداخلها وقد تكون للابواب اقفال لا تفتح الا بادواتها الخاصة وهو ما يطلق عليه العرب اسم ((مفتاح))وجمعه : ((مفاتيح ، او مقليد ومقاليد)) لكن ابواب ومفاتيح الجنة لها مفهوم آخر ،وتشير الى الاعمال والامور المفيدة الخالصة التي تكون سببا لدخول الجنة وقدوردت في القرآن اشارات غامضة الى ابواب الجنة ، لكن التفسيرات التي وردت بشانها في الكتب الاسلامية تـــجـــســـد بـــوضوح القيم الاسلامية بشان المعايير التي تؤدي الى دخول مستقر الرحمة الكبرى اي الجنة ، نعود الى القرآن لنصغي للايات المختلفة التي وردت في هذا الصدد :.

١ ـــ (حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم) الزمر ـــ٧٣.

٢ ــ (جنات عدن مفتحة لهم الابواب) ص ــ٥٠.
٣ ــ (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب # سلام عليكم بماصبرتم) الرعد ــ ٢٣ ــ ٢٤.
تفسير وفذلكة :.
الجنة في الانتظار تــشير الاية الاولى الى حركة اصحاب الجنة (زمرا زمرا) نحو الجنة : (حتى اذا جاؤها وفتحت ابــوابــهــا وقــال لــهم خزنتها سلام عليكم) ويفهم مها ان اصحاب الجنة عند وصولهم اليها تفتح لهم الابــواب وكــان الــجــنــة في انتظارهم فتستقبلهم في احضانها وتدعوهم الى داخلها ، حتى انهم لا يتحملون مشقة فتح الابواب .
ويتجلى نفس المعنى في الاية اللاحقة ولكن بتعبير آخر : (جنات عدن مفتحة لهم الابواب).
ولــما كانت كلمة ((مفتحة)) من باب التفعيل وتعطي في مثل هذه الواردمفهوم الكثرة والتاكيد ، فهي ربما تشير الى انفتاح جميع الابواب امامهم لا باب واحدة ، وانها مفتوحة على مصاريعها تمام.
هل تنفتح هذه الابواب من ذاتها وكان لها روح وحياة ام انها تنفتح مع اقتراب اهل الجنة منها احتراما لــهــم ؟ ام انــها تنفتح بمجرد القصد والامر والارادة ولاحاجة لاية واسطة اخرى ؟ ام ان ملائكة الــجــنة وخزانها قد فتحوها من قبل احترامالاهلها ووقفوا جانبا ينتظرون قدومهم ، كما نفعل نحن تجاه الضيوف الاعزا ؟ يبدو ان الاحتمال الاول يناسب المقام اكثر من غيره ، ويحتمل ان تكون صيغة الــمجهول دلالة على ذلك وفي نفس الوقت يبدو ان انتظار ملائكة الجنة وخزانها الى جانب الابواب متناسبا مع الاية الاولى .
واخــيــرا ورد فــي الايــة الــثــالثة دخول الملائكة من الابواب المختلفة للجنة وذلك بعد استقرار اصحابها فيها ، فتقول الاية : (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم).
الا يــعــني هذا ان جميع الاعمال الصالحة ، التي تمثل في الحقيقة ابواب الجنة ، تتلخص في الصبر والاستقامة ؟ توضيحات .
.١
ابواب الجنة في الاحاديث الاسلامية :. لــم تــشر اي من الايات القرآنية الى وجود ثمانية ابواب للجنة ، بل اشير الى ان جهنم : (لها سبعة ابواب) الحجر ــ٤٤.
لــكــن الاحــاديــث الشريفة قد اشارت مرارا الى ان للجنة ثمانية ابواب ،وذلك اشارة الى ان طرق الــوصــول الى السعادة والتي تمثل الجنة مظهرها هي اكثر من طرق السقوط في هاوية البلا والتي تمثل جهنم مركزها ، وان رحمة اللّه تسبق غضبه : ((سبقت رحمته غضبه)).
وقد جا في حديث عن امير المؤمنين (٧) انه قال : ((ان للجنة ثمانية ابواب)) ثم تطرق الى شرح هــذه الابــواب فــقال : يدخل من بعضها الصديقون ومن بعضها يدخل الشهدا والصالحون ، ومن بعضها يدخل محبو اهل بيت العصمة (٧) و ((٢٦٩)) وورد في حديث عن

الامام الباقر (٧) انه قال : ((احسنوا الظن باللّه واعلموا ان للجنة ثمانية ابواب ، عرض كل منها مسيرة اربعين سنة)) ((٢٧٠)) .

هذا في حين تشير بعض الاحاديث الاخرى الى وجود واحد وسبعين بابااللجنة وورد هذا المضمون في حديث لامير المؤمنين (٧) ((٢٧١)) ويحتمل ان تكون هذه الاعداد اشارة الى كثرة الابواب الا انها ذكرت في احد المواضع على انها ثمانية مقارنة بابواب جهنم وذلك للدلاله على ان اسباب بلوغ السعادة تفوق اسباب الشقا بل ويشير موضع آخر الى كثرة الاقوام الذين يدخلون مستقر الرحمة الالهية ، كل من طريقه الخاص .

يتضح من التعابير المختلفة لهذه الروايات ان ابوابها تناسب والاعمال الصادرة عن الصلحا والمخلصين جا في حديث منقول عن الامام الصادق (٧)عن النبي (٩) ((للجنة باب يقال له باب المجاهدين ، يمضون اليه فاذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم والملائكة ترحب بهم)) ((٢٧٢)) وورد نفس هذا المعنى في نهج البلاغة ولكن بصياغة اخرى : ((ان الجهادباب من ابواب الجنة فتحه اللّه لخاصة اوليائه)) ((٢٧٣)) .

وجا ايضا في حديث آخر عن النبي انه قال : ((ان للجنة بابا يدعى الريان لا يدخله الا الصائمون)) ((٢٧٤)) .

ونقل عنه ايضا (صلوات اللّه عليه) : ((ان للجنة بابا يقال له باب المعروف لا يدخله الا اهل المعروف)) ((٢٧٥)) كما اشارت احاديث اخرى الى : ((باب الصبر)) و ((باب الشكر)) و ((باب البلا)) حتى ذكر ان ((ابواب الجنة تحت ظلال السيوف)) ((٢٧٦)) (وذلك اشارة الى الجهاد).

وتنبغي الاشارة الى ان بعض الاحاديث تفيد ان ابواب الجنة هم رجال اللّه العظما ، كما جا في الكافي عن الامام الكاظم (٧) انه قال : ((ان عليا باب من ابواب الجنة)) ((٢٧٧)) وهذه اشارة الى ان كل من يتبع هذا الرجل العظيم في سلوكه وايمانه وعمله ، يدخل الجنة .

يتضح لدينا مما سبق معنى ومفهوم ابواب الجنة وكيفيتها ايض.

.٢

المكتوب على ابواب الجنة :. ان المكتوب على باب كل بناية يعكس عادة المحتوى والهدف الحقيقي لتلك البناية ويتبين من الروايات الاسلامية وجود كتابات على ابواب الجنة تستوجب التامل ، وان التمعن في مدلولات تلك الروايات يضفي عمقا ابعد على ماذكرناه آنفا بشان معاني ابواب الجنة ويستخلص منها حقائق اكثر سعة واهمية .

من جملة ذلك الحديث الوارد عن جابر بن عبد اللّه نقلا عن النبي (٩) :((مكتوب على باب الجنة لا اله الا اللّه محمد رسول اللّه ، علي اخو رسول اللّه)) ((٢٧٨)) ونظرا لكون الحديث اعلاه مذكورا في الكثير من كتب الشيعة والسنة وبعبارات متباينة فهو يبين مدى اهمية هذه الاسس الثلاثة في دين الاسلام .

قــال الامــام الصادق (٧) في حديث له : ((على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عــشر)) ((٢٧٩)) فيشير هذا الحديث الى ان احد المبادي الاساسية لدخول الجنة هو الاهتمام بالمشاكل المالية للفقرا والمساكين في المجتمع وتقديم العون لهم .

واخــيــرا جــا في حديث آخر شرح لما جرى في المعراج ومشاهدة الجنة والنار في ذلك السفر ، فــورد فــيه ان النبي (٩) قال : للجنة ثمانية ابواب على كل باب منها اربع كلمات كل كلمة خير من الــدنيا وما فيها لمن يعلم ويعمل بها وللنارسبعة ابواب على كل باب منها ثلاث كلمات كل كلمة خير مــن الــدنــيــا ومــا فيها لمن يعلم ويعمل بها فقال لي جبرئيل (٧) : اقر يامحمد على ما على الابواب فــقــرات ذلك ، اما ابواب الجنة فعلى اول باب منها مكتوب : لا له الا اللّه محمد رسول اللّه علي ولي اللّه لــكــل شي حيلة وحيلة العيش اربع خصال : القناعة ، وبذل الحق ،وترك الحقد ، ومجالسة اهل الــخــيــر ، وعلى الباب الثاني مكتوب : لا اله الا اللّه محمدرسول اللّه علي ولي اللّه لكل شي حيلة وحــيــلــة الــسرور في الاخرة اربع خصال مسح رؤوس اليتامى والتعطف على الارامل والسعي في حــوائج الــمؤمنين والتفقد للفقراوالمساكين وعلى الباب الثالث مكتوب : لا اله الا اللّه محمد رسول اللّه عــلــي ولــي اللّه لــكــل شــي حــيلة وحيلة الصعبة في الدنيا اربع خصال قلة الكلام وقلة المنام وقــلة المشي وقلة الطعام وعلى الباب الرابع مكتوب : لا اله الا اللّه محمد رسول اللّه علي ولي اللّه من كان يؤمن باللّه واليوم الاخر فليكرم ضيفه من كان يؤمن باللّه واليوم الاخرفليكرم جاره من كان يؤمن باللّه واليوم الاخر فليكرم والديه من كان يؤمن باللّه واليوم الاخر فليقل خيرا او يسكت وعلى الــباب الخامس مكتوب : لا اله الا اللّه محمدرسول اللّه علي ولي اللّه من اراد ان لا يظلم فلا يظلم ومن اراد ان لا يشتتم فلا يشتتم ومن اراد ان لا يذل فلا يذل ومن اراد ان يتمسك بالعروة الوثقى في الــدنــيا والاخرة فليقل لا اله الا اللّه محمد رسول اللّه علي ولي اللّه وعلى الباب السادس مكتوب : لاالــه الا اللّه مــحمد رسول اللّه علي ولي اللّه من اراد ان يكون قبره وسيعا فسيحافليبن المساجد ومن اراد ان لا تاكله الديدان تحت الارض فليسكن المساجد ومن احب ان يكون طريا مطرا لا يبلي فــليكنس المساجد ومن احب ان يرى موضعه في الجنة فليفرش المساجد بالبسط وعلى الباب السابع مــكــتــوب : لا اله الا اللّه ، محمدرسول اللّه ، علي ولي اللّه ، بياض القلب في اربع خصال : عيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وشرا الاكفان ، ورد القرض وعلى الباب الثامن مكتوب : لا اله الا اللّه ،محمد رسول اللّه ، علي ولي اللّه ، من اراد الدخول من هذه الابواب فليتمسك باربع خصال :السخا ، وحــســن الــخــلــق ، والــصــدقة ، والكف عن اذى عباد اللّه تعالى ((٢٨٠)) ان الابعاد التربوية والانسانية لهذا الحديث شاملة وواضحة ، وتبين ان دخول جنان الخلد رهين باي اعمال وصفات .

.٥

سعة الجنة . تمهيد :.

لــقــد قــلنا مرارا ان العالم الذي نعيش فيه محدود وحقير جدا ازا العالم الاخر ،وان البعث لا يمكن مــقــارنــتــه في السعة والشمول بالاطر الضيقة الموجودة في عالمنا ولا ادل على ذلك من الروايات الاســلامــية التي تتحدث عن مساكن اهل الجنة وسعتها ولا بد لمثل هذه النعم العظمى ان توجد في عالم عظيم وهائل .

نعود الى القرآن لنستمع له وهو يصف هذه السعة والعظمة :.

١ ــ (ســابــقــوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السما والارض اعدت للذين آمنوا باللّه ورسله) الحديد ــ٢١.

٢ ــ (وســارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين) آل عمران ــ١٣٣.

٣ ــ (واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا) الدهر ــ٢٠.

تفسير وفذلكة :.

(كعرض السموات والارض).

اعــتــبرت الاية الاولى سعة الجنة بعرض السموات والارض بقولها :(سابقواالى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السما والارض اعدت للذين آمنوا باللّه ورسله).

ومن الواضح ان المقصود من ((العرض هنا ليس ما يقابل الطول بل المقصود هو المفهوم اللغوي الذي يــعني السعة والامتداد ، ((٢٨١)) وقد تحملت جماعة من المفسرين مشقة كبيرة للعثور على طول الجنة بسبب الخطا الذي وقعوا فيه في فهم معنى ((العرض)).

وقال البعض ايضا ان لهذا التعبير بعد كنائيا ، لان اوسع ما يمكن ان يتصوره ذهن الانسان هو عرض السموات والارض ، والا فسعتها الحقيقية اكبر من هذا بكثير.

ومــما يلفت الانتباه ان الحديث ابتدا اولا بالمغفرة الالهية ثم تطرق ثانيا الى الجنة وما فيها من امتداد وذلــك لان الــمغفرة تعني التطهر من الذنوب ونيل الاستحقاق في القرب الالهي وهو ما يفوق الجنة اهمية اضافة الى ان الطهارة والمغفرة اذا لم تتحققا ، فلن تكون هناك طريق للجنة .

الفعل ((سابقوا)) ماخوذ من مصدر ((المسابقة)) وهو اشارة الى هذه المسالة التي تعني ان للجنة والــمــغفرة اهمية بالغة تحتم على المؤمنين بذل الجهد لبلوغهماكما يفعل الابطال عادة حين التسابق لبلوغ هدف معين .

ويــفــهم من هذا التعبير ايضا ان هذه الدنيا لا تعدو ان تكون سوى حلبة سباق والهدف النهائي لها هو ذلك العالم .

ولــكــن عــلى اي شي يجري التسابق ؟ لقد وضع الكثير من المفسيرين اصابعهم على مصاديق خاصة دون ســوهــا ، كامثال التسابق نحو ((الاسلام))او ((الهجرة)) او ((الصلوات الخمس)) او ((الجهاد)) او ((التوبة)).

الا انه من الواضح ان الاية تحمل مفهوما اوسع يشمل جميع الطاعات والاعمال الصالحة ، وان

ماورد في كلام هذه المجموعة من المفسرين يمثل في الواقع مصداقا واحدا من هذا المفهوم الواسع .

امـــا الاية الثانية فهي انعكاس ــ ولكن بتعابير اخرى ــ لنفس هذه القضية فهناك كان الكلام عن السباق وهنا عن المسارعة وهناك اوضحت الاية ان سعة الجنة بعرض السما والارض وهنا حذفت ((كاف)) الـــتـــشـــبيه ، وحلت كلمة السموات محل كلمة السما ، واشارت الاية هناك الى انها ــ اي الجنة ــ اعـــدت لـــلـــذيـــن آمـــنوا باللّه ورسله وهنا تقول الاية انها : ((اعدت للمتقين)) حيث نصت على : (سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين).

ولا يـــخـــفـــى ان ((التسابق)) يرتبط ((بالمسارعة في العمل)) وان ((المتقين))هم ((الذين يؤمنون باللّه ورسله)) وذلك لان التقوى هي انعكاس للايمان الراسخ ،وكلمة ((السما)) تنطوي ايضا على معنى الجنس الذي يشمل جميع السموات ، اذن فالايتان في واقعهما تنشدان حقيقة واحدة .

وهنا واجه الكثير من المفسرين سؤال حول ما اذا كانت سعة الجنة كعرض السموات والارض ، فلن يبقى هناك مكان للنار ويـــمكن تبيان جواب هذا السؤال بالصورة الاتية وهي ان العالم يومذاك سيكون اوسع بمرات عديدة من عالمنا هذا لانه عالم افضل واكمل ، وستكون سعة الجنة فيه بسعة السما والارض في عالم اليوم ، والنار في معزل عنه ، لان ذلك العالم اوسع من عالمنا اليوم في جميع الجوانب .

وهـــنـــاك جـــواب آخر ايضا عن هذا السؤال يتلخص في ان النور والظلام متزاحمان وكذلك النعمة والنقمة في هذا العالم ولا تجتمعان طبعا في مكان واحد ،ولكن ذلك العالم لا يحفل بمثل هذا التزاحم ، فـــربما يوجد الاثنان معا وهما يغطيان العالم في وقت واحد وبما انهما مرحلتان من مراحل الوجود والكينونة فهما لايتزاحمان مع بعضهم.

ويمكن ا لاتيان بمثال بسيط لتوضيح هذا المعنى في الاذهان وهو : ربماتقوم احدى محطات الارسال الاذاعي ببث صوت رقيق وناعم على احدى موجاتهاوفي نفس الوقت ينبعث من محطة ارسال اخرى صـــوت مزعج وكريه يصم الاذان مصحوبا بانغام مرعبة ، وربما تغطي هاتان الموجتان جميع اجوا الـــكـــرة الارضـــيـــة الا انـــهـــمـــا غـــير مسموعتين من قبل الناس العاديين ، والشخص الوحيد الذي يـــمـــكـــنـــه الاســـتـــمـــاع هو الذي يستطيع تنظيم امواج محطته مع الموجه الاولى اذ يمكنه عندذاك الاســـتـــغـــراق في سماع النغمات الممتعة اما الذين ينظمون امواج محطتهم مع الموجة الثانية فيلقون الـــعـــذاب والشقا وكان الفريق الاول في الجنة الثاني في جهنم وسنشرح هذا الكلام عما قريب باذن اللّه .

وجـــا فـــي الايـــة الـــثـــالثة والاخيرة تعبير غني بخصوص عظمه الجنة فظاهرالحديث يخاطب به الرسول (٩) قائلا : (واذا رايت ثم رايت نعيما وملكاكبيرا) ((٢٨٢)) .

وطرحت في تفسير الملك الكبير آرا متعددة تبلورت بصورة رئيسية حول محورين فقال جماعة ان الـــمـــلك الكبير اشارة الى سعة وعظمة الجنة وما فيهامن قصور وغرف وحدائق ، ومن جملة ذلك مـــاورد في احد التفاسير : ان ادناهم منزلة ينظر في ملكه من مسيرة الف عام ، وفي بعض الروايات لمسافة الفي سنة ((٢٨٣)) .

واعـــتبره آخرون اشارة الى العظمة المعنوية للجنة والمقامات الرفيعة لاهلها ، ومن جملة ذلك ان : الـــمـــلائكـــة لا يـــدخلون عليهم الا باذن منهم ، ويؤدون لهم التحية والسلام ، او ان الفنا والزوال لا وجـــود لـــه هـــنـــاك ، او ان لـــكـــل واحد منهم هناك سبعين بوابا ((٢٨٤)) وفسر جماعة آخرون ((الملك)) بمعنى الملكية ، والبعض الاخر قالوا انه يعني الحاكمية .

وقـــال آخـــرون في تفسير ((الملك الكبير)) انه يعني ((القرب الى اللّه والشهودالمعنوي لجلاله وجماله)) ويمكن الجمع بين كل هذه المعاني ، لعدم وجود اي تضادبينه.

والذي يتضح من مجموع هذه الايات انه وكما ان النعم في الجنة تستعصي على الوصف بسبب اهميتها واتـــساعها وتنوع اشكالها ، فكذلك الحال بالنسبة لعظمة الجنة وسعتها فكلما يقال في هذا الباب يبقى قاصرا عن ادا الوصف المطلوب .

٦ــ.

هل الجنة مخلوقة ؟. تمهيد :.

مـــع ان الـــوعد الالهي حق ، ولا تخلف فيه ، وان جزا المؤمنين ومعاقبة وتعذيب الكافرين الذي وعد بـــهـــمـــا اللّه سيتحقق قطعا لان التخلف عن الوعد لا يكون الا بسبب العجز والضعف او بسبب الجهل والـــنـــدم ، وهـــذا مـــا لا يـــمـــكن ان توصف به ذاته المقدسة وعلى هذا يمكن للجميع ان يرجو وعده ويـــخشى وعيده وما آنذر به من العقاب ، الا ان الايات القرآنية ــ رغم ذلك ــ تؤكد ان الجنة والنار مخلوقتان الان وهما موجودتان الان وجاهزتان لاستقبال المستحقين ويستفاد ايضا من الروايات المختلفة ان الاعمال الصالحة التي تصدر عن الناس هي التي توجد الجنة وهـــذا يـــعـــتـــبر دليلا على وجود الجنة في هذا الوقت ،وسبب هذا التاكيد من اجل ان تدخل مسالة الـــعـــقـــاب والثواب مرحلة اكثر جدية ولاجل ان يشعر المحسنون بوجود جزا اعمالهم على مقربة منهم ، وليتحسس المسيؤون عواقب افعالهم .

ونعود بعد هذا التمهيد الوجيز الى القرآن ونتدبر في الايات الواردة في هذا الصدد :.

١ ــ (وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين) آل عمران ــ١٣٣.

٢ ــ (وجنة عرضها كعرض السما والارض اعدت للذين آمنوا باللّه ورسوله) الحديد ــ٢١.
٣ ــ (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين) البقرة ــ٢٤.
٤ ــ (واتقوا النار التي اعدت للكافرين) آل عمران ــ١٣١.
٥ ــ (ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى # عندها جنة الماوى) النجم ــ١٣ ــ١٥.
٦ ــ (يستعجلونك بالعذاب وان جنهم لمحيطة بالكافرين) العنكبوت ــ٥٤.
٧ ــ (ان الابرار لفي نعيم # وان الفجار لفي جحيم # يصلونها يوم الدين #وما هم عنها بغائبين) الانفطار ــ١٣ ــ١٦.
٨ ــ (كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم # ثم لترونها عين اليقين) التكاثر ــ٥ ــ٧.

تفسير وفذلكة :.

اعدت للمتقين جا في الاية الاولى والثانية بعد الاشارة الى سعة الجنة وعظمتها وانهاكعرض السموات والارض ، الى انها ((اعدت للمتقين)).

قال كبار المفسرين عند تفسيرهم لهذه الاية انه يستفاد منها بان الجنة مخلوقة وموجودة الان ((٢٨٥)) .

ومما يلفت الانتباه ان القرطبي اشار في تفسيره لهذه الاية قائلا : يرى غالبية علما الاسلام بان الجنة مخلوقة الان وموجودة ، وان صريح روايات المعراج والروايات الاخرى الواردة في ((الصحيحين)) وغيرهما يفيد هذا المعنى ، لكن المعتزلة رفضوا هذا المعنى ولم يعتقدوا به وقالوا انها تخلق بعد نهاية هدا العالم ،وذلك لانها دار الثواب وهنا دار التكليف ، وهما لاتجتمعان ((٢٨٦)) ولا يشكل استدلال المعتزلة هذا الا مغالطة لا اكثر ولا اقل لان الحديث هنا يدور حول خلقها حاليا لادخول الناس فيه.

وتناولت الايتان الثالثة والرابعة موضوع الوجود الحالي لـ ((جهنم)) اذورد :.

(فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين).

فتدل هذه الايات على الوجود الحالي لجهنم ايضا وقد صرح بهذا المعنى جماعة من المفسرين ، رغم ما ورد بشانها من تفسير وما قيل في معنى ((اعدت)) فمع انه فعل ماض الا انه يدل على المستقبل لان المستقبل المؤكد ياتي احيانا على صيغة الفعل الماضي ، وهذا بخلاف ظاهر الاية ، ومثل هذا التفسير غير ممكن بلاوجود شاهد وقرينة .

وتتحدث الاية الخامسة عن قصة معراج النبي (٩) قائلة : (ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى).

لكن هل ان جنة الماوى هي جنة البرزخ ام انها جنة الخلد؟.

فالمفسرون يختلفون في الحكم على هذا الموضوع ، فكلمة ((الماوى)) ربماتستدعي الى الذهن معنى الخلود رغم ما يفترضه كون هذه الجنة في بعض السموات من تداعي معنى الجنة البرزخية ، لان جنة الخلد تمتد على سعة الارض والسموات .

وعـــلـــى هذا فالاستدلال بالاية الانفة الذكر بشان مخلوقية الجنة لا يتطابق الا مع التفسير الاول ، ورجـــح جـــماعة من المفسرين هذا المعنى منهم الطبرسي في مجمع البيان والعلامة الطباطبائي في الميزان .

وتتحدث الاية التالية عن احاطة جهنم بالكافرين بسبب اصرارهم وعنادهم اذ يقول القرآن الكريم : (يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين).

انـــهـــم لـــم يؤججوا لانفسهم جهنم الدنيا بشركهم وذنوبهم وعصيانهم وظلمهم فقط بل وحتى جهنم الاخـــرة قـــد اصـــبحت محيطة بهم لاسيما مع التنبه الى بداية الاية التي تتحدث عن استعجال الكفار بـــالعذاب ، ومن المناسب هنا القول لماذا تستعجلون انكم الان في جهنم الا ان حجب هذا العالم تحول دون تـــاثيرهاالمباشر عليكم ، لكن هذه الحجب ستزول يوم القيامة وتشاهدون حينها باعينكم احاطة جهنم بكم ((٢٨٧)) .

وطرح احتمال آخر في تفسير هذه الاية وهو انهااشارة الى يوم القيامة ،والاية التالية لها والتي جا فيها : (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم) هي بمثابة القيدلاحاطة جهنم .

وبـــعبارة اخرى ، جعلت هذه الجملة اشارة الى المستقبل المؤكد ، فكماذكرنا ان اللغة العربية تعبر عن المستقبل المؤكد ((المضارع المتحقق الوقوع)) بالحال حينا وبالفعل الماضي حينا آخر.

ويـــمـــكن الاستعانة بيات سورة الانفطار لتاكيد التفسير الاول حيث جافيها :(ان الابرار لفي نعيم # وان الفجار لفي جحيم # يصلونها يوم الدين # وماهم عنهابغائبين).

يتضح من هذا التعبير بان ((الصلي)) يكون يوم القيامة الا ان جهنم محيطة بالكافرين الان ، رغم ان الحجب تحول دون احتراقهم في الدنيا ، لاسيما ما ورد في جملة : (وما هم عنها بغائبين) فهو تاكيد مجدد على هذا المعنى (فتامل).

وتـــخاطب الاية الاخيرة منكري يوم القيامة قائلة : (كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم) ثم تضيف مؤكدة :(ثم لترونها عين اليقين).

ولـــو انـــنـــا اخـــذنـــا معنى الاية كما هو في الظاهر (واعتبرنا ((لو)) شرطا وجزاؤها((لترون الـــحجيم))) لكانت تعني : ان الذين لديهم ((علم اليقين)) يشاهدون جهنم وهم في هذا العالم ، وهذا الكلام يستلزم وجودها حالي.

اثار المفسرون ضجة في تفسير هذه الاية واختار كل منهم طريقاخاصاوكانهم في الغالب لم يتمكنوا مـــن هـــضم هذا المعنى وهو امكانية اشارة هذه الايات الى مشاهدة جهنم في الدنيا ، ومن ثم مشاهدتها في الاخرة .

فـــنـــحـــن نـــرى مـــن جـــهـــة عـــدم امكانية اعتبار الاية مكرسة تماما للاخرة وذلك لان جميع الكفار والمجرمين يرون جهنم في القيامة وهذا مما لايحتاج الى الشرط ،ولهذا اعتقد جماعة بحذف جزا الشرط هنا بل وادعى الفخر الرازي اتفاق المفسرين على هذا المعنى ((٢٨٨)) ولكن من البديهي ان هـــذا الكلام مبالغ فيه فليس هناك اتفاق في الارا بشان هذه المسالة ، وعلى اية

حال اعتبر جماعة من المفسرين ان المعنى يكون هكذا : ((لو تعلمون علم اليقين لما الهاكم التكاثر)) ((٢٨٩)) .

اما المجموعة الاخرى التي رات عدم صحة الراي القائل بحذف الجزا ،فانها اعتبرت الرؤية علمية وقلبية ، واستنادا الى هذا سيكون معنى الاية :((لو انكم علمتم علم اليقين لايقنتم بجهنم)). من الواضح ان كلا التفسيرين الاول والثاني يخالف ظاهر هذه الايات لان اعتبار الجزا محذوفا يخالف القاعدة وكذلك تفسير الرؤية بمعنى العلم ((٢٩٠)) .

وعلى هذا لو اننا اخذنا الاية كما هي من غير حذف او تقدير ، وفسرناالفاظها طبقا لمعناها الحقيقي : فستكون النتجية نفس التفسير المذكور آنفا ، وقدارتضى بعض المفسرين هذا المعنى ولو باعتباره واحدا من الاحتمالات على اقل تقدير.

ويلحظ في الروايات الاسلامية تعابير واضحة تتسق وهذا المعنى من جملتها القصة المشهورة لذلك الشاب المؤمن والتي وردت في كتاب الكافي وبصورة حديث منقول عن الامام الصادق (٧) انه قال ((ان رسول اللّه (٩) صلى بالناس الصبح ، فنظر الى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي براسه ، مصفرا لونه ،قد نحف جسمه وغارت عيناه في راسه ، فقال له رسول اللّه (٩) كيف اصبحت يافلان ؟ قال : اصبحت يارسول اللّه موقنا ، فعجب رسول اللّه (٩) من قوله وقال : ان لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك ؟ فقال :ان يقيني يارسول اللّه هو الذي احزنني واسهر ليلي واظما هواجري فعزفت نفسي عن الدنيا ومافيها حتى كاني انظر الى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وانا فيهم وكاني انظر الى اهل الجنة ، يتنعمون في الجنة ويتعارفون وعلى الارائك متكئون وكاني انظر الى اهل الناروهم فيها معذبون مصطرحون وكاني الان اسمع زفير النار ن يدور في مسامعي ، فقال رسول اللّه (٩) لاصحابه : هذا عبد نور اللّه قلبه بالايمان ، ثم قال له ، الزم ماانت عليه ، فقال الشاب : ادع اللّه لي يارسول اللّه ان ارزق الشهادة معك فدعا له رسول اللّه (٩) فلم يلبث ان خرج في بعض غزوات النبي (٩) فاستشهد بعد تسعة نفروكان هو العاشر ((٢٩١)) .

وجملة ((كاني الان اسمع زفير النار يدور في مسامعي)) دليل على وجودجهنم حاليا وانه يراها بعينه عن طريق الايمان الممتزج بالشهود.

ويستفاد من مجموع الايات السالفة ان الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان حاليا ولو عرض هناك شك في دلالة بعض هذه الايات لايمكن ــ على اقل تقدير ــالتشكيك في دلالة المجموع وخاصة الايات التي تدور فيها كلمة ((اعدت)).

توضيحات .

١.

آرا العلما المسلمين في خلق الجنة والنار :. يعتقد اغلب العلما المسلمين ــ كما اشرنا

سابقا ــ بان الجنة والنارموجودتان في الوقت الحاضر واستدلوا ببعض الايات المذكورة مسبقا لتدعيم معتقدهم هذا ،لكن بعض علما الكلام من امثال ابي هاشم وعبد الجبار وهما من قدما المتكلمين يعتقدون بان الجنة والنار ليس لهما وجود حاليا وانهما سيخلقان فيما بعد ،وتاكيدالرايهم هذا استدلوا بالاية الشريفة : (كل شي هالك الا وجهه) القصص ــ٨٨ فلوكانتا موجودتين حاليا فانهما ستتعرضان للفنا في نهاية هذا العالم وعندئذ تتنافى هذه الاية مع الاية القرآنية القائلة : (اكلها دائم) الرعد ــ٣٥ (فتامل).

يقول العلامة الحلي ردا على هذا الاستدلال : ان الهلاك والفنا اللذين وردا في الاية يراد منهما الخروج عن قابلية الاستفادة ومن البديهي ان الناس وجميع المكلفين لو كتب عليهم الفنا لما عادت للجنة اية فائدة .

والجواب الاخر عن هذا السؤال هو ان الجنة والنار غير موجودتين في ظاهر هذا العالم بل في باطنه ، والهلاك والفنا يصدقان على ظاهر هذا العالم (ستاتي عما قريب مزيد من التفاصيل بهذا الصدد).

وقال البعض ايضا ان الاية (كل شي هالك الا وجهه) تشير الى ان اللّه عزوجل وكل ماخلق بغير اسباب مادية وبلطفه ورحمته ، خالد ، وان كلمة ((وجه اللّه))تشمل جميع هذه المعاني ومنها الجنة والنار وان الفاني والهالك هو عالم المادة الذي جا الى الوجود بعلل مادية (تامل).

.٢

الوجود الحالي للجنة والنار في الروايات الاسلامية :. هناك الكثير من الاحاديث الاسلامية تدعم هذا المعنى وتؤكد ان الجنة والنارمخلوقتان حاليا ، ومن جملة ذلك ماورد عن الامام علي بن موسى الرضا(٧) حين ساله احد اصحابه عن الجنة والنار هل هما مخلوقتان ؟ قال (٧) : ((وان رسول اللّه (٩) قد دخل الجنة وراى النار لما عرج به الى السما)) فقال له السائل : ان قومايقولون انهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين فقال (٧) ((ماولئك منا ولا نحن منهم ، من انكر خلق الجنة والنار فقد كذب النبي وكذبنا)) ((٢٩٢)) .

ووردت في الكثير من الروايات الاسلامية المتعلقة بمعراج النبي (٩)اشارات الى موضوع الجنة والنار ووجودهما حاليا وهى تشكل في الحقيقة تاكيدا لماورد في الايات التي تناولناها بالبحث واشار اليها القرآن الكريم في سورة النجم اثناالحديث عن معراج النبي (٩).

قال علي بن ابراهيم في تفسير هذه الاية : (ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى) ((واما الرد على من انكر خلق الجنة والنار فقوله عندها جنة الماوى ، اي عند سدرة المنتهى فسدرة المنتهى في السما السابعة وجنة الماوى عندها)) ((٢٩٣)) .

وهناك روايات تؤيد هذا المعنى جات في مصادر اهل السنة ومصادرالشيعة بخصوص ولادة السيدة فاطمة الزهرا(٣) جا فيها ان نبي الاسلام (٩)قال : (لما عرج بي الى

السما اخذ بيدي جـبرائيل (٧) فادخلني الجنة فناولني من رطبها فاكلته فتحول ذلك نطفة في صلبي فلما هبطت الى الارض واقـعـت خـديجة فحملت بفاطمة (٣) ففاطمة حورا انسية فكلما اشتقت الى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة) ((٢٩٤)) .

جا في تفسير الاية ٣٧ من سورة آل عمران (كلما دخل عليها زكرياالمحراب وجد عندها رزقا) فذكرت الكثير من المصادر الاسلامية الشيعية منهاوالسنية ان ذلك الطعام كان من فاكهة الجنة كان اللّه يـعـطـيـهـا لـمـريم في غير اوانها ((٢٩٥)) وهناك روايات اسلامية وردت بشان فاطمة الـزهـرا(٣) مـنـها ان اللّه تعالى قد انزل عليها مائدة من الجنة وقد اكل منها النبي (٩) وعلي (٧) وعدد من نساالنبي (٩) والجيران وان النبي (٩) قد شبه ذلك بقصة مريم وقال : ((الحمد للّه الذي جعلك شبيهة بسيدة نسا بني اسرائيل)) ((٢٩٦)) .

قد يقال ان هذا الكلام يتعلق بالجنة البرزخية وهي الجنة التي تستقر فيهاارواح الشهدا بعد الشهادة وقبل القيامة والجواب على مثل هذا الاعتراض هو ان الجنة البرزخية ليست جنة مادية بل هي ذات بـعـد مثالي والارواح تنعم فيها على هيئة القوالب المثالية ومن البديهي ان مثل هذه الجنة الخالية من الـجـانـب الـمـادي لـن تحوي فاكهة نظير الفاكهة الموجودة في عالمنا هذا والتي يمكن ان يستفيد منهاالجسم المادي ، بل هي تشبه في بعض جوانبها المشاهد التي يراها الانسان في المنام ويتلذذ به.

اضـافة الى هذا نقرا في روايات عديدة ان الجنة حاليا في حالة بنا واتساع بواسطة اعمال الانسان ، فـبعض اعمال الانسان ينتج عنها غرس اشجار جديدة في الجنة ، ولا تصح مثل هذه الاخبار الا اذا كـانـت الـجـنة موجودة حاليا ، ومن جملة ذلك ماورد في الروايات التالية التي تحمل ابعادا تربوية رفيعة :.

١ ــ نـقـل ابـو ايـوب الانصاري حديثا عن الرسول الاكرم (٩) انه قال :((في ليلة المعراج مر بي ابراهيم الخليل (٧) وقال : ((مر امتك ان يكثروا من غرس الجنة فان ارضها واسعة وتربتها طيبة قلت وما غرس الجنة ؟ قال لا حول ولا قوة الا باللّه)) ((٢٩٧)) .

٢ ــ جـا فـي حـديـث عن رسول اللّه (٩) انه قال : ((من قال لا اله الا اللّه ،غرست له شجرة في الجنة)) ((٢٩٨)) .

٣ ــ نـقـل الامـام الـصادق (٧) حديثا عن آبائه عن رسول اللّه (٩) انه قال :((من قال سبحان اللّه غرس اللّه له بها شجرة في الجنة ، ومن قال الحمد للّه غرس اللّه له بها شجرة في الجنة ، ومن قال لا الـه الا اللّه غـرس اللّه لـه بـهـا شـجرة في الجنة ، ومن قال اللّه اكبر غرس له بها شجرة في الجنة)) فقام له رجل من قريش كان بين الحاضرين وقال له : اذن فشجرنا في الجنة اكثر ، فقال له النبي (٩) : ((نعم ولكن اياكم ان ترسلواعليها نيرانا فتحرقوها)) ((٢٩٩)) .

٤ ــ وجـا في حديث آخر عن النبي (٩) انه قال ((لما اسري بي الى السما دخلت الجنة فرايت

فيها ملائكه يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وربمامسكوا ، فقلت لهم : مالكم ربما بنيتم وربما امسكتم ؟)) فقالوا حتى تجيئنا النفقة ((سبحان اللّه والحمد للّه ولا اله الا اللّه واللّه اكبر ، فاذا قال بنينا ، واذا امسك امسكنا)) ((٣٠٠)) .

نختم هذه النقطة بحديث للمرحوم العلا مة المجلسي ، فقد قال في نهاية هذه الرواية المتعلقة بالجنة والنار والتي اوردها في بحار الانوار ، قال : ((اعلم ان الامان بالجنة والنار على ماوردتا في الايات والاخبار من غير تاويل من ضروريات الدين ، ومنكرهما او مؤولهما بما اولت به الفلاسفة خارج من الدين ، واما كونهمامخلوقتان الان فقد ذهب اليه جمهور المسلمين الا شرذمة من المعتزلة والايات والاخبار الواردة دافعة لقولهم مزيفة لمذهبهم ، والظاهر انه لم يذهب الى هذا القول احد من الامامية الا ما ينسب الى السيد الرضي)) ((٣٠١)) .

.٣

جواب على اعتراضين :. لعل منكري الوجود الحالي للجنة والنار يتمسكون باعتراضين احدهماعقلي والاخر نقلي ، اما الاعتراض العقلي فهو ان ايجادهما قبل القيامة لغو وعبث ، لانه مامن احد يدخل الجنة او النار قبل حساب يوم القيامة ويبدو هذا شبيها لمن يبني قبل الف عام دارا لمن ياتي بعد الف عام ، اليس هذا عبث ؟ والجواب على هذا الاعتراض واضح وهو ان هذه القضية ــ كما سبق منا القول فيها ــ تترك تاثيرا تربويا على الناس ، فاللّه سبحانه وتعالى يريد ان يفهم الناس ان الثواب العظيم غير مؤجل ولا العقاب الاليم ، بل كليهما حاضر ، ويبدو هذا الفعل شبيها بتهيئة مجموعة من الجوائز في بداية العام الدراسي للطلبة الذين يحوزون في نهاية العام اعلا الدرجات بل وقد نضعها معروضة امام انظارهم ونقول لهم هذه المكافاة لمن يبذل اقصى الجهد في الدراسة ، او يبدوا شبيها باعداد السجن والمشنقة مقدما للقتلة والجناة .

ومن البديهي ان مثل هذا العمل لا يعد عبثا ، بل له آثار عميقة ايضا في الجانب التربوي ، ولكن بما ان الجنة والنار محجوبتان عن اهل الدنيا بسبب الحجب الموجودة بقيت الايات القرآنية والاخبار النبوية في هذا الصدد على ذلك التاثير.

والاعتراض الاخر هو علمنا بان ((كل شي هالك الا وجهه)) في نهاية هذاالعالم ويمكن تقديم عدة اجابات على هذا الاعتراض .

الاول : ان المقصود من ((كل شي)) هو الدنيا باجمعها وما يتعلق بها امامعنى ((الهلاك)) فلا يصدق على الجنة والنار فهما من الاشيا الباقية والمستثناة من الهلاك فوق العالم المادي او في باطنه ، وهما خارج نطاق الدنيا الفانية .

الثاني : ان ((الوجه)) المستثنى يشمل جميع الامور التي تنتسب اليه بقوة بحيث تعتبر داخلة ضمن مفهوم ((الوجه)) وبما ان الجنة والنار هما مظهر رحمته وغضبه وموضع الثواب

والعقاب فهما داخلتان ضمن الاستثناطبع.

الـــثالث : ان ((الهلاك)) يعني انعدام المستفيدين من الشي كالدار العامرة التي يموت اهلها وتبقى بلا وارث ، فهذه الحالة تسمى احيانا بالهلاك .

٤.

اين الجنة ؟. يـــطـــرح هذا السؤال جديا مع الاخذ بنظر الاعتبار قضيتين : الاولى وهي ان الجنة موجودة الان (طبقا للشواهد المتاتية من الايات والروايات المذكورة سابقا).

والـــثـــانـــيـــة ان عرض الجنة كعرض السما والارض (استنادا الى صريح الايات الواردة في البحث السابق).

ولعل البعض يقول : اين يقع بالدقة مثل هذا الوجود الذي هو كعرض السما والارض ؟ وكيف يمكن وجود مثل هذا الشي دون ان تطاله حواسنا ؟.

وقـــد اجـــاب جماعة عن مثل هذا السؤال بقولهم : تفيد الايات القرآنية ان الجنة موجودة في السما ، فـــكـــما اشرنا سابقا ، اخبرت الاية (١٥) من سورة النجم ان عروج النبي (٩) كان الى السما حيث : ((عندها جنة الماوى)) (وهذه النقطة هي اسمى وارفع نقطة في السما) ((٣٠٢)) رغم ان البعض اعـــتـــبـــرهـــا الـــجـــنـــة الـــبرزخية التي تصعداليها ارواح الشهدا او انها جنة آدم ، ولكن كلا هذين الاحتمالين يخالف معنى التعبيرالظاهري لجنة الماوى .

وجـــا فـــي الايـــة (٢٢) مـــن ســـورة الـــذاريات (وفي السما رزقكم وماتوعدون) اذ يعتقد كثير من المفسرين ان المقصود من ((ماتوعدون)) هي جنة الخلدالتي وعد اللّه بها عباده ((٣٠٣)) ، وقال جماعة ان هذا يشمل الجنة والنار رغم قول البعض ان الغرض هو الاشارة الى العذاب الدنيوي الذي ينزل على الكفار والجبابرة (كعذاب قوم نوح وقوم لوط وامثالهما).

مـــحـــصلة هذا الكلام هو ان جنة الخلد تقع في ماروا السما الدنيا وسعتهاكعرض السما والارض او انـــهـــا اوسع من ذلك بعدة مرات لعدم وجود ما هو اوسع من هذا البيان ليصف به القرآن سعة الجنة ، وعلى هذا الاساس فهي موجودة ومكانهافي السما وسعتها كعرض السما والارض في هذه الدني.

وقد طرح بعضهم عدة مؤاخذات على هذا الراي وهو اذا كانت الجنة فوق الفلك التاسع فهذا يستلزم انـــهـــا كـــائـــنـــة فـــي اللامكان واللاجهة الافـــلاك فـــهـــذا امـــا يـــستلزم التداخل او انفصال الافلاك عن بعضها ، وكل هذا محال ولا يتسق مع التعبير القرآني القائل بان سعتهاكعرض السموات والارض .

ولا يـــخـــفـــى ان هذا الاعتراض قائم في الحقيقة على اساس هيئة بطليموس والافلاك التسعة التي يـــعـــتـــقد انها قائمة فوق بعضها كطبقات قشرة البصل ولا يوجدبينها اي فاصل ولكن حيث ثبت الان بـــالدلائل القطعية بطلان هذه العقيدة ، وحتى ان بطلانها في بعض الحوانب ثبت حسيا ، لم يعد هناك اي دلـــيـــل تستند عليه مثل هذه الاعتراضات ولا يوجد هناك اي مانع من وجود

عوالم كبيرة اخرى اوسع بكثيرمن سمائنا وارضنا هذه فوق هذه النجوم الثابتة والسيارة وفوق المجرات ، وعليه فلاتتعارض مع مفهوم الاية السالفة الذكر ايض.

النظرية الاخرى تقوم على راي جماعة من الفلاسفة الذين ينكرون مادية الجنة والنار ، وعلى هذا فرايهم يقول بعدم حاجة الجنة الى المكان المادي بل هي في ماوار عالم الحس والمادة ، وقد تحدث صدر المتالهين عن هذا الموضوع في كتاب الاسفار قائلا :.

واعلم ان لكل نفس من نفوس السعدا في عالم الاخرة مملكة عظيمة الفسحة ، وعالما اعظم واوسع مما في السماوات والارضين ، وهي ليست خارجة عن ذاته بل جميع مملكته ومماليكه وخدمه وحشمه وبساتينه واشجاره وحوره وغلمانه كلها ، قائمة به ، وهو حافظها ومنشئها باذن اللّه تعالى وقوته ، ووجودالاشيا الاخروية وان كانت تشبه الصور التي يراها الانسان في المنام او في بعض المرايا لكن يفارقها بالذات والحقيقة ، اما وجه المشابهه فهو ان كلا منها بحيث لايكون في موضوعات الهيولى ولا في الامكنة والجهات لهذه المواد ، وان لاتزاحم بين اعداد الصور لكل منهما وان شيئا منهما لا يزاحم شيئا في هذا العالم في مكانه اوزمانه ، فان النائم ربما يراه في يقظة هذا العالم ، وهي مع كونها مغايرة لما في الخارج بالعدد لكن لا تزاحم ولا تضايق بينها واما وجه المباينة فهو ان نشاة الاخرة والصورالواقعة فيها قوية الجوهر شديدة الوجود عظيمة التاثير الذاذا وايلاما ، وهي اقوى واشد وآكد ، واقوى من موجودات هذا العالم فكيف من الصور المنامية والمرآتية ،ونسبة النشاة الاخرة الى الدنيا كنسبة الانتباه الى نشاة النوم ((٣٠٤)) .

وبالرغم من استخدامه لتعابير مختلفة بشان المعاد وليس من السهل الحكم على رايه من خلال هذه التعابير ، لكن من الواضح ان هذا التفسير للمعاد لايتطابق مع ظاهر بل مع صريح القرآن ، بل يتناسب مع آرا الذين يعتبرون المعادروحيا فقط، فقد ورد في النص السابق ان الجنة في داخل ذات الانسان وفي نفسه وروحه وكل شي هناك له صورة مثالية ، وكل شي روحاني ، بل وان الموجد له هي روح الانسان لقد ذكرنا فيما سلف مئات الايات التي تثبت جسمانية المعاد ، وذلك ضمن عدة مجاميع وبامكان كل مجموعة ان تكون جوابا على مثل هذاالراي .

اما الراي الثالث الذي يمكن طرحه في هذا الصدد فهو ان كلا من الجنة والنار تقعان في باطن هذا العالم وحجب عالم الدنيا تحول دون رؤيتهما لكن اولياءاللّه بامكانهم مشاهدتهما ، وقد استطاع النبي الكريم (٦) اثنا معراجه حيث صاربعيدا عن ضجيج سكان هذا العالم ، ان يرى بعينه الملكوتية قطعة من الجنة في العالم الاعلى ، وحتى ان اولياء اللّه قد يتاح لهم بين الفينة والاخرى اثنا بعض النفحات مشاهدة ذلك وهم على الارض وقد تكون الايات التالية اشارة الى هذا المعنى :(ان جهنم لمحيطة بالكافرين) ((٣٠٥)) و : (ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم) ((٣٠٦)) ، وكذلك :(كلا لوتعلمون علم اليقين لترون الجحيم) ((٣٠٧)) يمكن تشبيه وجود الجنة في باطن هذا العالم بما الورد في الزهرة ، فمع ان ما الورد مادة وكذلك الزهرة لكن

ذلك لايمنع من وجود احدهما مخفيا داخل الاخر فلا يشاهد بالعين .
والتشبيه الاخر الذي يمكن الاتيان به لتقريب الموضوع الى الاذهان ، وهوتشبيه سبق ذكره حيث توجد اشيا كثيرة في عالم المادة هذا لايتيسر لنا ادراكها في الظروف الاعتيادية ، وكثير منها موجود في داخل هذا العالم المادي فعلى سبيل المثال توجد في فضا هذا العالم امواج اذاعية عديدة تبثها في الفضا محطات الاذاعة العالمية ، وتصل احيانا بواسطة الاقمار الصناعية الى جميع ارجا العالم ،وتوجد انواع متعددة من هذه الموجات في كل بيت ، لكن احدا لايشعر بها ولعل بعضها يحمل انغاما واصواتا جذابة ورائعة ، وقد يحمل بعضها الاخر اصواتا مزعجة وصفارات انذار وانغاما تشمئز منها النفوس ، وكذلك محطات التلفزة ، فقد تبث صورا ومشاهد جميلة وجذابة وتربوية فيما تبث محطات اخرى مشاهد الحرب والدمار والخراب والمذابح والحرائق والجرائم ، وكل هذه الصور والمشاهدوالاصوات المختلفة موجودة في عالمنا المادي هذا وفي هذا الفضا المحيط بنا ،وقد اصطنعت لنفسها جنة ونارا في داخل هذا العالم فيقوم بعض الناس بتنظيم اجهزة الاستلام لديهم مع الاصوات الجذابة والانغام المريحة والمشاهد الممتعة والمفيدة ، بينما ينظم البعض الاخر اجهزة الاستلام ــ اختيارا او اضطرارا ــ مع الانغام والاصوات والمشاهد المعاكسة للاولى ، فيعيش الفريق الاول اجوا عالم ممتع ،والفريق الثاني يعيش في عالم من العذاب والاذى ، وهذه كلها كامنة في قلب هذاالعالم المادي .
نامل عدم حصول اي اشتباه او خلط هنا فنحن لانقول ابدا ان الجنة والنارهكذا تماما بل نقول ماالمانع في ان يكون في عمق هذا العالم عالم آخر او عوالم اخرى ونحن لانتمكن في الظروف الحالية من الاطلاع عليها مطلقا لوجود الحجب المتعددة الحائلة بيننا وبينها ؟ ان من اوتي القدرة على ازاحة هذه الحجب فبامكانه رؤية تلك العوالم حتى وان كان هو في هذا العالم (فتامل).
وقد اتيح للنبي الكريم (٩) اثنا معراجه الى السما ــ حيث تخف ضجة عالم المادة ، وتتقلص الهموم والمشاغل وتتعاظم مظاهر جلال اللّه وجماله ــ ازاحة الحجب ومشاهدة جوانب من العالمين (الجنة والجحيم) الواقعتين داخل هذا العالم .
وليس معنى هذا ان الرسول الكريم (٩) او سائر اوليا اللّه لا يتمكنون من مشاهدة الجنة والنار وهم على الارض ، بل ان هذا قد حصل ايضا في بعض الاوقات على الارض كما يتبين من بعض الروايات .
جا في الحديث الذي نقله الراوندي في ((الخرائج)) ان اصحاب الامام الحسين (٧) حين اكدوا له وفاهم الكامل له وامتنعوا عن مغادرة الميدان ونقض البيعة : ((دعا لهم بالخير وكشف عن ابصارهم فراوا ما حباهم اللّه من نعيم الجنان وعرفهم منازلهم فيها)) ((٣٠٨)) .
ويروي مؤلف كتاب ((مقتل الحسين)) بعد ذكره لهذه الرواية :((وليس ذلك في القدرة الالهية ولا

فـــي تصرفات الامام بغريب ، فان سحرة فرعون لما آمنوابموسى (٧) واراد فرعون قتلهم اراهم الـــنـــبـــي موسى منازلهم في الجنة)) ((٣٠٩)) ورد في بعض الروايات ايضا ان الامام الصادق (٧) ارى بعض اصحابه حوض الكوثر ((٣١٠)) .

وهـــذه النظرية حول مكان الجنة تحل ضمنا مسالة سعتها التي هي كعرض السموات والارض وترد على بعض اعتراضات المتكلمين بشان ضرورة التداخل .

وعلى اية حال فان ماطرحناه بخصوص وجود الجنة والنار في باطن هذاالعالم لا يتجاوز النظرية ، والاعتقاد به يحتاج الى مزيد من الدراسة والادلة والشواهد.

.٨

درجات الجنة . تمهيد :.

تـــدل الـــعـــبـــارات الـــقـــرآنية المختلفة على ان حدائق الجنة متعددة ومتنوعة ،ولو امعنا النظر في الروايات الواردة في تفسير الايات النازلة في هذا الصدد لاستخلصنا منها انها تحدد درجات ومنازل اهل الجنة وتضع كل فئة منهم في المكانة اللائقة بهم ضمن هذه الحدائق ، كل شخص حسب افضلية وسمومقامه .

فهناك ـــ مثلا ـــ حديث وارد عن النبي (٩) في تفسير الايات من سورة (الرحمن) الواردة بخصوص حـــدائق الـــجـــنـــة انـــه قال (٩) : ((جنتان من ذهب للمقربين ، وجنتان من ورق لاصحاب اليمين)) ((٣١١)) .

ومن الواضح ان استعمال كلمتي الذهب والفضة يشير الى تفاوت درجة هاتين الجنتين .

مع هذه اللمحة التمهيدية نعود الى آيات القرآن الكريم الاتية :.

١ ـــ (قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاومصيرا) الفرقان ـــ١٥.

٢ ـــ (اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار) الكهف ـــ٣١.

٣ ـــ (اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى نزلا بما كانوايعملون) الم السجدة ـــ١٩.

٤ ـــ (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) الكهف ـــ١٠٧.

٥ ـــ (والسابقون السابقون ـــ اولئ ك المقربون ـــ في جنات النعيم) الواقعة ـــ١٠ ـــ١٢.

٦ ـــ (ولـــمـــن خـــاف مقام ربه جنتان # ذواتا افنان # ومن دونهما جنتان #مدهامتان) الرحمن ـــ٤٦ ـــ٤٨ ـــ٦٢ ـــ٦٤.

تفسير وفذلكة :.

جنة ام جنان ؟.

تتحدث الاية الاولى عن العذاب الاليم لاصحاب النار وتقارن حالهم بالمنزلة الرفيعة لاصحاب الجنة .

(قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاومصيرا) ((جنة الخلد)) وردت مرة

واحدة في القرآن الكريم وهي تشير الى خلودالجنة .
يقول الراغب في ((المفردات)) : ((الخلود)) بمعنى : بعد الشي عن الفسادوبقاؤه على حاله وقال صـــاحـــب ((مـــقـــاييس اللغة)) : ان الكلمة تعني اساسا الثبات والملازمة وفسرها ((مصباح اللغة)) بـــمعنى الاقامة ، رغم ان هاتين الكلمتين ــ اي جنة الخلد ــ جات احداهما مضافة الى الاخرى فانهما تفيدان معنى الوصف ، ويبدو انه وصف للجنة بشكل عام ، لان كل نعمة فيها خالدة ، وكذلك اهلها فهم خالدون ايضا ، وعلى هذا فهي لا تختص بجانب من الجنة دون الجانب الاخر ، لان هذاالوصف شامل لكل حدائق الجنة .
واعتبر بعض اصحاب اللغة مثل ابن منظور في ((لسان العرب)) ((الخلد))واحدا من اسما الجنة ، ولا يـــســـتـــبعد ان تكون آراؤهم ايضا بيانا لصفة الدوام والبقاالتي تحولت بالتدريج الى اسم من اسما الجنة .
نـــواجه في الاية الثانية تعبيرا آخر ، فبعد ان تؤكد الاية على عدم ضياع اجرالمؤمنين الصالحين ، تبشرهم ان : (اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار).
وردت كـــلمة ((جنات عدن)) احدى عشرة مرة في القرآن الكريم ((٣١٢)) وهذاالتكرار يفيد الاهمية في المواصفات المتعلقة بالجنة .
و((الـــجـــنـــات)) جـــمـــع ((جنة)) وهي الحدائق الكثيرة في الجنة ، و((عدن)) تعني في الاصل الاقـــامـــة حسب ماذكر صاحب ((مقاييس اللغة)) او بمعنى الثبات والاستقرارحسب ماافاد به كتاب الـــمـــفردات ، وهذا يتضمن اشارة الى خلود الجنة ، لا الى حدائق هذه الدنيا التي تتعرض اشجارها لـــتـــســـاقط الاوراق في فصل الخريف وقدتيبس وتموت بعد عدة سنوات ، وقد تنقطع عنها مصادر الـــمياه ، او قد تتعرض ثمارها للافات او تجف جذوعها من الداخل او قد تقضي عليها الرياح الحارة اللاهبة او القارصة ، بل وقد تتعرض للصواعق فتتحول الى رماد ، وخلاصة القول انها عرضة لالف آفـــة وبـــلا بـــينما اشجار الجنة باقية دوما وحدائقها خضرا غنا لا يعتريها اليبس ولا المرض ولا تساقط الاوراق او الذبول .
قـــال بعض المفسرين ان المقصود من ((جنات عدن)) وسط الجنة ، وهي في الحقيقة جنة من جنانها الا ان لها من السعة ما يجعل كل جز من اجزائها وكانه جنة قائمة بذاتها وقد ذكرت على هيئة الجمع ((٣١٣)) لكن التامل فيما سبق من القول يجعل مثل هذا المعنى يبدو بعيد.
وابـــرزت الايـــة الثالثة نفس هذا المعنى ولكن بعبارات اخرى ، فهي تقول :(اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى نزلا بما كانوايعملون).
((الـــمـــاوى)) مـــشتقة من كلمة ((اوي)) على وزن (قوي) ، قال الراغب في المفردات انها تعني انضمام الشي الى شي آخر (ثم اصبحت تعني الاقامة عندالشي).
وقـــال صـــاحب مقاييس اللغة ان احد معانيها هو ((التجمع)) وهذا يستلزم السكن عند الشي والماوى يعني باختصار المكان والمسكن والمقر الذي يسكنه الانسان ليلا او نهارا ويستريح فيه ،

وعلى هذا فـــ ((جـــنـــات الماوى)) تشير الى الخلودوالدوام والاستقرار في الجنة ويستشف منها ايضا معنى الهدؤوالسكينة .

قـــال البعض ان هذاالتعبير اشارة لطيفة الى هذه الحقيقة وهي ان دار الدنياليست ماوى الانسان (اي لـــيـــســـت دار مـــقـــره الـــنهائي) ، بل هي ممر يجتازه او كماوصفتها الرواية المشهورة بان ((الدنيا قنطرة)) فهي ليست محل استقراروثبات .

لايخفى ان مثل هذا الوصف ينطبق على جميع الجنة ، ومع ذلك فقد نقل عن ابن عباس انه قال : حدائق الـــجـــنـــة ثـــمـــان :احـــداها جنة الماوى ، وسواها هي ((دارالجلال)) و ((دارالقرار)) و ((دار السلام)) و ((جنة عدن)) و ((جنة الخلد)) و ((جنة الفردوس))و ((جنة النعيم)).

ســـبـــق ان قـــلنا ان ((النزل)) تعني اول مايستقبل به الضيف (كما يستقبل اليوم مثلا بالعصير او الما البارد او الشاي) واذا كان الامر كذلك فهو يدل على ان جنات الماوى ــ رغم سعتها وعظمتها ــ فهي ادنى درجات الاستقبال لعباد اللّه المخلصين الـــنـــعـــم الـــتي تتضال امامهاجنات الماوى ، وهي ليست سوى قرب الاله ولقائه وجنة معرفة جلاله وجماله .

الـــتـــعـــبـــيـــر الاخـــر الذي استخدمه القرآن الكريم لوصف مستقر هذه الرحمة الالهية الكبرى هو ((جـــنات الفردوس)) اذ يقول القرآن في هذا الصدد :(ان الذين آمنواوعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا).

هناك اختلاف بين المفسرين واصحاب اللغة في اصل كلمة ((فردوس)) هل هي رومية ام سريانية ام نـــبـــطية ام حبشية ام عربية ؟ كما اعتبرها البعض فارسية الاصل تحورت الى ((پراديزس)) و ((پراديز)) ثم الى ((فردايس)) و ((فردوس)).

وقد ذكروا معاني عديدة لهذه الكلمة ، منها : الحديقة والبستان ، وحدائق العنب والحدائق الشاملة لكل الازهـــار والـــثـــمـــار ، والحدائق المغطاة بالاشجار والتي تحوي الكثير من المياه ، واحيانا الحاوية للكثير من العنب .

فـــامـــا الذين عدوها عربية الاصل فقد قالوا انها ماخوذة من مصدر((الفردسة)) وهو بمعنى السعة واســـتـــعـــمـــلـــت هـــذه الـــكلمة التي وردت في القرآن مرتين فقط (في سورة الكهف ــ ١٠٧ وسورة الـــمؤمنون ــ ١١) بمعنى الجنة ، ويستشف من الروايات المنقولة عن النبي (٩) وائمة اهل البيت (:) بان هذا الاسم يختص ببقعة ممتازة جدا من الجنة .

جـــا فـــي حـــديث عن النبي (٩) انه قال : ((اذا سالتم اللّه تعالى فاسالوه الفردوس ، فانه وسط الجنة واعلا الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنها تفجر انهارالجنة)) ((٣١٤)) .

ونـــقـــل عـــن الامـــام عـــلى (٧) انه قال : ((لكل شي ذروة وذروة الجنة الفردوس وهي لمحمد وآل محمد)) ((٣١٥)) .

واخـــيـــرا ورد عـــن الامـــام الـــصـــادق (٧) انه قال في تفسير الاية ، انها نزلت بحق ابي ذر وسلمان والـــمـــقـــداد وعـــمـــار بـــن يـــاســـر وهي ((جعل اللّه لهم جنات الفردوس نزلا)) اي

ماوى ومنزلا ((٣١٦)) ومـــن الـــواضح عدم وجود اي تضاد بين الحديث الثاني والثالث ، لان المؤمنين من اصحاب الدرجات الرفيعة من امثال ابي ذر وسلمان الخ وهم التابعون المخلصون لمحمد وآل محمد(:) يعدون في الحقيقة من زمرتهم .

ولـــكـــن ما معنى ((نزلا)) هنا ؟ اعتبرها البعض بمعنى دار النزول ومحل السكن كما اشار الى هذا حـــديث الامام الصادق (٧) وقال بعض المفسرين ان النزل يعني وسائل الاستقبال او اول ما يستقبل به الضيف ولامانع ايضا من جمع هذين المعنيين .

الـــتـــعبير الاخر الذي ورد في وصف حدائق الجنة هو ماجا في سورة الواقعة ((جنات النعيم)) اذ يقول تعالى في كتابه الكريم : (السابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم).

((الـــجـــنـــات)) جمع ((جنة)) ولعل استعمال الجمع هنا لبيان ان لكل واحد من اصحاب الجنة جنة خـــاصـــة بـــه فـــيكون جمعها جنات ، والنعيم هو جمع ((نعمة)) لان الجنة تحوي دوما انواع النعم المادية والمعنوية ، لا كمثل حدائق الدنيا التي تكون احيانا مدعاة للتعب والمعاناة والالم واحيانا سببا للراحة والنعمة ، اضافة الى ان حدائق الدنيا تضم كل واحدة منها نعمة واحدة لا جميع النعم .

وما يسترعي الانتباه هنا هو ان الحديث جرى عنهم اولا فقال : (اولئك المقربون) ومن ثم انتقل الى وصف ((جنات النعيم)) ومن الواضح ان جنات النعيم وبكل ماتزخر به من نعمة وعظمة لاتمثل في قبالة القرب الالهي الا قطرة في بحر.

تكررت هذه الكلمة (جنة النعيم ، وجنات النعيم) ، عشر مرات في الايات الشريفة والتكرار دليل على التاكيد والاهمية ((٣١٧)) .

وتــجدر الاشارة الى ان الانسان كلما اقترب في هذه الدنيا من مراكز القوى ازداد قلقه ، لانه يعيش دومــا فــي حــالــة مــن الــوجل والهواجس والرعب خوفا من تغييرآرا اصحاب القوة بشانه فيسقط ويتعرض لاشد انواع العقوبة والتنكيل ، ولهذا يحذراهل المعرفة وكبار الشخصيات من ((التقرب الــى السلطان)) ، واما القرب من الاله فعلى العكس من هذا تماما ، فلا يشعر بغير الاطمئنان واللذة الروحية والمعنوية ، وجنات النعيم .

وهناك قضية تستدعي الدقة ايضا وهو ماورد في الروايات العديدة التي جات في ذيل الاية الشريفة (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) التكاثر ــ٨ ، حيث فسر((النعيم)) بــ ((نعمة الولاية)) ((٣١٨)) ، ومــن هــذا الــمــنــطلق يبدو من المحتمل ان جنات النعيم هي جنة الولاية ، ولاية اللّه واوليائه ، ومحبتهم والاستضاة من نورهم المعنوي .

امــا هــل ان ((جــنات النعيم)) تشمل كل الجنة ام تشير الى بقع مهمة منها ؟فهنالك احتمالان ، فمن جــهة ، قد يكون الوعد الالهي للمقربين دليلا على الاحتمال الثاني لاسيما وان تعبيرا مشابها لهذا قد ورد فــي الايــتــيــن ٨٨ ، ٨٩ مــن نــفــس هذه السورة :(فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) الواقعة ــ٨٨ ــ٨٩.

المجموعة السادسة والاخيرة من هذه الايات تشير باختصار الى اربع روضات من رياض الجنة مع عدة خصائص كل اثنين منهما على حدة ، اذ قال الكتاب الكريم : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) (ذواتا افنان) (ومن دونهماجنتان مدهامتان).

كــانوا يتصورون ان هذه الحدائق الاربعة كلها لجميع المؤمنين ، وهذاالتعدد من اجل ايجاد التنوع لان طبيعة الانسان تميل الى التنوع ، لكن لهجة الايات وكذلك الروايات الواردة في تفسيرها تظهر لــنــا بــوضوح بانها ــ اي تلك الحدائق ــ من نصيب فئتين مختلفتين وعبارة (من دونهما) تعطي معنى الادنــى ، وعلى هذاالترتيب فروضتان من رياض الجنة من نصيب ((المقربين)) واثنان ادنى منهما مــن نــصــيب ((اصحاب اليمين)) وهذا في الحقيقة اشارة الى درجات ومراتب اهل الجنة ،وهذا ما ينبغي ان يكون وذلك لان اهل الجنة ليسوا على سوا في المرتبة والدرجة .

لــقــد وصف النبي (٩) هذا الاختلاف بعبارات جميلة في حديث وردعنه اذ قال : ((جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما ، جنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما)) ((٣١٩)) .

وورد نفس هذا المعنى في حديث اكثر صراحة عن الامام الصادق (٧)انه قال : ((لاتقولن واحدة ان اللّه يــقــول : ومن دونهما جنتان ، ولاتقولن درجة واحدة ان اللّه يقول : درجات بعضها فوق بعض ، وانما تفاضل القوم بالاعمال)) ((٣٢٠)) .

وذكــر الــمفسرون احتمالات متعددة لسبب حصول كل واحدة من هاتين الفئتين على جنتين ، وهذه الاحتمالات لاتتعارض فيمابينها ولعلها ملخصة في مفهوم الاية ومن جملة ذلك ان احداهما تشير الى الــجــنــة الــروحــية والاخرى تشير الى الجنة الجسمانية او ان لكل واحد من اهل

الجنة جنتين : احداهما عامة لمقابلة الاصدقا ، والاخرى خاصة لمعاشرة الزوجات .
او ان تكون احداهما كثواب على العقيدة والايمان والاخرى جزا للعمل الصالح .
او ان تكون احداهما جزا للعمل والاخرى فضل من اللّه .
او ربما احداهما جزا على طاعة الاوامر والثانية ثوابا على اجتناب الذنوب يمكننا ان نستخلص من مجموع ماذكر ان للجنة مقامات ودرجات ومراتب ويمكن اعتبار كل واحدة منها جنة ، ولاشك ان اختلاف درجات اوليا اللّه في الدنيا يستوجب اختلاف مراتبهم في الجنة ، فجنة المقربين تختلف عن جنة اصحاب اليمين ، وجنة الذين يحتلون الذرى في الورع والايمان والمعرفة والعمل الصالح تختلف مع جنة من هم في مراتب ادنى .
ورغم عدم قدرة اذهاننا على استيعاب مواصفات اي منهما ، الا اننا نعلم قطعا انهما عالمان مختلفان ، ولعل اهل المراتب الادنى في الجنة لا يتمكنون من معرفة احوال العوالم الارفع مكانة ينبغي الاشارة الى ان كلمة الجنة قد وردت في القرآن الكريم احيانا بصيغة المفرد الذي يحمل مفهوم اسم الجنس ويشمل جميع الحدائق والرياض في الجنة ،واحيانا اخرى بصيغة الجمع وهو مايشمل رياض الجنة ودرجاتها ومراتبهاالمختلفة ، واحيانا بصيغة التثنية (جنتان) وهو مادل على درجتين مختلفتين ، وقدسبق لنا شرحه .
ويتحدث القرآن في بعض الاحيان عن خلود الجنة ويستخدم عبارات من امثال ((جنات عدن)) او ((جنة الماوى)) و ((جنة الخلد)) ويتناول في احيان اخرى تبيان نعمها المادية والمعنوية المختلفة ويعبر عنها بـ ((جنة النعيم)) ، ويشير احيانا اخرى الى الرياض الفاخرة جدا فيها ويطلق عليها اسم ((جنة الفردوس)).
يعبر كل واحد من هذه الاوصاف الغنية عن واحد من ابعاد هذا المكان وهو مقر الرحمة الالهية الكبرى ، ودرجات القرب والوصال بالمحبوب الحقيقي :.
((اللهم ارزقنا بمنك ورحمتك ياارحم الراحمين)).
.٨
عدد من الاسئلة حول الجنة . ١.
اليست الرتابة مملة ؟. يعترض البعض قائلا: ان مايستشف من الايات والروايات يشير الى ان النعم في الجنة ونمط الحياة فيها يسير برتابة وعلى وتيرة واحدة ، ونحن نعلم ان هذاالوضع ــ ولاسيما اذا استمر لمدة طويلة ــ يثير الملل ويطفي شعلة الشوق والحماسة والنشاط ، لان تكرار اجمل المشاهد واحلى المناظر واطيب الاطعمة يضفي عليهامسحة طبيعية ويجعل منها وضعا عاديا ، حتى ان الانسان قد يلجا احيانا الى اساليب حياتية ابسط او اكثر مشقة من اجل كسر طوق الرتابة والملل وممارسة التجديدوالتنوع وللاجابة عن هذا السؤال ينبغي الالتفات الى ثلاث نقاط :.
الاولى : يجب عدم تطبيق المقاييس والمعايير المادية والنفسية السائدة في هذا العالم على ذلك

العالم ، فــلعل هذه الحالة النفسية الموجودة فينا وهي سرعة التعب والضجر واللامبالاة في هذا العالم قد تكون على العكس تماما هناك ، فكلماتكررت المشاهدة ازداد الشوق وتضاعفت الرغبة ، ومع تزايد التكرار تزداد اللذة ،فيكون التكرار مدعاة لمضاعفة اللذة المعنوية والمادية .

فما هو الدافع الذي يجعلنا نتصور الوضع النفسي للانسان في هذا المجال واحدا هنا وهناك ؟.

الــثــانية : توجد في هذا العالم ايضا نعم لا يملها الانسان ولايشبع منها ،فنحن كلما تنفسنا هوا طلقا جــديــدا ومــلــيئا بالاوكسجين ، لا نمله ولا نضجر منه ، بل نلتذ به ويثير فينا البهجة والارتياح : وكــذلك الما هذا المشروب البسيط فلو اننا عمرنا مئات السنين يبقى شرب الما العذب عند العطش مــن اعظم اللذات بالنسبة لنا ، وهذا هو معنى قولنا ان طعم الما هو طعم الحياة ، فلا يبعث فينا الملل ولاالضجر بل يبقى الما العذب جذابا ولذيذا في افواه العطاشى .

فما المانع في ان يجعل اللّه لدى الانسان حالة شبيهة بحالة العطش (العطش اللذيذ الخالي من الازعاج والاذى ، مــثــل الــعــطــش للقا المحبوب) لكي يلتذالانسان بواسطتها من النعم الروحية والجسمية الموجودة في الجنة ؟.

الــثالثة : لما كانت ذات اللّه وصفاته غير متناهية ، فلا شك ان مظاهره الروحية والمعنوية لا نهاية لامدها ، فهو يفيض عليهم في كل يوم بالطاف جديدة ويمدهم في كل لحظة بهداية متجددة لا تكرار فيها ولا رتابة وهل يمكن ان يتكرر مالانهاية له ؟.

والنعم المادية هي من مظاهر رحانيته ورحيميته ، ولا حدلها ولاحصر.

فــمــا المانع في ان تكتسب انهار الجنة واشجارها وازهارها وتلك الالوان والعطور وتلك الاشربة الــطــاهرة ، لونا وطعما وشكلا وعطرا جديدا في كل يوم وفي كل ساعة ؟ فالوانها في حالة تبدل دائم وهــي فــي تــغير مستمر ، تكتسي على الدوام بحلل جديدة بحيث لا يتكرر الطعام الواحد ولا المشهد الواحد على اهل الجنة الا مرة واحدة طوال حياتهم فيها هــناك بعض الايات القرآنية والروايات التي تؤكد ما ورد في هذا الباب منهاالاية (٢٩) من سورة الرحمن : (كل يوم هو في شان).

وقــد طــرح الــمفسورن آرا كثيرة متنوعة في تفسير هذه الاية ويشير كل واحد منها الى فعل من افعال اللّه في مسالة خلق الناس وموتهم او رزقهم وحياتهم اوعزة ومذلة الامم والاقوام او غفران الــذنــوب وكــشــف الهموم او جلب النفع ودفع الضر ، ولا شك ان لهذه الاية مفهوما اوسع يشمل اي تــغيير يطرا على اوضاع العالم ،ونظرا لانعدام الدليل على تخصيص هذه الاية في مجال الدنيا ، بل وان مــجــيــئهــا بــعــدالاية الشريفة : (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) ، يمكن اعتباره قرينة على استمرارية التغير والتبدل في الدار الاخرة ايضا ، وان اصحاب الجنة كل يوم في شان بارادة اللّه .

وقــد اطلق بعض المفسرين عبارة ((كل يوم)) واعطاها عمومية اوسع لتشمل ايام الدنيا والاخرة كليهما سوية ((٣٢١)) .

جـــا فـــي حـــديـــث عـــن الامام الصادق (٧) انه قال : ((ان اللّه خلق جنة لم ترهاعين ولم يطلع عليها مخلوق ، يفتحها الرب تبارك وتعالى كل صباح فيقول : ازدادي طيبا ((٣٢٢)) .
وورد حـــديث آخر ايضا عن الامام الباقر(٧) : ((ان اهل الجنة توضع لهم موائد عليها من سائر ما يشتهون من الاطعمة التي لا الذ منها ولا اطيب ، ثم يرفعون عن ذلك الى غيره)) ((٣٢٣)) .

تظهر هذه التعبيرات وبكل وضوح ان لا رتابة في الحياة هناك ، بل في كل لحظة نعم وعطايا جديدة .

نختم حديثنا هذا باشارة مقتضبة لاحد المفسرين حيث قال : ((ان الاية تشير الى تجلي الحق في كل زمن فرد ونفس فرد على حسب المتجلى له واستعداده ولا نهاية للتجليات)) ((٣٢٤)) .

ولا شك ان هذا الكلام لا يشمل كل مفهوم الاية ، بل يعبر عن جز من مفهومها (فتامل) ٢.

اتعرف قيمة اللذة بفقدانها ؟. مـــن الـــمعروف ان ((الفقدان)) يبرز اهمية ((الوجدان)) وبعبارة اخرى : ان النعم الالهية والعطا الرباني يعرف عند زواله فلو لم يكن للمرض وجود في العالم لماعرف واحد قيمة الجوهرة الثمينة لنعمة السلامة ولولا الخوف لما عرفت قيمة واهمية نعمة الامان .

وعلى هذا فالجنة التي تخلو من الفقدان والخوف والمرض والتعب ، ولاتعرف العوز والقحط الخ لن تعرف قيمة كل هذه النعم وستنسى اهميتها بالتدريج ،ولن يكون هناك اي شعور باللذة .

والجواب عن هذا السؤال لا صعوبة فيه ، لان اهل الجنة مشرفون على اهل النار وبامكانهم الاطلاع على اوضاعهم ومقارنتها بماهم عليه ، وحين يرون هذاالفارق الشاسع يلتذون بالنعم اللامتناهية التي يعيشون فيه.

تـــطرق القرآن الكريم مرات عديدة الى اطلالة اهل الجنة على اهل النار ،فجا في الاية (٥٠) من ســـورة الاعـــراف : (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الما ومما رزقكم اللّه # قالوا ان اللّه حرمهما على الكافرين).

وفي سورة الصافات تحدثت عدة آيات منها عن هذا المشهد قائلة :(فاقبل بعضهم على بعض يتسالون #قال قائل منهم اني كان لي قرين فاطلع فرآه في سوا الجحيم # قال تاللّه ان كدت لتردين # ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين) الصافات ـــ٥٠ ـــ٥١ ـــ٥٥ ـــ٥٦.

ثـــم نـــقرا ايضا في سورة الاعراف : (ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ماوعدنا ربنا حـــقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم # فاذن مؤذن بينهم ان لعنة اللّه على الظالمين) الاعراف ـــ٤٤.

يفهم من مجموع هذه الايات انه لا اهل الجنة يجهلون اوضاع اهل النار ،ولا اهل النار محجوبين عن احوال اهل الجنة ، فاطلاع اهل الجنة يضاعف ماهم فيه من السرور والنعمة لنجاتهم من ذلك العذاب الالـــيم ، ويسعدون لما يرفلون فيه من النعمة والرفاه على العكس منهم اهل النار اذ

يتضاعف عذابهم عند اجرا مثل هذه المقارنة .

وورد عن الامام الصادق (٧) حديث يقول : ((ما خلق اللّه خلقا الا جعل له في الجنة منزلا وفي النار منزلا ، فاذا سكن اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد ، ياهل الجنة اشرفوا ، فيشرفون على النار وترفع لهم منازلهم في النار ثم يقال لهم : هذه منازلكم التي لو عصيتم ربكم دخلتموها، قال : فلو ان احدا مات فرحالمات اهل الجنة في ذلك اليوم فرحا لما صرف عنهم من العذاب ، ثم ينادون :يامعشر اهل النار ارفعوا رؤوسكم فانظروا الى منازلكم في الجنة فيرفعون رؤوسهم فينظرون الى منازلهم في الجنة وما فيها من النعيم ، فيقال لهم : هذه منازلكم التي لواطعتم ربكم دخلتموها)).

وجا في ذيل الرواية نفس هذا المعنى بشان اصحاب النار حينما يرون منازلهم في الجنة فيكادون يموتون من الحسرة والغيظ)) ((٣٢٥)) .

ونقل في تفسير الدر المنثور حديث مشابه عن الرسول (٩) ولكن بشكل مختصر ((٣٢٦)) .

ان وجود منزلين لكل انسان يدل على الطبائع والاستعدادات الموجودة في كل انسان بالقوة ، حيث يحدد منزله في الجنة او في النار وفقا لتلك الطبائع والاستعدادات ، ولا يتنافى هذا مع ماذكرناه سابقا من انه يبني تلك المنازل بعمله ويكملها من جميع الجوانب ، ويخرج كل تلك الاستعدادات من حالة القوة الى حالة الفعل ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان اهل الجنة لاينسون ابدا ذكريات الدنيا ،ويمكنهم معرفة قيمة واهمية كل هذه النعم والفضائل من خلال مقارنة اوضاعهم الحالية مع ما كانوا عليه في الدني.

ذكرت الايات من (٢٥) الى (٢٧) من سورة الطور ماياتي : (واقبل بعضهم على بعض يتسالون # قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين # فمن اللّه علينا ووقينا عذاب السموم).

يظهر هذا التعبير وبمتهى الوضوح ان اصحاب الجنة يتذكرون معاناتهم في الدنيا وشقاهم ويقارنون بينهما وبين ماهم فيه ، ومن الطبيعي ان هذه المقارنة تظهرلهم بوضوح عظمة الفضائل التي يتنعمون به.

.٣

هل يوجد في الجنة تكامل ؟. رغم ان جواب هذا السؤال قد اتضح اجمالا من خلال الاجابة عن السؤال السابق ، لكن من الضروري هنا البحث عن جواب اوسع ، فنقول : نعم ان التكامل موجود هناك قطعا ولا يبقى اهل الجنة في اماكنهم في حالة من السكون والمراوحة ،بل هم يقتربون ــ بفضل اللّه ولطفه ورحمته ــ نحو ساحة قدسه يوما بعد يوم ،ويواصلون سيرهم في التقدم صوب القرب الى اللّه .

وليس مفهوم هذا الكلام وجود العبادات والطاعات والاعمال هناك ، لان الجنة ليست دار التكليف فالمقومات الاولية للتكليف معدومة هناك ، بل هم يواصلون مسيرتهم التكاملية في ظل اعمالهم المنجزة في الدنيا تماما كالاشجارالمثمرة التي يغرسها الانسان مرة

واحدة ، فتمتد جذورها وتخرج منها فروع واغصان هنا وهناك حتى تعم السهول والصحارى ، او كسفينة الفضا التي تحتاج فـــي بـــداية انطلاقها وخروجها عن مجال جاذبية الارض الى طاقة عظيمة ، ولكنها بعد الخروج من هذا المجال تواصل حركتها ــ اذا لم تصطدم بمانع ــ من غير حاجة الى اي وقودجديد.

وهـــنـــاك آيـــات قـــرآنية تشير الى هذه القضية ، كما هو الحال في الاية (٦٢) من سورة مريم التي تتحدث عن اصحاب الجنة : (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا).

ويتضح جليا من خلال الايات السابقة لهذه الاية بان هذا الوصف ينطبق على جنة الاخرة التي عبرت عنها بكلمة (جنات عدن) لا على جنة البرزخ وهنايتبادر السؤال الى الاذهان وهو اذا كانت الايات الـــشـــريـــفـــة تـــشـــير الى ان اهل الجنة لهم فيها ما يشتهون في اي وقت وزمان ، فما هي هذه العطايا والفضائل التي تمنح لهم في كل بكرة وعشي ؟.

مـــن الـــمـــؤكد انها فضائل وارزاق مادية ومعنوية تقدم لهم في هذه الاوقات ،اضافة الى رفعهم نحو درجات اسمى واعلى .

وورد حديث عن النبي (٦) يلقي الضؤ على هذا الموضوع يقول فيه :((وتاتيهم طرف الهدايا من اللّه تـــعالى لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها في الدنيا ، تسلم عليهم الملائكة)) ((٣٢٧))

وهنا يـــثـــار سؤال آخر تفرزه تعابير الاية فحينما لاوجود لليل ونهار في الجنة فكيف تكون هناك بكرة وعشيا؟.

ويمكن الاجابة عن هذا السؤال كما ياتي :.

ان الجنة وان كانت مضيئة بالنور دائما الا ان ذلك ليس على وتيرة واحدة على الدوام بل هو في حالة توهج وخفوت يتيح لاهل الجنة تحديد الليل من النهارتمامامثل المناطق القطبية التي تمر عليها ستة اشـــهـــر كـــامـــلة والوقت فيها نهار ، الا انه يمكن تحديد الليل والنهار من خلال زيادة ونقصان درجة النور.

وبـــالـــنظر لاستعصا هاتين القضيتين (قضية الرزق الجديد وقضية البكرة والعشي) على الكثير من الـــمـــفسرين ، فقد طرحوا بشانها آرا وتبريرات متعددة تتعارض في الغالب مع ظاهر الاية ككونها كـــناية عن دوام النعمة ، حيث كان من المتعارف بين العرب ان من يملك طعام الصباح والمسا (البكرة والـــعـــشـــي) يـــعتبرغنيا ، او ان النعم الالهية تاتيهم متوالية وبفواصل زمنية تعادل الليل والنهار في هذه الدني.

ومـــن الـــواضـــح ان جميع هذه الارا تخالف ظاهر الاية اليس من الافضل القول بوجود نوع من الليل والـــنهار الحاصلين من خلال اشتداد وانخفاض درجة الضيا ووجود نوع من الرزق مستمد من فضل اللّه والطافه ومبشر بطي مسيرة التكامل ، بحيث ينطبق مع ظاهر الاية اولا يتعارض معه كثيرا؟ وهـــناك حديث نقل عن النبي (٩) انه قال : ((والذي انزل الكتاب على محمد ان اهل الجنة ليزدادون جمالا وحسنا كما يزدادون في الدنيا قباحة وهرما)) ((٣٢٨)) .

وهــذا الــحــديث يظهر بوضوح التكامل التدريجي لاصحاب الجنة وان كانت فيه اشارة الى الجوانب الجسمانية فقط ، لكن من البديهي انه يتضمن ايضا الابعادالروحية من باب اولى .

النار واصحاب النار. ١.

لمن النار ؟. تمهيد :.

رغــم ان الــقــاعدة تستوجب التحدث اولا عن ماهية النار واوصافها ومن ثم الانتقال الى الحديث عن اصــحــاب النار ، ولكن بما ان اسلوب القرآن وسنته قد داباعلى التركيز اكثر مايمكن على الابعاد الــتــربــويــة والنتائج الاخلاقية والانسانية والاجتماعية في مثل هذه البحوث ،فاننا ــ واتباعا لهذا الــنمط الايجابي ــ سنبدااولابمن يستحق هذه العقوبة العظمى حتى نقف على منطق الاسلام في هذا الصددمن خلال استقرا الايات التي تتحدث عن اصحاب النار.

كــثــيــرة هــي الايات الواردة بشان اهل النار وسوف ناتي بمثال عن كل باب وناتي على كل موضوع بشاهد ومصداق .

ويتضح بجلا من خلال تعابير هذه الايات ايضا تفاوت الذنوب ودرجات قبح المعاصي .

بــعــد هذه النبذة الوجيزة نعود الى القرآن وندرس النماذج المختلفة لاصحاب النار في ضؤ البيانات التي تقدمها لنا الايات القرآنية .

.١

الكفار والمنافقون :. ان اول فــئة تــســاق الى النار هم الكفار والمنافقون ، يقول القرآن الكريم في الاية (١٤) من سورة النسا :(ان اللّه جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) وفي الاية (٤٩) من سورة التوبة :(وان جهنم لمحيطة بالكافرين) وجا في سورة النساالاية (٤٥) منها :(ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا).

وفــي الحقيقة ان اهم واوسع مرتع للمعاصي والذبوب هو الكفر والنفاق وعدم الايمان ، لان الانسان اذا لم تستضئ اعماق نفسه بنبراس الايمان ولم يتطهرمن الشرك والكفر والنفاق فلن تكون لديه اية دوافــع نــحــو عمل الخير وستتغلب عليه دوافع المادة والشهوات ، فقط ولا يخفى على احد ماهية الــظــواهــر الــناتجة عن سيادة مثل هذه الدوافع ، فنحن نرى نماذج منها في الجرائم التي يرتكبها المجرمون في عالم اليوم .

((الــكــفــر)) يــعــنــي تــغطية الحق و((النفاق)) يعني التظاهر بعكس ما يبطن (التظاهر بالايمان واستبطان الكفر) وهما اهم الحواجز في طريق الاصلاح في المجتمعات الانسانية ، لذلك ركزت الايات المتعلقة بالجنة والنار على هاتين الفئتين .

.٢

الصد عن سبيل اللّه :. يقسم القرآن الكريم الناس من زاوية موقفهم ازا الرسول (٩) والايات القرآنية الى فريقين ، فيقول : (فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا) سورة النسا ــ٥٥.

وقــد اكــثرت الايات الشريفة من الوعيد لهذا الفريق (الذين يصدون عن سبيل اللّه) ، وهو الفريق الــذي لا يــضــل نــفسه فقط بل ويعمد الى اضلال جميع الناس ،وكانه يجد لذته في هذا العمل ، بل ويرى مصالحه اللامشروعة في كفر الناس وعدم ايمانهم ، وذلك لان المجتمع المؤمن المعتقد بالقيم الالــهية السامية لا يخضع ابداللفراعنة وشياطينهم واحزاجهم ، فالطريق الوحيدة اذن للتسلط على اي مجتمع يكمن في سلب جوهر الايمان من قلوب ابنائه ، وتاريخ الشعوب حافل بامثال هذه المساعي الــمــحمومة لهذا الفريق من اجل اضلال الناس ، واليوم ايضا تنصب جهودجميع الدول والمؤسسات الاســتــكــبارية في العالم على سلب الشعوب ايمانها باللّه وبالقيم الربانية حتى لايكون ذلك عائقا امام مصالحهم .

.٣

ترك طاعة اللّه وشق عصا المسلمين :. جا في الاية (٢٣) من سورة الجن :(ومن يعصي اللّه ورسوله فان له نارجهنم خالدين فيها ابدا).

وتنص الاية (١١٥) من سورة النسا على : (ومن يشاقق الرسول من بعدماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وسات مصيرا).

كلمة ((يشاقق)) ماخوذة من ((الشقاق)) وتعني المخالفة العمدية المصحوبة بالعداوة ، وتدل جملة (من بعد ما تبين له الهدى) ان مخالفته نابعة من العنادوتهدف الى ايجاد الفرقة بين صفوف المسلمين .

.٤

الاستهزا بيات اللّه :. رغــم ان الاســتــهــزا بيات اللّه يحمل دلالة على الكفر وهو من موجبات دخول النار ، الا ان الايات القرآنية اكدت عليه كثيرا واعتبرته احد الاسباب الاساسية التي تنتهي بالانسان الى النار ، وهذا ما عــبرت عنه الاية (١٠٦) من سورة الكهف (ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) ((٣٢٩)) .

ان الاســتــهــزا بالحق نابع ــ كما هو متعارف ــ من الجهل والعناد والتعصب والكفر المقرون بالبغض والــعــداوة ، وكــل واحــد مــن هــذه المفاهيم باب من ابواب جهنم ، لهذا فلا عجب ان ينتهي مصير المستهزئين ــ الذين كان الانبيا واوليا اللّه في صراع معهم ــ الى جهنم او ادنى دركاته.

.٥

عدم استخدام العقل والعين والاذن :. والــفــريق الاخر الذي يستحق دخول جهنم هم الذين اغلقوا على انفسهم ابواب المعرفة ، فيعطلون الــعــقــل الذي منحه اللّه لهم ، ويغمضون اعينهم ، ويغلقون آذانهم حتى لا يسمعوا صوت الحق ولا يــروا وجــه الحقيقة الناصع ، ولكي لا يفكروافيما يوجب الوعي واليقظة ، تقول الاية (١٧٩) من ســورة الاعــراف :(ولقد ذرانالجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون

بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون).
من الواضح ان هذا الخلق ليس جبريا ، وما يقوله بعض انصار مذهب الجبرية مثل ((الفخر الرازي)) ومايستدلون به لاثبات مذهبهم عار عن الصحة تماما ،وذلك لان جوابه قد ورد ضمن الاية التي تقول اننا وفرنا لهم جميع مستلزمات المعرفة (كالعقل لادراك المعقولات ، والعين لمشاهدة القضايا المحسوسة ، والاذن لنيل العلوم النقلية) الا انهم لم يستعملوا تلك المستلزمات ولم يستفيدوا منها(تامل) ؟ لان الحيوان ان قصر عن فهم شي فذلك ليس تقصيرا منه ، بل لعدم امتلاكه لمستلزمات ذلك ، والاضل من الحيوانات هو من يمتلك كل هذه الاسباب والعوامل مع توفرالظروف اللازمة ولكنه لا يستفيد منها والعامل الاساس لكل هذه الامور هو الغفلة التي اشير اليها في ذيل الاية (اولئك هم الغافلون) وجا نظير هذا المعنى في سورة الملك ، الاية (١٠) ، خلال اجابة اهل النار عن تساؤلات خزنة النار وملائكة العذاب (وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ماكنا في اصحاب السعير).
ان الجذور لكل هذا الشقا الذي يرزح فيه الانسان وسبب كل هذه المفاسد يكمن في عدم استخدام ابن آدم لعقله واذنه وعينه ولا يستغل هذه النعم الالهية الكبرى في سبيل المعرفة ، فاللّه تبارك وتعالى قد حباه تلك النعم ومستلزمات المعرفة واسبابها فهو ــ اي الانسان ــ يمتلكها ولكنه لا يستفيد منه.
.٦
اتباع الشيطان :. ومن العوامل المهمة فى دخول النار (مركز الغضب الالهي) هوالاستسلام للشياطين والانقياد لها وتسليمها زمام الامور ، كما تصف ذلك الاية (١٨) من سورة الاعراف (قال اخرج منها مذموما مدحورا لمن اتبعك منهم لاملئن جهنم منكم اجمعين).
ومع ان الاية تتحدث عن راس الشياطين ابليس ، الا اننا نعلم ان خطالشياطين كلهم واحد ، فهم في كل مكان يسيرون على خطى ابليس ، واتباع خطى شياطين الجن والانس يعد اتباعا لابليس ، ومصير كل هؤلا الاتباع دخول النار.
فهم يخدعون من يتبعهم بالامال الكاذبة وتزيين الشهوات والدعوة الى المعاصي ، والصد عن الخير والتشجيع على الانحراف ، ويصدونهم عن سبيل اللّه ،فيوقعونهم في نار قهره وغضبه ((٣٣٠)) .
.٧
الطغيان والاستكبار :. ان ((التكبر)) من اسباب دخول النار ، سوا كان التكبر ازا الخالق ام ازاالخلق ، ام ازا الحقائق (يمتنع عن التسليم امام الحق) ، والاستكبار ايضا مصدررئيس للكثير من الجرائم والمظالم وسلب الحقوق ، لذلك فهو يؤدي بالانسان ــ كماهو الحال في التكبر ــ الى دخول النار.

يقول القرآن الكريم في الاية (٦٠) من سورة الزمر (اليس في جهنم مثوى للمتكبرين) وتنص الاية (٣٦) من سورة الاعراف :(والذين كذبوا بياتناواستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) ((٣٣١)) .

وكذلك جا هذا المعنى في آيات اخرى من القرآن الكريم ، فتقول الايتان (١٥ ، ١٦) من سورة ابراهيم في وصف الجبار العنيد :(واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد # من ورائه جهنم ويسقى من ما من صديد).

لكلمة ((الجبار)) معان متعددة : منها : القهر والتسلط والغلبة والنفوذ ، الا ان لهذا الامر جانبا رحمانيا احيانا ، مثل سلطة اللّه على عالم الوجود وعلى كل شي فيه ، وله احيانا جانب شيطاني ، كسلطة وغلبة الطغاة والمتجبرين .

و((العنيد)) على حد قول صاحب كتاب لسان العرب :((الجائر عن القصدالباغي الذي يرد الحق مع العلم به)) ، وكل هذا من نتائج الكبر والغرور والتعالي ، ولوامعنا النظر قليلا لوجدنا ان هذه الرذيلة الاخلاقية هي واحدة من اهم الحجب المانعة للمعرفة ومن عوامل اضلال الانسان ، وسلب حقوق الاخرين والاعتدا عليهم ،وانواع الذنوب الاخرى ((٣٣٢)) .

.٨

الظلم والاعتدا :. ورد في الكثير من آيات كتاب اللّه تهديد للظلمة بنار جهنم ، والتعابير التي وردت بشانهم قلما وردت بشان اية فئة اخرى ، وهذا يعكس مدى الاهمية التي اولاها الاسلام لمواجهة الظلم وضرورة التخلي عنه وقد وردت اشد التهديدات في الاية (٢٩) من سورة الكهف وهي :(انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بما كالمهل يشوي الوجوه # بئس الشراب وسات مرتفقا).

وهناك تعبير آخر شديد اللهجة ايضا ورد في الاية (١٥) من سورة الجن :(واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا).

يظهر هذا التعبير ان نار جهنم تستعر في داخل نفوسهم ، وكما كانوا في هذه الدنيا نارا محرقة للمظلومين ، يتحول كيانهم هناك في عالم تجسيد الاعمال الى قطعة من نار ولا تعبير ابلغ وافصح من هذا التعبير بشان القوم الظالمين ((٣٣٣)) .

.###

.٩

الركون الى الظالمين :. ليس الظلم وحده يؤدي الى ورود جهنم المتوقدة بنار الغضب الالهي ، بل يؤدي الى ذلك ــ كما يصرح القرآن الكريم ــ الركون الى الظاليمن (ويكون من اعوانهم وانصارهم) كما جا في الاية الشريفة :(ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم الناروماالكم من دون اللّه من اولياثم لا تنصرون) سورة هود ــ١١٣.

كلمة ((تركنوا)) مشتقة من مصدر ((الركون)) والذي يعني في راي اصحاب اللغة الاتكال

على الـــشـــي والـــميل اليه ، وهو مايستلزم اتصافه بالقوة والمقدرة ، لان الانسان يتكل ويعتمد على ما فيه القدرة ، ولذلك تطلق كلمة ((الركن)) على العمود اوالجدار الذي يقام عليه البنا او الاشيا الاخرى ((٣٣٤)) .

تـــحمل الاية اعلاه عنوانا عاما يطلق على كل الظلمة ، وتشتمل ايضا من خلال تعبير ((الركون)) عـــلـــى اي نـــوع مـــن انـــواع الارتباط والاعتماد على الظالمين ،وتقول ان الجميع سيقعون في نهاية الـــمـــطاف في قبضة العذاب الالهي ، بل وانهم حتى في هذه الحياة الدنيا لا يجنون غالبا سوى الفشل والخسران والشقا لان الظالم حين يقوي لا تاخذه بمن سواه رافة ولا رحمة .

وعلى اية حال فاذا كان الركن الذي يعتمد عليه سببا لمثل هذا الشقا فمن البديهي ــ ومن طريق اولى ــ ان تكون تقوية الظلمة واعانتهم سببا لدخول الانسان النار ، ولهذا السبب فقد شدد القرآن في النهي وبكل صراحة عن اي تعاون ومساعدة على الظلم ، وقال :(ولاتعاونوا على الاثم والعدوان) المائدة ــ٢ ، وقد انذرت الروايات الاسلامية باشد العذاب والجزا لمن يكون سببا في تقوية وتعزيز الظالم باي شكل من الاشكال ، حتى فيما لو وضع بين يديه القلم او الدواة لكتابة حكم فيه اي ظلم ،وسناتي على تبيان ذلك باذن اللّه في الموضع المناسب .

.١٠

نسيان الاخرة :. تـــتـــحـــدث الاية (٣٤) من سورة الجاثية عن هذا الجانب وتقول :(وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقا يومكم هذا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين).

لاشـــك ان نسيان محكمة العدل الالهي عند القيامة ينتج عنه انواع من الذنوب والمعاصي ، والانغماس فـــي مـــستنقع الظلم والرذيلة والفساد ، وهذه الاعمال تؤدي الى ان يعاملهم اللّه معاملة الناسين ، ولا شـــك ان احاطة اللّه بكل شي وعلمه بكل شي وفي كل زمان تجعل من مفهوم نسيانه امرا لا معنى له ، لـــكـــنـــه يـــعامل الناسين معاملة النسيان ، اي انه يقطع عنهم بالكامل لطفه ورحمته ، فتنغلق عليهم كل سبل النجاة ، ولايبقى امامهم سوى هاوية جهنم ((٣٣٥)) .

.١١

حب الدنيا :. حب الدنيا راس كل خطيئة ، ومن العوامل المهمة في القا الكثير من الناس في نار جهنم ، كما صرحت بذلك الاية (١٨) من سورة الاسرا : (من كان يريدالعاجلة عجلنا له فيها مانشا لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا).

اي ان الامـــر ليس بهذه الدرجة من البساطة بحيث ينال اهل الدنيا كل مقاصدهم منها ، بل قد يلجؤون الـــى الاف الحيل والمساعي ، بل ويضطرون الى ارتكاب الجرائم والمعاصي من اجل بلوغ بعض من اغراضهم ، لكن جهنم لهم بالمرصاد ، فتحرق اجسادهم وارواحهم ايضا بحكم كونهم ((مذمومين)) و((مدحورين)) ومطرودين من رحمة اللّه ((٣٣٦)) .

.١٢

اكتناز الذهب :. ان اكتناز الذهب وان كان يعد واحدا من مظاهر حب الدنيا ، لكن القرآن الكريم قد اكد عليه وخصه بـــالـــذكـــر باعتباره واحدا من الاسباب التي تؤدي ببني آدم الى دخول نار جهنم ، حيث قال :(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل اللّه فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فـــتـــكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم ، فذوقوا ماكنتم تكنزون) التوبة ـــ٣٤ ـــ٣٥ ((٣٣٧)) .

تحتوي هذه الاية على نقاط وبحوث متعددة سنشير اليها في موضعهاالمناسب ، اما ما ينبغي الاشارة اليه هنا فيتلخص في نقطتين :.

الاولى : الى اي حد يعتبر جمع الثروة اكتنازا ؟ وهذا الموضوع مختلف عليه كثيرا بين المفسرين ، ومـــا ورد في الكثير من الروايات عن الشيعة واهل السنة ،واتفقت عليه آرا الكثير من المفسرين هو ان : المال الذي تؤدى زكاته لايعتبركنزا(اي مال اديت زكاته فليس بكنز) ((٣٣٨)) .

ولـــكـــن فـــي الظروف الاستثنائية وحين توجب مصالح المجتمع الاسلامي على الحكومة الاسلامية تعيين حدود جمع الثروة ـــ كما ورد في بعض الروايات عن علي ((٧)) ـــ او يكون الاجرا ابعد من ذلـــك فـــيـــعـــلـــن في ظرف خاص عن وجوب صرف جميع المدخرات والذخائر حفاظا على وجود الـــمـــجتمع الاسلامي (كما وردفي بعض الروايات بشان قيام الامام المهدي ((عج))) لكن لا تعتبر النقاط المذكورة اعلاه قاعدة عامة ، والقاعدة العامة الاساسية هي ماذكرنا في بداية الموضوع .

الثانية : لماذا تقول الاية تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ؟لعل ذلك يعود الى ردود الفعل التي يصدرونها بحق المحرومين والفقرا فهم اولايعبسون ويقطبون الجبهة ، ومن ثم يظهرون اللامبالاة فـــيـــصـــدون عنهم ومن بعدذلك يديرون لهم الظهور ، ولذلك تكوى بالترتيب جباههم ثم جنوبهم ثم ظهورهم بنفس تلك المسكوكات كما كانوا يكوون قلوب المساكين والفقر.

.١٣

الفرار من الزحف :. نـــحـــن نعلم ان الاسلام يعتبر هذا الذنب من اكبر الذنوب فهو يؤدي الى اندحاروذلة وشقا المسلمين ويـــســـتوجب اشد العقوبات وهنا يصرح القرآن :(ياايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تـــولـــوهم الادبار # ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد با بغضب من اللّه وماواه جهنم وبئس المصير) الانفال ـــ١٥ ـــ١٦.

((الـــزحـــف)) وفـــقـــا لـــراي اصحاب اللغة ((٣٣٩)) يعني في الاساس الحركة المصحوبة بجر الارجـــل عـــلى الارض كحركة الطفل في بداية تعلمه للمشي ، او كسير الجمل عندشدة التعب ثم اســـتعملت هذه الكلمة لتعني حركة المجاميع الكبيرة من الناس لانهم يبدون لكثرتهم وكانهم ينزلقون على الارض في مشيهم ويتقدمون نحوالامام .

وعلى اية حال ، تحمل هذه الجملة اشارة الى ان قوة العدو مهما كانت كبيرة فلا ينبغي التراجع

امامها او الفرار من ساحة المعركة عند المواجهة ، دون امر القائد.
ومن الواضح ان هذا قانون اسلامي عام ، واما قول بعض المفسرين الذين اعتبروه خاصا بمعركة بدر دون سواها فهو قول لا دليل له كما اشير اليه في تفسيرالميزان ((٣٤٠)) ، ولا سيما ان هذه الاية قد نزلت بعد معركة بدر ((٣٤١)) اذن فالفرار من الجهادمن دواعي دخول النار.

.١٤

قتل الابريا :. ان الاسلام يكن احتراما كبيرا لدما الناس الى درجة اعتبر معها قتل الواحد وكانه قتل لجميع الناس : (من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانماقتل الناس جميعا) المائدة ــ٣٢.

واعتبر اراقة دم المؤمن تستحق الغضب الالهي والعذاب العظيم : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب اللّه عليه ولعنه واعد له عذاباعظيما) النساــ٩٣.

وبهذا فقد انذر قاتل المؤمن باربع عقوبات كبرى وهي : ١ ــ الخلود في جهنم ، ٢ ــ غضب من اللّه ، ٣ ــ لعنة من اللّه ، ٤ ــ العذاب العظيم ، وهذا اقصى ماظهره الاسلام ازا احترام دم المؤمن ، لانه لا يوجد في القرآن اي موضع يشتمل على مثل هذه العقوبة ((٣٤٢)) .

.١٥

ترك الصلاة :. تحظى الصلاة بقدر عظيم من الاهمية ، وقد وردت بشانها الكثير من الايات والروايات التي تشيد بمكانتها وخاصة في الكتب الاسلامية الشهيرة ، وعد القرآن الكريم ترك هذه الفريضة من موجبات الهلاك ودخول النار ، حيث يقول في وصف جماعة من اصحاب الجنة يحادثون جماعة من اصحاب النار فيقولون لهم : (ماسلككم في سقر) ؟ فيجيؤهم الجواب :(قالوا لم نك من المصلين # ولم نك نطعم المسكين # وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين) سورة المدثر ــ٣٩ الى ٤٦.

ورغم وجود ثلاثة ذنوب اخرى في الاية اعلاه اضافة الى ذنب ترك الصلاة ، لكن التركيز عليها وجعلها في البداية يعكس مدى خطورة ترك هذه الفريضة الالهية ، اضافة الى ان ايا من هذه الامور الاربعة كاف لوحده لالقا الانسان في النار(ويبدو ان المقصود من عدم اطعام المسكين هو منع الحقوق الواجبة).

وللصلاة من وجهة نظر الاسلام مكانة رفيعة ، ونقلت بعض الروايات المعروفة عن رسول اللّه (٩) منها : (اذا كا يوم القيامة يدعى بالعبد فاول شي يسال عنه الصلاة فاذا جا بها تامة والا زخ في النار) ((٣٤٣)) .

ولعل السبب الكامن ورا ذلك هو ان الصلاة هي الينبوع النابض بالايمان ،منها ينبع الايمان وبها يتواصل ويستمر ، وبرتكها تتزعزع اركانه ، ولا يخفى ان احدشروط قبول الاعمال ، وجود الايمان ، فلا يقبل عمل الا بوجوده .

١٦.

عدم ايتا الزكاة :.

الــزكــاة من اركان الاسلام الاساسية وتركها من اكبر الذنوب ونلاحظ ان القرآن قد جعل منعها في مــصاف الشرك وتكذيب المعاد ، وهذا يعني انها من دواعي دخول النار ، حيث يقول القرآن الكريم : (فويل للمشركين # الذين لايؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم كافرون) فصلت ــ٧.

اثــارت هذه الاية جدلا واسعا بين المفسرين ، وطرحوا احتمالات متعددة في تفسيرها وكان الدافع لذلك كونها من فروع الدين فكيف يصبح تركها دلالة على الكفر والشرك ؟.

يــبــدو ان البعض قد جعل منها معيارا فقال ان عدم ايتا الزكاة حتى وان لم يقترن بانكار حكمها يعتبر مؤشرا ذاتيا على الكفر ، وقال البعض الاخر ان عدم ايتائهالايعتبر كفرا لوحده ، وانما يكون كذلك اذا اقترن بانكارها لان وجوب الزكاة من ضروريات الاسلام ومنكرها كافر.

والــنــقطة التي تعيننا على توضيح تفسير الاية هي المكانة الخاصة التي تميزالزكاة من بين التعاليم الاسلامية ، فاداؤها يعني الاعتراف بالحكومة الاسلامية ومنعها يدل على التمرد ومناهضة الحكومة ، وكــمــا نعلم فان القيام ضد الحكومة الاسلامية موجب للكفر (ورد شرح هذه القضية بالتفصيل في كتاب التفسيرالامثل ((تفسير نمونة)) ج٢٠ من صفحة ٢١٤ ــ ٢٢٠).

وقــد سبقت الاشارة الى الاية (٣٥) من سورة التوبة والتي تتحدث عن اكتناز الذهب والفضة وهي من الايات الدالة على ان الزكاة من اسباب دخول النار.

.١٧

اكل مال اليتيم :. اكل مال اي شخص كان وبلا مجوز شرعي حرام ، لكن هذا الحكم يتاكداكثربالنسبة لليتامى ، وذلك لــحاجتهم الشديدة من جهة ، وفقدانهم الولي من جهة ثانية ،وعدم امكانية الدفاع عن انفسهم من جهة ثالثة ، وهذا مايخرج القضية عن وضعهاالطبيعي ويعطيها بعدا استثنائي.

ولهذا السبب هناك آيات قرآنية كثيرة مليئة بالوعيد والعذاب الشديد لمن ياكل اموال اليتامى ظلما ، فــهــا هــي الايــة الشريفة تصرح : (ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) النسا ــ١.

ورد في الروايات عن الرسول (٩) انه قال : ((شر الماكل اكل مال اليتيم ظلما)) ((٣٤٤)) .

ولكن هل ان التعبير القرآني في عقوبة آكل مال اليتيم جورا بانه ياكل نارا ،هو تعبير مجازي ؟ قال جــمــاعة من المفسرين بامكانية حملة على المعنى الحقيقي لان هذا التعبير يظهر ان لاعمالنا صورة بــاطــنــيــة اضافة الى الصورة الظاهرية ، وان تلك الصورة خافية عنا في هذا العالم وتظهر في يوم القيامة ومسالة تجسد الاعمال نابعة من هذا الموضوع ، وعلى هذا فلا يستبعد حمل الاية على معناها الحقيقي (فتامل).

.١٨

اكل الربا :. وهذا العمل ايضا من الاعمال التي وعد القرآن مرتكبيها بعذاب جهنم حيث يقول : (فمن جائه موعظة مــن ربــه فانتهى فله ما سلف # وامره الى اللّه # ومن عادفاولئك اصحاب

النار هم فيها خالدون) البقرة ــ٢٧٥.

وجـــا مـــا يشبه هذا المعنى في الايتين (١٣٠ ، ١٣١) من سورة آل عمران التين تهددان كذلك آكلي الـــربـــا بعذاب النار وتصفانه بانه له نفس العذاب الذي ينتظرالكافرين : (يايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا اللّه لعلكم تفلحون # واتقوا النار التي اعدت للكافرين).

فـــعـــنـــدما يعلن المرابون العصيان على اللّه ، او يعلن هو جل شانه الحرب عليهم فمعنى هذا انهم قد تنزلوا الى مستوى الكافرين ، وهذا تعبير رهيب في وصف هذة المعصية الكبيرة .

نستشف من بعض الروايات بان الربا محرم في جميع الكتب السماوية وفي جميع شرائع الانبيا ، كما تـــنـــص هـــذه الـــروايـــة التي وردت في فقه الرضا(٧) :((وهو محرم على لسان كل نبي وفي كل كتاب)) ((٣٤٥)) .

.١٩

كفران النعم الالهية :. وهـــذا ايضا من الذنوب الكبيرة التي يجازى عليها بعذاب النار حيث قال تعالى (الم تر الى الذين بدلوا نعمة اللّه كفرا واحلوا قومهم دار البوار # جهنم يصلونها وبئس القرار) ابراهيم ــ ٢٨ ــ٢٩.

اما ماهو المقصود هنا بالنعم الالهية ؟ قال جماعة من المفسرين ــ وانطلاقامن بعض الروايات الواردة فـــي الـــمـــصـــادر الاســـلامية ــ ان النعمة هي وجودالنبي الكريم (٩) ، ونقرا في رواية عن الامام الصادق (٧) : ((نحن واللّه نعمة اللّه التي انعم بها على عباده وبنا يفوز من فاز)) ((٣٤٦)) .

كلمة ((نحن)) تشير الى كل بيت النبي (٩) ، وان كانت اشارة الى المعصومين (:) فهي تشمل النبي مـــن طـــريـــق اولى ، وتتضح مدى اهمية هذه النعمة فيما لو التفتنا الى حديث الثقلين وماله من مكانة ، وعـــلـــى اية حال فان وجودالنبي (٩) والائمة المعصومين (:) وان كان يعد من اكبر النعم الالهية ، فلا يمكن حصر مفهوم هذه الاية في هذا النطاق والظاهر انها تضم جميع النعم الالهية الكبرى .

وقـــد اشـــار المفسرون الى الكافرين بالنعمة الالهية الكبرى وقالوا انهم بنوامية ، او بنو امية وبنو الـــمـــغـــيرة ، او عموم الكفار في عصر النبي (٩) ولكن هذا من قبيل ذكر المصداق ايضا لا من باب الحصر.

وفـــي جـــميع الاحوال ينبغي شكر النعم الالهية الكبرى والاستفادة منها مالمكن وعلى افضل وجه ، واذا استبدل الشكر بالكفران استوجب عذاب جهنم ((٣٤٧)) .

.٢٠

المطففين :. وقـــد اكد القرآن على عذاب هؤلا تاكيدا خاصا ، واولى هذه القضية اهمية استثنائية ، حتى ان اسم احـــدى السور هي ((المطففين)) جا في مستهلها : (ويل للمطففين الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم كلا ان كتاب الفجار لفي سجين) المطففين ــ١ ــ٤ ــ٧.

قـــال بـــعض المفسرين ان ((الويل)) يعني شدة عذاب القيامة ، وقال آخرون انها اسم واد خاص في جهنم ((٣٤٨)) .

وجا ايضا في حديث عن الامام الصادق (٧) انه قال :((لم يجعل اللّه الويل لاحد حتى يسميه كافرا ، قال عز وجل :((فويل للذين كفروا)) ((٣٤٩)) .

وورد ايضا في حديث عن النبي (٩) انه قال :((ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر)) ((٣٥٠)) .

يـــفـــهـــم من هذه التعابير ان التطفيف ــ اي عدم ايفا الميزان في البيع ــ يصل حد الكفر او هو نوع من الكفر.

وكـــلـــمة ((ويل)) لها معنى لغوي واسع ، يرادف الشر والغم ، والهلاك اوالعذاب الاليم ، وماذكر آنفا يمكن ان يكون مصداقا لذلك .

ومـــما يسترعي الانتباه ان الفاظ الاية وان كانت تخص المطففين للموادالقابلة للوزن والكيل لغرض الـــبـــيـــع والشرا ، الا انه لا يستبعد ان تتسع الاية لما هو ابعدمن ذلك لتشمل كل من يقصر في تادية واجـــباته الدينية والاخلاقية والاجتماعية وذلك لان كل من يقصر في ادا واجبه وينتقص من عمله يعتبر في الحقيقة مطفف.

ولـــهذا نقل عن الصحابي المعروف ((عبداللّه بن مسعود)) انه قال : كل من طفف في صلاته ينطبق علية ماقاله اللّه تعالى بشان المطففين ((٣٥١)) .

.٢١

الهمز واللمز والغيبة :. وهـــذه ايـــضـــا مـــن الـــذنوب الكبيرة لان فيها استهانة بكرامة وشخصية الناس المؤمنين ، والكرامة والـــشـــخـــصـــية من الاعتبارات التي توازي في الاهمية دم الانسان بل وتفوقه احيانا ، ولذلك توعد الـــقـــرآن الـــكـــريم بالويل والعذاب لكل من يجترئ على هذا الفعل فقال : (ويل لكل همزة لمزة # الذي جمع مالا وعدده # يحسب ان ماله اخلده # كلا لينبذن في الحطمة) سورة الهمزة ــ١ ــ٤.

هـــنـــالـــك اختلاف في آرا المفسرين بشان معاني الهمزة واللمزة ، فهاتان الكلمتان وردتا على صيغة المبالغة من المصدرين ((الهمز)) ((واللمز)) قال البعض ان كلاهما بمعنى واحد وهو البحث عن عيوب الاخرين واغتيابهم بينما قال آخرون ان الاولى تعني اقتفا معايب الاخرين والتشهير بهم علنا والـــثـــانـــية بمعنى اقتفائهاوالتشهير بها خفية وعن طريق الاشارة بالعين والحاجب وامثال ذلك وقال آخرون ان الاولى تعني الغيبة ، والثانية تعني اظهار العيوب وجها لوجه .

ويـــبـــدو فـــي جـــمـــيـــع الاحوال ان كل من يحاول الاستهزا بالاخرين او يتعمدالاساة اليهم باللسان وحـــركـــات العين والحاجب في حال غيابه او وجها لوجه ،ويحاول تقصي عيوبهم او يكشف العيوب الـــمـــســـتـــورة وافـــشائها لغرض الاساة الى كرامتهم فهو مشمول بالاية المذكورة ، فكما انه يحطم شـــخصية وكرامة الاخرين فسيكون كذلك عرضة ــ في يوم القيامة

ــ لنار جهنم ((الحطمة)) لكي تحطم كل وجوده .
ان الاشـــخـــاص مـــن امـــثـــال هـــؤلا هـــم اكـــثر خلق اللّه شرا كما جا ذلك في حديث منقول عن سيد الرسل (٩) انه قال :((الا اخبركم بشر الناس ؟)) قالوا بلى يارسول اللّه قال ((المشاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الاحبة ، الباغون للبرئاالمعايب)) ((٣٥٢)) .
.٢٢
الاسراف والتبذير :. الاســـراف والـــتـــبـــذير بالمعنى الواسع للكلمة يعتبران من الكبائر ايضا ، وقدذكرهما واكد عليهما القرآن الكريم بشدة ، فقال عن الاسراف : (وان المسرفين هم اصحاب النار) سورة المؤمن ــ٤٣.
ورغم ان هذا الكلام قد ورد في سورة المؤمن على لسان مؤمن آل فرعون ، لكن القرآن اطلقه على هذا المجال .
وقـــال ايـــضا عن التبذير : (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) الاسرا ــ٢٧ من الواضح ان مصير الشياطين واخوانهم ليس سوى الوقوع في بؤرة الغضب الالهي ــ اي جهنم ــ.
و((الاســـراف)) و ((السرف)) وهي على وزن ((الهدف)) تعني كما يقول اهل اللغة تجاوز الحد في اي عمل ، وان كانت تطلق على الاغلب على تجاوز الحد في صرف الاموال ((٣٥٣)) .
ولـــهـــذا يطلق القرآن الكريم كلمة المسرفين على المشركين والمجرمين الذين يتجاوزون الحدود الالهية ، وحتى قتل الناس الابريا يعد نوعا من الاسراف .
وكلمة ((التبذير)) مشتقة من مصدر ((البذر)) وتعني في الاصل النثر وتطلق عادة على الحالات الـــتـــي تـــنـــثـــر فـــيها الاموال بلا هدف ، او حين ترمى هنا وهناك وتكون نتيجتها الاتلاف والتضييع ((٣٥٤)) .
ولـــو فـــكـــرنـــا في وضع العالم الحالي والتبذير والاسراف السائد فيه والذي لايقتصر على المواد الغذائية والامكانات المادية فحسب ، بل ويتعداه الى تجاوزالحدود في كل شي ، لوجدنا انه وقبل ان يـــســـتـــحـــق الاخـــرة ، جعل من هذه الدنياجهنم لاهبة يحترق في نارها الصغير والكبير ولا مغيث لنداتهم ، حينذاك سنوقن ان عقوبة الاسراف والتبذير يجب ان تكون نار جهنم .
.٢٣
الجرائم والذنوب :. توجد في القرآن الكريم اوصاف عامة وشاملة لاصحاب النار ومن جملة ذلك الاجرام والذنب ، اذ قال بشانه :(ونسوق المجرمين الى جهنم وردا) مريم ــ٨٦.
كـــلمة ((مجرم)) ماخوذة من المصدر ((جرم)) والذي يعني اساسا القطع ،لذلك تطلق الكلمة على عـــمـــلية قطع الثمار من الاشجار او قطع الاشجار ذاتها ، ولماكان المجرمون يحرمون انفسهم من السعادة والنجاة بسؤ عملهم ، لهذا صدقت عليهم هذه الكلمة .

هل يفهم من هذه الاية ان كل ذنب يستلزم دخول النار ام انها تخص مجرمين معينين ؟ ان ظاهر الاية يـدل عـلـى الاطـلاق ، الا انه يمكن ان يستشف من خلال الايات الاخرى انها تخص الجريمة التي يخالطها الكفر ، جا في الاية (٧٤)من سورة الزخرف : (ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون).

مـن البديهي ان الخلود في النار مقصور على الكفار لا كل المجرمين ودلت على هذا الاية (٤١) من سـورة الـمدثر : (يتسالون عن المجرمين ماسلككم في سقر)فيعدون لهم في الجواب مجموعة من الـذنـوب مـنـهـا الـتكذيب بيوم الدين وهومايساوي الكفر ، وقد ورد نظير هذا المعنى ــ وهو ان الـمـقـصود الجرم المقرون بالكفر ــفي آيات عديدة اخرى ((٣٥٥)) يحتمل ايضا ان المراد من الـمـجـرمين الوارد في الاية موضع البحث هم المجرمون الذين انغمسوا تماما في الذنوب وبالشكل الذي يجعلهم لا يستحقون الشفاعة ولا عفو اللّه ، فهولا عامة يدخلون النار.

.٢٤

تعدي حدود اللّه :. وهذا ايضا واحد من العناوين العامة التي وعد القرآن بان جزاهاالنار(ومن يعص اللّه ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) النسا ــ١٤.

ان الـمـقصود من الحدود الالهية قوانينه واحكامه وتعاليمه ، وان كان اهل اللغة قد نقلوا ثلاثة معان مـخـتلفة لكلمة ((الحد)) وهي : المنع ، ونهاية كل شي ،والشدة ((٣٥٦)) ولكن يبدو انها تعود باجمعها الى معنى ((المنع)) لان انتها الشي يمنع اختلاطه بغيره كما ان حدود البيت والحقل والبلد تـمنع اختلاطها مع غيرها من البيوت والحقول والبلدان ، وبما ان مفهوم المنع يخفي بين طياته نوعا من الشدة ،فقد استخدم احيانا بمعناها ايض.

ولهذا اطلق على الاحكام الالهية اسم ((الحدود)) التي تعين للانسان ((المناطق الممنوعة)) التي لا يجوز له دخولها ، وهذا هو السبب في تسمية العقوبات الشرعية بالحد لانها تحول دون تكراره.

وعلى اية حال فقد وردت عبارة ((تلك حدود اللّه)) في عدة مواضع من القرآن الكريم وكلها جات بعد تبيان سلسلة من الاحكام الالهية .

وقـد جـات في الاية التي نحن بصدد بحثها بعد بيانها لاحكام الارث ،وفي الايتين ٢٢٩ ، ٢٣٠ من سـورة الـبـقرة والاية الاولى من سورة الطلاق بعد تبيان قسم من احكام الطلاق ، وجات في الاية (١٨٧) مـن سـورة الـبقرة بعد تحريم الجماع خلال الاعتكاف وبعض احكام الصوم ، ووردت في الايـة (٤) من سورة المجادلة بعدبيان كفارة الظهار ، ويفهم من مجموعها ان حدود اللّه كلمة ذات مدلول واسع يشمل كل حكم من هذا القبيل .

فـنحن نعلم من جهة ان ارتكاب اي جرم كان لا يستدعي الخلود في الناروعلى هذا قد يكون القصد من الاية اعلاه الاشخاص الذين يتعدون حدود اللّه بالطغيان والعناد والتمرد وانكار آيات

اللّه ، او كـــل مـــن يـــتـــجـــاهل هذه الحدود وينغمس في المعاصي حتى يذهب من هذه الدنيا من غير ان يلامس الايـــمـــان قـــلـــبه ، والا فنحن نعلم ان فريقا من العاصين يشملهم العفو الالهي ، وفريقا آخر تشملهم الشفاعة وفريقاآخر تغفر لهم صغائر الذنوب ، وكذلك يغفر للتوابين ((٣٥٧)) .

وقد استدلت فئة من الوعيدية الذين يعتقدون بخلود مرتكب الكبيرة في النار بهذه الاية وامثالها ، الا ان جواب ذلك واضح من خلال ماذكرناه ، وسنتطرق الى مزيد من التوضيح في المكان المناسب باذن اللّه .

الخلاصة :.

المجاميع الاربع والعشرين التي اشير اليها تعتبر اهم الفئات التي ترد الناروفقالما صرح به القرآن الـــكريم ، فبعضهم يخلد فيها والبعض الاخر يبقى الى امد معين ،ويستخلص من مجموع هذه الايات رؤيـــة الاســـلام لـــلمسائل الاجتماعية والحقوقية وانواع الانحرافات الاخلاقية ، والجوانب التي اعارها اهتماما اكبر.

وتـــستبطن نظائر هذه الايات ندات تربوية فاعلة وتنبه الناس وتحذرهم من عواقب ومخاطر هذه الكبائر وهذا هو الغرض النهائي منه.

.٢

ماهية جهنم . تمهيد :.

من البديهي ان جهنم هي بؤرة الغضب الالهي وتشتمل على العذاب الجسدي والروحي لمن يردها كما ورد فـــي ظـــاهـــر او صريح الايات القرآنية ، اما الذين تمسكوابقولهم انها تشتمل فقط على العذاب الـــروحي والمعنوي عليهم تجاهل وانكار قسم كبير من الايات القرآنية او حملها على معان مجازية بلا دليل معقول .

ولـــكن ماهي جهنم ؟ وما عذابها ؟ ان افضل الطرق لمعرفة ماهيتها هوالاستعانة بالاسما والاوصاف الواردة بشانها في الايات القرآنية المختلفة من اجل ازاحة الستار عن خفايا بؤرة الغضب الالهي هذه ، وكـــمـــا قلنا مرارا مهما كانت معرفتناالقضايا المتعلقة بالعالم الاخر واسعة فهي تبقى ضيقة وكانها شبح يترآى لنا عن بعد ،اما التفاصيل والخصوصيات فهي مبهمة لان عالم الاخرة بشكل عام ارقى من هذاالعالم وهو تماما كعالم الجنين بالنسبة الى العالم خارج بطن امه .

وعـــلى هذا فمن غير المتيسر على الناس في هذا العالم الاحاطة الكاملة باسرار ذلك العالم ، لكن لا يحول بتاتا دون الحصول على المعرفة الاجمالية بشانه ابد.

وعـــلى اية حال ينبغي متابعة الاسما والصفات والاشارات الواردة في القرآن الكريم في هذا المجال لـــغـــرض التعرف على ماهية جهنم ، لنقرا فيما يلي الايات التالية وهي تعكس جزا من اسما واوصاف جهنم :.

١ ــ (وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب) الحجر ــ٤٣ ــ٤٤.
٢ ــ (ساصليه سقر # ومادراك ما سقر # لا تبقي ولا تذر # لواحة للبشر) المدثر ــ٢٦ ــ٢٩.
٣ ــ (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين) البقرة ــ٢٤.
٤ ــ (فريق في الجنة وفريق في السعير) الشورى ــ٧.
٥ ــ (فاما من طغى # وآثر الحياة الدنيا # فان الجحيم هي الماوى) النازعات ــ٣٧ ٣٩.
٦ ــ (كلا لينبذن في الحطمة # ومادراك ماالحطمة # نار اللّه الموقدة التي تطلع على الافئدة) الهمزة ــ٤ ــ٧.
٧ ــ (واما من خفت موازينه فامه هاوية ومادراك ماهيه #نارحامية) القارعة ــ٨ ــ١١.
٨ ــ (كلا انها لظى # نزاعة للشوى # تدعو من ادبر وتولى) المعارج ــ١٥ ١٧.

تفسير وفذلكة :.

تعابير القرآن بشان جهنم :.

نــواجه في الاية الاولى اشهر اسما النار الذي تكرر ذكره في القرآن الكريم سبعا وسبعين مرة الا وهو جهنم ، تشير الاية الى اتباع ابليس وتقول : (وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب).

اخــتلف اللغويون والمفسرون في معنى كلمة ((جهنم)) فقال البعض منهم انها تعني ((النار)) وقال آخــرون انــها تعني ((العميق والبعيد القعر)) جا في ((لسان العرب)) ان ((جهنام)) بمعنى العمق الشديد ولهذا يقال ((بئر جهنم وجهنام)) ويراد به البئر عميقة القعر.

ونــقــل عــن بعضهم في نفس الكتاب ان اصل هذه الكلمة عبراني وهو((گهنام)) وورد اسمها في العربية ((جهنم)) (ولهذا فهي تعتبر اسما ممنوعا من الصرف لانها اسم علم اولا واعجمي ثانيا).

واعتبرها بعض اللغويين مشتقة من الكلمة العبرية ((جهنيون)) ((٣٥٨)) ، بينما اكدآخرون انها عــربــيــة (وســبــب عدم صرفها هو العلمية والتانيث) ، واعتبرها جماعة آخرون مشتقة من اصل فارسي .

ويــقــال لــلــحــفــرة تــحــت الارض الــتي تنفخ فيها الحرارة لتدفئة ارضية الحمام ((جهنم)) ايضا ((٣٥٩)) .

وعــلى اية حال فمهما كان اصلها ، سوا كان عربيا او فارسيا او عبرانيا فهي في القرآن الكريم اسم لمكان ملي بالعذاب وهو بؤرة غضب اللّه وله دركات ومراتب متفاوتة .

وقد ورد ايضا في الاية ان لجهنم سبعة ابواب وهذا ما سنتحدث عنه ــ ان شا اللّه ــ لاحق.

ونواجه في الاية الثانية اسما آخر من اسما جهنم وهو ((سقر)) فيعدالاشارة الى احد المشركين الــمــعــاندين (وهو الوليد بن المغيرة) ــ تقول :(ساصليه سقر # ومادراك ما سقر # لا تبقي ولا تذر # لواحة للبشر).

ومهما يكن من امر فكلمة ((سقر)) هي من اسما جهنم وماخوذة في الاصل من كلمة ((سقر)) على وزن فقر وتعني التغيير والذوبان والانصهار اثر حرارة الشمس ((٣٦٠)) .

واعــتبرها البعض اسما لاحد طبقات جهنم المفزعة كما وردت في حديث منقول عن الامام الصادق (٧) :((ان فــي جــهــنــم لواديا للمتكبرين يقال له سقر شكا الى اللّه شدة حره وساله ان ياذن له ان يتنفس فاحرق جهنم)) ((٣٦١)) .

ونــقرا في كتاب صحاح اللغة ان ((سقرات الشمس)) تعني شدة حرارتها ،و((يوم مسقر)) بمعنى شديد الحرارة ولاهب .

وجــا فــي كــتاب التحقيق في كلمات القرآن بان هذه الكلمة تعني في الاساس الحرارة الشديدة التي تــغــيــر لــون الاشــيــا وصــفاتها ، لكنها تحولت بالتدريج الى اسم من اسما النار وتعني النار الشديدة المحرقة التي تغير كل شي .

وتــدعــم هــذا الادعــا الصفات الواردة في هذه الايات ، لانها تؤكد انها تغيرالجلود تماما من جهة ، وتقول من جهة اخرى انها لا تبقي شيئا على حاله .

ومــن الاســمــا الاخرى التي استخدمها القرآن لجهنم بشكل واسع هي كلمة ((النار)) ، فقد تكرر ذكــرهــا (١٤٥) مــرة والتي تعني في اغلب الموارد نار جهنم ، وان جات ايضا في بعض المواضع بمعنى نار الدنيا ، ومن جملة ذلك الخطاب الموجه الى المشككين بالقرآن اذ جا فيه : (فان لم تفعلوا ولــن تــفــعــلــوا) (اي لــم تاتوا بسورة من مثله) (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين) البقرة ــ ٢٤.

يــقــول الراغب ان كلمة النار تعني الشعلة التي تظهر امام حسن الانسان ،ويقال للحرارة وحدها نار ايــضــا ، وراى الــبــعــض ان كلمتي ((النار)) و((النور)) مشتقتان من مصدر واحد ومتقاربان في الوجود.

وعــلــى ايــة حــال فقد كثر استخدام هذه الكلمة في القرآن الكريم بشان جهنم الى حد جعلها تصبح واحدة من اسمائه.

اشــار الــقرآن في الاية (١٠) من سورة آل عمران الى فئة من المجرمين قائلا : (اولئك هم وقود النار).

وجــات كلمة ((اصحاب النار)) في العديد من الايات لتدل على الاشخاص الذين يردون جهنم ولهذا اصبح هذا التعبير مقابلا لتعبير اصحاب الجنة ((٣٦٢)) .

ومــن نــافلة القول ان من ضمن المواصفات التي ذكرت للنار هي ان وقودهامن الناس والحجارة (اي الاصنام) وعلى هذا فهي لا تشبه نار الدنيا في هذا الجانب .

نرى في الاية الرابعة اسما وصفة اخرى لهذا المكان الذي يتجسد فيه الغضب الرباني ، وهذا الاسم هو ((السعير)).

فــبــعــد ان يــشير القرآن الى الغاية من نزوله وينذر الناس من يوم القيامة ،يقسم الناس

يومذاك الى فريقين ويقول : (فريق في الجنة وفريق في السعير).
وردت كلمة ((سعير)) في القرآن (١٦) مرة وورد جمعها اي كلمة ((سعر))مرتين وهذه الكلمة مشتقة من المصدر ((سعر)) (وهو على وزن قعر)) ويعني اذكا الناروتاجيجها ، وجا ايضا بمعنى شدة الاضطرام ، ولهذا ((فالسعير)) يعني النار شديدة الاشتعال واللهب والاحراق ، وجات احيانا بمعى ((الجنون)) ايضا لان الشخص في هذه الحالة يلتهب ويغلب عليه الهيجان ، ويقال كذلك للناقة المجنونة : ناقة مسعورة ((٣٦٣)) .
ونظرا لاستخدام كلمة ((السعير)) في الاية المذكورة في قبالة كلمة ((الجنة))يفهم بانها ايضا احد اسما النار ، واستخدام تعبير ((اصحاب السعير)) في عدد من الايات يعتبر ايضا قرينة اخرى على هذه التسمية ((٣٦٤)) الا انه لايمكن انكار مجيئها في بعض الايات القرآنية بنفس ذلك المعنى الوصفي لتشير الى اضطرام نار جهنم .
التعبير الخامس الذي تكرر في القرآن في (٢٥) موضعا هو الجحيم فتقول الاية المطروحة لبحثنا :(فاما من طغى # وآثر الحياة الدنيا # فان الجحيم هي الماوى).
وكلمة ((الجحيم)) كما يفهم من عبارات القرآن هو واحدة من اسما جهنم ،ومشتقة من مادة ((جحم)) التي تعني ((شدة تورية النار)) كما يقول الراغب في مفرداته .
وتاكد نفس هذا المعنى في ((مقاييس اللغة)) ايضا ، لكن صاحب صحاح اللغة فسره بالنار العظيمة المصحوبة بالحرارة واللهب .
الا ان هذه الكلمة استخدمت في موضع واحد في القرآن الكريم بمعنى النيران المحرقة في الدنيا عندما قال المشركون في زمن النبي ابراهيم (٧) : (قالوابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم) الصافات ـ٩.
الا ان هذا الاستعمال لا يمنع من كون الكلمة المذكورة من اسما جهنم .
وتواجهنا في العبارة السادسة كلمة ((الحطمة)) التي تكررت في موضعين في سورة ((الهمزة)) فالاية قد تحدثت عن الذين يبحثون عن عيوب الاخرين ويغتابونهم ويحرصون على جمع المال ثم قالت : (كلا لينبذن في الحطمة # ومادراك مالحطمة # نار اللّه الموقدة التي تطلع على الافئدة).
وكلمة ((الحطمة)) على حد قول صاحب ((صحاح اللغة)) وصاحب ((مجمع اللغة)) اسم من اسما جهنم وهي صيغة مبالغة من كلمة ((حطم)) بمعنى الكسروالتهشيم واعتبرها البعض بمعنى تكسير الاشيا اليابسة ، ولهذا يطلق على سنوات القحط اسم ((الحطمة)) لانها تحطم كل شي وتكسره وتقضي على الناس ، ويطلق اسم ((الحطم)) على موضع في الكعبة يقع بين بابها والحجر الاسود لان الناس يزدحمون هناك حتى ان عظامهم على وشك ان تتكسر من شدة الضغط.
وعلى هذا الاساس تعود تسمية جهنم بالحطمة الى ان نارها المحرقة تدمركل شي وتقضي عليه

، وقد اوضح القرآن نفسه معناها من خلال الايات الواردة في هذا الباب : فقال انها : (نار اللّه الموقدة التي تطلع على الافئدة)وهذه الاية بذاتها دليل على المعنى الذي ذكرناه .

ولـــكـــن يـــستفاد من بعض الروايات : بان كل اسم من اسما جهنم ومن ضمنها الحطمة يشير الى قسم معين من اقسام النار ((٣٦٥)) .

ذكرت الاية السابعة كلمة ((الهاوية)) التي وردت في القرآن الكريم مرة واحدة حيث تقول الاية : (فاما من خفت موازينه # فامه هاوية # وما ادراك ماهية #نار حامية) القارعة ـــ٨ ـــ١١.

قـــال ابن منظور في ((لسان العرب)) ان ((الهاوية)) احد اسما جهنم وعلى هذا يكون معنى ((امه هاوية)) اي ان مقره ومسكنه جهنم ((٣٦٦)) .

واشـــار صاحب ((مقاييس اللغة)) والراغب في ((المفردات)) الى هذه التسمية وان الكلمة ماخوذة فـــي الاصل من مادة ((هوي)) بمعنى السقوط لان الكفاروالمجرمين يسقطون فيها ، ويتضمن ايضا اشارة الى عمق جهنم .

وفـــسـرت كلمة ((ام)) هنا بمعنى المستقر والمكان ، واحيانا بمعنى الام اي كما تحتضن الام ابنها تحتضن جهنم من يرد فيه.

وفـــسـرهـــا بعضهم بمعنى الدماغ ، قال : ان الهاوية وصف لاصحاب النارلانهم يسقطون فيها على ام رؤوسهم الا ان التفسير الاول اصح على مايبدو.

ونرى في الاية الثامنة والاخيرة كلمة ((لظى)) وهي الاخرى قد ذكرت في القرآن مرة واحدة ، فـــقـــد جا في سورة المعارج بعد الاشارة الى وضع المجرمين الذين يرغبون في يوم القيامة التضحية بازواجهم واخوانهم وابنائهم لانقاذ انفسهم :(كلا انها لظى # نزاعة للشوى # تدعو من ادبر وتولى) المعارج ـــ١٥ ـــ١٧.

وكلمة ((لظى)) تعني في الاصل النار او شعلة النار الخالصة ، ولكن هذه الكلمة اسم من اسما جهنم حـــسـب مـــاجـــا في ((لسان العرب)) و((مفردات الراغب))(ولهذا فهو ممنوع من الصرف بسبب علميتة وتانيثه).

وتعني كلمة ((النزاعة)) الشي الذي ينزع ويفصل بشكل متواصل ، وتعني كلمة ((شورى)) اليد والرجل واطراف اليد ، (وان كانت تاتي بمعنى الاحراق في النارلكن الانسب هنا هو المعنى الاول ، لان الشي عندما يسقط في النار ، اول ما يحترق فيه اطرافه واغصانه).

وقال آخرون ان ((الشوى)) هو جلد البدن او فروة الراس ،.

ومـــن عـــجـــائب هذه النار المحرقة انها تدعو اصحاب جهنم اليها ، فهل انهاحقا ذات شعور وادراك فتفعل هكذا ؟ ام ان في جهنم جاذبية خفية تستقطب نحوهاكل من حق عليه العذاب ؟.

كلا الاحتمالين ممكن ، ولكن الظاهر هو المعنى الاول .

وهـــنـــا تـــجـــدر الاشارة الى ان الروايات لم تذكر النار كاسم من اسما جهنم ،بل ذكرت سبعة اسما اخـــرى واعـــتـــبرت كل واحد منها طبقة من طبقاتها ، وليس كل واحد من هذه الاسما

السبعة يشمل جهنم باكمله.

ومن جملة ذلك حديث منقول عن الامام امير المؤمنين (٧) قال فيه : (ان جهنم لها سبعة ابواب اطباق بعضها فوق بعض ، ووضع احدى يديه على الاخرى فقال : هكذا ، وان اللّه وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض فاسفلها جهنم ، وفوقها لظى ، وفوقها الحطمة وفوقها سقر ، وفوقها الجحيم وفوقهاالسعير ، وفوقها الهاوية) ((٣٦٧)) .

ولامانع من اطلاق الاسما السبعة المذكورة على كل جهنم احيانا او على قسم منها احيانا اخرى ، كما يلاحظ ذلك في اسما الدنيا حيث يطلق احيانا اسم معين على محافظة من المحافظات باكملها ، ويطلق احيانا على مدينة معينة من مدن تلك المحافظة .

اوصاف جهنم :. يفهم من مجموع الايات المتعلقة بجهنم واوصافها بانها مركز جزائي رهيب ملي بالنيران اللاهبة وله ابواب ودرجات مختلفة ، ولكن نارها ليست كنيران الدنيابل تتميز بالخصائص الاتية :.

١ ــ وقودها الناس والحجارة .

٢ ــ تطلع على الافئدة : وتنفذ اولى شراراتها الى القلوب .

٣ ــ حطمة تسحق كل شي وتقضي عليه .

٤ ــ فيها درك يدعو المجرمين اليه ٥ ــ توصف بانها اذا رات من يحشرون فيها : (اذا راتهم من مكان بعيدسمعوا لها تغيظا وزفيرا) الفرقان ــ١٢.

٦ ــ متحركة كما يقول :(وجي يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى) الفجر ــ٢٣.

٧ ــ محيطة الان بالكافرين رغم انها محجوبة عن الابصار (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) التوبة ــ٤٩.

قد تكون هذه الابعاد جميعها سببا دفع بالكثيرين الى تفسير جهنم تفسيراروحيا فاعتبروا نارها نارا معنوية ، لكن هذا التفسير ــ بلا شك ــ يتعارض مع ظاهر آيات القرآن الكريم ، ولا ينسجم مع الروايات التي وردت في تفسيره.

وعلى هذا ينبغي القول ان جهنم بؤرة نار مستعرة وتختلف اختلافاجذرياعن نيران عالمنا هذا كما تختلف نعم الجنة مع نعم هذه الدني.

ايضاح :.

فلسفة وجود النار :. يسال الكثير عن مدى ضرورة وجود النار ، فاللّه تعالى لايحب الانتقام وان العقوبات توضع لكي لايرتكب الناس الاخطا ثانية او حتى تكون عبرة للاخرين ،بينما نعلم ان لاعودة لهذا العالم بعد هذه الحياة ، ولا وجود هناك للتكليف والطاعة والذنب وعلى هذا ، ماالمفهوم الذي ستحمله عقوبة باهضة كدخول النار ؟ هذا من جانب .

ومن جانب آخر يتمثل الهدف من جميع التعاليم الدينية في تربية وتهذيب وتكامل الانسان ، وان لم يقبل بذلك بعض الناس فستكون عقوبتهم الحرمان من بلوغ الدرجات الرفيعة .

فما هي الضرورة لوجود جهنم ، ومركز الغضب والعقاب الصارم ؟.
ينبغي الالتفات الى نقطتين في ازا هذا التساؤل :.
١ ــ قلنا مرارا ان العقوبات الالهية سوا في هذا العالم اوفي عالم الاخرة هي نتيجة اعمال الناس انفسهم ، وانما تنسب الى اللّه جل شانه باعتباره مسبب الاسباب فالكثير من نعم الجنة هي تجسيد لاعمال الانسان الصالحة ، والكثير من عذاب جهنم تجسيد لاعماله السيئة ، ونحن نعلم ان نتائج العمل وآثاره ليست بالامرالهين الذي يمكن التساهل فيه .
مثلا ، الشخص الذي يتناول المشروبات الروحية والمخدرات ، ليقضي فترات من الارتياح وهدؤ البال ــ حسب تصوره ــ في ظل هاتين المادتين المخدرتين ، ولينتشي باللذة المتاتية من نسيان الدنيا يحذر بان هاتين المادتين المخدرتين هما من عوامل الافساد والتحلل وستؤديان في النهاية الى القضا عليه ،فالمشروبات الكحولية تسبب لك امراض القلب والشرايين والاعصاب والكبد ،والمخدرات تدمر الاعصاب بل وتنهي كل كيان الانسان .
فاذا لم يصغ الى هذا الانذار وتمادى في ممارسته الخاطئة فانه سيواجه عقوبته وجزاه وهذا لا يحتاج الى فلسفة ودليل سوى قانون العلية ، وهي النتيجة الطبيعية لعمل كل انسان وغالبا ماتكون الذنوب على هذه الشاكلة ، وتعقبها نتائج في هذه الدنيا ، وفي الاخرة وهي تتجسد على صورة العذاب في جهنم .
ولهذا يلحظ هذا التعبير الذي يتكرر كثيرا في الايات الشريفة والذي يقول انكم تجزون ماكنتم تعملون فنقرا في الاية (٩٠) من سورة النمل : (ومن جابالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ماكنتم تعملون).
ونقرا في الاية (٧) من سورة التحريم : (يايها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انما تجزون ماكنتم تعملون).
فالمعذرة نافعة حين لاتكون القضية متعلقة بالعلة والمعلول والنتيجة للاعمال .
فالايات التي تتحدث مثلا عن تجسيد الاعمال وتشبه اكل مال اليتيم باكل النار تدل باجمعها على هذا المعنى ، وكذلك الروايات التي تقول ان الطباع الحيوانية في الانسان ، تظهر من داخله يوم القيامة وترتسم على خارجه ، فتغدو صورالاشخاص شبيهة بالحيوانات المتميزة بتلك الطباع .
وخلاصة القول : ان هذه الدنيا مزرعة ، والاخرة اوان الحصاد ، فان كان الانسان قد زرع بذور الورد ، فمحصوله اغصان طيبة وطرية ومعطرة من الورد ، وان كان قد بذر الشوك فلا يجني سواه ، جا في حديث عن النبي (٩) : ((جا رجل الى النبي (٩) فقال :يارسول اللّه اوصني فقال : احفظ لسانك ، قال : يا رسول اللّه اوصني قال :احفظ لسانك ، قال : يارسول اللّه اوصني ، قال : احفظ لسانك ويحك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم)) ((٣٦٨)) .

٢ ــ لاشــك ان الــتبشير والتحذير يعتبران دعامتين اساسيتين في اسراالبرامج التربوية ، فكما ان التبشير بالجزا الاوفر الذي يحظى به الانسان في الجنة يعد عاملا فاعلا في الدعوة الى طاعة اللّه وترك معصيته ، فكذلك التحذير والوعيدبالعذاب الصارم في جهنم يعتبر هو الاخر مؤثرا قويا في هذا الجانب ، لا ، بل ثبت بالتجربة ان للعقوبات تاثيرا اقوى .

ولهذا فان جميع القوانين التي تسنها مراكز التشريع القانوني في العالم تضمن عقوبات للمخالفين وهو ما يصطلح عليه علما الحقوق باسم الضمانة التنفيذية ، وتحظى هذه الضمانة بقدر كبير من الاهمية بــحــيث تعتبر واحدة من العناصر الاساسية التي يبنى عليها القانون ، ولو ان قانونا استن ولم يتضمن اي عقاب للمخالفين (كالسجن والجلد و الغرامة المالية والحرمان من بعض الحقوق الاجتماعية) فلا يمكن ان يطلق عليه قانون.

فــكيف تكون القوانين الالهية ــ والحالة هذه ــ خالية من الضمانة التنفيذية ؟ القانونية ، ولايرى المخالفون لها والمتخلفون عنها اي دافع او وازع لاطاعتها والاليزام بها ، ويبقى هدف القانون عقيم.

صــحــيح ان الاثار الوضعية والطبيعية لعدم الالتزام قد تكون رادعا امام التماهل والتجاهل ، الا انها غير كافية لوحدها ولهذا فقد ادرج سبحانه وتعالى سلسلة من العقوبات لمن يتخلف عن الالتزام بها ، فكما يهدد اقواما بالعقوبة الدنيوية (وامثلة ذلك كثيرة وقد تحققت في الوجود الخارجي واشار اليها الــقــرآن فــي تــبــيانه لحياة الاقوام السالفه) فهو ــ جل شانه ــ قد وضع ايضا العقوبات في الاخرة لمن يتوانى عن التقيد به.

ومن الواضح كذلك انه كلما اشتدت لهجة الترغيب والترهيب ، كلما كان التاثير اقوى واكثر.

وهذا الامر يوضح احد الابعاد الاساسية لفلسفة وجود الجنة والنار.

ربما يقال هنا ان جميع الاثار التي عرضت انما تترتب على الوعيدبالعقاب والجزا ، وعلى هذا ، فما الــمــانــع ان يكون سبحانه وتعالى قد عرض كل هذه التهديدات والتحذيرات ، الا انها لا تتحقق في الــقــيامة ، لعدم وجود ضرورة لها ،وذلك لخلو ذلك العالم من درس العبرة للاخرين وانعدام تكرار الذنب من قبل المجرمين ؟.

ان هذا الكلام يستلزم ان يرتكب اللّه عز وجل القبيح وانه ــ والعياذ باللّه ــيكذب ويتخلف عن وعده فهو يوعد بالعقاب للمتخلفين وحتى انه يقسم بتنفيذوعيده ، وكيف لا يطبق ذلك فعليا ؟ ان هذا الفعل قبيح لا يليق بذاته المقدسة بل ولا يفعله الانسان المهذب الحكيم .

والــنــتــيــجة ان : وجوب التهديد والوعيد بالعقاب والجزا ضمانة تنفيذية ،هذا من جهة ، ومن جهة اخرى لابد من تطبيق تلك الوعود والتهديدات لدفع القبح عن ذاته المقدسة .

وهذه هي فلسفة تحقق جهنم وعقوباته.

ومــن اجــل هذا نصت الاية (٤٧) من سورة ابراهيم : (فلا تحسبن اللّه مخلف وعده رسله ان اللّه عزيز ذو انتقام) (ثم يشرح في اعقاب هذه الاية بعضا من عذاب يوم القيامة).

.٣

ابواب جهنم ودركاته . تمهيد :.

يستفاد من عدة آيات في القرآن الكريم ان لجهنم ابوابا متعددة ،وصرحت احدى الايات بانها سبعة ، فهل تشير هذه الابواب الى الاعمال التي تسقطالانسان في النار وهي في الحقيقة طرق دخول الناس الـــى جـــهنم ؟ كما هو الحال لابواب الجنة التي سبق بيانها ؟ ام انها اشارة الى طبقات جهنم ودركاتها التي ذكرتهاالكثير من الروايات ؟ ام ان كلا المعنيين قد اجتمعا في مفهوم هذه الايات ؟.

مـــن الافـــضـــل ان نبحث اولا في تفسير الايات المتعلقة بهذا الحقل ، لكي نحصل على جواب السؤال المذكور اعلاه .

ومع هذا التمهيد الوجيز نعود الى القرآن ونقراالايات الاتية :.

١ ــ (وان جهنم لموعدهم اجمعين # لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزمقسوم) الحجر ــ٤٣.

٢ ــ (فـــادخـــلـــوا ابـــواب جـــهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) النحل ــ٢٩ ((٣٦٩))

٣ ــ (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها) الزمر ــ٧١.

٤ ــ (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) النسا ــ١٤٥.

تفسير وفذلكة :.

ماهو المقصود من ابواب جهنم ؟.

تتحدث الاية الاولى عن اتباع الشيطان ، الذين وصفتهم الايات السابقة لها ،فقالت (وان جهنم لموعدهم اجمعين # لها سبعة ابواب لكل باب منهم جز مقسوم).

ولكن ماالمقصود من ابواب جهنم ؟ ذكر المفسرون احتمالات مختلفة لذلك .

الاول : انها اشارة الى مداخل جهنم التي تنتهي جميعها في مركز واحد ،كالابواب المتعددة لبناية واحدة في دنيانا هذه ، وهي في الحقيقة تعبير عن كثرة الداخلين الى هذا المكان الذي يتجسد فيه الغضب الالهي ويبدو هذا الاحتمال مستبعدا في ظل الروايات المتعددة التي تفسر هذه الاية .

الثاني : المقصود هو الطبقات المختلفة في جهنم والتي تتفاوت في شدة العذاب ، وعلى هذا فكل واحد من هذه الابواب السبعة ينفتح على واحدة من تلك الطبقات .

وهناك روايات عديدة وردت عن اهل البيت (:) وعن طريق اهل السنة تشهد على هذا التفسير.

فقد ورد في الدر المنثور حديث منقول عن الامام علي (٧) انه قال :((اتدرون كيف ابواب جهنم ؟ قلنا كنحو هذه الابواب ((٣٧٠)) .

وجا عنه (٧) ايضا انه قال : ((سبعة ابواب النارمتطابقات)) ((٣٧١)) .

ونقل عنه ايضا حديث آخر فسر فيه الابواب السبعة لجهنم بالطبقات التي تقع فوق بعضها وسماها باسمائها وهي :.

((فاسفلها جهنم ، وفوقها لظى ، وفوقها الحطمة ، وفوقها سقر ، وفوقهاالجحيم ، وفوقها السعير ، وفوقها الهاوية)) ((٣٧٢)) .

الثالث :ان تعدد تلك الابواب يرجع الى تعدد الاقوام الذين يردون منه.

جا في تفسير روح المعاني نقلا عن بعض المصادر الخبرية بان :((في الدرك الاول المحمديون ، وفي الثاني النصارى وفي الثالث اليهود ، وفي الرابع الصابئون ، وفي الخامس المجوس ، وفي السادس مشركو العرب ، وفي السابع المنافقون وآل فرعون ومن كفر من اهل المائدة)) ((٣٧٣)) .

الرابع : ان المقصود من تلك الابواب هي الاعمال والذنوب التي تسبب دخول جهنم والدليل على هذا الكلام ماياتي :.

اولا : المقابلة الموجودة مع ابواب الجنة ، فتصف بعض الرويات صراحة بان احد ابواب الجنة هو باب ((الجهاد)) او ان احد ابواب الجنة يسمى ((باب المجاهدين)) ((٣٧٤)) ، واشارت روايات اخرى الى الابواب الاخرى وقالت بوجود صلة بينها وبين اعمال الانسان كـ ((الصبر)) و ((الشكر)) وماشابه ذلك .

ثانيا : الروايات التي تنص على ان بعض ابواب جهنم يدخل منها فرعون وهامان وقارون ، ويرد من بعضها المشركون ، وبعضها الاخر يرد منها اعدا آل بيت الرسول (٩) ((٣٧٥)) ، وهذا دليل ايضا على الصلة بين ابواب جهنم والذنوب المختلفة .

الا ان التفاسير الثلاثة الاخيرة يمكن جمعها مع بعضها لان كل واحدة من طبقات النار اكثر ايلاما من الاخرى وكل واحدة من الفئات التي تردها اكثرذنباواجراما من الاخرى ، وكل عمل ارتكبته اسوا مـــن الاخر وعلى هذا الاساس يمكن جمع التفاسير الثلاثة في مفهوم واحد وبالنتيجة تطالعنا ابواب جـــهـــنم بحقيقة وهي كما ان اعمال الانسان مختلفة مع بعضها واصناف المجرمين والكفار متباينة فيما بينها ، فعقوباتهم في العالم الاخر غير متساوية وتختلف فيما بينهااختلافاشاسع.

تخاطب الاية الثانية الكفار الذين ظلموا انفسهم بسلوكهم هذا السبيل الخاطي وتقول لهم : (فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين).

ومـــا يـــلـــفت النظر هنا ان ((ابواب جهنم)) جات هنا بصيغة الجمع في حين يدخل كل فريق من باب واحدة لا من ابواب متعددة (فتامل).

ولـــعل مرد هذا التعبير هو كون المخاطبين جمعا ، ومن الطبيعي عندما تريدجماعة من الدخول الى مكان ما له ابواب عديدة ، فكل فريق يدخل من باب ، اذن فهم جميعا يدخلون من ابواب متعددة ، او ان كـــل فـــريـــق مـــنـــهـــم يدخل تحت عنوان خاص من الباب المخصصة له ، كما ويحتمل ايضا ان يكون مـــخـــاطـــبـــوا هـــذه الايـــة فـــي الـــطبقات الدنيا من جهنم وهذا ما يحتم عليهم اجتياز ابواب وطبقات متعددة للوصول الى هناك .

وعـــلى اي حال فالاية اشارت فقط الى ابواب الجنة من غير ان توضح عددها وبتعبير آخر يبدو ان جـــهنم شبيهة بالسجون الرهيبة المتداخلة في بعضهاوالمكونة من طبقات متعددة ، وهنالك فريق من الـــضالين والمعاندين يجب ان يمروامن خلال كل هذه الطبقات لكي يستقروا في ((قعر جهنم)) او ((الدرك الاسفل)) او في الطبقات القريبة منه .

ورود نـــفس هذا الموضوع في الاية الثالثة وبتعبيرات اخرى حيث قال تعالى : (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها).

وكان هذا التعبير يشير الى ان جهنم تدرك وصولهم حينما يقتربون ، فتفتح لهم الابواب فجاة وهذه الـــرؤيـــة الـــمفاجئة تزيد من روعهم ، في حين جا نفس هذاالمعنى بشان اصحاب الجنة فكان مدعاة لـــمـــزيد من الفرح والسرور لهم ، تاتي هناثانية على ذكر تعدد ابواب جهنم من غير ذكر لعددها ، ومـــن ثـــم يتكرر الحديث هنايضا عن انفتاح جميع الابواب ، في حين يدخل كل فريق من باب ، وقد يكون اختيارهذا التعبير لاسباب ذكرت في الاية السابقة .

وفي الاية الرابعة ليس هناك ذكر للابواب ، بل تركز الحديث عن الطبقة السفلى من جهنم ، وهو ما يـــظـــهـــر تـــعدد طبقات جهنم ، اذ تقول الاية : (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار

ولن تجد لهم نصيرا).

يـــطـــلـــق في اللغة العربية على الخطوات الصاعدة نحو الاعلى اسم ((الدرجة)) وعلى النازلة الى الاسفل اسم ((الدركة)).

وهذه الكلمة ماخوذة من المصدر ((الدرك)) وهو بمعنى بلوغ الشي ونيله ، ولهذا يطلق على الحبال الـــتـــي توصل مع بعضها لتصل الى قعر البئر اسم ((الدرك)) وتسمى اعمق نقاط البحر او الاماكن الاخـــرى بـــاســـم ((الـــدرك)) (عـــلـــى وزن فلك) ، وعلى هذا الاساس وصف ((الدرك)) في الاية الشريفة بـــ ((الاسفل)) من باب التاكيد والقيد التوضيحي .

وعـــلـــى ايـــة حـــال فهذه هي الاية الوحيدة الحاوية على اشارة لطبقات جهنم ،ويمكن ان نطابق معها الايـــات السابقة التي تحدثت عن ابواب جهنم ،والنتيجة هي نفس ما افادت به الايات السابقة وهي ان ابواب جهنم ليست في ازا بعضها الاخربل هي فوق بعضها طوليا ، واحداها فوق الاخرى .

يـــقـــول الـــفـــخـــر الرازي في تفسيره بعد ان يعطي معنى ((الدرك)) بانه اعمق نقطة في قعر الشي ((فـــالـــدرك مـــايـــلـــحـــق بـــه مـــن الطبقة ، وظاهره ان جهنم طبقات ،والظاهر ان اشدها اسفلها)) ((٣٧٦)) .

ومما يسترعي الانتباه في هذه الاية انها حددت اسفل قعر جهنم كمكان للمنافقين اسوا مايدل على ان ((النفاق)) هو اسؤ الذنوب ويستوجب الدرك الاسفل من جهنم وسبب ذلك جلي فالخطر الذي يهدد المجتمع الاسلامي من جرا وجودالنفاق يفوق بمرات عديدة الخطر القادم من الاعدا والكفار الذين يبدون كفرهم وعداهم علن.

وجـــا في حديث شريف حول العلما الفاسدين : ((ان من العلما من يحب ان يخزن علمه ولا يؤخذ عنه فذاك في الدرك الاسفل من النار)) ((٣٧٧)) .

وكما ذكرنا فان بعض الروايات تفيد بان لكل واحدة من ابواب جهنم السبع اصحابا خاصين ، ففرعون وهامان وقارون مثلا يدخلون من باب واحد ومن باب اخرى يدخل بنو امية ، ويدخل المشركون من باب اخرى وهكذا ((٣٧٨)) .

ومن البديهي ان دخول فرعون وهامان وقارون او بني امية من هذه الابواب انما يعود لطبيعة اعمالهم ومعتقداتهم ، ولهذا فكل من يشايعهم ويسير على خطهم الفكري والعقائدي يدخل تلقائيا من نفس تلك الباب ، ومن هذا المنطلق تتضح طبيعة العلاقة بين الانسان ((واعماله ومعتقداته)).

.٤

العذاب الجسدي لاصحاب النار. تمهيد :.

كـــمـــا ان الـــثـــواب الالـــهـــي والنعم الموجودة في الجنة تقسم يوم القيامة الى قسمين ((روحية)) و ((مـــاديـــة)) كما سبق شرحه بالتفصيل فكذلك عذاب جهنم ايضا ، اذ يقسم هو الاخر الى نوعين : روحي ، ومادي ، لاننا نعلم ان للمعاد بعدين يستدعي كل منهما مايستحقه من الثواب

والعقاب .

اضافة الى ان اعمال الانسان في هذه الدنيا على صنفين ايضا اولهما :((الاعمال القلبية والروحية)) ، وثـــانيهما ((الاعمال الجسمية والمادية)) وعلى هذا فمن غير الممكن ان يقتصر الثواب والعقاب هناك على نوع واحد.

وتمثل آيات القرآن والروايات الواردة في هذا الصدد شاهدا على هذاالادع.

بعد الانتها من هذا التمهيد الوجيز نواصل تتبع العقوبات الجسدية لاصحاب النار ، ونتمعن في الايات القرآنية الواردة في هذا الحقل ، ونبحثها تحت العناوين التالية :.

١ ــ شدة عذاب اصحاب النار.

٢ ــ طعامهم .

٣ ــ شرابهم .

٤ ــ ثيابهم .

٥ــ سائر عذابهم الجسدي .

١.

شدة عذاب اصحاب النار. ١ ــ (يــود الــمجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه # وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه # ومن في الارض جميعا ثم ينجيه) المعارج ــ١١ ــ١٤.

٢ ــ (فيومئذ لايعذب عذابه احد # ولا يوثق وثاقه احد) الفجر ــ٢٥ ــ٢٦.

٣ ــ (فيعذبه اللّه العذاب الاكبر) الغاشية ــ٢٤.

٤ ــ (انــطــلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب # لا ظليل ولا يغني من اللهب # انهاترمي بشرر كالقصر # كانه جمالة صفر) المرسلات ــ٣٠ ــ٣١.

٥ ــ (ويتجنبها الاشقى # الذي يصلى النار الكبرى # ثم لا يموت فيها ولايحيى) الاعلى ــ١١ ــ١٣.

تفسير وفذلكة :.

تــبــلــغ شدة العذاب في يوم القيامة الى الحد الذي يتمنى فيه المجرم كماوصفه القرآن في الايات من بــحثنا قائلا : (يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه #وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه # ومن في الارض جميعا ثم ينجيه) ((٣٧٩)) .

فــيــتــبــيــن من هذا التعبير وبكل وضوح ان العذاب الالهي في ذلك اليوم شديد جدا ورهيب حتى ان المجرم يغدو مستعدا للتضحية ، بجميع ثروته وكل اعزائه بل وبجميع سكان الارض لافتدا نفسه (لا تعبير افصح ولا ابلغ من هذا)ولكن ما الفائدة لان ايا من هذه التضحيات لا تقبل منه ، فيقع ضحية اعماله وعواقبهاالمؤلمة .

وبعد ان تشير الاية الثانية الى انتباه المجرمين يوم القيامة وندمهم وشدة اسفهم على تفريطهم في ادا الفرائض الربانية ، تقول : (فيومئذ لايعذب عذابه احد #ولا يوثق وثاقه احد) ((٣٨٠)) .

وعلى هذا المنوال فعذابه لا نظير له ، وتوثيقه في الحبال لم يجر على احدمن قبله .
وهـذه الـتـعابير بشكل عام تحمل ابعادا تربوية حث للناس على خشية اللّه وتجنب اليم عقابه ، لان اذهـان الناس قد اعتادت على ان ((اللّه ارحم الراحمين)) فهولا يعذب عباده واذا عاقبهم فعقوبته خـفـيـفة جدا ، وهذا الوهم يدفع الى الجراة على ارتكاب المعاصي والذنوب ، ولذلك يفصح القرآن وبشكل صريح عن وجوب ذلك العذاب ليخرج الناس هذه التخيلات الباطلة من اذهانهم وينتبهوا الى اعمالهم .
وانعكس نفس المعنى في الاية الثالثة الا انه ورد بتعبير آخر فهي تتحدث عن الكفار الذين يديرون ظهورهم للحق فنقول : (فيعذبه اللّه العذاب الاكبر).
والـعـذاب الاكـبـر اشارة الى عذاب يوم القيامة في قبالة العقوبات الدنيوية التي وصفت ((بالعذاب الادنـى)) كـما نصت الاية (٢١) من سورة الم السجدة :(ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر).
وتـجدر الاشارة الى ان العذاب الالهي في الدنيا قد يكون احياناشديداجدا بحق القوم المجرمين كما حصل لقوم لوط اذ دك مدنهم وقراهم دكاوجعلهم هم واياها قاعا صفصفا ، ومع ذلك فهذا العذاب يبقى عذابا ادنى في مقابل عذاب القيامة وهذا ما ينبي عن شدة العقوبة يوم القيامة .
وفي الاية الرابعة ورد تبيان لقسم من العذاب الصارم الذي يلقاه اصحاب النار ، فيقال يومذاك لمنكري الـقـيـامة ومحكمة العدل الالهي اذهبوا الى ماكنتم به تكذبون : (انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب # لا ظليل ولا يغني من اللهب # انها ترمي بشرر كالقصر # كانه جمالة صفر).
تـسـتـعرض هذه الايات اوصافا مثيرة حول شدة عذاب جهنم اذ يقال لمنكري هذه المحكمة الالهية الكبرى والمحملين بشتى المعاصي والذنوب :.
اولا : انـطـلـقوا الى ظل ، ولكن اي ظل ؟ الظل الناتج عن الدخان الخانق المنقسم الى ثلاث شعب ، شعبة منها فوق الراس والاخرى عن اليمين والثالثة عن الشمال ، وهو باختصار ظل قاتل يحيط بهم مـن كـل صوب ظل لاكظلال الاشجارالهادئة في الجنة ، او ظلال السقوف والقصور ، بل انه ظل حارق لشدة حرارته .
ثـانيا : ان لهذا الظل ثلاث شعب مليئة بالشرر المتطاير وكل شرارة فيه عظيمة بحجم القصر ، او كالجمال الصفرا المسرعة نحو كل صوب ، ياله من مكان ،ان كان ظله هكذا فكيف بناره ؟
ويـالـها من عبارات مرعبة ودقيقة ، فالناس يهربون عادة من الحرارة الى الظل ، بينما لا ظل هناك سـوى ظل الدخان الذي تبعث منه النيران ، واذا كان تصورمثل هذا الدخان صعبا في ايام نزول هذه الايات ، فساحات الحروب الاجرامية اليوم وما يلقى فيها من قنابل تغطي كل شي بالدخان والنار فيها قـد تـكـون صـورة مصغرة لذلك العذاب الاكبر ، اضافة الى وجود شرر كبير الحجم وشواظ من نارتتطاير في مساحات واسعة ، وهذا كله في ظلال تلك النار ((٣٨١)) .
وقـد تـكـون كلمة ((القصر)) اشارة الى قصور الظالمين ، ولعل تشبيه شررجهنم بها ، اي

بتلك الــقصور التي تلهب النيران دوما في قلوب المحرومين ، يعكس معنى عميقا ودقيقا ، وكذلك التشبيه بــالجمال الصفر ذات النمط الواحد فهو رمزلثروة المستكبرين ، وهو ايضا تعبير آخر ذو مغزى عميق في هذاالسياق .

وقــد يــتــوهــم البعض ان تشببه الشرر بالقصر حينا وبالجمال الصفر حينا آخريبدو غير منسجم وذلك لان احدهما كبير جدا والاخر صغير نسبي.

ولكن ينبغي الالتفات الى ان كل واحد من هذين التشبيهين يركز على جوانب خاصة ، فالتشبيه الاول للدلالة على عظمة ذلك الشرر ، والتشبيه الثاني يرمزالى الكثرة والسرعة والتطاير في كل صوب كــافــتــراق الجمال المسرعة في الصحرا اوهو اشارة الى اختلاف ذلك الشرر ، فشررها الكبير بحجم قصور الظالمين ، وشررهاالصغير بحجم جمالهم الصفر.

((الــجــمالة)) جمع ((جمل)) اي البعير مثل حجر وحجارة ، و((صفر)) جمع اصفر وهواللون الــمــعــروف وتطلق احيانا على الالوان الغامقة المائلة الى الاسودايضا ،لكن الانسب هنا هو المعنى الاول .

وتلحظ في الاية الخامسة والاخيرة عبارة اخرى تصف شدة عذاب النار.

حيث تقول : (ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولايحيى).

فهذه صورة تعكس العذاب الاليم في جهنم حيث يعيش المعذبون فيهاحالة بين الموت والحياة فلا هم معذرة يموتون وفي ذلك راحة لهم ، ولا الحال التي يحيونها يمكن ان يطلق عليها اسم الحياة ، كما هو حال من يعيش في عذاب شديدفي الدنيا فيجعله يتخبط بين الموت والحياة .

وكلمة ((النار الكبرى)) في مقابل النار الصغرى والتي هي عذاب هذه الدني.

جــا فــي حــديث عن الامام الصادق (٧) انه قال : ((ان ناركم هذه جز من سبعين جز من نار جهنم ، وقد اطفئت سبعين مرة بالما ثم التهبت ، ولولا ذلك ماستطاع آدمي ان يطيقها)) ((٣٨٢)) ، ونقل نفس هذا المعنى عن علي (٧) عن النبي (٩).

واحــتمل بعض المفسرين ان تكون ((النار الكبرى)) هنا اشارة الى قسم من جهنم عذابه اشد (اي ادنى الطبقات فيها) ((٣٨٣)) ، ولكن يبدو ان التفسير الاول يناسب الحال اكثر من التفسير الثاني .

كان هذا جانبا من الابعاد الواسعة لنار جهنم وشدة عذابها الاليم .

٢ ــ ٣.

الطعام والشراب القاتل لاصحاب النار :. تمهيد :.

ذكرنا مرارا بان المعاد يتحقق ببعديه الجسمي والروحي ، وعلى هذاالاساس فالجزا له بعدان ايضا ، ومــن جــمــلــة الــقضايا التي تكون مدعاة للذة الجسم اوسببالعذابه هي الاطعمة والاشرابة فالطعام الــكريه والفاسد النتن والمحرق يعتبرعذابا اليما بينما الطعام او الشراب اللذيذ والطيب يكون سببا لارتــياح الجسم ولذته حتى انه يؤثر على روحية الانسان ايضا ويبعث فيها

البهجة والانشراح على العكس من الاشربة الفاسدة التي تسبب الالم للجسد وللنفس .
ومـــن اجل التركيز على الجوانب التربوية لوجود جهنم ، حذر القرآن المجرمين والمسيئين بشدة مـــن نـــتـــائج اعـــمـــالهم القبيحة وازاح لهم الستار عن النوعية الرديئة للاطعمة والاشربة في جهنم وعرض لهم جانبا منها والتعابير المستخدمة في هذا الصدد تثير الفزع والرهبة لدى على كل انسان وبعد هذا التمهيد المختصر نعودالى القرآن الكريم لنستمع الى آياته الاتية :.

١ ــ (ان شجرة الزقوم # طعام الاثيم # كالمهل يغلي في البطون # كغلي الحميم) الدخان ــ٤٣.

٢ ــ (اذلـــك خـــيـــر نـــزلا ام شـــجرة الزقوم انها شجرة تخرج في اصل الجحيم #طلعهاكانه رؤوس الشياطين # فانهم لاكلون منها فمالئون منهاالبطون) الصافات ــ ٦٢ ــ ٦٦.

٣ ــ (فـــليس له اليوم ههنا حميم # ولا طعام الا من غسلين # لا ياكله الا الخاطئون) الحاقة ــ ٣٥ ــ ٣٧.

٤ ــ (تصلى نارا حامية # تسقى من عين آنية # ليس لهم طعام الا من ضريع# لايسمن ولا يغني من جوع) الغاشية ــ٤ ــ٧.

٥ ــ (انـــا اعـــتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماكالمهل # يشوي الوجوه بئس الشراب وسات مرتفقا) الكهف ــ٢٩.

٦ ــ (ان جـــهـــنم كانت مرصادا # للطاغين مبا # لابثين فيها احقابا # لايذوقون فيها بردا ولا شرابا # الا حميما وغساقا) النبا ــ٢١ ــ٢٥.

٧ ــ (وخـــاب كـــل جبار عنيد # من ورائه جهنم ويسقى من ما صديد #يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ) ابراهيم ــ ١٥ ــ١٧ ((٣٨٤)) .

تفسير وفذلكة :.

الزقوم ــ الحميم ــ غسلين ــ الضريع ــ الغساق ــ الصديد.

نـــواجه في الاية الاولى اول تعبير عن طعام اصحاب جهنم ، وهو شجرة الزقوم حيث يقول تعالى في قرآنه الكريم : (ان شجرة الزقوم # طعام الاثيم # كالمهل يغلي في البطون # كغلي الحميم).

لـــلـــمـــفسرين واصحاب اللغة آرا كثيرة في معنى كلمة ((الزقوم)) التي تكررت ثلاث مرات في القرآن الكريم ((٣٨٥)) فقال البعض انها كلمة عربية ومشتقة من المصدر ((زقم)) وتعني البلع وقـــال آخرون ان هذه الكلمة لم يكن لها وجود في اللغة العربية ودخلت البيئة العربية من افريقيا (الحبشة).

واعتبرها بعض المفسرين واصحاب اللغة اسما لعشب مر كريه الرائحة له اوراق صغيرة وينمو في اقـــلـــيـــم تهامة من شبه جزيرة العرب وكان المشركون يعرفونه جيدا، وهو عشب عصارته

شديدة المرارة وحادة الطعم اذا لامس الجسم تورم ((٣٨٦)) .
ويـــعـــتـــقد الراغب في ((مفرداته)) ان ((الزقوم)) تعني كل طعام تشمئز منه النفس وهو طعام اصحاب النار.
وقال بعض المفسرين : عندما نزلت هذه الكلمة في القرآن قال كفارقريش : ما نعرف هذه الشجرة ، فقدم عليهم رجل من افريقيا فسالوه فقال : هو عندناالزبد والتمر فقال ابن الزبعري : اكثر اللّه في بـــيـــوتـــنا الزقوم فقال ابو جهل لجاريته :زقمينا ، فاتته بزبد وتمر ثم قال لاصحابه : تزقموا ، هذا الـــذي يخوفنا به محمد ، يزعم ان النار تنبت الشجر والنار تحرق الشجر ((٣٨٧)) وقد ادى هذا الـــتـــفـــســـير ببعض اصحاب اللغة والمفسرين الى اعتبار هذاالمعنى هو احد معاني الزقوم ظنا منهم بـــجـــديـــة وواقعية التفسير المذكور ، كما نقل عن الجوهري قول في لسان العرب : (الزقوم اسم طعام لهم فيه تمر وزبد).
اما المجموعة الثانية من الايات فانها تعطي توضيحا اكثرلاوصاف ((الزقوم)) هذا الطعام الكريه المعد لاصحاب النار ، فتقول : (اذلك خيرنزلام شجرة الزقوم انها شجرة تخرج في اصل الجحيم # طلعها كانه رؤوس الشياطين #فانهم لاكلون منها فمالئون منها البطون).
واول مـــا نـــواجه هنا الاعتراض الذي طرحة ابو جهل وقال مستهزئا وهل ينمو الشجر في النار ؟ فالنار عدو الشجر فهي تحرقه .
لـــكـــن هـــؤلا المغرورين الظلمة فاتهم ان القوانين المهيمنة على الحياة الاخرى مغايرة تماما لما هو ســـائد في هذه الحياة فقد ينمو في الجنة عشب او شجرينبثق من قعرها وهو على لونها ويكبر في ظل ظروفها ولا يشبه الاعشاب التي تنموفي حدائقنا وحتى في الحياة الدنيا توجد عجائب من هذا الـــقـــبـــيـــل اذ تـــنـــمـــو مخلوقات حية بين طبقات الثلج وهذا دليل على ان الحياة للكائنات الحية هناك لايـــشـــتـــرط فـــيـــهـــاان تكون (كحياة الكائنات الحية المعروفة في بيئتنا العادية اوليس من العجيب بقاالانسان حيا في جهنم ؟ اما تشبيه فروع هذه النبتة ((برؤوس الشياطين)) مع ان مخاطبي هذه الايات لم يكن احد منهم قد راى الـــشـــيـــطان ولا رؤوس الشياطين ، فقد يكون من باب تشبيه كل قبيح بالشيطان ، كما يشبه كل كـــائن جـــمـــيل بالملاك رغم ان احدا لم يرالملاك ، فنسوة مصر قلن عن يوسف : (ان هذا الا ملك كريم) يوسف ـــ٣١.
وفى محادثتنا اليومية نقول احيانا ان الشخص الفلاني كـــ ((العفريت)) مع ان احدا لم يكن قد راى ((العفريت)) ، بل العفريت كائن وهمي لا وجود له .
وكل هذه التشبيهات جات على اساس التصور الموجود لدينا عن كلمة ((الملاك)) و ((الشيطان)) ، وهي على العموم تشبيهات بليغة ومؤثرة وجميلة .
وعـــلـــى هـــذا فـــالزقوم ليس كريه الطعم والرائحة فقط بل وحتى شكله الظاهري قبيح جدا ، على العكس من الكثير من النباتات السامة في هذه الدنيا ذات المظهر الجميل .
وقـــال جماعة من المفسرين ايضا بان احد معاني الشيطان هو حية قبيحة المظهر شبهت بها

تفرعات الزقوم ، لكن هذا التفسير يبدو مستبعدا ، لان استعمال الشيطان في مثل هذا المفهوم نادر جد.

وفي المجموعة الثالثة من الايات ورد اسم طعام آخر من اطعمة اصحاب النار وهو ((غسلين)) ، فقالت الاية الشريفة : (فليس له اليوم ههنا حميم # ولا طعام الا من غسلين # لا ياكله الا الخاطئون) .

تعني كلمة ((الغسل)) التي وردت مرة واحدة في القرآن الكريم : التنظيف بالما وهي ماخوذة من المصدر ((غسل)) قال الراغب في ((المفردات)) ان ((الغسلين)) هو غسالة ابدان الكفار لكن المعروف بين المفسرين واصحاب اللغة انه دم يشبه الما يخرج من ابدان اصحاب النار ، وبما انه يشبه الما الذي يغسل فيه الانسان لذلك سمي بـ ((الغسلين)) ولعل الراغب قصد نفس هذا المعنى في مفرداته لكن بعضهم اعتبر ((الزقوم)) و ((الغسلين)) بمعنى واحد ، وهو ـ كما قلنا ـ نبات كريه الطعم والرائحة ومخصص اهل جهنم ، لكن المشهور هو المعنى الاول .

ويواجهنا في الاية الرابعة تعبير آخر بشان طعام اصحاب (النار وهو اسم ((الضريع)) وبه اشارت الاية الى فئة من المجرمين قائلة : (تصلى نارا حامية # تسقى من عين آنية # ليس لهم طعام الا من ضريع # لايسمن ولا يغني من جوع).

وقد ذكرت لكلمة ((الضريع)) معان وتفاسير مختلفة لكنها متقاربة المعنى فقال جماعة انه نبات اخضر كريه الرائحة يلفظه البحر ((٣٨٨)) وقال جماعة آخرون انه نبت ذو شوك لاصق بالارض ، تسميه قريش الشبرق اذا كان رطبا ، فاذاييبس فهو الضريع ، لا تقربه دابة ولا ترعاه ، وهو سم قاتل ((٣٨٩)) .

وقال بعضهم ايضا ان الكلمة ماخوذة من المصدر ((ضرع)) بمعنى الضعف والذلة وقالوا : هو طعام يضرعون عنده ويذلون ، ويتضرعون منه الى اللّه تعالى ، طلباللخلاص منه ، فسمي بذلك ، لان آكله يضرع في ان يعفى منه ، لكراهته وخشونته ((٣٩٠)) .

ورد في حديث عن الرسول محمد (٩) انه قال : ((الضريع شي يكون من النار يشبه الشوك ، اشد مرارة من الصبر ، وانتن من الجيفة ، واحر من النار ، سماه اللّه ضريعا)) ((٣٩١)) .

و يفهم من جملة (لايغني ولا يسمن من جوع) ان مثل هذا الطعام لايقوي الجسم ولا يشبع من الجوع ، بل هو طعام غصص وهو بذاته نوع من العذاب ،كما نقرا في الاية (١٣) من سورة ((المزمل)) : (وطعاما ذا غصة وعذابا اليما).

ولكن ينبغي عدم التعجب من مثل هذا العذاب الصارم الذي هو في انتظارالمجرمين الذين كانوا يملؤون بطونهم في هذه الدنيا بانواع الاطعمة اللذيذة الدسمة والحلوة والتي يحصلون عليها بالتجاوز على حقوق الاخرين بانواع المظالم والتعدي ، بينما توجد حولهم الكثير من البطون الجائعة التي لم تشبع طيلة عمرهاولا حتى مرة واحدة ، ويموت

سنويا ملايين الاشخاص جوعا في البلدان الاخرى وهم (المجرمون) يرمون الفاضل من طعامهم في المزابل ، فهؤلا يجب ان ياكلوامثل هذا الطعام في العالم الاخر.

ونـــرى هـــنا ضرورة اعادة الكلام الذي كررناه مرات متعددة وهو ان هذه التعابير كلها اشارات الى الـــيـــم الـــعـــذاب فـــي الـــعالم الاخر والا فلا نعم الجنة ولا عذاب جهنم يمكن ادراكها من قبلنا نحن المحبوسين في سجن الدنيا وكل ما نشاهده هوشبح يترآى لنا من بعيد.

وهـــنـــا يرد اعتراض بديهي وهو ان الاية (٦) من سورة الغاشية تفيد ان طعام اهل النار هو من ((الضريع)) فقط : (ليس لهم طعام الا من ضريع) بينما تذكر الايات الانفة نوعين آخرين من طعام اهل النار وهما ((الزقوم)) و ((غسلين)) وكذلك الاية (٣٦) من سورة (الحاقة) تحدثت عن الغسلين وقالت انه الطعام الوحيدلاصحاب جهنم .

وقد وردت اجوبة مختلفة عن هذا السؤال ، واهمها الثلاثة الاتية :.

١ ــ ان كـــلـــمـــات ((الـــضريع)) و ((الزقوم)) و ((الغسلين)) تعطي جميعامعنى واحدا وهو الـــنـــبـــات الخشن كريه الطعم والرائحة والذي ينمو في جهنم (لكن هذا التفسير لا يتسق مع ما جا بشان الغسلين في الكثير من كتب التفسير واللغة).

٢ ــ اعـــتبر البعض كلمتي ((الزقوم)) و ((الضريع)) بمعنى واحد وهو ما سبقت الاشارة اليه ويـــمـــثـــل طـــعام اصحاب النار ، اما ((غسلين)) فهو شرابهم ، والتعبير عن الاشربة بالطعام ليس بالامر الجديد.

٣ ــ ان الاطعمة الثلاثة المذكورة اعلاه يختص كل لون منها بطائفة خاصة من اصحاب النار تستقرة في طبقة واحدة منها ، وهذا الجواب هو الانسب من بينه.

وفـــي الايـــة الـــخـــامسة تكرر الحديث عن الشراب الردي لاصحاب النار ،فقالت الاية الشريفة في وصـــف حالهم : (انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقهاوان يستغيثوا يغاثوا بما كالمهل # يشوي الوجوه بئس الشراب وسات مرتفقا).

يلاحظ ان هذه العقوبات القاسية قد اعدت للظالمين الذين كانوا يعيشون منعمين مترفين في هذه الدنيا خلف ستائر رقيقة ملونة يحتسون انواع والوان الشراب السائغ اللذيذ وتزهو حفلات شرابهم بسقاة صـــبوحي الوجوه اما في جهنم فهم يتعذبون خلف ستائر من نار وحينما يطلبون الما يسقون بما كانه المعادن المذابة وحرارته دموع اليتامى وآهاتهم لان ما يظهر هناك هو تجسيد لما كان هن.

فـــهـــل يـــمـــكن شرب الما الذي تشوي حرارته الوجوه ؟ يدل هذا على ان بنية الانسان تختلف هناك كـــثـــيرا عما هي عليه هنا ، وان بناها قد وضع بالشكل الذي يحتمل كل هذه الامور فهو يذوق الالم والـــعـــذاب مـــن غير ان يموت ، او ان ذلك اشارة الى انه حينما يرى مثل هذا الما ينصرف عن تناوله ويبقى يتلوى في نار العطش .

وكـــلـــمـــة ((المهل)) (على وزن فعل) تعني ــ كما قال جماعة من المفسرين واصحاب

اللغة ــ ما يتبقى في اسفل آنية الزيت فيكون وسخا كريه الرائحة عادة .
وقــال الــمرحوم الطبرسي في مجمع البيان : (انه المعدن المذاب في حين خصصه بعضهم بالنحاس الــمــذاب) وقــيل انه ما اسود فجهنم سودا وماؤها اسودوشجرها اسود واهلها سود ((٣٩٢)) وقال آخرون انه ضرب من القطران ، وقيل : هوالسم)) ((٣٩٣)) .
ان هذه المعاني وان كانت متفاوتة ، الا ان نتيجتها واحدة وهي الالم والعذاب الاليم لاصحاب النار.
وفــي الــقسم السادس من الايات يرحظ تعبيران آخران بخصوص اشربة اصحاب النار ، وهما ((الــحــميم)) و ((الغساق)) وقد جا احدها الى جانب الاخر :فتقول الاية (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا).
فــسر اكثر المفسوين كلمة ((الحميم)) بمعنى الما الحار الحارق ، والكلمة مشتقة من ((حم)) وتــعــنــي الحرارة و ((الغساق)) ماخوذ من المصدر ((غسق)) وتاتي هذه الكلمة احيانا بمعنى الظلام واحيانا بمعنى الجريان والانسياب وهو هنا الصديدالذي تنضح به اجسام اصحاب جهنم .
ومــما لا يخفى ان الشخص الذي يكون الى جانب النار او في داخلهايصيبه العطش الشديد وحتى في اجوا الصيف الحارة يغلب مثل هذا العطش ولايروى الا بتناول مقدار من الشراب البارد اما اصحاب النار فلا شراب بارد لديهم ، بل ان شرابهم حار كحرارة النار فيزيد من عطشهم .
ولــكن هل يعني هذا الكلام انهم عند مشاهدتهم لهذا الشراب ينصرفون عن تناوله ويبقون يتحرقون فــي نــار الــعــطش ؟ ام انهم يشربونه بالاجبار ، فيتزايدعطشهم شيئا فشيئا ؟ ان التعبير عن تلك الحالة بكملة ((الذوق)) يجعل الموقف مناسب للتفسير الثاني .
رغم ان البعض يميل الى تفسير كل هذه العبارات والتهديدات بخصوص اصحاب النار تفسيرا معنويا وروحــيــا ، كنتيجة للابتعاد عن اللّه والاقتراب من افق الشياطين ولكن كما قلنا مرارا لا يحق لنا حمل الالفاظ على خلاف ظاهرها بلا قرينة واضحة .
وفي المجموعة السابعة والاخيرة من هذه الايات ورد ذكر شراب اصحاب النار بتعابير اخرى كما في الاية الشريفة : (وخاب كل جبار عنيد # من ورائه جهنم ويسقى من ما صديد # يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان وما هوبميت ومن ورائه عذاب غليظ).
كــلمة ((الصديد)) اصلها ((الصد)) وتعني الاعراض والعدول والانحراف عن الشي ثم اطلقت عــلــى الــخــراج والصديد الذي يتجمع بين الجلد واللحم اثناحصول اي جرح وربما سبب ذلك هو انحراف المزاج وتغيره من السلامة الى المرض .
يقول الراغب في المفردات : وضرب مثلا لطعام اهل النار (بانه طعام ردي وكريه الرائحة والطعم).
والــدلــيل على كونه فاسدا ورديئا هو انهم لا يشربونه عن رغبة ابدا بل كرهاواجبارا

ويتحملونه جـــرعـــة فـــجـــرعة وهم في موقف مرير ومؤلم وكان الموت يتهددهم من كل صوب الا انهم خلقوا بالشكل الذي لا يموتون فيه الا بعد نيل جزائهم .

ومـــما يسترعي النظر هنا هو ان هذا العذاب الاليم المذكور في هذه الاية والايات الاخرى يختص بـــالـــظالمين والجبابرة والطغاة (حيث وردت احيانا كلمة ((طاغين)) واحيانا كلمة ((جبار)) وكـــلـــمـــة ((الظالمين)) في احيان اخرى وهذه هي عاقبة الظلم والجور وما هي الا تجسيدا لما صـــدر عـــنـــهم من عذاب بحق الابريا الذين كانواكثيرا ما يقضون السنوات الطويلة في سجونهم لا يـــذوقـــون الا اردا انواع الطعام والشراب ، ويتعرضون لاشد العذاب حتى ان مظاهرهم تتغير ولا يـــعـــود احـــد يـــمـــيزهم حتى امهاتهم (كما هو الحال في وقائع سجنا الحجاج الرهيبة وفي عصرنا الحالي راينا او سمعنا بنماذج منها بحق المسجونين في سجون الطغاة).

فهل ان امثال هؤلا لا يستحقون مثل ذلك العذاب ؟.

يـــتضح من مجموع ما ورد في هذه الايات بان احدى اسوا العقوبات التي يواجهها اهل النار هي الطعام والـــشـــراب اي الاشـــيـــا التي ينبغي ان يلتذ بها الانسان فتصبح وبالا عليه وسببا للعذاب والالم وقد وصف طعامهم بـــ ((الزقوم)) حينا وبـــ((الضريع)) حينا وبـــ ((الغسلين)) حينا آخر ووصف شرابهم بكلمات من قبيل : ((المهل)) و ((الصديد)) احيانا او ((الغساق)) احيانا اخرى وهي عـــلـــى الـــعـــموم اوصاف للاطعمة والاشربة الحارة المحرقة كريهة الطعم والرائحة وكلما تمعنا في اعمال هؤلا المجرمين في الدنيا وما ارتكبوه بحق المظلومين ، فلن نعجب من شدة تلك العقوبات .

ندعو اللّه تعالى ان يجنبنا بلطفه وكرمه كل ذنب تتبعه مثل هذه العقوبات .

.###

.٤

ثياب اهل النار. تمهيد :.

كـــل شـــي في النار عليه صبغة العذاب والعقاب ، حتى الثياب التي تلبس عادة للوقاية من الحر والبرد ووسيلة لمواجهة بعض الاضرار التي قد تصيب البدن ، وتتخذكذلك كاداة للزينة والتجمل نعم حتى هذه الثياب تتحول هناك الى واحدة من اسباب الالم والعذاب .

نعود الى القرآن بعد هذا التمهيد السريع ونقرا خاشعين الايات الاتية :.

١ ـــ (فـــالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم #يصهر به ما في بطونهم والـــجـــلـــود # ولـــهـــم مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذاقوا عذاب الحريق) سورة الحج ـــ١٩ ـــ٢٢.

٢ ـــ (وتـــرى المجرمين يومئذ في الاصفاد # سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار) ابراهيم ـــ٤٩ ـــ٥٠.

تفسير وفذلكة :.

اشارت الاية الاولى الى طائفة من الكفار الذين يجادلون باستمرار حول الخالق جل شانه ، فتقول : (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار).

فهل يفهم من هذا الكلام ان النار محيطة بهم من كل جانب وكانها غدت لباسا لهم ؟ او ان قطعا حقيقية من النار قد فصلت لهم وخيطت على هيئة الثياب ؟ظاهر الاية يشير الى صحة التفسير الثاني والاكثر ايلاما لهم من ذلك ان ((يصب من فوق رؤوسهم الحميم)) ثم تصف الاية فعل هذا الما الحميم على داخلهم قائلة : (يصهر به ما في بطونهم والجلود).

كلمة ((يصهر)) ماخوذة من المصدر ((صهر)) ويعني اذابة الشحم او ماشبهه وتطلق ايضا على كل ما يحمى ويتغير بفعل حرارة الشمس .

ثم تتحدث الاية عن العقوبات الاخرى قائلة : (ولهم مقامع من حديد).

((المقامع)) جمع ((مقمع)) على وزن ((منبر)) وفسرت احيانا بمعنى السوطواحيانا اخرى بالعمود الذي يضرب به على راس الشخص .

ثم اخيرا تصور الاية وضعهم الاليم بالهيئة الاتية : (كلما ارادوا ان يخرجوامنها من غم اعيدوا فيها وذاقوا عذاب الحريق).

لا شك ان هذه العقوبات المؤلمة حتى وان حصل اقل منها في الدنياتؤدي الى موت الانسان لكن البنا الجسدي للمجرمين هناك يكون بالشكل الذي لايؤدي الى القضا عليهم لتنفيذ هذه العقوبات ، فيذوقوا جزا اعمالهم وهذا يدل على ان القوانين السائدة في ذلك العالم تختلف عما موجود في عالمناهذا (فتامل).

نشاهد في الاية الثانية تعبيرا جديدا عن ثياب اهل النار ، وردفيها : (سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار).

((سرابيل)) جمع ((سربال)) قال الراغب في المفرادات هو القميص من اي مادة كان وورد نفس هذا المعنى ايضا في ((لسان العرب)) و ((صحاح اللغة)) وفسرهاالبعض الاخر باي نوع من الثياب .

وجا في كتاب ((التحقيق)) بان السربال يعني الثوب الذي يغطي القسم الاعلى من البدن ، وكلمة ((سروال)) بمعنى الشي الذي يغطي الجز الاسفل منه واطلقت لفظة السربال ايضا على القماش الذي لم يخط ويلقى على البدن وعلى الدرع التي تلبس في الحرب .

اما ((القطران)) (ويلفظ احيانا قطران واحيانا قطران) فيعني مادة سوداقابلة للاحتراق وتبعث عند احتراقها رائحة كريهة وتستخرج هذه المادة من شجرة تسمى (ابهل) وتغلى حتى تصبح صلبة القوام وتطلى بها ابدان الجمال لعلاجها من الجرب فكانوا يعتقدون ان هذه المادة تزيل الجرب ((٣٩٤)) .

وهناك نوع آخر من القطران ايضا ويستخرج اثنا تقطير الفحم الحجري لاعداد الغاز منه .

ويفهم من بعض الكتابات ان القطران سائل زيتي لاصق يستخرج من الاخشاب التي تفرز الصمغ ومن اشجار اخرى ، ويستفاد منها في البيطرة لعلاج الالتهابات ((٣٩٥)) .

وعــلى اية حال يستفاد من الاية المذكورة بان ابدان اهل النار تغطى بمادة سودا قابلة للاحتراق بدل الــثــياب ، وكل شي فيها على العكس مما يتوقعه الانسان من الثياب فهو يتوقع ان الثياب زينة ، وتقي الانسان من مخاطر الحر والبرد الا ان هذه الثياب المخصصة لاهل النار قبيحة وكريهة المنظر ، وكريهة الرائحة ايضا وتحترق في نار جهنم .

هــذا جــزا مــن كــان يتبختر امام اليتامى والمستضعفين الحفاة فبافخر انواع الثياب الموشاة بالذهب يتفاخرون عليهم فيحرقون قلوبهم ، فهذا نصيب الظلمة والمجرمين من الثياب في يوم القيامة .

سائر العذاب الجسدي لاهل النار. تمهيد.

تــمثل جهنم مبدئيا مركز الغضب الالهي وكل شي فيها مطبوع بطابع العذاب والعقاب بالوانه واشكاله المختلفة التي يتصورها الذهن او لا يتصورها ومعدللظالمين والمجرمين .

وقــد اشار القرآن الكريم في مواضع متفرقة الى جوانب من ذلك العذاب (سوى ماتم ذكره) ، نقرا نماذج منها في الايات الاتية :.

١ ــ (واصــحاب الشمال ما اصحاب الشمال # في سموم وحميم # وظل من يحموم# لا بارد ولا كريم) الواقعة ــ٤١ ــ٤٤.

٢ ــ (ان الــذين كفروا بياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان اللّه كان عزيزا حكيما) النسا ــ٥٦.

٣ ــ (والــذيــن يــكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل اللّه فبشرهم بعذاب اليم # يوم يحمى عــلــيها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون) التوبة ــ٣٤ ــ٣٥.

٤ ــ (واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا # لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا ودعوا ثبورا كثيرا) الفرقان ــ١٣ ــ١٤.

٥ ــ (تلفح وجوههم وهم فيها كالحون) المؤمنون ــ١٠٤.

٦ ــ (اذ الاغــلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في الناريسجرون) غافر ــ٧١ ــ٧٢.

٧ ــ (وقــال الــذى ن فــي الــنار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب # قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوافادعوا وما دعا الكافرين الا في ضلال) غافر ــ٤٩ ــ٥٠.

تفسير وفذلكة .

رياح مهلكه ، وظلال محرقة :. قسمت الاية الاولى الناس الى ثلاث فئات وهي : فئة ((المقربين)) و((اصحاب اليمين)) و ((اصــحاب الشمال)) ثم قالت عن اصحاب الشمال (وهم الذين يتسلمون كتبهم بيد الشمال دلالة على سؤ عملهم) انهم : (في سموم وحميم # وظل من يحموم#

لا بارد ولا كريم).

وفـــي الـــحقيقة ان النار كالجنة فيها ما وهوا ونسيم وظل ، ولكن ياله من نسيم ، فقد سماه القرآن بـــ ((السموم)).

((السموم)) ماخوذة عن كلمة ((السم)) وتعني الهوا اللاسع من شدة حرارته الذي يدخل المسام (الفتحات الدقيقة على جلد الانسان) ويسبب هلاكه .

(وقد سميت كلمة ((السم)) بهذا الاسم لانها تنفذ الى جميع دقائق وثغرات الجسم لان السم على قول الراغب يعني اي فتحة دقيقة كفتحة الابرة وفتحة الانف والاذن) ((٣٩٦)) ويوجد لديهم ما ايضا الا انه حار وقاتل ، ولديهم ظل الا انه من دخان اسود كثيف وحار حـــيـــن يتعرض الانسان للحرارة الشديدة في هذه الدنيا ، فاما ان يجعل نفسه عرضة لمهب النسيم او يـــدخـــل في الما او يلتجي الى الظل ، وهذه الثلاثة كلها حارة وقاتلة هناك على العكس من الجنة التي تكون اماكنها الواحدة ابرد من الاخرى واكثراثارة للبهجة والارتياح .

واشارت الاية الثانية الى واحدة اخرى من العقوبات الصارمة للكفرة ،فقالت : (ان الذين كفروا بياتنا ســـوف نصلهم نارا) ((٣٩٧)) ثم تضيف : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان اللّه كان عزيزا حكيما).

والـــجملة الاخيرة هي في الحقيقة اجابة عن هذا السؤال : هل ان عذابا كهذاممكن ؟ وان كان ممكنا فهل هو عادل ؟ وعـــرض بـــيـــن الـــمفسرين سؤال معروف وهو : اذا تبدلت هذه الجلود بجلوداخرى ، فما ذنب هذه الجلود الجديدة حتى تتعذب ؟.

طـــرح المفسرون الكبار اجابات متعددة عن هذا السؤال وافضلها هوجواب الامام الصادق (٧) حين طـــرح عـــلـــى السؤال الذي طرحه ((ابن ابي العوجا))الذي ساله بعد قراة هذه الاية : ((ماذنب الغير)) ؟.

فاجاب الامام (٧) جوابا غنيا ومقتضبا : ((هي هي وهي غيرها)).

قـــال ، فمثل لي في ذلك شيئا من امر الدنيا قال : ((نعم ارايت لو ان رجلااخذلبنة فكسرها ثم ردها في ملبنها فهي هي وهي غيرها)) ((٣٩٨)) .

ووفقا لهذه الرواية ،فان جلودا جديدة ستنشامن الجلود الاولى فتتغيرالصورة مع الحفاظ على وحدة المادة .

وقال جماعة ايضا : ان كانت الصورة والمادة غير الصورة والمادة للجلودالسابقة عندئذ تحصل اية مـــشكلة لان عذاب القيامة تذوقه الروح لا الجلد ، وراوا ان التعبير بـــ ((ليذوقوا العذاب)) دليل عـــلـــى صحة هذا القول ولهذا السبب كثيرا ما يحصل ويرتكب الانسان ذنبا بعضو فينزل العقاب على عـــضـــو آخر، كان يشرب الخمر مثلافيضرب ثمانين سوطا على ظهره ، فيكون هذا في مقابل ذاك وايذا الجسم وسيلة لايذا الروح .

وفـــي الاية الثالثة اشارة الى جزا طائفة اخرى من المسيئين من الذين كانوايكنزون الذهب

والفضة والدراهم والدنانير ولا يؤدون ما عليها من حقوق شرعية فتقول الاية الشريفة : (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل اللّه فبشرهم بعذاب اليم).

ثــم تــشــيــر الاية الى جانب من هذا ((العذاب الاليم)) وتضيف : (يوم يحمى عليها في نار جهنم فــتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) ويقال لهم حينها : (هذاما كنزتم لانفسكم فذقوا ماكنتم تكنزون).

يــعطي هذا التعبير اجابة عن سؤال مهم بخصوص الايات المتعلقة بالعذاب الالهي الشديد يوم القيامة وهو ان هذا الجزا يعتبر ثمرة لاعمال العبادونتيجة فعلهم تتجسد لهم يوم القيامة على هذه الشاكلة ، فــهــم فــي الــحــقــيــقة يذوقون افعالهم تماما كالشخص الذي يسرف عدة ايام في تناول الخمر فيقع فريسة لامراض مؤلمة وشديدة ويبقى يعاني منها طوال حياته .

زنزانات جهنم الانفرادية :. يــواجــهنا في الاية الرابعة نموذج آخر من العقاب المتنوع الذي يلقاه اهل الناراذ تقول : (واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا).

فــيــقــال لهم لافائدة من صياحكم وصراخكم هذا فهو لا ينفع شيئا ،فمصائبكم جمة تستحق الثبور والويل : (لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعواثبوراكثيرا).

ويــتضح جيدا من هذا التعبير بانهم ليسوا احرارا حتى فى جهنم فهم في مايشبه الزنزانات مقيدون بالاغلال والسلاسل حتى تتعالى اصواتهم ولكنها لا تحل لهم اية مشكلة .

كــلــمــة ((مــقــرنين)) ماخوذة من المصدر ((قرن)) ، وتعني في الاصل ــ كما قال الراغب في ــ الــمفردات اجتماع شيئين او اكثر لسبب من الاسباب ، ولهذا يطلق على الحبل الدي تربط به الاشيا ((قرن)) (على وزن كلمة نظر) ويقال ((قرن)) للقوم والجماعة الذين يعيشون في زمان واحد ، ويــطــلق احيانا على الزمن لوحده وحينماتدخل هذه الكلمة في باب التفعيل فذلك دلالة على الكثرة والشدة .

ولــهــذا فــقد تم احيانا تفسير كلمة ((مقرنين)) في هذه الاية بمعنى شدوتوثيق ايدي وارجل اهل الــنــار ، وقال آخرون ايضا : يربط اهل النار في ذلك اليوم جماعات جماعات بسلسلة طويلة وهذا تجسيد للارتباط الفكري والعملي للمجرمين الذين كانوا يتعاونون في هذه الدنيا على الفساد والظلم والعدوان على حقوق المظلومين ويتمرون عليهم .

ولــكــن لــو التفتنا الى عبارة ((مكانا ضيقا)) لوجدنا التفسير الاول هو الانسب وهذا ايضا تجسيد لاعمالهم في هذه الدنيا حين كانوا يزجون بالابريا في الزنزانات ويقيدونهم بالسلاسل ، او يفرضون عليهم مثل هذه القيود في الحياه الاجتماعية فيصبحون كالسجنا مسلوبي القدرة على اية حركة .

((الثبور)) في الاصل بمعنى الهلاك رغم ان صاحب ((مقاييس اللغة)) قد ذكرله ثلاثة معان وهي : الهلاك ، والمراقبة ، واللين ولذا يقال للارض المتراكم ترابهافوق بعضه كالنورة ((ثبرة)).

ولـــكـــن قد تكون كل تلك المعاني راجعة في الاصل الى معنى الهلاك ، لان اجتياز مثل هذه الاراضي لايـــخلو من الخطورة ،، ولما كان الانسان يشدد في حماية نفسه وممتلكاته في المواقف الحرجة لذا فـــقـــد استخدمت هذه الكلمة بمعنى المراقبة ايضا ، وعلى اية حال فان العربي عندما كان يواجه امرا خطيرا كان ينادي ((واثبورا)) ومعناه واويلتاه لقد هلكت وهذا مايعكس شدة الاذى والشعور بالالم .

ولـــعـــل التعبير :(لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وداعوا ثبورا كثيرا) فيه اشارة الى العوامل المتعددة لـــلهلاك او شدة او طول مدة هذه العوامل في جهنم ، وعلى اية حال فهذا ايضا تجسيد لاعمالهم التي كـــانـــوا يـــمارسونها في هذا العالم وما كانوايرتكبونه من ذنوب وما يسببونه لعباد اللّه من المصائب والمسي وما يفتحونه عليهم من ابواب الهلاك من كل صوب .

ويـــلـــحظ في الاية الخامسة وجه آخر من وجوه هذا العذاب الاليم ، فتقول :(تلفح وجوههم النار) ولهذا :(وهم فيها كالحون).

كلمة ((تلفح)) ماخوذة من المصدر ((لفح)) (على وزن فتح) وتعني على قول معظم اصحاب اللغة تـــاثـــيـــر حرارة الشمس والنار والرياح السموم على الوجه وتغييره ،وتطلق هذه الكلمة ايضا على ضربة السيف لشباهتها بضربة حرارة الشمس ولهيب النار ورياح السموم .

وتستخدم احيانا كلمة ((نفح)) بدلا من كلمة ((لفح)) على المراحل الاخف .

و((كـــالحون)) مشتقة من ((الكلوح)) ومعناها ــ حسب مايراه الكثير من اهل اللغة والمفسرين هو الـــتـــعبيس والتقطيب ، بينما تبقى الشفاه مفتوحة وهذه الحالة تحصل على وجوه اصحاب جهنم بسبب شدة لهيب النار وهى تمثل في مجموعهاوصفا لتاثير ضربات لهيب النار على وجوههم وهو امر مؤلم جـــدا على تلك الوجوه التي كانت كثيرا ما تقطب وجوه المستضعفين ، والشفاه التي تبقى منفتحة عن بعضهاللاستهزا منهم والانتقاص منهم بضحكات السخرية ان هذه الاعمال القبيحة المؤلمة تتحول في نهاية المطاف الى عذاب اليم لهم .

وفي القسم السادس من هذه الايات يطالعنا نمط جديد من الجزا الذي يتعرض له هؤلا : اذ تقول الاية انـــهـــم يـــطلعون سريعا على نتائج اعمالهم وحينها :(اذالاغلال في اعناق هم والسلاسل) ثم تضيف الاية : (يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون).

((الاغـــلال)) جـــمـــع ((غل)) ، ((والسلاسل)) جمع ((سلسلة)) واختلافهما هو ان الغل حلقة تـــوضع في رقبة او ايدي وارجل السجنا والسلسلة هي ما يوثق او يشد به السجنا او توضع مباشرة على اليد والرجل والرقبة .

وكـــلـــمـــة ((يـــسحبون)) ماخوذة من المصدر((سحب)) (على وزن كلمة سهل)ولهذا السبب يقال للغيوم ((سحاب)) لانها تنسحب على صفحة السما على نطاق واسع ((٣٩٩)) .

ويـــرى بـــعضهم ان هذه الكلمة تعني السحب على الارض ((٤٠٠)) وهذا مالايتسق والاية موضع بحثنا ، ولا مع بعض مشتقاتها ككلمة السحاب .

واشـــتـــقت كلمة ((يسجرون)) من المصدر((سجر)) (وهو على وزن زجر) وجالها ثلاثة معان فـــي كتاب مقاييس اللغة وهي : المل ، والمزاح ، والاذكا لكن بعضهم يرجع هذه الفروع الثلاثة الى اصـــل واحـــد ويـــقول : المعنى الاصل لها هو الهيجان والتساقط من شدة الامتلا ، ولهذا اطلقت كلمة ((مـــســـجـــور)) و ((ســـجـــير))على النارالمذكاة او المتقدة وعلى البحر الطافح المواج ، وعلى الصديق الحميم الذي يفيض بالمحبة والاثارة .

واستنادا الى وتاسيا على ما سبق ذكره ، فهم يغلون ويشدون بالسلاسل اولا ومن ثم يدخلون في الما الحار المحرق ثم في النار ، ومن الواضح ان ادخالهم في النار بعد الما الحار سيكون اشد الم.

وهـــذا تجسيد لاعمالهم التي كانوا يمارسونها بحق الابريا في الدنيا اذكانوا يذيقونهم ابشع صنوف العذاب ، حيث يصادرون حرياتهم ويسحبونهم بالسلاسل والاغلال .

نـــستخلص من مجموع هذه الايات ان عقوبات اهل النار هى مما لايسع لهاالوصف ، ولا يتحملها اشد الناس قوة وجلدا ، انها عقوبات اشد ما تكون من القسوة والايلام .

ايضاحات .

لماذا يكون العذاب الالهي شديدا الى هذا الحد ؟. ان شـــدة وتـــنوع وطول مدة هذه العقوبات تثير هذا التساؤل لدى الكثير من الناس وهو كيف ينسجم هذا العذاب الاليم مع اللطف الرباني هذا من جهة ، ومن جهة اخرى كيف تتناسب العقوبات المذكورة مـــع اعـــمـــال اصـــحاب الجحيم ؟ ولعل عدم القدرة على تقديم اجابة شافية على هذا الاعتراض دفع جماعة الى حملهاعلى معان مجازية او القول بانها عقوبات روحية .

لـــكـــن الالتفات الى النقطة التي تعتبر المفتاح لحل مثل هذه المشاكل ،والتي لفتنا اليها الانظار مرات متعددة سيساعد على فك هذا اللغز وهي ان هذه العقوبات تمثل على الاغلب تجسيدا لاعمال الانسان وهي حصيلة له.

وهو مانشاهد نماذج مختلفة منه في عالمنا هذ.

فـــهناك مثلا اشخاص يقعون ضحية لبعض انواع الادمان الخطيرة لمجردتحقيق لذة وهمية عابرة ، وهـــذا الادمـــان يـــؤدي عادة الى استهلاك كل طاقاتهم وسريعا ما يتحولون الى كائنات منهكة محملة بـــانـــواع الامـــراض القاتلة التي يظلون يعانون منها ويتخبطون فيها بقية اعمارهم او انهم يتعرضون لـــلاصـــابـــة بـــبعض الامراض المستعصية على العلاج ـــ نتيجة للانحرافات الجنسية ـــ امثال مرض الايدز ، ان الانسان عندما يرى الاشخاص المصابين بهذا المرض ياسى على حالهم ويتاسف على ماهم فيه من العن.

فهل يمكن القول لماذا تصبح حصيلة هذا الادمان او هذ الانحراف على هذه الدرجة من الشدة وطول المدة ؟ اذ لايوجد بينهما اي تناسب منطقي .

ولو تفوه احد بمثل هذا الكلام ، لقيل له على الفور : هذه هي نتيجة عملهم وقداخطروا وانذورا

بها من قبل ويصدق نفس هذا المعنى على العذاب الذي يلقاه اصحاب جهنم ايض.
وقد لوحظ في كثير من الاحيان ان بعض الاشخاص قد تعرضوا الى حوادث السيارات ــ لعدم اهتمامهم بمراعاة اصول السوق ــ فاصيبت منهم الايدي والارجل او العمود الفقري وظلوا يعانون الالم طوال حياتهم ، في حين كان باستطاعتهم تجنب كل ذلك من خلال الالتزام الصحيح بتعليمات المهنة ، فحينما يدور الحديث عن نتائج العمل وآثاره الطبيعية ، لايبقى هناك اي مجال لطرح التساؤلات الواردة اعلاه اضافة الى ذلك يوجد بين اصحاب النار اشخاص جلبواللاخرين مثل هذا العنا وهذا العذاب ، ولو تمعن الانسان في انواع التعذيب التي تمارس في عالم اليوم ــ ناهيك عما جرى منه في العصور الغابرة ــ لايقن ان مرتكبيهايستحقون بالتاكيد هذه العقوبات الشديدة ، بل ان ظلم الظالمين يصل احيانا الى حديبلغ مرحلة من التفنن والتمادي بحيث يحسب الانسان عدم وجود اية عقوبة تناسبه .
.٥
العذاب الروحي . تمهيد :.
كما توجد في الجنة نعم وفيرة ولذيذة للجسم والروح ، اذ يكمل احدهماالاخر ولا يمكنهما الانفصال عن بعضهما بسبب اقتران المعاد الجسمي بالمعادالروحي ، فكذلك توجد في جهنم عقوبات لكلا النوعين ، والايات الشريفة الواردة في هذا الحقل تثبت صحة هذا القول : فلنقرا خاشعين هذه الايات :.
١ ــ (والذين كفروا وكذبوا بياتنا فاولئك لهم عذاب مهين) الحج ــ٥٧.
٢ ــ (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار) آل عمران ــ١٩٢.
٣ ــ (كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) الحج ــ٢٢.
٤ ــ (ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون # قال اخسؤا فيها ولاتكلمون) المؤمنون ــ١٠٧ ــ١٠٨.
٥ ــ (وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب #قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا ومادعاالكافرين الا في ظلال) المؤمن ــ٤٩ ــ٥٠.
٦ ــ (اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) الفرقان ــ١٢.
٧ ــ (ياايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليهاملائكة غلاظ شداد لا يعصون اللّه مامرهم ويفعلون مايؤمرون) التحريم ــ٦ ((٤٠١)) .
٨ ــ (ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة اللّه على الظالمين) الاعراف ــ٤٤.
تفسير وفذلكة :.
الحزن والهم القاتل والحسرة اللامتناهية :. المقصود من العقوبات والالام الروحية مجموعة من الضغوط التي تضغطعلى روح الانسان ونفسه وان كانت لاتؤثر على جسمه في الظاهر او ان

لها تاثيراثانياذ تؤذي الجسم مباشرة وتؤلم الروح ايض.
فنرى في الاية الاولى نموذجا للقسم الثاني فتقول : (والذين كفروا وكذبوابياتنا فاولئك لهم عذاب مهين).
لـــم يـــتـــسع حديث القرآن هنا لاعطا مزيد من الايضاحات حول كيفية هذاالعذاب ، والاسلوب الذي يـــؤدى لا هـــانة واذلال اصحاب النار ، بل اشار الى الموضوع اشارة عامة تشمل ــ بلا شك ــ جميع الـــجوانب المهينة في عذاب جهنم التي تؤدي الى اذلال المستكبرين الطغاة ودفعهم الى ادنى درجات الذلة .
وقـــد احـــتـــمـــل بعض المفسرين ((كالقرطبي)) بان العذاب المهين اشارة الى المصير الذي آل اليه الـــمـــشركون في معركة بدر ، ولكن لو التفتنا الى الاية السابقة التي تحدثت عن ((جنات النعيم)) للمؤمنين لراينا ان الاية دالة على العذاب المهين الموجود في النار.
وعـــلـــى كـــل حـــال يـــدل هذا التعبير الذي ورد عدة مرات في القرآن الكريم على ان عذاب الجحيم مـــقـــرون بانواع الاهانات التي تؤلم كلا من الروح والجسد ،وهذا تجسيد للتحقير والاستهانة التي كانوا يبدونها للانبيا والمؤمنين والمستضعفين من اهل الايمان وهذا مايستلزم ان يتلقوا في ذلك اليوم نتيجة عملهم بهذه الصورة .
وفي الاية الثانية كان الحديث عن افتضاح اهل النار وهذا هو عذاب معنوي مؤلم ، فقد نقلت لنا الاية ذلـــك عـــلـــى السنة العلما من اهل الايمان الذين اطلقت عليهم ((اولو الالباب)) فقالت : (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ومالظالمين من انصار).
((اخـــزيـــته)) ماخوذة من ((الخزي)) ولها معان عديدة في كتب اللغة مثل : سؤالحال ، والابتعاد ، والذلة ، والافتضاح ، والاستهانة ، ونفس هذه المعاني وردت في كلام المفسرين ايضا ((٤٠٢)) .
يـــتضح من سياق الاية ان العقوبات النفسية يوم القيامة اكثر ايلاما ، لان اولي الالباب يطلبون من اللّه عز وجل ان لا يدخلهم النار ويقولون : انك من ادخلته النار فقد اخزيته اشارة الى ان الشي الاسؤ من الـــنـــار هـــو ذلـــك الخزي تماما مثل بعض الاشخاص الذين لا يابهون كثيرا لدخولهم السجن ولكنهم يـــحرصون كثيرا على عدم انتشار هذا الخبر ، لان انتشاره يؤدي الى افتضاحهم في المجتمع وهو مايعتبرونه اشد ايذا وايلاما من السجن ذاته .
اما جملة (وما للظالمين من انصار) فهي اشارة الى هذه الحقيقة وهي ان كل مايجري عليهم اليوم انما جا نتيجة لظلمهم ، فمن الطبيعي ان يفتضحوا هناك ويذلوا ولا يجدون ناصرا ولا معينا (هذا التعبير لايـــتـــنـــافى طبعا مع قضية الشفاعة لمن يستحقها ، لان المقصود هنا نفي الناصر الذي يعين الظالمين بقدرته ونفوذه ، لا عن طريق الاستعانة بالقدرة الربانية).
تـــطـــرقت الاية الثالثة الى موضوع الغم والحزن الذي يعاني منه اصحاب جهنم وهو ما يعكس آلامهم النفسية ، وقالت : (كل ما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب

الحريق).

قـــال الـــكثير من المفسرين انهم كلما ارادوا الخروج من هذا الغم والتحرر منه واللجؤ الى اطراف جهنم ، يقوم خزنتها بارجاعهم بالهراوات او الاسواط النارية ،لان الاية السابقة قد اشارت الى هذا المعنى وخاصة الجملة التي تنص على : (ولهم مقامع من حديد).

وجـــمـــلـــة (وذوقـــوا عـــذاب الحريق) التي تقال لهم من باب التقريع والاستهانة تعتبر هي الاخرى نموذجا لهذا العذاب النفسي ((٤٠٣)) .

كثرة اللوم والتقريع :.

نواجه في الاية الرابعة صورة جديدة للاهانة والاحتقار التي يلقاهااصحاب النار وهذا ــ كما قلنا ــ نـــوع من العذاب النفسي الاليم ، وتقول الاية المباركة :(ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) ، فيقال لهم من قبل اللّه تعالى : (قيل اخسؤافيها ولاتكلمون).

وقـــد صـــرح جميع اصحاب اللغة والمفسرون بان كلمة ((اخسا)) تعبيريستخدم لطرد الكلب وان استخدامه هنا فيه دلالة على احتقار هؤلا الظلمة والمستكبرين .

ولـــعل كلمة ((لاتكلمون)) اكثر منها مرارة واستهانة ، فالمولى الكريم الرحيم يطرد عبده ويقول لـــه لا تكلمني ابدا ، وهذا هو نفس المعنى الذي اشارت اليه العبارة الواردة في دعا كميل : ((فهبني يالهي وسيدي ومولاي صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك)).

ولـــكن لماذا يواجه هؤلا مثل هذا العذاب النفسي القاتل ؟ تزيح الايات التالية الستار عن هذه القضية فـــتـــقـــول : (انـــه كـــان فـــريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفرلنا وارحمنا وانت خير الراحمين # فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون) المؤمنون ــ١١٠.

فكانت نتيجة ذلك الاستهزا والضحك على المؤمنين ان اصبحتم اليوم عرضة للاستهزا والاحتقار ، وهذا في الحقيقة تجسيد لاعمالكم ونـــرى فـــي الايـــة الـــخـــامسة مشهدا آخرا يصور اللوم والتعنيف والاحتقارلاصحاب النار من قبل خـــزنتها وملائكة العذاب فتقول : (وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب # قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعا الكاف رين الا في ظلال) .

فهذه التعابير تبدو وكانها سياط تلهب ارواحهم وتعذبهم ، فطلبوا يوماواحدا للراحة من ذلك العذاب الا ان طلبهم رفض ، فطلبوا من خزنة النار ان يدعوا لهم ، لكن هؤلا قالوا لهم : انتم ادعوا بانفسكم ، الا ان هذا الكلام يعتبر اهانة لهم بسبب عدم اهليتهم للدعا او ان دعاهم يجب ان يكون مسبوقا باذن مـــن اللّه ــ وهـــو جلت قدرته ــ لا يسمح لهم ولا ياذن بمثل هذا الدعا ، او انه دعا غيرمستجاب فهو اذن عـــبـــث لااكثر ، ولذا فهم ينزعجون حتى من الدعا لهم ويقولون انتم ادعوا ربكم (واعلموا انه غير مستجاب لكم) وهذا ايضا تعبير مؤلم آخر.

وتـــعـــكس الاية السادسة جانبا آخر من العذاب الروحي لاصحاب النارفتقول : (اذا راتهم من

مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا).

تـــصـــور هـــذه الايـــة هنا لجهنم وكانها تمتلك جميع صفات الحيوان المفترس فحين رؤيته لفريسته تـــنـــطـــلق منه اصوات مرعبة تنم عن الغضب مصحوبة بالتنفس الشديد ، وهذا المشهد كفيل بارهابه والقضا عليه .

و((الـــتغيظ)) ماخوذ من المصدر ((غيظ)) ، وهو ما قال الراغب بانه يعني شدة الغضب ، والتغيظ بـــمـــعـــنـــى اظـــهاره ، ومع ان حالة الغضب لا تسمع ولكن ترافقهااصوات دالة عليها قابلة للاستماع كالاصوات المرعبة .

وتـــعني كلمة ((الزفير)) صعود ونزول النفس في الرئة بحيث يرتفع الصدر الى الاعلى وغالبا ما يصحبه صوت رهيب يمكن سماعه .

امـــا الـــمفسرون الذين لا يمكنهم التصديق بان جهنم كائن حي يرى ويدرك ويعرف المجرمين ، فقد اضطروا الى القول بان هناك شيئا مقدرا فقالوا : المقصود هورؤية خزنة النار بينما نعلم ان التقدير خـــلاف الـــقاعدة ولا حاجة له هنا ، فما المانع ان يكون لجهنم والجنة روح وانهما تدركان الحوادث الـــتـــي تـــقع فيهما ؟ حتى ان بعض الروايات ذكرت ((يخرج عنق من النار له عينان تبصران ولسان يـــنـــطق فيقول وكلت بكل من جعل مع اللّه الها آخر فلهو ابصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه)) ((٤٠٤)) .

ونـــحـــن نرى امثلة مصغرة لهذا المسالة في الدنيا منها مايتمثل في وضع العيون والاذان الالكترونية الـــمرتبطة باجهزة الكومبيوتر في البنايات المختلفة ،فتقوم تلك الاجهزة بمشاهدة وسماع الكثير مـــن الاشـــيـــا والحوادث وتبدي ازاها ردالفعل المناسب رغم ان البناية لاتدرك شيئا ، ولعل رد فعل جهنم ازا المجرمين هومن هذا الطراز او من طراز ارفع ، اي يكون مصحوبا بالادراك .

نرى في الاية السابعة صورة اخرى من الالام النفسية لاصحاب جهنم فهي تخاطب المؤمنين بقولها : (يايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة).

يـــتـــبـــيـــن مـــن هـــذا الـــتـــعـــبـــيـــر ان نار الاخرة تختلف كثيرا عن نار الدينا ، سوا كان المقصود من ((الـــحجارة)) الاصنام الحجرية او ماهو اشمل من ذلك ، وسوا كان المقصود هو النار التي تخرج من داخل ذرات تلك الاحجار ام كان المقصودشيئاخر ، فكل ماهو موجود نار ينبثق بعضها من داخل ذات الانـــسان ، من معتقداته ونواياه الباطنية القبيحة وجوارحه الملوثة بالذنوب ، او الاحجار التي كانت آلهة له اومن وسائل المفاخرة والتباهي كالقصور وما شابه ذلك .

ثم تضيف الاية الشريفة :(عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون اللّه مامرهم ويفعلون مايؤمرون).

فـــوجود مثل هؤلا الملائكة القساة الاشدا يضاعف الالام النفسية لاصحاب جهنم ، ويسد عليهم

كل منافذ الحياة .
فقد كان هؤلا في حياتهم الدنيا يعاملون من هم تحت سلطانهم بكل قسوة ، وكان عمالهم الجناة يعاملون الناس بغلظة وشدة وبلا اية رحمة او شفقة ،فوقعوا اليوم ضحية لمثل ذلك السلوك .
ومما يلفت الانتباه هو ان الاية التالية لها تخاطب الكفار قائلة : (لا تعتذوراليوم انما تجزون ما كنتم تعملون).
قال بعض المفسرين الذين لا يسعهم تصور اندلاع النار من داخل الاحجاربان المقصود من الاحجار تلك الاحجار الكبريتية التي ينبعث منها الشرر اثناارتطامها بالحديد ، بينما نعلم اليوم بان الطاقة الذرية الكامنة في كل كائن مادي بامكانها بعث مقادير عظيمة من النار.
الغلاظ جمع ((غليظ)) ، و((الشداد)) جمع ((شديد)) وكلاهما لمعنى واحد ،وقد يكون ذكرهما سوية من باب التاكيد ، لكن البعض يقول ان ((الغلاظ)) تعني الخشونة في القول و ((الشداد)) تعني الخشونة في الفعل او تعني الاولى الخشونة الخلقية والثانية الخشونة الخلقية ، وعلى كل حال فهولا الملائكة ملزمون بحكم اللّه لا يعصون له امر.
وقالوا احيانا ان وضع الانسان بمنزلة الحطب الى جانب الاحجار يعتبربحد ذاته استهانة بهم وعقوبة روحية ومعنوية ((٤٠٥)) .
وتمر علينا في الاية الثامنة والاخيرة محادثة مذهلة بين اصحاب الجنة واصحاب النار تكون سببا لايذا اصحاب النار : (ونادى اصحاب الجنة اصحاب النارانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا).
فاجابوا وقد استحوذ عليهم الحيا والانكسار :(قالوا نعم) وفي هذه الاثنا : (فاذن مؤذن بينهم الا لعنة اللّه على الظال مين).
فيغدو هذا الحديث كالملح على جراحات اصحاب النار فيلهب نفوسهم بمشاعل من النار.
نعم انهم كانوا قوما يصدون الناس عن سبيل اللّه (كما تصرح بذلك الاية اللاحقة) ولهذا فهم اليوم يبعدون عن رحمة اللّه (لان اللعنة تعني الطرد من الرحمة الالهية .
ولكن من هو هذا المؤذن الذي يمتلك هذه السيطرة على الجنة والنارفيسمع الكل نداه ويتحدث عن اللّه ؟ ورد في الكثير من الروايات المنقولة عن الشيعة والسنة بانه امير المؤمنين (٧) الذي كان يجاهد الظلمة طوال حياته .
والعجب ان بعض المتعصبين حاول التقليل من اهمية هذه الفضيلة ،فقال : ولا يفهم من هذا العمل انه فضيلة لعلي (٧).
بينما تقضي البداهة بان هذا المؤذن المهيمن على الجنة والنار المبلغ نداءاللّه في ذلك اليوم ، ينبغي ان يكون له مقام سام ورفيع .
والخلاصة هي ان الانسان مؤلف من جسم وروح ، والمعاد ايضا يتحقق بهذين البعدين وهذا مايستلزم الثنائية ايضا في العقاب والثواب وبنا على ماذكرنافاهل النار لايتالمون من العذاب

الجسماني فقط ، بـــل ويـــعـــانون كذلك من العذاب النفسي والروحي وهو اشد وطاة عليهم ، فهم يعيشون في الم وهم وحـــزن غـــيـــر متناه ،وتلازمهم الفضيحة والندامة مما مضى ، ولو قارنوا انفسهم باهل الجنة لكانت المعاناة اشد لاسيما بوجود الملائكة الغلاظ وما يواجهونه من انواع الاستهانة والتوبيخ والاحتقار ، وهذه كلها من العوامل التي تؤذيهم نفسيا وتجعلهم يعيشون في عذاب مرير.

ومـــن المؤكد ان هذه العقوبات تنسجم مع عملهم في هذه الدنيا حين كانوايعاملون المظلومين بانواع الـــعـــذاب والعقاب وكانوا كثيرا ما يستهزئون بيات اللّه ويسخرون من عباده ويستخفون بالمؤمنين ويتفاخرون على الاخرين .

فـــهـــل هـــنـــالك عجب لو انهم واجهوا تجسيد اعمالهم هناك ووقعوا في مغبة نتائجه ، ليحصدوا في الاخرة كل ما زرعوه في مزرعة الدنيا؟.

٦ ــ.

خلود العقاب . تمهيد :.

هنالك تناسب بين ((الجريمة)) و ((العقاب)) دائما فكلما كانت الجريمة اعظم كانت العقوبة اثقل ، هذا في مجال العقوبات الجزائية .

امـــا في الاثار الوضعية والطبيعية لاعمال الانسان فالقضية تاخذ منحى آخرفقد يتعرض الانسان ــ نـــتيجة لتساهله وتجاهله ولو لحظة واحدة ــ لحادثة لا يتيسر له جبرها او علاجها ، وربما تكون حـــصـــيـــلة الجهل والتساهل فادحة جدا كان تؤدي مثلاالى اصابة عضو من اعضا الجسد بالنقص او الـــشـــلـــل الى الابد وهذا ما يحتم دفع كفارة ذلك وتحمل تبعاته الى نهاية العمر ، مع ان الخطا ارتكب لحظة واحدة .

يفهم من آيات القرآن الكريم وبكل وضوح بان فريقا من الناس يبقى في العذاب الابدي اوبتعبير آخر يـــخـــلـــد في جهنم ، وقد اثارت مسالة ((الخلود)) هذه تساؤلات شتى ، وطرحت في تفسيرها آرا مختلفة سناتي عليها لاحقا باذن اللّه .

تقرا اولا الايات الشريفة التالية التي تتضمن كل واحدة منها تعبيراجديداعن خلود العذاب :.

١ ــ(والذين كفروا وكذبوا بياتنا اولئك اصحاب النار هم فيهاخالدون) البقرة ــ٣٩.

٢ ــ (يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) المائدة ـــ٣٧.

٣ ــ (فـــامـــا الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق # خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشا ربك ان ربك فعال لما يريد) هود ــ١٠٦ ــ١٠٧.

٤ ــ (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون) الزخرف ــ٧٧.

٥ ــ (وقـــال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم اللّه اعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار) البقرة ــ١٦٧.

تفسير وفذلكة :.

عذاب الخلد :.

تـــطـــالـــعنا الاية الاولى بكلمة ((الخلود)) المعروفة ، فتقول : (والذين كفرواوكذبوابياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون).

هذا في وقت صرحت فيه بعض الايات القرآنية الاخرى بكلمة ((الابدية))بعد كلمة الخلود وهو مايعد تاكيدا لها ، ومن جملة ذلك قوله تعالى : (ومن يعص اللّه ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا) سورة الجن ــ٢٣.

وجـــا نفس هذا المعنى ايضا في الاية (٤٥) من سورة الاحزاب ، حيث اقترنت كلمة الابدية بكلمة الخلود.

وقـــد وردت كـــلـــمـــة الـــخلود لنار جهنم في آيات كثيرة من القرآن الكريم فمنهاماورد وصفا مثل ((خـــالـــدون وخالدين)) ، ومنها ماورد على صيغة الفعل كما في الاية (٦٩) من سورة الفرقان التي اشارت الى مضاعفة العذاب على المشركين والقتلة والزناة وقالت : (ويخلد فيه مهانا).

وورد هـــذا الـــعـــنوان احيانا كقيد للعذاب ، كما جا في الاية (٥٢) من سورة يونس : (ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد).

وجات كلمة ((الخلود)) بصيغها المختلفة (فعلا ، ووصفا ، ومصدرا)بخصوص عذاب النار اكثر مـــن ثـــلاثـــيـــن مـــرة في القرآن الكريم ، وتاكيده على هذه الكلمة له مفهوم خاص سيتضح سببه في البحوث القادمة بمشيئة الباري عز وجل .

وقـــد وردت هـــذه الـــكـــلمة ايضا بخصوص نعم الجنة في آيات كثيرة من القرآن الكريم والتي تمت الاشارة اليها في بحث نعم الجنة .

لنرى الان ما معنى ((الخلود)) في اللغة ، وما معناه عندالمفسرين :.

فسر لسان العرب كلمة الخلود بمعنى دوام البقا في دار لا يخرج منهاواطلق للاخرة (دار الخلد) لبقا اهلها فيه.

وفي مقاييس اللغة ذكر معنى واحدا لاصل الكلمة وهو الثبات والبقاوالتلازم .

وورد نفس هذا المعنى ايضا في ((صحاح اللغة)) وكتب اخرى .

لكن الراغب قال في ((المفردات)) ان معناها الاصلي هو تبري الشي من عروض الفساد وبقاؤه على الـــحـــالة التي هو عليها ، وكل ما يتباطا عنه التغيير والفسادتصفه العرب بالخلود ، ويقال للذي يبقى مدة طويلة ، وفيه قيل : رجل مخلد لمن ابطا عنه الشيب .

وعـــلـــى كل الاحوال نستخلص من مجموع كلمات اصحاب اللغة رايين مختلفين ، الاول : هو المعنى الـــدال عـــلى الدوام والبقا والابدية ، وان اطلق على طول العمر فهو من باب التشبيه ليس الا والثاني طول العمر ، واذا اطلق على الدوام والابدية فهو من باب البيان المطلق .

وللمفسرين ايضا آرا مختلفة في هذا الصدد.

فقد صرح بعضهم ان ((الخلود)) هنا يعني الاستمرار والدوام الذي لا انتهاله مطلقا ((٤٠٦)) .
وقال آخرون ان معناه الحقيقي هو الاستمرار والتواصل والدوام ومعناه المجازي المدة الطويلة ، اما الاستخدام القرآني للكلمة فهو بالمعنى الاول ((٤٠٧)) .
وذكر بعضهم نفس هذا المعنى بتعبير آخر وهو ان الخلود في اللغة يعني المكث الطويل كما هو الحال في قولنا للسجن المؤبد والفترات الطويلة الامد فنقول مثلا خلد فلان في السجن ، اما في لسان الشرع فيعني الابدية ((٤٠٨)) .
وجا في تفسير المنار ان فتح باب تاويل الخلود ادى الى جرئة اصحاب استقلال الفكر في هذا الزمان على الدخول فيه والقول بان معنى خلود الكافرين في العذاب طول مكثهم فيه ، لان اللّه الرحمن الرحيم ، الذي سبقت رحمته غضبه ما كان ليعذب بعض خلقه عذابا باق لا نهاية له ((٤٠٩)) ويقول البعض ايضا : رغم ان الكفرة والمعاندين الطغاة المتمردين الذين استشرت الذنوب في صميم كيانهم يبقون في النار ، الا ان جهنم لا تبقى دوما على حال واحدة فلا بد ان تبلغ اليوم الذي تخمد نارها ويرتاح اهله.
وقد احتمل ايضا ان اهل النار سيعتادون بمرور الزمن على شدة حرارة النار وكثرة العذاب ويتلامون بالتدريج مع وضع جهنم فلا يبقى لديهم اي شعوربالالم الا ان امثال هذه الاحتمالات مرفوضة من قبل علما الاسلام ومفسري القرآن لانها تتعارض وصريح الايات القرآنية ، اضافة الى ان الايات التي قراناها لم تقتصر عباراتها على ذكر كلمة الخلود فحسب حتى تتحمل مثل هذه التاويلات بل توجد اضافة اليها تعابير اخرى وردت وهي لاتحتمل مثل هذه التاويلات (فتامل).
وخلاصة القول هي ان العجز عن حل مشكلة الخلود في العذاب ، قد دفع البعض فيما يبدو الى الميل لمثل هذه التاويلات الخاطئة ، والا فدلالة الايات القرآنية والروايات بشان الخلود في النار بالنسبة لطائفة من المجرمين هو مما لا شك فيه .
وفي العبارة الثانية نلاحظ وجود كلمة ((الاقامة)) حيث تقول الاية الشريفة :(يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم).
ان وصف كلمة العذاب بـ ((المقيم)) يدل بوضوح على ان هذه العقوبة بالنسبة لهم قائمة ومتواصلة .
العذاب الابدي :. طرحت الاية الثالثة مسالة ابدية العذاب في جهنم لفئة من اصحاب الجحيم ،ولكن بتعبير آخر يمتاز بصراحة اكثر ، فتقول : (فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفيروشهيق # خالدين فيها مادامت السموات والارض) وفي الختام تستثني فتقول : (الا ما شا ربك ان ربك فعال لما يريد).
(من البديهي ان السما والارض لن يكون لهما وجود آنذاك ، وان السموات والارض اللتان

تتحدث عنها الايات القرآنية ، تقومان بعد زوال الارض والسما الحالية ، وهما خالدتان الى الابد).

قــال البعض ان هذا التعبير في اللغة العربية كناية عن الابدية ، اذ يوجد في اللغة العربية الكثير من الــتــعــابــيــر المستخدمة بمعنى الابدية مثل ((مالاح كوكب)) او مثل ماورد في كلامه (٧) حين اعترض عليه الجهلة بسبب تقسيمه بيت المال بالتساوي وكانوا يطمعون في ان يميز بين الناس بالعطا كــمــا كان يفعل الخليفة الثالث ظنا منهم ان هذا الاسلوب سيسهم في تثبت في كائز حكمه ، فقال لهم الامام (٧) : ((اتامرنى ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه ، واللّه لا اطور به ماسمر سمير وما ام نجم في السما)) ((٤١٠)) .

ويلاحظ في شتى اللغات تعابير من امثال هذه وفيها دلالة على الاستمرارية والدوام والابدية .

ويــبــقى هنا سؤال واحد وهو ان كانت الاية اعلاه تعني ابدية العقوبة فمامفهوم الاستثنا الوارد في نــهايتها وهو ((الا ماشا ربك)) ؟ فالذي يبدو من ظاهر هذاالاستثنا على اقل تقدير هو عدم ابدية الــعــذاب لــفــئة معينة منهم ، بل ويحتمل ايضاشموله لهم جميعا ، وستكون النتيجة معكوسة في مثل هذه الحالة .

وقــد قــام بعض المفسرين من امثال المفسر الكبير المرحوم الطبرسي في مجمع البيان بنقل عشرة اوجــه لــهــذا الاستثنا عن علما التفسير الا اننا تجنبنا نقلهاهنا لضعفها وعدم اهميتها (والظاهر ان الــمــرحوم الطبرسي لم ينقلها لاقتناعه بهاولكن من باب ذكر جميع الارا) ونكتفي بذكر مايستحق الاهتمام منها فقط وهو :.

اولا : ان الهدف من ذكر هذا الاستثنا هو تبيان حاكمية اللّه وقدرته المطلقة ومشيئته الكاملة ، فلا تظنوا ان هذا الخلود يتحقق بدون ارادته وان شا فهو على كل شي قدير ولكن ارادته قضت بتخليد هذه الطائفة من اهل جهنم فيه.

ولــهــذا ورد نــفــس هذا التعبير بشان اهل الجنة في الايات السابقة لها فتقول الاية في نفس الوقت : (عطا غير مجذوذ).

وتــظــهر هذه الجملة بوضوح بان المقصود من الاستثنا من الاشيا ليس هوقطع العذاب او النعمة بل لمجرد تبيان قدرة اللّه .

وثــانيا : ان المقصودين بالاستثنا هم الذين لا يستحقون الخلود في العذاب كالمؤمنين المذنبين الذين يــبــقون في النار لمدة من الزمن ، فيتطهرون من ذنوبهم ، ومن ثم يذهبون الى الجنة ، وجملة ((الا مــاشــا اللّه)) هــنــا تــخــتص بهذه الطائفة ، اما الكفرة فسيبقون في العذاب (وهم كما يقال جز من المستثنى منه لاالمستثنى).

ونــفس هذا الاعتبار يطرح ايضا بشان اصحاب الجنة ، فهم ايضا خالدون فيها الا المؤمنين المذنبين منهم والذين كانوا سابقا في جهنم ثم جاؤا الى الجنة .

وعلى كل حال فهذا الاستثنا لا يخلق اية مشكلة في دلالة الاية على ابدية العذاب .

تــصــرح الايــة الرابعة بمسالة الخلود وعدم تخفيف العذاب للمجرمين وتؤكد ايضا ان اللّه سبحانه وتعالى لم يظلم بل هم الذين ظلموا انفسهم : (ونادوايامالك ليقض علينا ربك قال انكم

ماكثون).

كلمة المكث جات هنا بشكل مطلق وغير محدود وهذه دلالة اخرى على خلود عذابهم ((٤١١)) .

لـــذلـــك يـــصرح المرحوم الطبرسي في مجمع البيان بان كلمة ((ماكثون)) هناتعني ((دائمون)) ، ورغـــم ان الاية المذكورة لم تبين هل ان مالكا اجابهم مباشرة ام بعدمدة من الزمن ، الا ان جماعة من المفسرين قالوا ان هذا الجواب ياتيهم بعد مدة للامعان في تحقيرهم والاستخفاف بهم فقال بعضهم ان الـــجواب يرد بعد اربعين عاما ، وقال آخرون بعد مائة عام ، ونقل عن ابن عباس انه قال ان هذا الرد السلبي ياتيهم بعد الف عام ((٤١٢)) ، من اجل ان يظلوا في الانتظار لمدة اطول ويتحملوا العناوذل الاستهانة وتظهر الاية بوضوح عدم وجود الموت في ذلك العالم ، بل هم دومالحيايعيشون في الالم والعذاب .

ويطالعنا في الاية الخامسة عشرة تعبير يتحدث عن ((عدم الخروج من النار)) بشكل مطلق ، وهو تـــعبير آخر يحكي حقيقة خلود العذاب ، وتصف الاية نفورالمتبعين من المتبعين في قولها : (كذلك يريهم اللّه اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار).

نـــعـــم هـــؤلا لايـــتاتى لهم سوى الندم على مامضى ، والحسرة على ماكانوايقومون به من تقليد اعمى وطـــاعـــة مـــطـــلـــقة لقادة الضلال ، والتاسف على العمر الذي مر هدرا وعلى الاموال التي جمعت من الـــحرام وتركت يتنعم بها الاخرون ، وعدم استغلال فرض التوبة التي اتيحت ، ولكنها حسرة وندم لا طائل من ورائهما لان فرص العودة قد مضت وامكانية التعويض لن تاتي ثانية .

يقول المرحوم العلا مة الطباطبائي في تفسير الميزان ، عند تفسيره لهذه الاية : وهذا دليل ضد من يعتقد بانقطاع عذاب جهنم .

النتيجة :.

نستخلص من مجموع التعابير الخمسة التيى مرت بان عذاب جهنم ابدي كمان نعم الجنة ابدية ، اما الذين يعتقدون بانقطاع العذاب فهم يرون اخلافا لما تنص هذه الايات (وامثالها) ، ويفسرون القرآن على طريقة (التفسيربالراي).

صحيح ان الاعتقاد بخلود العذاب ــ وان كان لفئة خاصة من اهل النار ــ له مشكلاته وتعقيداته ، ولكن بـــالـــنـــظـــر لـــصراحة الايات القرآنية في هذا الصدد ، ينبغي حل تلك التعقيدات عن طريق المنطق والاستدلال ، لا عن طريق تجاهل وانكاراصل الموضوع .

ايضاحات :.

من هم المخلدون في النار ؟. ذكرت الايات القرآنية اشخاصا واقواما بالخصوص يخلدون في النار ومن جملتهم :.

١.

الكفار :. بـــمـــن فـــيهم المنكرون للمبدا والمعاد والمشركون والمكذبون بيات اللّه واعداللّه

ورسوله (٩) والـــمـــرتـــدون ، وهم الذين ذكرتهم الايات القرآنية وقالت بانهم سيخلدون في النار ، من جملة ذلك الايـــة (١١٦) مـــن ســـورة آل عـــمران التي نصت على : (ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من اللّه شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) ((٤١٣)) .

٢.

المنافقون :. رغـــم انـــهـــم يـــنخرطون في الظاهر في سلك اهل الايمان ويعدون في زمرة المؤمنين ، الا انهم من المخلدين في جهنم ، كما دلت على ذلك الاية (١٧) من سورة المجادلة فقد اشارت اولا الى اعمالهم وســـلوكهم ثم قالت : (لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من اللّه شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون).

وتقول الاية (١٤٠) من سورة النسا : (ان اللّه جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا).

٣.

الغارقون في الذنوب :. يلحظ في الاية (٨١) من سورة البقرة عبارة في وصف المذنبين ، وهي غنية المعنى تقول : (بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون).

ويـــقـــارب هذا المعنى ماورد في الاية (٢٧) من سورة يونس ، وجا فيها :(والذين كسبوا السيئات جـــزا سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من اللّه من عاصم كانماأغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيهاخالدون).

ولـــكـــن هل ان المؤمنين من مرتكبي الكبائر يخلدون في العذاب ام لا ؟ هذاما سنجيب عنه في بحث مفصل بعد تفسير هذه الايات باذن اللّه .

٤.

القتلة والجناة :. يـــفـــهـــم مـــن آيات القرآن ان مرتكبي قتل العمد يخلدون ايضا في العذاب ،كما تنص على ذلك الاية (٩٣) مـــن ســـورة النسا :(ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب اللّه عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما).

وقد عرضت هنا اربع عقوبات لقاتل العمد وهي :.

الخلود في النار ، والغضب الالهي ، والطرد من رحمة اللّه ، والاستعدادللعذاب العظيم .

ولـــكـــن هل ان هذه العقوبات تصدق في حالة عدم التوبة وجبران مافات ،ام انها في رقابهم في جميع الاحوال .

يبدوا الاحتمال الثاني مستبعدا جدا وذلك لان اكبر الذنوب وهو الشرك يمحى بالتوبة ، فالمشركون كذلك يعفى عنهم بدخولهم الاسلام ، فكيف يكمن القبول بان قتل النفس يفوق كل هذا ، اضافة الى ذلك مـــا ورد فـــي تاريخ الاسلام من ان النبي (٩) عفا عن وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب قبل توبته وكذلك عفاالكثير من المسلمين عن قتلة آبائهم وابنائهم واخوانهم ، بعد دخولهم الاسلام ومن نافلة الـــقول ، ان التوبة عن مثل هذا الذنب ليست بالامر الهين ولا تنتهي القضية

بالاستغفار بالقول بل ينبغي الانقياد للقصاص او ارضا اوليا القتيل بالدية او غيرهاوجبران مامضى بعمل الخير في المستقبل .

جـــا فـــي حديث عن الرسول محمد (٩) انه قال : (لزوال الدينا ومافيهااهون على اللّه من قتل مؤمن ولو ان اهل سمواته واهل ارضه اشتركوا في دم مؤمن لادخلهم اللّه تعالى النار) ((٤١٤)) .

اما كيف يمكن خلود قاتل العمد في النار مع ان البحث الذي ستعرضه في المستقبل يدل على ان الكفار وحدهم سيخلدون في النار ، فللمفسرين اجوبة مختلفة في هذ.

فـــقـــيل ان اشخاصا كهولا لا يكتب لهم نصيب من التوبة او قليلا ما يوفقون لبلوغها ، فيغادرون الدنيا في نهاية المطاف بلا ايمان ولهذا فهم يستحقون الخلود في النار.

وقيل ان هذا هو جزا من يقوم بالقتل العمد وهو منكر لتحريمه ، وهذاالامر يستلزم الكفر بذاته .

وقـــيـــل ان كـــلمة الخلود تعني هنا المدة الطويلة لا العذاب الابدي يبدو ان التفسيران الاول والثاني انسب الى واقع الحال .

.٥

آكلو الربا :. هـــددت الايات القرآنية آكلي الربا ايضا بالعذاب الابدي ، فقالت : (فمن جاه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وامره الى اللّه ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) البقرة ــ٢٧٥.

وهـــنـــا يـــعـــترضنا ايضا سؤال وهو : كيف يخلد هذا الفريق في النار بينماالذنب الكبير لا يستوجب لوحده الخلود في النار ؟.

الاجـــابـــة عـــن هـــذا الـــسؤال هنا ابسط وذلك لان نص الاية (في الجمل السابقة) يشير الى منكري تحريم الربا ، الذين كانوا يقولون : مالفرق بين البيع والربا ولم احل اللّه احدهما وحرم الاخر ، في حـــيـــن ان الـــفـــارق بـــينهما واضح ، فالبيع والشراوالتجارة والاعمال المشابهة لها تصب في مصلحة الـــمجتمع ، وهي من النشاطات الاقتصادية السليمة ، اما الربا فهو ضار بالمجتمع ، ولهذا الموضوع شرح واسع تطرقناليه في مكانه المناسب .

.٦

الظالمون :. الـــفـــريـــق الاخـــر الذي اعتبره القرآن الكريم مستحقا للعذاب هو الظالمون ،وهو ماورد في الاية (٤٥) من سورة الشورى وجا فيها : (وقال الذين آمنواان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين في عذاب مقيم).

يتبين من هذا التعبير ان عاقبة الظلم ، الخلود في النار.

وقد اكدت الايات التي سبقت هذه الاية مرارا على العذاب الاليم للظالمين (الشورى ــ٤٢) :

وعلى ندمهم الشديد وهم يتعذبون في نار جهنم (الشورى ــ٤٤).

هل المقصود من الظلم هنا هو ظلم عباد اللّه والمستضعفين ام هو ظلم النفس من خلال الشرك ،

لان الشرك كما تصرح الاية (١٣) من سورة لقمان بانه :(ظلم عظيم) وجا ايضا في الاية (٢٥٤) من سورة البقرة : (والكافرون هم الظالمون).

رجـــح بعض المفسرين المعنى الثاني ، ولعل جملة (قال الذين آمنوا)دليل على هذا المعنى ايضا وان الـــمـــؤمـــنين المظلومين قد واجهوا ظلما كبيرا على يدالكفار الظالمين وهم ــ اي المؤمنون ــ الذين يتحدثون بهذا الكلام في يوم القيامة .

وتنص الاية (١٧) من سورة الحشر بعد الاشارة الى خلود الشيطان واتباعه في النار : (وذلك جزا الظالمين).

ولكن لو علمنا ان هذا الحديث يدور حول الشيطان واتباعه الكافرين وماورد في الاية السابقة وهو : (كـــمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بري منك) لادركنا بان المقصود من الظلم في هذه الاية مصداقه الاتم يعني الكفر.

.٧

الذين خفت موازينهم :. يستفاد من بعض الايات القرآنية بان ثقل ميزان العمل في يوم القيامة يدل على الفوز والنجاة ، اما خفة مـــيـــزان الـــعمل فهي دالة على عدم قيمته وهذا ما يؤدي الى الخلود في النار ، جا في الايتين (١٠٢ ــ١٠٣) مـــن سورة المؤمنون : (فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون # ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون).

وعـــبـــارة : ((خـــســـروا انـــفسهم)) اشارة لطيفة الى ان اكبر راس مال يمتلكه الانسان هو وجوده وعـــمره وحياته ، وان هؤلا قد خسروا راس مالهم في سوق تجارة الدنيا من غير ان يحصلوا مقابله على شي ذي اهمية .

وقـــد يكون هذا التعبير اشارة الى الكفرة ، لان المؤمن مهما ارتكب من ذنوب فلا بد ان يحوي ميزان عمله على شي ما ولا يبقى خفيفا تماما وذلك لان الايمان والمعتقد الحق له بذاته وزن لا يستهان به ، وعـــلـــى هـــذا فان خفة ميزان اعمال هذة الفئة وخلوه من اية حسنة دليل على كفرها كما يتضح هذا الـــمـــعنى من الاية (١٠٥) من سورة الكهف : (اولئك الذين كفروا بيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا).

.٨

المجرمون بشكل عام :. يـــفـــهـــم من بعض الايات بان المجرم بشكل مطلق مخلد في جهنم ، تقول الاية (٢٣) من سورة الجن :(ومـــن يـــعص اللّه ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا)وجا نفس هذا المعنى ايضا مع اضافة اخـــرى في الاية (٤١) من سورة النسا : (ومن يعص اللّه ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين).

وورد تـــعـــبـــيـــر يـــشابه هذا في الاية (٧٤) من سورة الزخرف : (ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون).

ولـــكـــن لو التفتنا الى الايات السابقة كالاية (٢٠) من سورة الجن والتي يدورفيها الكلام عن

دعوة الـــنـــبي (٩) الى التوحيد وتقويض الشرك ، وماجا في الاية (٢٤ من نفس السورة) التي نقلت كلام مشركي قريش الذين كانوا يعنفون النبي (٩)لعدم وجود الانصار والاعوان المتنفذين ، لتبين لنا بان الـــمقصود من ((العصيان)) هناهو الكف عن الدعوة الى التوحيد والميل الى الشرك والكفر ، وعلى هذا فهي لاتتضمن اية دلالة على خلود جميع المجرمين في النار.

ويـــلاحظ وجود قرينة في ذيل الاية (٧٤) من سورة الزخرف دالة على هذاالمعنى لانها تتحدث عمن كانوا يضمرون العدا السافر للدعوة ، وكانوا يظنون ان اللّه غير مطلع على سرهم ونجواهم ، ويعتبر هذا بذاته من معالم الكفر (فتامل).

وقـــد صـــرح الـــكثير من المفسرين عند تعرضهم للاية المذكورة بان المقصودمن العصيان فيها هو العصيان في التوحيد ((٤١٥)) .

الا ان هـــذا الاحـــتـــمال ــ وهو ان المقصود من الخلود هنا هو العذاب الطويل ــيبدو مستبعدا جدا ، وذلك لان تاكيد كلمة ((الخلود)) بكلمة ((ابدا)) دال على ان المقصود هو خلود العذاب الالهي .

النتيجة :.

لـــقـــد ادركنا من خلال النقاط الثمان مارة الذكر وجهة نظر القرآن في موضوع المخلدين في النار ، ولـــكن يتضح من خلال النظرة الاجمالية ان للايات المارة ان خلود الكفار في النار امر بديهي لا مفر مـــنـــه ، الا انـــه غير مسلم به لجميع العاصين ،ويستثنى من ذلك كون المعصية او الذنب على درجة كـــبيرة بحيث تدفع الانسان الى الكفر والخروج عن خط الايمان ، او ان يغادر هذه الدنيا وهو غير مؤمن ، وسنصل الى شرح مفصل عن هذا الموضوع قريب.

سؤال :.

هل ان مرتكبي الكبائر مخلدون في النار ؟. هـــنـــاك فرقة اسلامية تعرف بـــ ((الوعيدية)) (وهي من فرق الخوارج) تعتبراي ذنب من الكبائر مـــوجـــبـــا لـــلكفر وتعتقد ان مرتكبه يخلد في النار ، ويقف في مقابل هذه الفرقة ((المرجئة)) الذين يقولون بان الايمان لا تضر معه المعصية (احداهماتتصف بالافراط والاخرى بالتفريط قال العلا مة الحلي (،) في (شرح التجريد) بعد ان نقل اجماع واتفاق المسلمين على العذاب الابدي لـــلكفار : يختلف المسلمون في مرتكبي الكبيرة ،فالوعيدية يعتبرونهم كالكفار ، لكن الشيعة وكثير من المعتزلة يعتقدون ان عذابهم له نهاية ، ثم اقام الادلة التي تثبت هذا المعنى .

يقول الشيخ المفيد في ((اوائل المقالات)) :.

((اتـــفقت الامامية على ان الوعيد بالخلود في النار متوجه الى الكفار خاصة دون مرتكبي الذنوب من اهل المعرفة باللّه تعالى والاقرار بفرائضه من اهل الصلاة ،ووافقهم على هذا القول كافة المرجئة واصـــحاب الحديث قاطبة ، واجمعت المعتزلة على خلاف ذلك وزعموا ان الوعيد بالخلود في النار عام في للكفار وجميع فساق اهل الصلاة ((٤١٦)) .

ويستدل هذا الفريق ببعض الايات القرآنية لاثبات رايه ، وبالخصوص تلك الايات القائلة بخلود مرتكبي القتل العمد وآكلي الربا في نار جهنم وامثالها من الايات ، ومن اوسع تلك الادلة شيوعا هي الاية (٢٣) من سورة الجن والتي مر علينا تفسيرها مسبقا وهي :(ومن يعص اللّه ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا).

ولكن هناك قرائن كثيرة في هذه الايات وفي غيرها تدل على انها (هذه الايات) تختص باولئك الذين تنتهي بهم ذنوبهم الى الكفر وانكار المعاد او النبوة اوضرورة من ضرورات الدين ، ومن جملة تلك القرائن آية : (كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) سورة يونس ــ٢٧ وبالنظر الى ان هذا الوصف قد ورد في القرآن هنابحق الكفار ، حيث يقول تعالى : (وجوه يومئذ عليها غبرة # ترهقها قترة # اولئك هم الكفرة الفجرة) عبس ــ٤٠ ــ٤٢.

فهذا دليل على ان المقصود في الاية موضع بحثنا هم الكفارايض.

ولهذا جا في الرواية عن الامام الباقر (٧)انه قال : هؤلا اهل البدع والشبهات والشهوات يسود اللّه وجوههم ثم يلقونه يقول اللّه : (كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) ، يسود اللّه وجوههم يوم القيامة ويلبسهم الذل والصغار يقول اللّه : (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) ((٤١٧)) .

والقرينة الاخرى هي عبارة ((احاطت به خطيئته)) الواردة في الاية (٨١) من سورة البقرة والتي تشير الى ان ارتكاب الذنب الكبير وحده لايؤدي الى الخلود في النار ، بل ان احاطة الذنب بكل وجود الانسان هي السبب في طرح مثل هذا الموضوع لانها تسوقه نحو الكفر والسبب في ذلك ــ كما تفيد الروايات ــ ان الايمان يظهر في القلب على هيئة نقطة مضيئة ، وكلما ازدادت اعمال الخير التي يؤديها كلما اتسعت تلك النقطة حتى تحيط بقلبه كله وكلما ارتكب ذنوبا ومعاصي كلما خت الظلام على قلبه حتى يحيط بقلبه كله ويجعله قلبا اسودا (ينطفي فيه نور الايمان) لاسيما وان بعض تلك الايات تستدل بقوله تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوايكسبون) المطففين ــ١٤ ((٤١٨)) .

وبعض تلك الايات تؤكد على تعمد الذنب (كية القتل)، ولعل المراد منهاتقصد مخالفة امر اللّه والعناد امام الحق ، وهذا من اوضح مصاديق الكفر.

والاشتشهاد الاخر هو الوارد في الاية (١٠) من سورة الروم ، وجا فيه (ثم كان عاقبة الذين اساؤا السواى ان كذبوا بيات اللّه وكانوا بها يستهزون).

يظهر هذا التعبير ان الاصرار على الذنب والاستمرار عليه يؤدي بالنتيجة الى الكفر وتكذيب آيات اللّه وهو مايؤدي الى الخلود في النار.

اضافة الى كل هذا فان آية (ان اللّه لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا) والتي تكررت مرتين في سورة النسا (الاية ٤٨ ، والاية١١٦ منها) هي دليل آخر واضح على هذه الحقيقة وهي ان المشركين (الكفر بانواعه ايضا ملحق بالشرك) لايغفر لهم ويخلدون في

جهنم ، وان المجرمين الاخـــريـــن فـــيـــمكن ان يغفرلهم وهذا مايدل على ان حسابهم يختلف عن حساب الكفار ولا يمكن ان يعدواضمن صنف واحد.

لا يـــتوهم احد ان هذه الاية تعطي الضوء الاخضر للمجرمين لانه لم يصدروعد قطعي بالعفو عنهم بـــل هو وعد احتمالي مرتبط بمشيئة اللّه ولما كانت مشيئة اللّه وارادته مرتهنه بحكمته ، وحكمته تـــقـــتـــضـــي ان تـــكـــون هذه المقومات كلها معاييرللعفو ، اذن فالحال يوجب على المجرمين عدم قطع علاقاتهم باللّه واوليائه والابقاعلى جسور العودة قائمة .

ورد فـــي الـــروايات ان هذه الاية هي اكثر الايات التي تبعث الامل والرجافي النفوس ، كما جا عن امير المؤمنين علي (٧) انه قال : ((مافي القرآن اية ارجى عندي من هذه الاية)) ((٤١٩)) .

ولطرح مزيد من التوضيح ، ينبغي الالتفات الى ان الاية المذكورة لا تشمل مرتكب الصغائر طبعا لان الـــقرآن قد وعد بغفران الذنوب الصغيرة لمن يتورع عن اجتناب الكبائر منها ، وهي ايضا لا تشمل الـــذنـــوب الكبيرة بعد التوبة لان التوبة سبب لغفران جميع الذنوب حتى الشرك وعلى هذا فالمفهوم الـــوحيد المتبقي لهذه الاية هو انها ميزت بين الشرك وارتكاب الذنوب الكبيرة ، فالاول لا يغفر لان وجود الشرك يقضي على جميع مقومات العفو ، اما الثاني فالعفو فيه محتمل ولكن بشروط اشيراليها في جملة ((لمن يشا)).

والـــشـــاهد الاخر على هذا الادعا هو الايات القرآنية العديدة التي تقول :(فستذكرون ماقول لكم وافوض امري الى اللّه ان اللّه بصير بالعباد) المؤمن ـــ٤٤ و(فمن يعمل مثال ذرة خيرا يره) سورة الزلزال ـــ٧.

كذلك آيات الشفاعة لان الصغائر تمحى في ظل اجتناب الكبائر ، والكبائرايضا يعفى عنها بالتوبة ، واســـتـــنـــادا الى ماذكر فالشفاعة تختص فقط بمرتكبي الكبائرالذين لم يتوبوا فان كانوا يستحقون الشفاعة يعفى عنهم .

فان كان الحال كذلك ، فكيف نعتبر مرتكبي الكبائر كالكفار والمشركين ونقول بخلودهم في النار ؟.

كـــيف يمكن ان تقضي الحكمة بتخليد انسان في النار قضى عمرا في الايمان والعمل الصالح لارتكابه ذنـــبـــا كـــبيرا كان يكون كذب لمرة واحدة في حياته ،نحن لانقول هنا بعدم عقابه بل نرى ان عذاب الخلد لا ينطبق على مثل هذاالشخص .

هناك روايات كثيرة وردت عن المعصومين (:) تنفي قول ((الوعيدية))بتخليد مرتكبي الكبيرة في النار ((٤٢٠)) .

والحقيقة ان هذه الفرقة المتطرفة من الخوارج قد انحدرت في هذا الوادي السحيق بسبب التعصب والعناد وعدم الالمام بيات القرآن واحاديث النبي (٦)والمعصومين (:) ، وعدم الاخذ بالادلة العقلية البينة ، والخوارج ككل قد ابتلوابعواقب جهلهم وتعصبهم وماضيهم في التاريخ الاسلامي

افضل دليل على ذلك ((٤٢١)) .

ايضاحات .

اعتراضات على خلود العذاب :. طرحت اسئلة مختلفة بشان العقاب الابدي لفئة خاصة من المجرمين يبدو ان البحث فيها ضروري هنا .

١ ــ فنا المادة :.

هناك من يقول ان المادة ليست خالدة حتى تكون ثوابا ابديا او عقاباابديا وبعبارة اخرى ان فنا المادة لا يتناسب وخلود الثواب والعقاب .

وليس هناك صعوبة كبيرة للرد على هذا الاعتراض فلا يوجد شي في العالم ــ سوى ذاته المقدسة ــ ابدي بالذات بل ان كل ذرات العالم (سوى ذاته) فانية والبقا لا يصح الا لها ، لكن ذلك لايمنع ان تكون الــموجودات الامكانية ابدية بالغير اي ان اللّه تعالى يمدها دوما باسباب البقا وكلما استهلكت تجددت او كما يعبر عنه في الفلسفة ان ((الامكان بالذات)) لا يتنافى مع ((الوجوب بالغير)) (تامل جيدا).

اي كما ان اللّه سبحانه وتعالى يمد الجنة والنار دوما باسباب الوجود ويجعلهماباقيتان قائمتان دائما ، فــكذلك تكون اجسام اهل الجنة واهل النار مشمولة بهذاالقانون اذ تبقى قائمة دوما بالامداد الالهي حتى تلقى جزاها الابدي من عقاب اوثواب وخلاصة القول ان الفنا يحصل في حالة عدم وجود امداد خارجي وانعدام التجدد.

.٢

هل يمكن للعرضي ان يصير دائما ؟. يــلاحظ في بعض كلمات الفلاسفة بان ((الاصول الحكمية دالة على ان القسر لايدوم على طبيعة ، وان لكل موجود من الموجودات الطبيعية غاية ينتهي اليها وقتا وهي خيره وكماله ، وان الواجب جل ذكــره اوجد الاشيا على وجه تكون مجبولة على قوة يتحفظ بها خيرها الموجود وتطلب بها كمالها الــمــفقود ، الا ان يعوق له عن ذلك عائق ويقسر قاسر ، لكن العوائق ليست اكثرية ولا دائمة والا لبطل النظام وتعطلت الاشيا وبطلت الخيرات ، فعلم ان الاشيا كلها طالبة لذاتها للحق مشتاقة الى لقائه بــالذات ، وان العداوة والكراهة طارية بالعرض ، فمن احب لقا اللّه بالذات احب اللّه لقاه بالذات ومن كــره لقا اللّه بالعرض لاجل مرض طار على نفسه كره اللّه لقاه بالعرض ، فيعذبه مدة حتى يبر من مرضه ويعود الى فطرته الاولى)) ((٤٢٢)) .

والاجابة عن هذه المقولة ليست صعبة لان الاخطا والانحرافات قدتتجذر احيانا في وجود الانسان الــى درجــة تــغــدو معها ذات طبيعة ثانوية مثلما يحصل في هذا العالم حين يبلغ المجرم مرحلة من الانــحــراف حــتــى يــصبح يلتذ بجرائمه ،وتستهويه الامور التي ينفر منها الانسان السوي طبيعيا وفطريا ، كما يلاحظ عندالاشخاص الذين اعتادوا ارتكاب الاعمال القبيحة التي تشمئز منهاالنفوس .

وحينما يبلغ الانسان مثل هذه المرحلة من الطبيعة الثانوية لا يبقى له اي طريق للعودة وهذا هو نفس الشي الذي عبرت عنه الايات السابقة بتعبير ((احاطة الخطيئة)) الذي يسبب انقلاب الطبيعة الانسانية .

.٣

الا يعتاد اهل النار على العذاب :. قيل احيانا : ان اصحاب الحجيم يعذبون بعد دخولهم في نار جهنم بمقدار المدة التي قضوها وهم مشركون في هذه الدنيا ، ولكن بعد انتها هذه المدة يتحول عذاب جهنم الى نعيم بالنسبة لهم لانه يصبح امرا متناسبا مع طبيعتهم حتى انهم لو دخلوا الجنة شعروا بعدم الارتياح ، والسبب في ذلك هو عدم تناسبها مع طبيعتهم .

انهم يتلذذون بما هم فيه من نار وزمهرير ومافيها من لدغ الحيات والعقارب كما يلتذ اهل الجنة بظلال اشجار الجنة والحور والقصور وطوبى والكوثر ،وفي هذا العالم نرى البلبل يطربه اريج الزهور في حين ان بعض الحشرات القذرة يلتذ وينتشي بروائح القمامة الكريهة ((٤٢٣)) .

هذا الوهم يشكل نقطة مقابلة للوهم السابق ايضا ويتناقض معه ، وهو في نفس الوقت لا يتسق مع اي من الايات التي تؤكد خلود العذاب ، لاسيما وان بعضهاقد صرحت بانه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا عذاب ربهم والتهديد بالخلود في النار هو تهديد بالعذاب الدائم ، ولو انه تحول الى نعمة خالدة لما كان يتصف بالتهديد.

ان مثل هذه التفسيرات بشان الخلود تدل على ان اصحابها لم يجهدوانفسهم بالقيام بدراسة دقيقة او حتى دراسة اجمالية لتلك الايات القرآنية ولو انناعدنا قراة تلك الايات لتبين مقدار التناقض بينها وبين هذا الكلام الفارغ القبيح .

اضافة الى ذلك ، يجب الالتفات الى ان اعتياد الانسان على الالام له حدود ،فبعض الالام طفيفة يعتاد عليها الانسان بمرور الزمن لكن لو نقص الما في جسم الانسان مثلا فانه يعاني العطش ، ويتعذر عليه عندئذ الاعتياد على ذلك ، اي لا يمكنه عدم معاناة العطش مع قلة نسبة الم.

.٤

هل ان الخلود نوعي ام شخصي :. يلاحظ ان البعض اعتبر الخلود ((خلودا نوعيا)) لا شخصيا ، ومعنى ذلك ان نوع ((الانسان الكافر)) يبقى في النار الى الابد ، لكن الاشخاص يتبدلون ، اي ان كل واحد منهم يقضي مدة معينة في عذاب جهنم ، وبما انه يعطي مكانه الى آخر ، فان بقا الانسان في جهنم سيبقى ابدي.

ومفهوم هذا الكلام ان خلقا آخر ياتي الى الدنيا في المستقبل ، وينحرف منهم جماعة ايضا ، فيكونون وقودا لنار جهنم ، ويتصادف دخولهم فيها مع خروجهم الخلق السابق منها ((٤٢٤)) .

وهذا التفسير لاينسجم مع آيات خلود العذاب المتعلقة بالكفار ، ويكفي قليل من التدقيق في

الايات السابقة لفهم ذلك التناقض وعدم الانسجام لان تلك الايات تصرح بالخلود الشخصي ، وهذه التاويلات لا تتعدى السبب الذي ذكرناه سابقا وهو ان العجز عن حل المشاكل في بحث الخلود قد دفعهم الى التشبث بمثل هذه التاويلات .

٥.

هل ينسجم الخلود مع العدل الالهي ؟ . ان اهم اعتراض يطرح في مسالة الخلود ــ وهو في الحقيقة الاعتراض الاساس فيها ــ هو عدم التناسب بين الذنب وبين العقوبة فيقال كيف نرضى بان يتعذب الانسان الذي اسا في كل حياته وهي مائة عام على اكثر تقدير وكان خلالهايتخبط في الكفر والمعاصي ويعاقب مدة الف مليون عام ؟.

هذة القضية لا تثير اي اعتراض طبعا في ما يخص النعم الالهية الخالدة في الجنة اذ لا عجب من فضل اللّه ورحمته وجزائه الاوفى ، فرحمته قد وسعت كل عالم الوجود ، اما في مجال العقاب فينبغي ان يكون هناك تناسبا بين الجريمة والعقاب ،وان اختل ذلك التناسب والتوازن فذلك مالا يتسق والعدل الالهي ، والخلاصة ان مائة سنة من الكفر والذنوب تستوجب مائة عام من العقوبة لا اكثر.

ان استعصا هذا الاعتراض على الحل قد دفع ببعض الجماعات الى تاويل آيات الخلود واعتباره يعني طول المدة او انه الخلود النوعي لا الشخصي اوانه الاعتياد على تلك الاوضاع وامثال ذلك مما سبق القول فيه لكن وكما قلناسابقافان هذه التاويلات واهية جدا ولايمكن التعويل عليها ولاتنسجم قطعا مع ايات الخلود.

الجواب :.

ان الذين يطرحون هذا الاعتراض يغفلون نقطة اساسية وهي الفارق الموجود بين العقوبة الوضعية والعقوبة التكوينية التي هي النتيجة الطبيعية للاعمال او الحياة في محيط تلك الاعمال . وتوضيح ذلك ان المقنن : قد يسن احيانا قانونا يقول فيه ان من يرتكب المخالفة الفلانية فعليه ان يدفع مقدارا من المال كغرامة مالية او يسجن مدة من الزمن ، فمن البديهي في مثل هذا الموقف ان يكون هناك تناسب بين ((الجريمة))و ((العقاب))، فلا يمكن ان تقرر مثلا عقوبة الاعدام او السجن المؤبد للمخالفة البسيطة وبعكس ذلك فمن غير المعقول تحديد عقوبة القتل بسجن يوم واحد ،فالحكمة والعدالة تستوجب التناسب الكامل بين تلك الحالات .

لكن العقوبات التي هي في الحقيقة الاثار الطبيعية للعمل وتعتبر من خاصيته التكوينية او نتيجة حضور ذات العمل امام الانسان ، لا تقر مثل هذه الاقوال سوا بشان آثار العمل في هذا العالم ام في العالم الاخر.

فلو قيل مثلا ان من يخالف تعليمات المرور ويقود سيارته بسرعة عالية ويتسابق بلا مبرر ويجتاز المناطق الممنوعة قد يتعرض ــ وبسبب عدة لحظات من المخالفة ــ الى اصطدام عنيف يؤدي الى كسر يديه ورجليه ويبقى مقعدا طوال عمره فمنها لا يستطيع احد ان يقول ان

هذه النتيجة المريرة غـــير عادلة ازا هذه المخالفة البسيطة لان من المسلم به ان امثال هذه العقوبات ليست من وضع ادارة المرور حتى يؤخذ بنظر الاعتبار التناسب بين المخالفة والعقوبة ، بل هو الاثر الطبيعي للعمل الذي فعله الانسان بارادته واوقع نفسه فيه .

وكـــذلـــك الـــحـــال ، اذا قـــيـــل بضرورة اجتناب المشروبات الكحولية اوالمخدرات لانها تتلف القلب والمعدة والمخ والاعصاب خلال فترة وجيزة ، ولكن لو تعمد احد تناولها واصيب بضعف الاعصاب الـــشـــديد وبامراض القلب والشرايين والقرحة كل ذلك في مقابل الفسق والمجون لايام معدودة ، او يـــبـــقـــى الـــى آخـــر عـــمره يقاسي من شدة الالم والعجز والضعف ففي مثل هذا الحال لايمكن لاحد ان يتحدث عن عدم التناسب بين الذنب وعقوبته .

ولـــو افـــترضنا ان هذا الشخص قد عمر في هذه الدنيا بدل المائة عام الف عام او مليون عام ، فينبغي عليه تحمل العذاب والالم طوال هذه المدة المديدة ازاعدة ايام قضاها في اللهو والمجون .

امـــا فـــي مـــايـــخـــص الـــعقوبات الاخروية فالمسالة اعمق من هذا بكثير ، فالاثارالتكوينية للاعمال ونـــتائجها بالغة الاهمية قد تبقى ملازمة للانسان الى الابد ،بل ان ذات العمل (كما ذكر في موضوع تجسد الاعمال) يتجسد امام الانسان وبما ان ذلك العالم خالد ، فان الاعمال الصالح منها والطالح تبقى خالدة مع الانسان وتكون وسيلة اما لشقائه او لسعادته .

ذكرنا سابقا بان ثواب وعقاب يوم القيامة يتصف بالاثار التكوينية وخواص العمل الذي اتى به الانسان فـــي الـــدنـــيا ، كمايقول القرآن الكريم :(وبدا لهم سيئات ماعملوا وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون) الجاثية ــ٣٣.

وجا في الاية (٥٤) من سورة يس : (ولا تجزون الا ماكنتم تعملون).

وورد نفس هذا المضمون مع قليل من الاختلاف في آيات اخرى عديدة .

وبنا على هذا لا يبقى هناك اي مجال لطرح هذا التساؤل وهو لماذا لم يؤخذ بنظر الاعتبار التناسب بين الذنب والعقوبة ؟.

ينبغي ان يحلق الانسان في سما السعادة بجناحي ((الايمان)) و ((العمل الصالح)) لينال بنعيم الجنة الابـــدي ولذة القرب الالهي فان كان قد كسر جناحيه في لحظة من لحظات المجون او خلال المائة ســـنة التي قضاها في هذه الدنيا ، فعليه ان يعيش الى الابد في الذلة والشقا ، فالقضية هنا ليست قضية الزمان والمكان وحجم الجريمة ، بل هي قضية العلة والمعلول آثاره قصيرة المدى وبعيدة المدى ، وقـــديـــكفي عود واحد من الثقاب لاحراق مدينة باكملها وقد يؤدي غرام واحد من بذورالشوك الى تـــغـــطية صحرا واسعة بالاشواك بعد مدة وجيزة ويكون سببا دائميا في ايذا الانسان ، كما قد تكفي عـــده غـــرامـــات من بذور الورد الى تغطية صحرا شاسعة باجمل الورود واشذاها رائحة تفوح منها العطور فتملا النفوس والقلوب بهجة وارتياح.

فان قال قائل ما التناسب بين عود الثقاب واحراق مدينة باكملها ؟ وماالعلاقة التناسبية بين عدة بذور من الشوك او من الورد وبين الصحرا الفسيحة ؟.

فهل ان هذا السؤال منطقي ؟ من المؤكد ، ل.
فـــاعـــمـــالـــنـــا الصالحة والطالحة على هذا النمط ايضا، فقد تخلف وراهاآثاراخالدة واسعة وكبيرة (فتامل).
والمسالة المهمة هنا هي ان القادة الربانيين والانبيا العظام واوصيائهم كانوا يحذروننا باستمرار من ان نتيجة امثال هذه الذنوب هي العذاب الابدي ،ونتيجة الاعمال الصالحة هي النعمة الابدية الخالدة تـــمـــامـــا كالبستاني الماهر الذي يبين لنا مسبقا الاثار الواسعة التي تنتج عن بذور الورد او الشوك ، ونحن الذين نختارمسارنا بوعي خلال هذا الطريق .
فهل نلوم احدا في هذه الحال ؟ ولمن نؤاخذ ؟ وعلى من نعترض سوى على انفسنا ؟.
الى هنا ينتهي موضوع الثواب والعقاب وجوانبه المختلفة .
القرآن والشفاعة . تمهيد :.
ان الـــعـــقوبات الالهية يوم القيامة ليست ذات طابع انتقامي سوا كانت عابرة ام طويلة الامد او ابدية ، وســـوا كـــانت جسمية ام روحية وسوا اعتبرناها كثارطبيعية للعمل او وضعية ، وقدوضعت بهدف تربية الانسان او كضمانة لتنفيذالقوانين الالهية الرامية الى تنمية الكمال الانساني .
ولهذا السبب ، نرى سبل النجاة مشرعة امام الانسان ــ في نفس الوقت الذي نرى فيه القرآن الكريم يصف العقوبات الالهية بالشدة ــ وتمنح الفرصة للمذنبين للرجوع عن الخطا واصلاح انفسهم وسلوك الطريق المؤدي الى اللّه تعالى .
وتـــعتبر الشفاعة واحدة من هذه الوسائل لانها تعني في المفهوم الصحيح للكلمة انذارا للمذنبين بعدم هـــدم جـــســـور الـــعـــودة باجمعها والحفاظ على خطوطالاتصال مع اوليا اللّه ، وان وقعوا في بعض الذنوب فلا ييأسوا ، وعليهم الشروع بالعودة حيثما كانوا والمسارعة نحو رحمة اللّه الواسعة .
ان بـــحـــث الشفاعة بجميع تفاصيله ونقاطه التربوية المثيرة التي وردت في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، يصب في هذا السياق .
ومـــن الافضل الاكتفا بهذا التمهيد الموجز ، ومن ثم نعود الى القرآن الكريم لنتعرف من خلاله على حقيقة ومفهوم الشفاعة وعلى جميع الامور المتعلقة به.
نستمع فيما يلي خاشعين الى الايات التالية التي قسمت الى عدة مجاميع وبالشكل الاتي :.
١ ــ (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) المدثر ــ٤٨.
٢ ــ (واتـــقـــوا يـــوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولايقبل منها شفاعة ولايؤخذمنها عدل ولاهضم ينصرون) البقرة ــ٤٨ ((٤٢٥)) ٣ ــ (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) السجدة ــ٤ ((٤٢٦)) .
٤ ــ (قل للّه الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون) الزمر ــ٤٤.

٥ ــ (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) البقرة ــ٢٥٥.

٦ ــ (يومئذ لاتنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا) طه ــ١٠٩ ((٤٢٧)) .

٧ ــ (ما من شفيع الا من بعد اذنه) يونس ــ٣.

٨ ــ (وكــم مــن مــلــك في السموات والارض لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعدان ياذن اللّه لمن يشا ويرضى) النجم ــ٢٦.

٩ ــ (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون) الزخرف ــ٨٦.

١٠ ــ (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) الانبيا ــ٢٨.

١١ ــ (لايملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) مريم ــ٨٧.

١٢ ــ (وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) المؤمن ــ١٨.

تفسير وفذلكة :.

المجاميع الخمسة لايات الشفاعة :.

مــتى ما وضعت الايات الاثنتا عشرة المذكورة اعلاه اضافة الى الايات الاربعة المذكورة في الهامش الــى بــعــضــهــا ، تحل بكل وضوح جميع المشاكل االموجودة في موضوع الشفاعة ، ويقدم الجواب المناسب لكل سؤال يطرح في هذاالصدد.

لــكــن عدم الاهتمام بالتفسير الموضوعي لهذه الايات ، والنظر الى بعضهاواهمال البعض الاخر في الــدراســات الــعامة لموضوع الشفاعة قد اثار مشاكل عديدة وانتهى احيانا الى الضلال والى اضلال الاخرين ايضا ، ويعد هذا تقصير من قبل اولئك الذين اداروا ظهورهم للتفسير الموضوعي وحاولوا حل مثل هذه البحوث ــ التي لاتحل الا به ــ من خلال الاستناد الى آية واحدة او عدة آيات ، او حتى يحتمل فيهم سؤ النية في اختيار الايات التي تحقق بها مقاصدهم .

فالايات المذكورة تقسم في الحقيقة الى خمسة اقسام محددة يهدف كل واحد منها الى غرض معين .

القسم الاول :.

الايات التي تنفي الشفاعة بشكل قاطع كالاية الاولى والثانية .

وصنفت الاية الاولى بعض احوال المجرمين الذين لم يكونوا مؤمنين ، واوضاعهم في جهنم وحديثهم مع اهل الجنة ثم قالت : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين).

ان هــذه الايــة وان كــانــت تــنــفي اي نوع من الشفاعة بحق هذا الفريق (بما في ذلك شفاعة الانبيا والاوصــيــا والــملائكة والصديقين والشهدا والصالحين) ، الا ان وجود كلمة ((الشافعين)) وهي ظــهــور الفعلية ، تثبت وجود شافعين ومشفعين في ذلك اليوم وان شفاعتهم لا تنفع هؤلا الذين كانوا يكذبون بيوم الدين ولم يكونوا يصلون ولا يطعمون المسكين .

وكــذلــك تعبير ((فما تنفعهم)) يدل ايضا على ان احوالهم واعمالهم ومعتقداتهم هي التي جلبت اليهم هذا الحرمان .

وعــلــى هــذا الاساس فان هذه الاية وان كانت من الايات النافية للشفاعة ، الا ان نصها يثبت ضمنيا وجود الشفاعة .

ونــفــت الايــة الــثانية الشفاعة ايضا وقالت : (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولايقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون).

رغم ان المخاطبين في هذه الاية هم اليهود ــ بقرينة الاية السابقة لها ــ الا ان حكمها يتسم بالعمومية ويــســد جميع المنافذ امام المخالفين واشارت اثنا ذلك الى اربعة طرق مهمة تعتبر وسيلة للنجاة في هذه الدنيا لكثير من المجرمين :.

الاول : ان تجرى نفس عن نفس ، والثاني : ان يشفع لها شفيع ، والثالث : لودفعت غرامة لجزت عن الــعــقوبة ، والرابع : ان يهب قوم لنصرتها وانقاذها من مخالب العذاب لكن ايا من هذه الطرق ليس لها وجــود يــوم الــقيامة ، والحديث هنا يدور حول نفي الشفاعة هناك نفيا

قاطعا ، ولكن هل يختص ذلك باليهود الذين سلكوا طريق الكفر والعناد ومجانبة الحق ، وقتل الانبيا ، وبهذا فهي لا تتنافى مع آيات الشفاعة والروايات المتواترة الدالة على ان النبي (٩) وسائر المعصومين يشفعون لمذنبي هذه الامة ؟.

ام ان هذه الاية تشير الى ظن اليهود الذين كانوا يتوهمون بان آباهم يشفعون لهم يوم القيامة ، فالاية تبطل هذا الوهم وتجعلهم في باس منه ؟ ام ان ظاهرالاية مطلق وينفي اي نوع من الشفاعة لاي احد ؟.

وتشير الايات الاخرى التي ستاتي لاحقا وكذلك الروايات المتواترة واجماع الامة بان الاية السالفة تـــخص الكفار والاشخاص الذين لا تشملهم الشفاعة بسبب ثقل ذنوبهم ، وعلى هذا فالاية المذكورة ذات طابع عمومي ، والايات الاخرى ذات صيغة مختصة ، وترفع اي غموض في هذا المجال .

سياتي شرح هذا الكلام عن قريب ان شا اللّه .

القسم الثاني :.

الايات ((التي تعتبر الشفاعة خاصة باللّه)). ومـــنـــها الاية الثالثة التي قالت بعد الاشارة الى خلق السموات والارض وحاكمية اللّه على كل شي : (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع).

وبـــنـــا عـــلـــى هذا فان الشفيع هو الخالق المدبر لعالم الوجود لان الشفاعة هي ايضا نوع من التدبير والـــربوبية والتربية ، ومعنى هذا وجوب عدم التعلق بالاوثان والالتجا الى سوى ذاته المقدسة وان وضـــع احـــد مـــن الانـــبـــيا والاوليا على مقام الشفاعة فهو مستمد منه بالتاكيد : كما ان مقام الحاكمية وهداية وتربية الناس ممنوح لهم من قبل اللّه تعالى .

وورد نـــفـــس هـــذا الـــمـــعنى في الاية الرابعة من آيات البحث ، ولكن بصورة اخرى ، اذ تقول لعبدة الاوثان الذين اتخذوها شفعا لهم : (قل للّه الشفاعة جميعا).

ثم تؤكد ان سبب ذلك هو ان : (له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون).

فـــمن البديهي ان من يمتلك حق العفو عن المذنبين وحق الشفاعة او قبول شفاعة الشافعين هو الخالق والمالك لكل الموجودات التي بدا وجودها منه ثم تعودالية في نهاية المطاف .

وعـــلـــى هـــذا فـــان الشفيع في الاساس هو اللّه تعالى ، لا منافس له في ذلك بل يستمد الاخرون منه مـــشـــروعـــيـــة شـــفاعتهم ومن الواضح ان انحصار حق الشفاعة به تعالى دون سواه لايتنافى ابدا مع مـــشـــروعيتة للاخرين ، كما ان الملكية والحاكمية له دون سواه ، ويمكن للاخرين الملك والحكم باذنه وبامره وفي حدودخاصة .

ومـــايـــســـتـــرعـــي الاهتمام هنا هو ان الاية السابقة لها قالت حين نفت شفاعة الاوثان (قل اولو كانوا لايملكون شيئا ولا يعقلون).

وهـــذا الـــتعبير دليل واضح على ان الشفاعة من مختصات المالكية والحاكمية ، وانما اختص بها اللّه تعالى لانه هو المالك والحاكم الاصل في عالم الوجود والاخرون يقتاتون على فتات مائدة

نعمته .

القسم الثالث :.

الايـــات الـــتي تجعل ((الشفاعة منوطة باذن اللّه)) وهي في الحقيقة مكملة لايات القسم الثاني ولذا ورد في الاية الخامسة استفهام انكاري ينص على : (من يملك الشفاعة الا باذنه).

وبـــنـــا عـــلى ماذكر فان الانبيا واوليا اللّه والشفعا يستمدون مشروعية شفاعتهم يوم الجزا من اللّه تعالى ، ويشفعون باذنه ، ومن البديهي ان اذنه منبثق من حكمته اي وفق اسس محسوبة فان كان هناك شـــخـــص لا يـــســـتحق الشفاعة فلا يؤذن بالشفاعة له (احفظوا هذا الكلام جيدا فسياتي شرحه في الظرف المناسب).

مـــن الجدير بالملاحظة ان الاية المذكورة (وهي آية الكرسي) قد اكدت هذة الجملة بعد ان اقرت مـــقـــام الـــقـــيمومة والمالكية للّه تعالى على كل ما في السموات والارض وعلى هذا فان هذه الشفاعة منبثقة من مالكيته وحاكميته وقيمومته .

وبهذا فهي تبطل معتقدات عبدة الاوثان الذين يتذرعون بعبادتها بدعوى انها تشفع لهم عند اللّه .

وورد نـــفس هذا المعنى بصورة اخرى في الاية السادسة ، اذ قالت : (يومئذلا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا).

ولكن من المقصود من : (من اذن له الرحمن) ؟ هنالك احتمالان الاول :هم الشفعا باذن اللّه ، والثاني : هم الذين تشملهم الشفاعة باذن اللّه .

الا ان الاحتمال الاول يبدو هو الاصح لانه يتسق ومضمون الاية السابقة (آية الكرسي) فهناك كان الـــحـــديـــث يـــدور حول الاذن للشفعا ، وتمثل الاية اللاحقة شاهدا آخر على صحة هذا القول ولهذا السبب اختار الكثير من المفسرين هذاالمعنى .

ويـــنعكس كلا المعنيين في جملة (ورضي له قولا) ، الاول انها تعود على الشفعا اي تقبل شفاعة من رضي اللّه قوله وشفاعته وعلى هذا فان الجملتين تؤكداحداهما الاخرى .

والثاني : ان المقصود هو المشفوع له من الذين رضي اللّه قولهم ، وبعبارة اخرى هو الذي كان عمله وكـــلامـــه ومعتقده صالحا وصار موضعا لرضى اللّه لكي يشفع له ، ولكن بما ان الجملة الاولى تقصد الشفعا ، فمن الانسب ان تكون الجملة الثانية اشارة الى ذلك ايضا ، لتكون عودة الضمائر على وتيرة واحدة .

وعلى جميع الاحوال تشكل الاية دليلا واضحا على وجود الشفاعة باذن اللّه ، لفريق من المؤمنين .

وتـــم فـــي الاية السابقة تبيان نفس ذلك المعنى بصورة اخرى اذ قالت :(مامن شفيع الا من بعد اذنه) فلماذا تعبدون الاصنام ؟ (ذلكم اللّه ربكم فاعبدوه افلاتذكرون).

وجـــا نـــفـــس هذا المعنى في الاية الثامنة بشان شفاعة الملائكة ، اذ تؤكد ان شفاعتهم تقبل باذن اللّه ايـــضـــا ، اذ ورد فيها : (وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان

ياذن اللّه لمن يشا ويرضى).
فـــالـــمـــكان الذي لا يستطيع فيه ملائكة السما وبكل مالديهم من عظمة من الشفاعة الا بادنه ، فماذا نتوقع من الاوثان التي لا شعور لها ولا تمتاز باية قيمة معنوية ؟ اليس من المخجل ان يقولوا نعبدها لتكون شفيعة لنا عنداللّه ؟ والمثير هنا هو استخدام كملة ((كم)) للتعبير عن اهمية الموضوع ، وهو مايستخدم عادة للكثرة وهـــو مـــوســـوم هنا بطابع العموم وجا في الاية كذلك تعبير ((في السموات)) وهو دلالة على علو مـــقـــامهم ووردت كذلك كلمة ((شفاعتهم)) بصيغة الجمع لكي يفهم ان شفاعتهم جميعا لا اثر لها الا باذن اللّه ورضاة .
ولـــعـــل التاكيد على الملائكة دون بقية الشفعا جا هنا لان فئة من العرب كانت تعبدن ، الاوثان او ان المقصود : فان كانت شفاعة الملائكة غير مجدية الا باذن اللّه ، فماذا يتوقع من الاصنام الجامدة ؟.
والـــفـــارق بـــيـــن ((الاذن)) و ((الرضا)) هو ان الاذن يقال حين يعلن المرا عن رضاه ، لكن الرضا مـــنوط بالباطن ، وانطلاقا من ان الرضا قد يكون مفروضا احياناوعارعن الرضا الباطني ، فقد ورد الاثـــنـــان ســـوية في هذا الموضع ليتم تاكيد الغرض رغم ان الفرض على اللّه لايمكن تصوره (جل وعلا) وان رضاه مستوسق مع اذنه (فتامل).
هل ان هذا الاذن مرتبط بالشفعا ام بالمشفع لهم ؟ فالاية التي نحن بصددها تحتمل المعنيين ، رغم ان معناها العام يبدو اكثر اختصاصا بالشفعا اي ان اللّه ياذن ويرضى لهم بالشفاعة .
القسم الرابع :.
الايـــات ((التي حددت بعض الشروط للشفيع والمشفوع له)) من جملة ذلك الاية التاسعة التي تنفي بـــقولها : (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) ثم انهااستثنت منهم فريقا فقالت : (الا من شهد بالحق وهم يعلمون).
يبدو ان الصفة الاولى للشفعا هي الشهادة بالحق ، فلابد ان يكون الشفيع موحدا ، اي لا تتحق الشفاعة الا في ظل التوحيد ونبذ الاصنام والاستعانة بلطف اللّه .
قـــال بعض المفسرين : ان هذا الوصف للمشفوع لهم اي ان الشفاعة لاتشمل الا من يقر بحقانية اللّه ووحدانيته ، فهي لا تشمل المشركين على مطلق.
لـــكـــن ظـــاهـــر الاية ، دال على التفسير الاول ، لان التفسير الثاني يحتاج الى التقدير ((٤٢٨)) ، والتقدير خلاف للظاهر.
امـــا الوصف الثاني : ((وهم يعلمون)) فقد ورد كلا التفسيرين بشانه ايضا ، فان كان الوصف للشفعا فـــســـيـــكـــون مـــعـــنى الجملة : اؤلئك الذين يشهدون بالحق عن علم ووعي ، او ان كان المقصود هم المشفوع لهم فيكون المعنى حينئذ انهم يعرفونهم ويعلمون لمن ينبغي ان تكون الشفاعة .
فـــان كـــان الوصف للمشفوع لهم ، يجب ان يكون مفهومها هو ان الشفاعة تشمل من ينطقون

بحق كلمة التوحيد ويقولونها عن علم ووعي انطلاقا من الدليل والبرهان وهي غير مقصورة على اللنسان .

وجـــا نـــفـــس هـــذا المعنى بصورة اخرى في نفس هذه الاية التي نحن بصددها ، فبعد استنكار الاية ورفـــضـــهـــا لـــقـــول عـــبدة الاوثان الذين يظنون ان الملائكة ابنا اللّه تقول لهم بانهم عباد اللّه وانهم (لايشفعون الا لمن ارتضى) وفي الحقيقة (وهم من خشيته مشفقون).

وعـــلـــى هـــذا فعبادة الملائكة لاجل نيل شفاعتهم (وهي عقيدة المشركين)لا طائل من ورائه فهم ياتمرون بامره تعالى ولا يشفعون الا لمن يرتضي ، اي للموحدفقط.

وعـــلـــى هذا تكون جملة ((لمن ارتضى)) اما اشارة الى رضاه عن دينهم وتوحيدهم وايمانهم ، واما كونه راضيا عن الشفاعة لهم ، وكلاهما يرجعان الى معنى واحد.

وانطلاقا مما ذكر فان شفاعة غير اللّه لا تكون الا باذنه ، واذنه يختص بالمؤمن والموحد.

ويـــطـــالـــعـــنـــا في الاية التاسعة تعبير جديد يجري في نفس هذا المجرى ،فالاية تتحدث عن سوق المجرمين نحو جهنم ثم تقول : (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا).

وهذا الوصف لمن يشفع لهم (بقرينة الاية السابقة لها والتي تتحدث عن المجرمين).

ومـــن الـــمـــؤكد ان المقصود بالعهد هنا هو الايمان باللّه والاقرار بوحدانيته وتصديق الانبيا وقبول ولاية الاوصيا ، وقد اضاف البعض الى كل ذلك العمل الصالح .

ورغـــم كـــثـــرة الاحتمالات التي طرحها المفسرون في تفسيرهم لكلمة ((العهد)) ، الا انه يتضح خلال التمعن فيها انها تعود الى المعنى الذي اشرنا اليه آنف.

واحتمل بعض المفسرين الكبار ان يكون هذا الوصف للشفعا وان المقصود بـــ ((العهد)) هنا هو نفس ما ورد في الاية (٨٦) من سورة الزخرف ، اي ((الشهادة بالحق)) ((٤٢٩)) .

ولـــكـــن بما ان الضمير في ((لا يملكون)) ينبغي ان يعود على صريح مذكورفي الاية السابقة وان كلمة ((المجرمين)) هي المذكورة الاية ، يبدو هذا الاحتمال مستبعدا ، والظاهر ان الوصف يخص المشفوع لهم .

وعـــلـــى هذا الاساس يجب ن تكون هناك علاقة بين الشفيع والمشفوع له قائمة على الايمان والعمل الصالح لان الشفاعة هناك محسوبة ولا تعني مطلقاالتوسط لمن لا يستحق .

جـــا فـــي حـــديث عن النبي (٩) انه قال : ((من ادخل على مؤمن سرورافقد سرني ومن سرني فقد اتخذ عند اللّه عهدا)) ((٤٣٠)) .

من المؤكد ان حدا لو ادخل السرور على المؤمن لاجل ايمانه ، فهو من ذوي الايمان والعمل الصالح وذلك مما يوثق علاقته باللّه من اجل قبول شفاعته .

القسم الخامس :.

(وهـــو الـــقسم الاخير من الايات التي ندرسها) ويشير الى الاشخاص الذين لاتنالهم الشفاعة بسبب ماارتكبوه من اعمال ومفهومها ان الشفاعة تشمل فئات اخرى ، تقول احداهما : (ما

للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع).
اذن فغير الظالمين بشكل عام يستحقون الشفاعة .
ولكن مالمقصود بالظالمين ؟ قال البعض من امثال المحقق الطبرسي في مجمع البيان انهم المشركون والمنافقون لان اسوا الظلم هو الشرك والنفاق ((٤٣١)) .
وصرح الفخر الرازي بان المقصود بـــ ((الظالمين)) هناالكفار ((٤٣٢)) .
والايات السابقة لهذه الاية ، ومطلع نفس هذه الاية الذي يحذرهم من عذاب يوم القيامة وكذلك الايات الـــواردة بـــعـــدها والتي تذكر مصير الكفار السالفين الذين اصحبوا عبرة من خلال تعرضهم للعذاب الالهي ، هي ايضا شاهد ودليل على هذا المعنى .
وقال بهذا الراي كل من صاحب تفسير روح البيان ، وصاحب روح المعاني والمراغي .
وعلى كل حال فان نفي الشفاعة عن الظالمين بالخصوص (وبغض النظرعن المعنى الذي تفسر فيه كـــلـــمـــة الظالمين) دليل على اثباتها لاقوام آخرين وهذا ماكدناه مرات عديدة فالشفاعة لا تحصل اعـــتـــبـــاطـــا بـــل تحتاج الى نوع من الاستحقاق والتاهيل اي ان المذنبين على صنفين : صنف يستحق الشفاعة وصنف لا يستحقه.
النتيجة :.
نـــظرا لكثرة وتنوع الايات الانفة الذكر ، واقسامها الخمسة المخصص كل واحد منها الى جانب من جـــوانـــب الـــشفاعة ، وبالالتفات الى الوجهة العامة لهاوتفسيرها بالاستعانة ببعضها وهو ماشرنا اليه سابقا ، يتضح لدينا حقيقة ومفهوم الشفاعة وكذلك شروطها وفلسفتها واهميتها ودورها البنا ، ويمثل ايـــضـــا اجـــابـــات عـــن الاعـــتـــراضـــات الـــمـــخـــتـــلفة التي يطرحها الناس غير الواعين بسبب عدم احاطتهم بمجموعة الايات المتعلقة بموضوع الشفاعة .
لـــكن اهمية المسالة تقضي بفصل كل واحد من هذه المواضيع عن بعضهاوتفسيرها مفردة من اجل ان تـــتـــم الاستعانة بالايات القرآنية والتحليل المنطقي لازالة الصدا عن هذه المرآة ، واليكم فيما يلي الايضاحات المهمة في موضوع الشفاعة .
الايضاحات :.
.١
مفهوم الشفاعة :. لـــو فـــكرنا في المفهوم اللغوي الصحيح لكلمة الشفاعة لاستطعنا الحصول على مدلولها الاسلامي لان كلمة الشفاعة ماخوذة من المصدر ((شفع)) ويعني ((ضم الشي الى مثله)) ومن هنا تتضح ضرورة وجود نوع من التشابه بين الاثنين رغم الفروقات الموجودة بينه.
ولـــهـــذا الـــســـبـــب فالشفاعة بمفهومها القرآني تعني ان الشخص المذنب الذي يتصف ببعض الجوانب الايـــجـــابية (كالايمان او العمل الصالح) يشبه اوليا اللّه ، وهم بدورهم يبذلون له العون ويسوقونه نحو جادة الكمال ويطلبون له المغفرة من اللّه تعالى .
ويمكن وصف حقيقة الشفاعة بصيغة اخرى فهي عبارة عن وقوف كائن اقوى وافضل الى جانب

آخر اضعف ليعينه على طي مراتب الكمال .
ان الـــشـــفـــاعـــة للاشخاص المخطئين موجودة في المجتمعات البشرية على مر العصور وربما كان الاشـــخاص المتنفذون يشفعون للمخطئين عند اصحاب السلطة قبل نزول القرآن بلاف السنين ، الا ان الشفاعة السائدة بين اوساط الناس تختلف عن الشفاعة في منطق القرآن والاديان السماوية بفارق واحـــد مـــهـــم وواضـــح وهـــو : ان الشفاعة في المجتمعات الانسانية غالبا ما يقصد بها قبول شخص مـــتـــنـــفـــذللحاجة اليه في وجه من الوجوه ، ولذلك تقبل شفاعته للشخص المخطي ، لكي يستفيد من الشخص في الظرف المناسب لبلوغ غاياته فـــالـــمـــلـــوك مثلا كانوا يقبلون شفاعة حواشيهم ورجال دولتهم في بعض المجالات لكي يعظمونهم ويمجدونهم وليستفيدوا منهم في انجاز اعمالهم في الوقت المناسب .
وكـــذلـــك كان الشفعا ياخذون بنظر الاعتبار علاقتهم الشخصية بالمشفوع له ، وليس اهليته ومدى استحقاقه له.
ولكن لما كان اللّه غنيا بالذات وغير محتاج على الاطلاق ، فالشفاعة لديه تاخذ طابعا آخر وهو ان الـــشـــفعا لديه ينظرون الى المخطئين ليروا من منهم ينال رضااللّه بسبب بعض النقاط الايجابية لديه كـــالايـــمـــان والـــعمل الصالح ، فيشفعون له عند اللّه لاجل هذه الجوانب الايجابية ، وهذا هو الفارق الشاسع بين الشفاعة المتداولة بين الناس وشفاعة اوليا اللّه لديه ، اذ ان الاولى قائمة على العلاقات في حين ان الثانية قائمة على الضوابط والاستحقاقات :.
ومـــن هذا المنطلق يمكن الرد على بعض المنتقدين الجهلة الذين يرون الشفاعة نوعا من الوساطة او انها بمثابة الضؤ الاخضر للمذنبين ، وقارنوها بشفاعة حواشي الملوك المتجبرين فالاسس التي تقوم عليها الشفاعة في مفهومها الشرعي تعتبر بناة ومبنية على عوامل اللياقة والاستحقاق ، في حين تنبع الـــشـــفـــاعـــة الـــمـــتـــعـــارفـــة بـــيـــن الناس في اغلب اشكالها من الحاجة المتبادلة بين الطرفين وعلى العلاقات الخاصة والشخصية غير المنطقية .
فالشفاعة الالهية تربوية ، والشفاعة المتعارفة تكون سببا للاجترا على ارتكاب الذنب احيان.
وتمثل الايات التي ذكرت سابقا شاهدا حيا على هذا المعنى ، لانها تحددخصائص للمشفوع لهم تقوم على الجوانب الايجابه والتاهيل والاستحقاق ، وكثيراماتكون الاسس المقبولة للاستحقاق هي العمل الصالح .
.٢
انواع الشفاعة (الشفاعة التكوينية والشفاعة التشريعية). لو القينا نظرة على الشفاعة لوجدناها من زاوية المصداق الخارجي واسعة الى حد انها تشمل كل عالم الـــوجـــود ، لان مـــساعدة الكائنات الاقوى للكائنات الاضعف على العيش والنجاة والحياة مشهودة في جميع مجالات الحياة .
فـــحين تنفلق البذرة وتخرج منها نبتة ضعيفة تهي لهاالارض الموادالغذائية اللازمة ، وترسل عليها الـــشمس اشعتها وحرارتها وطاقتها الخفية ، وتسقطعليها الغيوم قطرات متواصلة من

المطر ، لكي يـشـتـد هـذا الكائن الضعيف ويجتاز العقبات ليغدو في نهاية المطاف شجرة صخمة محملة اغصانها بالثمار هذا مشهدواضح للشفاعة التكوينية .

وهـنـالـك مـشاهد اخرى للشفاعة التكوينية تتمثل في وقوف الوالدين الى جانب المولود الضعيف ، والـبستاني الى جانب البراعم ، والمعلم الى جانب الطفل الذي يتعلم حروف الهجا ، وعلى هذا يمكن اعتبار كل عالم الاسباب والعلة والمعلول مشاهد متنوعة لهذه الشفاعة .

ان الـشمس والريح والمطر والارض لا تهرع بالتاكيد لاعانة خشبة يابسة ،فهي حطب ولا مصير لـهـا سوى الاحتراق ، بل تهب لمساعدة النبتة المتفتحة تواوالبراعم الضعيفة وباختصار كل كائن يمتلك مقومات الكمال والنمو.

ولو نقلنا هذا المثال الواضح من عالم التكوين الى عالم التشريع اي الى شفاعة الانبيا والاوليا للمذنبين ، سيتضح لنا المفهوم الحقيقي للشفاعة القرآنية ،ويكون ذلك رد على انتقادات الناس غير الواعين ، وهنا تبرز لنا الشفاعة مفهومهاالتربوي على اكمل وجه .

وردت في نهج البلاغة كلمة للامام امير المؤمنين علي (٧) ضمن كلماته القصار ، جملة تعكس هذا المعنى باسلوب جذاب جدا يقول فيها : ((الشفيع جناح الطالب)) ((٤٣٣)) .

فـكما ان الطيور صغيرة السن لا يمكنها الطيران الا باعانة من الاب والام وكانهما يمثلان اجنحتها الـتي بها تطير الى ان تكبر ، فكذلك الشفعا يساعدون المشفوع لهم ليحلقوا في سما السعادة والكمال (فتامل).

.٣

فلسفة الشفاعة :. لقد اتضحت لدينا فلسفة الشفاعة من خلال ما قيل في تفسيرها وكذلك من خلال الاشارات العديدة التي اوردناها في تفسير الايات .

فـالـشـفاعة لا هي تشجيع على الذنب ولا هي بالضؤ الاخضر لركوب المعاصي ولا هي من اسباب الـتـخلف ولا هي شي يشبه الواسطة في مجتمعات عالم اليوم ، بل هي مسالة تربوية تحضى باهمية بالغة ، ولها آثار ايجابية في الجوانب المختلفة من جملة ذلك :.

اـ.

بعث الامل ومواجهة روح الياس :. كثيرا مايتغلب هوى النفس على الانسان ويدفعه لارتكاب الذنوب الكبرى ، فتتغلب من بعد ذلك روح الياس عليه ، مما يدفعه لارتكاب المزيد منهاحتى يغدو غارقا في الذنوب لانه يتصور انه قد تجاوز الحد وغرق فماذا يفرق ان انغمس في الما لقامة واحدة او لمائة قامة لـكـن الاعتقاد بشفاعة اوليا اللّه يقدم له الامل فلو وقف عند هذا الحدواصلح نفسه ، فقد يعفى عما سـلـف منه وذلك عن فطريق شفاعة الابرار والصالحين وعلى هذا فان الامل بالشفاعة يساعد على الكف عن ارتكاب المزيد من الذنوب والعودة الى الصلاح والتقوى .

ب .

ايجاد العلاقة المعنوية مع اوليا اللّه :. لــو امــعنا النظر في ما قيل سابقا في تفسير مفهوم الشفاعة لتوصلنا وبكل سهولة الى نتيجة مفادها ان الــشفاعة مرهونة بوجود نوع من العلاقة بين الشفيع والمشفوع له ، وهي رابطة معنوية منبثقة من الايمان وبعض الخصال الفاضلة وفعل الحسنات .

ومــن المؤكد ان مرتجي الشفاعة يسعى دوما لاقامة نوع من العلاقة مع الشفعا وفعل ما يرضيهم ولا ينسف جسور العودة من خلفه ، ولا يفسخ عرى الصداقة والمحبة عن آخرها وسيكون مجموع هذه الاجــرااات عوامل مؤثرة في تربيته ، وسببا لابتعاده عن صف المجرمين بالتدريج ، او ان يقوم على اقل تقديربعض الاعمال الصالحة الى جانب المعاصي والذنوب ، لانقاذ نفسه بالتدريج من الوقوع في حبائل الشيطان .

ج .

نيل شروط الشفاعة :. وردت في الايات التي جئنا بتفسيرها سابقا شروط مختلفة للشفاعة واهمها استحصال الاذن من اللّه بــذلك ، ومن البديهي ان من يرتجي الشفاعة لابد وان يحاول التمهيد للحصول على الاذن ، اي يفعل ما يرضي اللّه .

فــقد ورد في بعض الايات السابقة ان الشفاعة يوم القيامة لا تنفع الا من رضي الرحمن قوله واذن له بالشفاعة (ط / ١٠٩).

وجــا فــي الاية (٢٨) من سورة الانبيا انهم : (لا يشفعون الا لمن ارتضى) وتقول الاية (٨٧) من ســورة مــريــم ان الــشــفــاعة لا تكون الا لمن (اتخذ عند الرحمن عهدا) وكما قلنا سابقا فان هذه المقومات لا تتحقق الا في ظل الايمان باللّه وبمحكمته العادلة والاعتراف بحسن العمل الصالح وقبح السيئات والاقرار بصحة جميع القوانين والتعليمات الالهية .

الاضافة الى ذلك فقد ورد في بعض الايات المارة ان الشفاعة لاتشمل الظالمين وبنا على هذا يتوجب على من يرتجي نيل الشفاعة الخروج من صف الظالمين (بغض النظر عن المعنى الذي تفسر به كلمة الظلم).

ومــن مــجــمــوع هذه العوامل يتعين على كل من يامل الفوز بالشفاعة اعادة النظر في اعماله السالفة واتــخــاذ الــقــرارات الافضل بشان سيرته المستقبلية : وهذه ايضا تعتبر بذاتها نقطة ايجابية ومن العوامل التربوية الفاعلة .

د.

الاهتمام بسلسلة الشفعا :. تــعــتبر الاشارات الواردة بخصوص الشفعا في الايات الشريفة ، وكذلك التصريحات التي نقلتها لنا الروايات ، دليلا آخر على الابعاد التربوية للشفاعة .

جــا فــي حــديث عن النبي (٩) انه قال : ((الشفعا خمسة : القرآن ،والرحم ، والامانة ، ونبيكم ، واهل بيت نبيكم)) ((٤٣٤)) .

وجــا فــي مــسند احمد حديث آخر عن النبي الكريم (٩) قال فيه :((تعلموا القرآن فانه شافع

يوم القيامة)) ((٤٣٥)) .

وورد نفس هذا المعنى في نهج البلاغة في كلام مولى المتقين امير المؤمنين (٧) قال فيه : ((فانه شافع مشفع)) ((٤٣٦)) .

ويستفاد من عدة اخرى روايات بان افضل الشفاعة التوبة ، فعن علي (٧) قال : ((لا شفيع انجح من التوبة)) ((٤٣٧)) .

وصـــرحت بعض الاحاديث ايضا بشفاعة الانبيا والاوصيا والمؤمنين والملائكة ، كالحديث المنقول عن النبي (٩) انه :((الشفاعة للانبيا والاوصياوالمؤمنين والملائكة ، وفي المؤمنين من يشفع مثل ربيعة ومضر ، واقل المؤمنين شفاعة من يشفع ثلاثين انسانا)) ((٤٣٨)) .

وجـــا فـــي حديث عن الامام الصادق (٧) انه قال : ((اذا كان يوم القيامة بعث اللّه العالم والعابد ، فاذا وقـــفـــا بـــيـــن يدي اللّه عز وجل قيل للعابد : انطلق الى الجنة ، وقيل للعالم : قف تشفع للناس بحسن تاديبك لهم)) ((٤٣٩)) .

يـــظـــهـــر مـــن هذه التعابير وخاصة الاخير منها ان الشفاعة نتاج العلاقة المعنوية القائمة مع الصلحا والابرار والمؤمنين والعلم.

امـــا عـــن الشهدا فقد روي عن النبي (٩) انه قال : ((ويشفع الرجل منهم في سبعين الفا من اهل بيته وجيرانه)) ((٤٤٠)) .

وحتى ان بعض الروايات اشارت الى ان : ((شافع الخلق : العمل بالحق ولزوم الصدق)) ((٤٤١)) .

وصـــفـــوه الـــقـــول الـــتي يمكن استخلاصها من مجموع هذه الروايات وغيرهاالواردة في المصادر الاسلامية ان الشفاعة من المسائل التربوية المهمة في الاسلام والتي تعكس القيم الاسلامية السامية مـــن خلال الاهتمام بنوع الشفعا ، وتحث جميع المسلمين للالتزام بهذه القيم والصفات التي يتمتع بها الـــشـــفـــعا ، وتشجع على تقوية وتوثيق العلاقات معهم ، وتجلو عنها كل تفسير خاطي وكل تحريف باطل ((٤٤٢)) .

.٤

متى تكون الشفاعة ؟. لاشـــك ان احـــد الاوقات التي تتحقق فيه الشفاعة هو يوم القيامة ، وذلك لان الكثير من آيات الشفاعة تـــخـــتص بذلك اليوم ولكن هل تحصل الشفاعة ايضا في عالم البرزخ او في عالم الدنيا ؟ وهل هناك شفاعة في الاخرة وقبل انتها الحساب ام لا ؟ هناك آرا في ذلك منها :.

للعلامة الطباطبائي بحث مفصل في هذا الصدد ، وفي ختامه يستنتج ماياتي :.

ان الـــشفاعة تكون في آخر موقف من مواقف يوم القيامة باستيهاب المغفرة بالمنع عن دخول النار ، او اخراج بعض من كان داخلا فيها ، باتساع الرحمة او ظهورالكرامة .

ويشير في بعض كلماته الى عالم البرزخ وما يدل على حضور النبي (٩)والائمة (:) عندد الموت

وعند مسائلة القبر واعانتهم اياه على الشدائد.

ويضيف : فليس من الشفاعة عند اللّه في شي وانما هو من سبيل التصرفات والحكومة الموهوبة لهم باذن اللّه سبحانه ((٤٤٣)) .

والغريب في الامر انه عندما يتحدث عن حقيقة الشفاعة يعطيها من الشمولية بحيث يعتبر اي نوع من تـــاثـــير الاسباب في عالم التكوين والتشريع مشمولابالشفاعة ، ولكنه لايعتبر هنا مساعدة اوليا اللّه لجماعة من المؤمنين لانقاذهم من مشكلات القبر والبرزخ ، مصداقا للشفاعة .

وعـــلى اية حال يستشف من مجموع الايات والروايات ان الشفاعة ــ بالمعنى الواسع للكلمة ــ تتحقق فـــي العوالم الثلاث (الدنيا والبرزخ والاخرة) رغم ان الموضع الاصل لها والاثر المهم هو في يوم القيامة لغرض النجاة من عذاب النار.

جا في الاية (٦٤) من سورة النسا : (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا اللّه واستغفر لهم الرسول لوجدوا اللّه توابا رحيما).

وهل ان استغفار الرسول (٩)للمؤمنين المذنبين يعني شيئا سوى الشفاعة ؟ وجا نفس هذا المعنى في موضع آخر من القرآن الكريم في قصة يعقوب وابنائه اذ طلبوا من ابيهم ان يستغفر لهم ربهم (يوسف ــ٩٧).

وحصل في هذه الدنيا الكثير من ذلك حيث نجا اشخاص او اقوام من عذاب الدنيا بسبب شفاعة الانبيا واوليا اللّه ، ولم يكن ذلك الا شفاعة .

ولـــديـــنـــا روايات كثيرة ايضا تفيد ان اعمال الانسان الصالحة كالصلاة والصوم والولاية وامثالها او حـــضـــور اولـــيا اللّه تكون سببا في تخفيف عقوبات وآلام الشخص في عالم البرزخ كما يؤدي دفن انسان صالح لديه حسنات كثيرة في مقبرة ما الى تخفيف ذنوب من دفن فيه.

وهذه كلها اشارات الى وجود الشفاعة في عالم البرزخ .

وحتى ان صلاة الميت وماتتضمنه من الاستغفار له لاتخلو من التاثير ،وهي نوع من الشفاعة ايض.

وعـــلى هذا فليست الشفاعة محدودة في عالم خاص ، بل تضم العوالم الثلاثة الا ان المكان الاصل لها هو القيامة والوقوف على مشارف العذاب الالهي .

سؤال :.

قـــد يـــقال ان روايات عديدة وردت عن الائمة المعصومين (:) تؤكدخوفهم على شيعتهم من عذاب البرزخ كما نقل عن الامام الصادق (٧) قوله : ((واللّه ماخاف عليكم الا البرزخ ، فاذا صار الامر الينا فنحن اولى بكم)) ((٤٤٤)) .

ونـــقـــرا عنه (٧) حديثا آخر يتضمن وعدا منه بالشفاعة للمؤمنين المخطئين يقول فيه : ((ولكني واللّه اتـــخوف عليكم من البرزخ)) يقول الراوي : فقلت له : مالبرزخ قال : القبر منذ حين موته الى يوم القيامة)) ((٤٤٥)) .

ولكن يحتمل ان تخص هذه الروايات مرحلة معينة من البرزخ ، او ان لهابعدا استثنائيا ومحدودا قد يتحقق في ظل مجاورة احد اوليا اللّه وهي غير شاملة لجميع من يستحقون الشفاعة .

٥.

الاعتراضات الاساسية المطروحة بشان الشفاعة :. كـما قلنا في تفسيرنا لمعنى الشفاعة في راي القرآن الكريم الاسلام بان لهامفهوما فيهما يختلف كليا عـمـا هـو مـتعارف بين اوساط الناس ، وان تشابههما هوالسبب في بروز الكثيز من الاعتراضات والاخـطـا فـي هـذا الـمـجال ، والحقيقة ان الاجابة عن اغلب تلك الاعتراضات تكمن في التفسير الصحيح لمفهوم الشفاعة في الاسلام .

نكتفي بهذا التمهيد الموجز ونعود لطرح تلك الاعتراضات ونجيب عنها :.

.

الا تعتبر الشفاعة تشجيعا على ارتكاب الذنوب ؟. الا يـكـون الامـل بـالـشـفاعة والاتكا اليها سببا لكي يعتبره البعض بمثابة الضؤ الاخضر لارتكاب الـمـعاصي ، فيوغلون في ممارسة انواع الذنوب والجزائم متاملين انقاذ الشفعا لهم من العذاب الالهي في يوم الجزا وبهذا تكون اذهانهم في راحة تامة التهديد الرباني بالعذاب ؟ او بتعبير آخر : ربما ان عـقـوبـات الـقـيـامـة ضـمـانـاجـرائيـا لـتـنفيذ القوانين الالهية واجتناب معصيتها ، اقلا تعتبر الشفاعة اختراقالهذه الضمانات ؟.

الجواب :.

كـمـا قـيل سابقا فان الشفاعة بمفهومها القرآني لا تحث على ارتكاب الذنب ، وليس هذا فقط بل انها عـامـل ردع قـوي ايـضا يحول دون ذلك ، لانها تجعل الاشخاص يتوقفون في اي مرحلة كانوا ولا يوغلون في طريق المعصية اكثر من ذلك ، ويشرعوا بالعودة تدريجي.

وبـتعبير آخر ، يمكن القول ان الشفاعة بمفهومها الاسلامي تعتبر نتاجا لنوع من العلاقة بين الشفيع (اوليا اللّه والقرآن او) والمشفوع له ، وهي رهينة باذن اللّه ويستلزم ارضية الهية ، وبنا على هذا فـان امل الشفاعة يقول للانسان : يجب عليك اقامة علاقة ايمان وعمل مع اوليا اللّه ، وان تعمل ما من شانه جلب رضا اللّه ليكون لك مدافعا في ذلك اليوم العصيب وسببا للشفاعة عندهم .

ولـهذا السبب يكون امل الشفاعة رادعا عن ارتكاب الذنب من جهة وعاملا لاعادة النظر في ماارتكب من سيئات في الماضي .

ولايـخـفى ايضا ان احدا لم يتسلم ضمانا بالشفاعة من اي ولي من اولياءاللّه ، ولا يمكن لاي مذنب ان يـطـمـئن الـى قـول الشفاعة فيه ، بل انها مطروحة كاحتمال وامل وهذا ايضا مشروط بالشروط المذكورة آنفا وعلى هذا فهي لاتدفع مطلقا على التجرؤ على الذنب .

ب .

لمن الشفاعة ؟. هــل هــي لــلــشخص النادم على الذنب ؟ فهذا في غنى عن الشفاعة لان التوبة تعني الندم وهي سبب الخلاص واذا وجدت التوبة فما الحاجة للشفاعة ؟ وان كانت لمن هو غير نادم على الذنب ، بل يقف امــامــه بكل صلافة وجسارة ، فمثل هذاالشخص لا يستحق الشفاعة وهو ليس مصداقا لقوله ((من ارتضى)) في الاية (٢٨) من سورة الانبي.

الجواب :.

اولا : ان لــلتوبة شروطها وكثيرا ما يخفق الانسان في انجاز كل تلك الشروط لان عددا من الايات الــقــرآنــية نصت على ان التوبة اصلاح الماضي اي لو ان احدا كان يرتكب الذنوب لسنوات متماديا ويــدخــل باب التوبة نادما يجب عليه اصلاح مامضى سوا كان حق اللّه ام عمل الخير ، واذا كان حق الــناس فيجب عليه اداؤه عن آخره ، وعلى هذا فالتوبة وخلافا للتصور السائد لاتقتصر على الندم لوحده .

ومــااكــثــر الــنــاس الــذين يفشلون في تحقيق هذا الاصلاح ، بينما هو غارق في الندم فان لم يتعلق بالشفاعة يسقط في الياس من الغفران ، وان هو ياس توغل اكثرفي ارتكاب الذنب .

ثــانيا : قد يكون الشخص قد ارتكب الكثير من الذنوب الا ان الحظ لم يحالفه في التوبة والندم ، فان شعر بامكانه الاخذ بيده يوم القيامة على يد الشفعاشريطة هجر بقية الذنوب او القيام باعمال الخير ، فهذا سيشجعه على اقل تقدير الى ترك الذنوب الاخرى وفعل عمل الخير.

ج .

هل تتناسب الشفاعة مع العدل الالهي ؟. كيف تقع لعدد من المذنبين المتشابهين مع بعضهم في الذنوب .

كيف تنجو طائفة من العذاب الالهي بالشفاعة ، وتقع الاخرى في مخالب ذلك العذاب ؟ الا يعتبر هذا التمييز منافيا لعدل اللّه ؟.

وقد يطرح هذا الاعتراض احيانا بضيغة اخرى ، فيقال : ان كان العقاب الرباني للمذنبين عدلا : اذن فــطلب اوليا اللّه الشفاعة هو تعطيل للعدل وان لم يكن متسقا مع مبدا العدل ، فينبغي ان لا تجرى تلك العقوبة من الاساس .

والجواب على هذا الاعتراض يمكن استخلاصه من بين طيات البحوث السابقة ، للاسباب الاتية .

اولا : ان الــشفاعة لاتتحقق بغير الارضية المناسبة فكل من يستحقها ينالهاوكل من لا يستحقها فهو مستبعد عنها ، وعلى هذا لا يوجد فيها اي تمييز.

ثــانــيــا : ان مــجازاة المذنب هي عين العدل ، اما قبول الشفاعة فهو نوع من التفضل لاجل ما يمتاز به المشفوع له من ارضية صالحة من جهة ، وتكريماواحتراماللشفيع وما قام به من عمل صالح من جهة اخرى .

د.

الا تتعارض الشفاعة مع ارادة اللّه ؟. قــد يــتصور احيانا بان الشفيع يعوق ارادة الحاكم العادل

، وينقذ من العقوبة الشخص الذي ينوي ذلك الحاكم معاقبته الا ان هذا الكلام لا يصدق بحق اللّه جلت عظمته .

فهذا التصور الخاطئ ناتج من اعتبار الشفاعة التي يطرحها القرآن مماثلة للشفاعة المتعارفة بين يدي الـــجبارين والحكام الظالمين فالاشخاص المتنفذين عندهؤلا الحكام يحاولون استنقاذ المذنبين الذين يـــرتبطون معهم بصلة ما ،خلافاللاصول المرعية ، فيضطر الحاكم او السلطان النزول عند رغبة هـــؤلاالـــمـــتـــنـــفذين ـــ لحاجة اليهم ـــ وقبول شفاعتهم والتغاضي عن معاقبة المذنب وقد تكون خلافا لرغبته احيان.

الا ان هـــذه الـــمـــســـائل وكما قلنا سابقا لا تصدق على اللّه تعالى ولاتنطبق على الشفاعة بين يديه ، فـــالـــشـــفاعة هناك لها طابع آخر ، فاوليا اللّه يطلبون الشفاعة باذن اللّه لمن لديهم ذنوب ليست ثقيلة ولـــديـــهـــم فـــي مقابل تلك الذنوب اعمال صالحة ايضا وطرح هذا الموضوع يعتبر في الحقيقة تربية للنفوس وتطهيرا له.

هـــ.

عقوبات القيامة هي الاثر التكويني للاعمال ، فكيف يمكن ازالتها بالشفاعة ؟. وهذا ايضا واحد من الاعتراضات التي طرحت على الشفاعة فالذي يتبادرالى الاذهان وان الشفاعة يـــمكن تطبيقها على العقوبات التشريعية والوضعية فقطفيكون الشفيع سببا لايقاف تنفيذ الحكم على الـــمـــشفوع له ، ولكن عندما نذعن الى ان عقوبات القيامة هي في الغالب من الاثار الوضعية والطبيعية لـــلاعـــمـــال وهـــي بـــذلـــك تـــشـــبـــه فـــعل السم في قتل الانسان ، فهذا الاثر ليس بالشي الذي يمكن تغييره بالشفاعة .

الجواب : لو اننا لاحظنا ماذكرناه سابقا في كون الشفاعة على نوعين تكوينية وتشريعية ، لاتضح لنا جواب هذا السؤال جليا ، لان العقوبات ان كان لها بعدتكويني فان وقوف اوليا اللّه باعتبارهم كيانات اقــوى وافضل الى جانب المشفوع له وكمال استعداده الناقص بواسطة امدادهم المعنوي ، ويتغلبون بــالــنــتــيجة على الاثارالتكوينية للذنب ، مثلما تنمي الشمس النباتات ذات الاستعداد للنمو وتنقذها من الافات اما اذا كانت تلك العقوبات وضعية ، فتطلب الشفاعة من اللّه تعالى ليغفر لمن يستحق غفران الذنب وفي جميع الاحوال فان المقام المعنوي للشفيع يكون سببا في تاثيرتلك الشفاعة باذن اللّه .

ويمكن تكرار نفس هذا الكلام بخصوص تجسد الاعمال لانه شبيه ايضابالاثار الوضعية والتكوينية للعمل (فتامل).

و ــ اليس الاعتقاد بالشفاعة من عوامل التخلف ؟.

ويــبــدو هذا الوهم لبعض الناس ايضا وهو : الا يكون الاعتقاد بالشفاعة سببايحدو ببعض الناس الى عدم الاتكال على عملهم ، فلا يظهرون مالديهم من قابليات وكفاات كامنة ؟.

الجواب ؟.

يبدو من هذا التعبير ان ذهنية المعترضين لا تختلف عن ذهنية الناس العاديين وتصورهم عن الشفاعة ومــفــهومها الدنيوي ، في حين طرح هذا الموضوع بالادلة في بداية هذا البحث ، من ان الشفاعة في مــفــهومها القرآني الاسلامي لا تعتبر عامل تخلف ، بل وحتى انها تعتبر دعوة فاعلة لاصلاح الذات وتــرك الذنب والتعويض عما مضى والاستبشار بالمستقبل والتحرك نحو الخير والصلاح وبما ان هذا الموضوع قد تم تبيانه بالتفصيل ، فلا نرى ضرورة لتكراره هن.

ز.

الا تتعارض الشفاعة مع التوحيد ؟. ان التصور بوجود تعارض بين الشفاعة والتوحيد هو واحد من الاشكالات المعروفة بشان موضوع الــشــفــاعــة ، ومرد ذلك هو الاعلام المكثف الذي وظفه الوهابيون ضد هذه المسالة ، ولهذا ينبغي الالتفات اليها جيدا :.

تــدور عقائد الوهابيين بشكل اساسي حول عدد من المحاور ، واكثرها وضوحا هي مسالة التوحيد فــي الافــعال والتوحيد في العبادة فهم يفسرون فرعي التوحيد هذين وكانهمايتعارضان مع موضوع الشفاعة والتوسل بارواح الانبيا والاوليا وشفاعتهم بين يدي اللّه ، ولهذاالسبب فقد اعتبروا جميع فرق المسلمين التي تعتقد بهذه الامور (باستثنا الوهابيين) مشركة ،ولاتعجبوا لو قلنا انهم يعتبرون ارواح غيرهم واموالهم واعراضهم مباحة مثلما كان يفعل عرب الجاهلية المشركون .

وانطلاقا من هذا المعتقد فقد اراقوا دما الكثير من المسلمين من الحجاز والعراق ،ونهبوا اموالهم ، وارتكبوا جرائم كثيرة لم يسبقهم اليها احد في الاسلام .

ولمؤسس هذه الفرقة وهو محمد بن عبدالوهاب (المتوفى عام ١٢٠٦) كتاب يعرف باسم ((رسالة

القواعد الاربع)) يقول فيه حول هذا الموضوع :.

ان الخلاص من الشرك يكون بمعرفة اربع قواعد :.

الاولى : ان الكفار الذين قاتلهم رسول اللّه (٦) يقرون بان اللّه تعالى هوالخالق الرزاق المدبر ولم يدخلهم ذلك في الاسلام لقوله تعالى : (قل من يرزقكم من السما والارض ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون اللّه فقل افلا تتقون) سورة يونس ــ٣١.

الثانية : انهم يقولون مادعونا الاصنام وتوجهنا اليهم الا لطلب القرب والشفاعة (ويعبدون من دون اللّه مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلا شفعاؤنا عنداللّه) سورة يونس ــ ١٨.

الثالثة : انه (٦) ظهر على قوم متفرقين في عبادتهم فبعضهم يعبد الملائكة ،وبعضهم الانبيا والصالحين ، وبعضهم الاشجار والاحجار ، وبعضهم الشمس والقمر ، فقاتلهم ولم يفرق بينهم .

الرابعة : ان مشركي زماننا اغلظ شركا من الاولين ،لان اولئك يشركون في الرخاويخلصون في الشدة وهؤلا شركهم في الحالتين لقوله تعالى : (فاذا ركبوا في الفلك دعوا اللّه مخلصين له الدين فلما انجاهم الى البر اذا هم يشركون) ((٤٤٦)) .

والغريب في الامر هو تمسكهم بهذه الاقاويل التي لا تعدو ان تكون مجردسفسطة ومغالطة ، فيبيحون وبهذه البساطة ارواح واموال خصومهم ، ويجيزون قتلهم ، كمايقول الشيخ ((سليمان)) وهو من زعما هذه الفرقة الضالة في كتابه ((الهدية السنية)) بان الكتاب والسنة يشهدان على ان كل من يجعل الملائكة والانبيا او بعض الاصحاب واهل البيت كابي طالب وابن عباس واسطة بين وبين اللّه عز وجل ليشفعوا له عند اللّه تعالى لقربهم منه كما يشفع الى السلاطين بواسطة المقربين منه فمثل هذا الشخص كافرومشرك ، ومباح دمه وماله حتى لو كان يشهد وشهادتين ويصلي ويصوم ((٤٤٧)) .

لقد اثبتوا تمسكهم بهذا الحكم القبيح والمخزي اي اباحة دما واموال المسلمين من خلال الاحداث التاريخية المختلفة ومنها الحادثة المشهورة لقتل اهالي الطائف في الحجاز قتلا جماعيا وذلك (في صفر عام ١٣٤٣) ، والقتل الجماعي لاهالي كربلا في العراق (في ١٨ ذي الحجة عام ١٢١٦) وهذا ماورد في الكثير من التواريخ .

النقاط الخاطئة في هذا الاستدلال :.

١ ــ ان الايات الاثنتي عشرة التي اوردناها في بداية البحث بشان موضوع الشفاعة وفسرنا مفهومها تثبت لنا هذه الحقيقة وهي ان الشفاعة مبدا اسلامي وقرآني بديهي الا انها تضمنت شروطا للشفيع وللمشفوع له وعلى هذا فلا يمكن لاحد ان يتحدث باسم الاسلام والقرآن وينكر هذا المبدا بجميع دلائله البينة ، واننا لنعجب كيف انهم يعتبرون انفسهم مسلمين وينكرون هذا المبدا الذي يعد من ضرورات الاسلام والقرآن ، فهل ينكر المسلم ضرورات الاسلام واحكام

القرآن ؟.

٢ ــ ان الشفاعة التي ذكرها القرآن وذب عنها ، شفاعة يرتبط خطها الاصيل ب ((اذن اللّه)) ومالم يــاذن بــالــشــفــاعــة فــلا يــحق لشفيع ان يشفع ، وبتعبير آخر فان هذه الشفاعة صادرة من الاعلى ومــشــروطــة باذن اللّه ، وهي ليست كشفاعة حاشية السلاطين الجائرين ، فهي صادرة من الاسفل وقائمة على اساس العلاقات الشخصية .

ان شفاعة كهذه تعد تاكيدا لمسالة التوحيد لان خطها الاصلي يصدر عن اللّه تعالى وهذا هو التوحيد الــبعيد عن اي لون من الوان الشرك لكن الوهابيين الذين تشابهت عليهم الشفاعة القرآنية مع الشفاعة الشيطانية لحواشي السلاطين انكروا هذا المبداواعتبروه مضادا لاصل التوحيد وفي الحقيقة انهم قد اعترضوا على اوهامهم في هذاالطرح ، لا على مبدا الشفاعة القرآنية .

٣ ــ الــشــفاعة في حقيقتها سبب للنجاة : كما هو الاعتقاد بوجود الاسباب في عالم الخلقة والتكوين (كتاثير اشعة الشمس وتساقط المطر في نمو الاعشاب) لا يتنافى مطلقا مع مبدا التوحيد لان تاثير هذه الاسباب يتحقق باذن اللّه وامره ، وفي الحقيقة ان عملها هو نوع من الشفاعة التكوينية ، كما ان وجــود مــثل هذه الاسباب في عالم الشريعة للمغفرة والنجاة بان اللّه لا يتعارض مع التوحيد بل هو تاكيد له ، وهذا هو مانطلق عليه اسم الشفاعة التشريعية .

٤ ــ ان الــشــفــاعــة التي يرفضها القرآن في عبادة الاصنام هي انهم كانوا يجعلون كثيرا من الاشيا الــخالية من اية ميزة او خاصية شفيعة لهم الى اللّه ؟ ولذا صرح مطلع الاية (١٨) من سورة يونس وهــي الايــة الــتــي يــســتندون عليها بالخصوص : (ويعبدون من دون اللّه ما لاينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلا شفعاؤنا عند اللّه) هذا من جهة ،.

ومن المؤكد ان هذا لا علاقة له بشفاعة الانبيا والاوليا ، فهذا الكلام يخص الاصنام وهى الاحجار العارية عن اي عقل واحاسيس .

ومــن جــهة اخرى ، فالقرآن يذم الشفاعة القائمة على اساس الاعتقاد باستقلال الشفيع ، وتاثيره في مصير الناس بلا اذن من اللّه ، ولذا جا في الاية (٣) من سورة الزمروهي من الايات التي يستندون اليها : (والذين اتخذوا من دونه اوليا مانعبدهم الا ليقربونا من اللّه زلفا ان اللّه يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون).

ووفــقــا لــهــذه الايــة فــانهم كانوا يعتبرون معبوديهم اوليا ، وقيمين وحماة وحافظين لهم ، فكانوا يعبدونهم ، وكلا هذين الفعلين (اعتبارهم اوليا وعبادتهم) شرك .

امــا اذا لم يعبد اوليا اللّه وانبياه وملائكته ، بل يحترمهم ويكرمهم ويرى فيهم شفعا له بين يدي اللّه وباذنه ، فهو غير مشمول بهذه الاية قطع.

وبسبب عدم احاطة الوهابيين بالايات القرآنية الواردة بخصوص الشفاعة ،ومسالة الكفر والايمان والشروط التي حددها اللّه للشفيع والمشفوع له ، فقد اشتبهت عليهم هذه المسالة مع ماكان يعتقد به عبدة الاوثان ، وبهذه الشاكلة التبست عليهم الحقيقة .

٥ ــ اما قول الوهابيين بان عبدة الاوثان العرب كانوا يعتقدون بان كل شي بمافيه المالكية والرازقية للّه تــعــالى ، وكانت مشكلتهم تتمثل فقط في شفاعة ووساطة الاوثان ، فهو خطا آخر من اخطائهم الــنــاتجة عن الافتقار العلمي وعدم المامهم بالايات القرآنية وذلك لانهم ــ اي عبدة الاصنام ــ كانوا ينسبون بعض هذه الصفات للاصنام كمايفهم هذا المعنى من الايات الشريفة ومن جملتها الاية (٦٥) من سورة العنكبوت التي جا فيها : (فاذا ركبوا في الفلك دعوا اللّه مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون).

يتبين من هذا التعبير انهم كانوا في الاوضاع العادية يتوسلون بالاصنام لحل مشاكلهم ، وفي الشدائد يتعلقون باللّه فقط.

الايــة (٤٩) من سورة الرعد فيها امر للنبي (٩) : (قل ارايتم شركاكم الذين تدعون من دون اللّه اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات).

لــو كــان المشركون يعتقدون بتفرد اللّه في الخالقية وينظرون الى الاصنام نظرة الشفيع فلا معنى لهذا السؤال ، لانهم سيقولون في الجواب : اننا لا نعتبرهم خالقين ،ونعدهم واسطة فقط بين الخالق والمخلوق ، وهل يجب في الواسطة ان يكون خالقا اوشريكا في الخلق ؟.

يتضح من هذا انهم كانوا يرون لهم نوعا من المشاركة في الخلق ، وقد امرالنبي (٩) لفضح اكاذيبهم ان يسالهم ماذا خلقوا ؟.

تــبــيــن الاية (١١١) من سورة الاسرا انهم كانوا يظنون اصنامهم اندادا للّه في المالكية والحاكمية عــلــى الــعالم ، وحتى انهم كانوا يعتقدون ان الاصنام تعين اللّه في بعض المشاكل : (وقل الحمد للّه الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا).

تمثل كل واحد من هذه الجمل الثلاث نفيا لواحد من معتقدات عبدة الاوثان ،الذين كانوا يظنون ان : (الــملائكة بنات اللّه) ، (يرجى الالتفات الى كلمة الولد تعني كلاالمعنيين البنت والولد اي الذكر والانثى) ((٤٤٨)) وانهم شركا له في الخلق وانهم اعوانه واولياؤه .

ومن الواضح ان هذه المعتقدات لو لم يكن لها وجود في تلك البيئة ، لما كان لهذه التعابير القرآنية اي مفهوم .

ومــمــا يــسترعي الانتباه ان القرآن الكريم وصف عبدة الاوثان بــ ((المشركين))واعتبر عملهم ((شــركــا)) ، فــلو لم يكونوا يعتقدون بنوع من الشركة بين اللّه والاصنام وكانوايحسبونها شفعا فقط بين يدي اللّه ، اذن لما كان هذا التعبير صحيحا بشانها ، لان كلمة ((الشرك والمشرك)) دالتان عــلــى انــهــم كانوا يعتبرون الاصنام شركا للّه في الربوبية ، وحل المشاكل والخلقة وامثال ذلك ، ((كانت الاصنام الحجرية والخشبية في رايهم رمزاومظهراللصالحين والملائكة).

وبــعبارة اخرى كانوا يقولون بنوع من الاستقلال لتلك الاصنام في تدبير شؤون العالم ،

وبتعبيرهم كانوا يعتبرونها اندادا للّه ، لا مجرد وسطا بين يديه .
والـــتـــعابير الواردة في الايات القرآنية المختلفة تكشف لنا عن هذا الموضوع بكل وضوح ، جا مثلا في الاية (٢٢) من سورة العنكبوت : (وما لكم من دون اللّه من ولي ولا نصير).
وهـــذه اشارة لاعتقاد المشركين بان الاصنام اولياؤهم وانصارهم (من دون اللّه) ، كما تصرح بذلك الاية (١٠) من سورة الجاثية : (ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولااتخذوا من دون اللّه اوليا).
تكرر في القرآن الكريم تعبير ((من دون اللّه)) في وصف معتقدات المشركين وهذا دليل على انهم كـــانوا يتخذون موجودات من دون اللّه لتكون لهم انصار واوليا ،وهذا شرك في الربوبية لا مسالة شفاعة .
وصـــفوة القول ان القرآن الكريم قد اورد في آياته المختلفة اعتراضين رئيسيين على المشركين ، وهما اولا : انهم اعتبروا هذه الكائنات الفاقدة للاحساس وللسمع والبصر مصدرا مؤثرا ،وثانيا انهم يرون فيها اندادا للّه في التدبير والربوبية .
وقـــد كان لعبدة الاصنام في العصر الجاهلي آرا وكلمات متناقضة طبعا فهم لايطرحون اقوالهم بلا اي تـــناقض او تهافت ، شان اي انسان منطقي وواعي ، لذا فهم في نفس الوقت الذي يعتبرون الاصنام شركا للّه في حل المشاكل ويصورونها وكانها اولياوانصار لهم من دون اللّه ، فانهم كانوا يطرحون ايضا قضية الشفاعة بين يدي اللّه ، وهذا لايدل مطلقا على عدم الاعتقاد بالشرك في الافعال .
وهـــذا مـــايـــســـتـــخـــلص من دراسة مجموعة الايات ، واستقرا جميع احوالهم ، ثم انهم لا يعتبرون الشفاعة مطلقا منوطة ورهينة باذن اللّه .
وبـــنـــا عـــلـــى هذا فاننا نستنتج وبكل ثقة لو ان الانسان تمسك باوليا اللّه فقط (لاالاصنام الحجرية والـــخـــشـــبية) واعتبرهم ــ دون غيرهم ــ شفعا له بين يدي اللّه (لا شركاله في الولاية والنصرة والتدبير) وان شفاعتهم لا تحصل الا باذن اللّه (لا بصورة مستقلة عنه) فلا اعتراض عليه ابدا في مثل هذه الحالة وانما يرد الاعتراض حينما يغفل المرعن واحد من هذه المبادئ الثلاثة او باجمها ، ويسلك الطريق الخاطئ .
اين الاعراف ومن هم اصحاب الاعراف ؟. تمهيد :.
تـــوجـــد فـــي الـــقـــرآن الـــكريم سورة باسم سورة ((الاعراف)) تختص اربع آيات منهابموضوع الاعراف ، يستشف من هذه الايات بشكل عام ان الاعراف مكان بين الجنة والنار وفيه بعض المؤمنين الذين يعرفون اهل الجنة واهل النار.
ولكن ماهي مهمة هؤلا المؤمنين ؟ وماهو الهدف الذي يسعون اليه ؟ وماهي مكانة الاعراف في القيامة ؟ وهـــل يـــوجد سوى هؤلا الرجال الالهيين المكلفين بمهمة خاصة في الاعراف ، اشخاص آخرون هناك من ضعفا المؤمنين وامثالهم ، ام لا ؟.

هــذه الــمــسائل ينبغي ايضاحها في ظل تفسير الايات الاربع في سورة الاعراف ، وكذلك الروايات الواردة في تفسيرها في المصادر الاسلامية المهمة .

نــعود بعد هذا التمهيد الموجز الى القرآن الكريم لنستمع خاشعين الى الايات التالية الواردة في هذا المجال :.

١ ــ (وبــيــنــهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادواصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون) الاعراف ــ٤٦.

٢ ــ (واذا صرفت ابصارهم تلقا اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظال مين)الاعراف ــ٤٧ .

٣ ــ (ونــادى اصــحــاب الاعــراف رجــالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ماأغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون) الاعراف ــ٤٨.

٤ ــ (اهــؤلا الــذيــن اقسمتم لاينالهم اللّه برحمتة ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولاانتم تحزنون) الاعراف ــ٤٩.

تفسير وفذلكة :.

موضع بين الجنة والنار :. تــتــضــمــن الايه الاولى اشارة الى الايات التي سبقتها وتتحدث عن الجنة والنار ،واصحاب الجنة واصحاب النار ثم تقول : (وبينهما حجاب).

وهــذا الــحــجــاب يــمنع التقا هذين الفريقين مع بعضهما ، ولكن لايمنع من سماع الطرفين لاصوات بــعــضــهــمــا ، لان الايات السابقة تنقل لنا حديث اصحاب الجنة واصحاب النار مع بعضهما اذ ينادي اصــحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا ، قالوا نعم .

ولا عــجب في هذا فكثيرا ما يتحادث الجيران من ورا الجدار ويتسالون عن احوال بعضهم بينما لا يــرى بعضهم الاخر او لايوجد بينهما طريق للالتقا وورد شبيه هذاالمعنى في سورة الحديد حيث يــقول المنافقون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم ،فيقولون لهم ارجعوا وراكم فالتمسوا نورا ، وفــي هذه الاثنا (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب # ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم) الحديد ــ١٣ ــ١٤.

فهل ان هذا اسور العالي هو الاعراف ام شي آخر ؟ سنجد جواب هذا السؤال لاحق.

ثم تضيف الاية : (وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم).

ولــمــا كــانت كلمة ((الاعراف)) تعني في اللغة الموضع المرتفع ، فيتبين ان هؤلاالرجال اصحاب مــنــزلــة وشــخــصية ، اذ يشرفون من ذلك المقام المرتفع على كلا الفريقين ويرون كلا الفريقين ويعرفون كلا بسيماهم .

لماذا هذه المعرفة ؟. يــســتفاد من مجموع القرائن الموجودة في الايات موضوع البحث ــ والتي سياتي شرحها مفصلا في البحوث القادمة ــ وكذلك من الروايات الكثيرة الواردة في

المصادرالاسلامية بخصوص الاعراف ، بانه يوجد فيها فريقان : فريق من رجال اللّه والشخصيات البارزة والمقربة الى اللّه وفريق آخر من المستضعفين ومن الذين خلطوا عملاصالحاوآخر سيئا ــ فبعضهم غلبت حسناتهم سيئاتهم وبعضهم سيئاتهم فاقت حسناتهم ،وفي الحقيقة هم حائرون بين الجنة والنار.

وهنا يعرف اولئك الرجال هذا الفريق من سيماهم ، فيقولون لمن يستحق الشفاعة والمغفرة ، ويستمد من معدن اوليا اللّه : اذهبوا الى الجنة ، ثم يسوقون الباقين الى جهنم .

وهذا هو افضل تاويل وتفسير يوضح مجموع الايات المتعلقة بالاعراف ،وكذلك الايات السابقة واللاحقة لها ويخلصنا من اي نوع من الكلام الزائد ، ويشكل قاسما مشتركا وحلقة اتصال بين الكثير من اقوال وتفاسير المفسرين .

فقد نقل المرحوم العلامة الطباطبائي ــ على سبيل المثال ــ اثني عشرقولابخصوص من على الاعراف (نقل بعضهم فقط عشره اقوال او سبعة ، مثل تفسيرالقرطبي والتفسير الاثني عشري وبهذا الترتيب .

١ ــ انهم اشراف الخلق الممتازون بكرامة اللّه .

٢ ــ انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم تترجح حسناتهم حتى يدخلواالجنة ، ولا غلبت سيئاتهم حتى يؤمروا بدخول النار ، فاوقفهم اللّه تعالى على هذه الاعراف لكونها درجة متوسطة بين الجنة والنار.

٣ ــ انهم اهل الفترة .

٤ ــ انهم مؤمنو الجن .

٥ ــ انهم اولاد الكفار الذين لم يبلغوا في الدنيا اوان البلوغ .

٦ ــ انهم اولاد الزنا.

٧ ــ انهم اهل العجب بانفسهم .

٨ ــ انهم ملائكة والتعبير عنهم بالرجال لانهم يتشكلون باشكال الرجال .

٩ ــ انهم الانبيا (:) يقامون عليها تمييزا لهم على سائر الناس ولانهم شهدا عليهم .

١٠ ــ انهم عدول الامم الشهدا على الناس يقومون عليها للشهادة على اممهم .

١١ ــ انهم قوم صالحون فقها علم.

١٢ ــ انهم العباس والحمزة وعلي وجعفر يجلسون على موضع من الصراط ،يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ، ومبغضيهم بسوادها)) ((٤٤٩)) .

وورد في الكثير من الروايات المنقولة عن اهل البيت (:) : عن هلقام ، عن ابي جعفر (٧) قال : سالته عن قول اللّه تعالى : (وعلى الاعراف رجال يعرفون كلابسيماهم) مايعني بقوله (وعلى الاعراف رجال)؟ قال : الستم تعرفون عليكم عرفا ، وعلى قبائلكم ليعرف من فيها من صالح او طالح ؟ قلت : بلى ، فقال فنحن اولئك الرجال الذين يعرفون كلا بسيماهم))

((٤٥٠)) .

ولــكن كل تلك الاقوال الاثني عشر او الثلاثة عشر مجموعة في الحقيقة في التفسير الذي ذكرناه سالفا ، الا وهو وجود فريقين في الاعراف : فريق من الابراروالصالحين واوليا اللّه وفي طليعتهم ((مــحــمــد وآل محمد)) (:) ومن ثم الانبياوالملائكة ، وجماعة من الصالحين والعلما والفضلا ، وفــريــق مــن المستضعفين ومن اصحاب الاعمال والصالحة والاعمال السيئة ، او الذين ليست لديهم اعمال صالحة ولاسيئة (كالانبيا غير البالغين للكفار والجهلة القاصرين واهل الفترة).

ان الروايات التي ذكرناها آنفا تؤيد بصراحة وجود هذين الفريقين في الاعراف .

ولهذا تواصل الاية الاولى الكلام عن الفريق الثاني فتقول : (ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون).

وبهذا السياق يشير صدر الاية وذيلها الى هذين الفريقين المختلفين المذكورين فيما سبق .

وتــضــيــف الايــة الــثــانية : (واذا صرفت ابصارهم تلقا اصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين).

تعود الضمائر في هذه الاية (الضميرين في كلمتي ((ابصارهم)) و((قالوا))) ، كماهو الحال في ذيل الاية السابقة ، الى الفريق الثاني ، بينما يدور الكلام في مطلع الاية الاولى عن الفريق الاول .

وهذا هو فقط الخلاف الظاهر الذي نراه نحن في تفسير هذه الاية ، اي ان نفصل مرد هذه الضمائر ، لكن القرائن المتعددة لهذا الخلاف الظاهري موجودة في الاية الاولى ،وكذلك في الايات اللاحقة ، لان الرجال الموجودين على الاعراف ويعرفون الكل بسيماهم ، ويامرون هناك وينهون ، ويلومون اهل النار ، ويرسلون الى الجنة من يستحقهابفضل اللّه ، هم ليسوا ممن تشملهم جملة : (لم يدخلوها وهم يطمعون).

وصــفــوة القول هي ان في هذه الايات تعابير تدلك على وجود رجال ذوي مقام رفيع على الاعراف ، وبيدهم الامر والنهي وهم اصحاب المقام الرفيع في معرفة اصحاب الجنة واصحاب النار (حتى قبل دخــولــهــم فــيهما) وكذلك توجد تعابير في هذه الايات تدل على وجود فريق حائر على الاعراف وعليهم آثار القلق البالغ خوفا على مصيرهم .

فهم طامعون في الجنة وخائفون من النار ، وينبي مجموع هذه القرائن عن وجود هذين الفريقين على الاعراف ويمكن في ظل هذا التفسير حل جميع المشاكل العالقة في تفسير هذه الايات .

وتــعود الاية الثالثة الى الفريق الاول مرة ثانية فتقول : (ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا مااغنى عنكم جمعكم وماكنتم تستكبرون).

ويــعكس هذا اللوم والتوبيخ الشديد الصادر من اصحاب الاعراف الى اصحاب جهنم احد المؤشرات الجلية على سمو مقامهم ،فهم يعاقبونهم بسياط الملامة والتعنيف مثلما يفعل الملائكة

معهم .

وفي الاية الرابعة يتحدث نفس اصحاب المقامات السامية في الاعراف ، وهم يشيرون الى جماعة من ضـــعـــفـــا الـــمؤمنين من جهة ، وموجهين الخطاب من جهة اخرى الى المستكبرين من اصحاب النار ، وباسلوب التوبيخ ، قائلين لهم : (اهؤلا الذين اقسمتم لاينالهم اللّه برحمة).

ثـــم يلتفتون في نفس الوقت الى ضعفا المؤمنين فيقولون لهم : (ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون).

يظهر هذا التعبير وبوضوح وجود فريقين هناك وهما : فريق ذوي المقام الرفيع ، وفريق الحيارى مـــن ضـــعـــاف الـــمـــؤمنين الذين تشملهم الرحمة الالهية في ختام المطاف ، ويساقون بامر ذوي المقام الرفيع الموجود في الاعراف ، نحو الجنة .

.###

ايضاحات :.

.١

الاعراف في اللغة والتفسير :. ((الاعـــراف)) جـــمـــع ((عـــرف)) ((عـــلـــى وزن كلمة قفل)) وهو بمعنى المكان المرتفع العالي ومـــاخـــوذة فـــي الاصـــل مـــن ((عرف الفرس)) و ((عرف الديك)) ويقال ايضا انها مشتقة من اصل الـــمـــعـــرفة والعرفان الذي يعني المعرفة بالاشيا والاطلاع على خصائصها لان الاراضي المرتفعة اكـــثـــر وضـــوحا واقرب الى المعرفة من الاراضي المنخفضة (ومن فوقهايمكن الاطلاع على كل مكان والتعرف عليه).

ويقال ايضا ان الاعراف هي مقامات الاشخاص ذوي المكانة الرفيعة والدرجة السامية ((٤٥١))

.

امـــا بـــخـــصـــوص مكان الاعراف اين يقع ؟ وماهي كيفيته ؟ ففيه اقوال عديدة ،اورد من بينها صاحب الميزان ستة :.

١ ــ موضع يشرف على اهل الجنة واهل النار.

٢ ــ سور له تاج خاص كعرف الديك .

٣ ــ تل بين الجنة والنار.

٤ ــ هـــو الـــســـور الذي يفصل بين المؤمنين والمنافقين ، وقد اشير اليه في القرآن الكريم في الاية (١٣) مـــن سورة الحديد بقوله تعالى : (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب).

٥ ــ الاعراف بمعنى الصراط والجسر الممتد فوق جهنم .

٦ ــ الاعراف بمعنى المعرفة باوضاع الناس .

ولـــكننا نعتقد لو اننا امعنا النظر في الايات الاربع المذكورة التي تتحدث عن الاعراف ، لما بقي اي غموض في معنى ((الاعراف)) ، حيث يفهم منها وبكل وضوح بان الاعراف موقع يشرف

على الجنة والنار ، وفيه طائفة من اوليا اللّه ذوي المنزلة الرفيعة ، وطائفة اخرى من ضعيفي الايمان هذا في الوقت الذي ذهب فيه المؤمنون المخلصون الى الجنة ، والكفرة المذنبون الى النار ، اما الفئة الاخرى مـــن الـــذيـــن خلطواعملاصالحا وآخر سيئا ، ولديهم نقاط ايجابية في جانب ونقاط سلبية في جانب آخر ،فهم باقون على الاعراف ينتظرون الموقف الذي يتخذه بحقهم رجال الاعراف المؤمنون .

واما بـــخصوص هذين الفريقين الموجودين على الاعراف ومن هما ؟ فقدتحدثنا عن ذلك بالتفصيل ضمن تفسير الايات .

ومن هنا يتضح بان مهمة رجال الاعراف المؤمنين تمثل في الحقيقة نوعا من الشفاعة ، لمن : (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) ، وهم في حالة اضطراب وقلق دائم ،فحينما ينظرون من الاعراف الى اصحاب الجنة يتمنون ان يكونوا معهم ، وحين تقع ابصارهم على اصحاب النار يضطربون ويرجون الا يحشروا معهم .

ومـــن هنا تتوضح فلسفة وجود الاعراف ضمنيا وهي اظهار الدرجات الرفيعة لاوليا اللّه ، واخذهم بـــيـــد الـــمغلوبين على امرهم ، وكذلك تبيان مصير فئة من المذنبين الذين تشملهم في خاتمة المطاف شفاعة هؤلا الرجال ذوي المكانة السامية .

.٢

الاعراف في منظار العقل والمنطق :. من الواضح اننا لانمتلك اي دليل عقلي يثبت وجود الاعراف ، لان العقل يثبت فقط العموميات المتعلقة بالحساب والكتاب والثواب والعقاب ، وذلك لان عدم وجودها لا يتسق وحكمة اللّه وعدالته .

اما موقف القيامة ، ومراحل الثواب والعقاب ، وكيفية دخول اصحاب الجنة فيها ، واصحاب النار فيها والـــصـــراط والاعراف وماشابه ذلك من التفاصيل الجزئية للقيامة ، فهي من المسائل التي لا تثبت الا بالدليل النقلي .

ولـــكـــن بما ان الشفاعة تنبثق ايضا من حكمة اللّه تعالى (كما ورد في موضوع الشفاعة) وان الشفعا يجب ان يكونوا من ذوي الدرجات الرفيعة والمكانة العالية حتى ياخذوا بايدي الضعفا ، يمكن نتيجة لذلك العثور على اشارة واهية في اعماق حكم العقل بخصوص مسالة الاعراف (فتامل).

.٣

الاعراف في الروايات والاحاديث :. تـــحوي المصادر الاسلامية الشيعية منها والسنية على روايات كثيرة بخصوص الاعراف واصحاب الاعـــراف ، ومـــتى ما وضعناها الى جانب بعضها بشكل صحيح لاستنتجنا منها ما استنتجناه من تفسير الايات المذكورة .

وهي في الحقيقة اخبار كثيرة حتى ان البعض قال انها تربو على (٢٨)حديثا ((٤٥٢)) .

تـــخـــتـــص بعض تلك الاحاديث بموضوع الاعراف ، وبعضها بالرجال الذين على الاعراف

ويتحدث بـــعضها عن طائفة الحيارى من ضعيفي الايمان الموجودين هناك ونحن نكتفي هنا بالاشارة الى بعض الامثلة المهمة منها :.

١ ــ نـــقـــل عـــن الامـــام الـــصادق (٧) انه حين سئل عن معنى الاية الشريفة :(وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال) قال : ((سور بين الجنة والنار)) ((٤٥٣)) .

وجا في تفسير الطبري نفس هذا المعنى عن الامام الباقر ((٤٥٤)) .

٢ ــ جـــا في حديث للامام الباقر (٧) يفسر فيه قوله تعالى : (وعلى الاعراف رجال) قال : ((نزلت فـــي هـــذه الامـــة ، والـــرجال هم الائمة من آل محمد (٩) قلت :فالاعراف قال : صراط بين الجنة والنار ، فمن شفع له الامام منا من المؤمنين المذنبين نجا ، ومن لم يشفع له هوى)) ((٤٥٥)) .

فهذا الحديث اوضح معنى الاعراف وكذلك الفريقين الموجودين عليه .

٣ ــ وجـــا في حديث آخر نقله المرحوم الطبرسي في مجمع البيان عن الامام الصادق (٧) قال فيه : ((الاعـــراف كـــثـــبـــان بين الجنة والنار ، فيقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي ، مع المؤمنين من اهل الزمان كما يقف صاحب الجيش مع الضعفا من جنده)) ((٤٥٦)) .

وجا في آخر هذا الحديث شرح يبين ان المحسنين يذهبون مسبقا الى الجنة ،فيقول رجال الاعراف الـــمـــؤمـــنون للمذنبين الذين بجانبهم انظروا الى اخوانكم المحسنين سبقوكم ودخلوا الجنة ، وهنا ينظر اليهم المذنبون ويسلمون عليهم وهذا هو ماذكره القرآن في قوله : (ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون).

فـــهؤلا المذنبون لم يدخلوا الجنة ويأملون دخولها ببركة شفاعة النبي (٩)والامام (٧) ، ثم يفسر بـــقـــيـــة الايـــات عـــلـــى هذا المنوال وبالشكل الذي لايبقى معه غموض في معنى الاعراف والفريقين الموجودين عليه ويعرض بدقة نفس التفسير الذي بيناه سابقا بشان آيات الاعراف الاربع وعلاقتها مع بعضها ((٤٥٧)) .

٤ ــ جـــا فـــي الدر المنثور حديث آخر عن الرسول (٩) انه قال : ((يجمع الناس يوم القيامة فيؤمر باهل الجنة الى الجنة ويؤمر باهل النار الى النار ، ثم يقال لاصحاب الاعراف : ما تنتظرون ؟ قالوا : نـــنـــتـــظر امرك ، فيقال لهم : ان حسناتكم تجاوزت بكم النار ان تدخلوها ، وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم ، فادخلوا الجنة بمغفرتي ورحمتي ((٤٥٨)) .

طبعا سبب دخول الجنة هنا هي شفاعة الشفعا والرجال المؤمنين في الاعراف وباذن من اللّه .

٥ ــ جا في حديث آخر في الدر المنثور منقول عن ابي سعيد الخدري بان رسول اللّه (٩) سئل عن اصـــحـــاب الاعراف فقال : ((هم رجال قتلوا في سبيل اللّه ، وهم عصاة لابائهم فمنعتهم الشهادة ان يـــدخلوا النار ، ومنعتهم المعصية ان يدخلوا الجنة ، وهم على سور بين الجنة والنار فاذا فرغ اللّه من حساب خلقه فلم يبق غيرهم تغمدهم منه برحمة فادخلهم الجنة برحمته)) ((٤٥٩)) .

وكما قلنا سابقا لايوجد اي مانع من شمولهم برحمة اللّه في ظل شفاعة الانبياوالاولي.

خاتمة بحث المعاد :. وبـــانـــتـــها موضوعي الشفاعة والاعراف ، نصل الى ختام بحوث المعاد ، وكمانوهنا سابقا ، كان من الـــمؤمل تكريس جميع بحوث المعاد في مجلد واحد ، الا ان اتساع الابحاث القرآنية في هذا الصدد دفـــعـــنـــا الى تقسيمها على مجلدين ثم ان المواضيع التي عرضناها تمثل امهات مسائل المعاد وبحوثه الاســـاســـية ، والا فان هذه البحوث تضم بين طياتها مسائل اخرى متنوعة صرفنا النظر عنها حاليا تجنبا للاطالة الى ان تحين فرصة اخرى .

الـــلـــهـــم لاتـــدعـــنـــا لوحدنا في هذا السفرالملي بالخوف والمخاطر ، وفي نفس الوقت ملي بالرحمة والبركة ، وخذ بايدينا ونجنا من مواقف الخطر ومواضع العذاب ،واوصلنا الى جوار رحمتك .

الـــهـــي : ان ايـــدينا خالية ، واعمالنا قليلة وذنوبنا كثيرة ، وكتاب اعمالنا خفيف وكواهلنا مثقلة باعبا المسؤوليات ، وفي هذه الاحوال آمالنا معقودة عليك .

ربنا : ان رحمتك لواسعة ، والطافك غير متناهية ، وكرمك غير محدود ،اللهم نقسم عليك باوليائك الكرام ان تشملنا برعايتك في ذاك اليوم ، وتجعلنا ممن يسعدبلقاك ولا تحرمنا رؤيتك .

ختام بحث المعاد في القرآن .

ونهاية المجل د السادس .

آمين يارب العالمين .

التاريخ ٢١ / ٣ / ١٣٧٠ هجري شمسي الموافق ٢٧ ذي القعدة ١٤١١ هجري قمري .

١- نــقــل هــذا الحديث الكثير من مفسري الشيعة واهل السنة بقليل من الاختلاف مثل مجمع البيان تفسيرالقرطبي في ظلال القرآن ، روح البيان في تفاسير اخرى .

٢- تفسير نور الثقلين :١١.

٣- في ظلال القرآن : المجلد ٧ ص ٦٤٤.

٤- تفسير الميزان : المجلد ١٩ ص ٦٠ ــ ٦١.

٥- تفسير (ابو الفتوح الرازي) : المجلد ١٠ ص ٣٦٤.

٦- التفسير الكبير : المجلد٢٧ ص ٢٤٢.

٧- روح المعاني : مجلد ٢٥ ص ١٠٧ وروح البيان : مجلد ٨ ص ٤٠٦.

٨- تفسير القرطبي : ج ١٦ ص ١٣١.

٩- بــحار الانوار : مجلد٥٢ ص ٢٠٩ وفي تفسير القرطبي : المجلد ٩ ص ٥٩٥ ، وغيرها من الاحاديث تنقل نفس هذا المضمون .

١٠- الــقــاع : الارض الــملسا المستوية و(صفصف) الارض الخالية من اي نبات او الارض الملسا المستوية وفي هذه الحالة يكون المعنيان مترادفين ــ لغرض التاكيد.

١١- ترجف مشتقة من مادة (رجف) على وزن كشف وهي بمعنى الاضطراب والهزة العنيفة . . من هنا يطلق على الاخبار الكاذبة التي تسبب في اضطراب المجتمع بــ (الاراجيف).

١٢- التفسير الكبير : المجلد ٣١ ص ٦٦.

١٣- زندكي ومرك ستاركان : ص ٩٢ (الكتاب باللغة الفارسية).

١٤- الميزان : مجلد ١٥ ص ٢٠٢.

١٥- تفسير الفخر الرازي ج ٣١ ص ١٠٣.

١٦- مجمع البيان : مجلد ١٠ ص ٤٤٤.

١٧- لــقد اختار التفسير الاول ــ الطبرسي والفخر الرازي ومفسرون آخرون اما التفسير الثاني فقد اختاره صاحب الميزان .

١٨- التفسير الكبير : الملجد ٣٢ ص ٥٨.

١٩- تشقق : كانت في الاصل تتشقق فحذفت احدى التائين .

٢٠- اجــداث جــمــع جدث (على وزن قفس) وهو بمعنى القبر وينسلون من مادة نسل (على وزن فــصل) وهوبمعنى السير السريع ويقول الراغب ان المعنى الاصلى لها اخد من الفصل ويرى انه من هذه الجهة بطلق ((نسل)) على بني ادم .

٢١- تفسير الميزان : المجلد ١٩ ص ٣٩٧.

٢٢- روح البيان : المجلد٦ ص ١٠٧.

٢٣- راجع قصة ياجوج وماجوج : في المجلد ١٢ تفسير نمونة ص ٥٥١ ذيل الاية ٩٨ الكهف .

٢٤- تفسير القرطبي : المجلد ٨ ص ٥٦٠١ ، وتفسير الفخر الرازي : مجلد ٢٦ ص ١٨٣.
٢٥- راجع تفسير مجمع البيان : وروح البيان وتفسير الرازي في ذيل الاية المذكورة .
٢٦- راجع تفسير مجمع البيان : تفسير روح المعاني ، روح البيان ــ الفخر الرازي .
٢٧- روح المعاني ، روح البيان ، الفخر الرازي .
٢٨- راجــع تفسير مجمع البيان : المجلد١٠ ص ٤٤٠ والتفسير الكبير : المجلد ٣١ ص ٤٣ روح المعاني :المجلد٣ ص ٤٨ القرطبي المجلد :١٠ ص ٧٠١٥.
٢٩- روح البيان : المجلد١٠ ص ٤٩٩ وروح المعاني : الملجد ٣٠ ص ٢٢٠.
٣٠- الفخر الرازي : مجلد ٣٢ ص ٧٠.
٣١- راجع مادة زجر في مقاييس اللغة والمفردات للراغب .
٣٢- ورد هذا الكلام في تفسير ابي الفتوح الرازي : المجلد ٩ ص ٤٢١.
٣٣- لالي الاخبار : مجلد ٥ ص ٥٣ الطبعة الجديدة .
٣٤- علم اليقين ص ٨٩٢.
٣٥- يراجع كتاب الصوت : ص ٥٧ والنجوم للجميع : ص ٩٠.
٣٦- نهج البلاغة : خطبة ١٩٥.
٣٧- لئالي الاخبار : المجلد ٥ ص ٥٤ (مع التلخيص).
٣٨- بحار الانوار : مجلد ٦ ص ٣٢٤ حديث ٢.
٣٩- لغتنامه رهخدا :(مادة اسرافيل).
٤٠- سفينة البحار : المجلد ١ ص ٤١٤ مادة سرف .
٤١- نور الثقلين : المجلد٤ ص ٥٠٢ حديث ١١٦.
٤٢- آل عمران : ١٨٥ الانبيا : ٣٥ العنكبوت :٥٧.
٤٣- تفسير علي بن ابراهيم : ذيل الاية ٦٨ زمر مجلد ٢٣٥ بحار الانوار : مجلد ٦ ص ٣٢٤.
٤٤- مــجــمــع البيان : مجلد٤ جز٢٢ ص ٤١٨ تفسير فخرالرازي :مجلد٦ ص ٤٩ ، القرطبي : مجلد٨ص ٥٤ ــ٥٦.
٤٥- تفسير علي بن ابراهيم : مجلد٢ ص ٢١٢.
٤٦- الكشاف المجلد : ٤ ص ٢٦٥.
٤٧- وقيل ان (كتابا) حال ولكن الاحتمال الاول هو الاصح .
٤٨- يــجب الالتفات الى ان عليين جمعت حسب قاعدة جمع المذكر السالم في حين ان سجين مفرد ولــكــن هــذا لا يــمنع من ان يطلق ذلك على المكان المرتفع والمقام العالي بسبب علو مكانته ومنزلة ساكنيه .
٤٩- الــمــتــلــقــيان مثنى وعلى هذا فلا بد ان يكون (قعيد) مثنى ايضا ولكن هناك حذف في الاية والتقدير : عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد وحذفت الاولى بقرينة الثانية .

٥٠- مـــجـــمع البيان : المجلد ٩ ص ١٤٤ وكذلك في روح المعاني : ٢٦ ص ١٦٤ وكذلك ورد في تفسيرالمراغي :المجلد ٢٦ ص ١٦١.

٥١- وسائل الشيعة : المجلد٣ ص ١٥٤ و١٥٥ باب ٢٨ من ابواب المواقيت .

٥٢- تفسير الدر المثور : المجلد ٦ ص ٢٦١ وتفسير في ظلال القرآن المجلد ٨ ص ٢٥٦ ولو ان هذا الحديث نقل عن عبداللّه بن حنظلة ولكنه قد سمعه بالواسطة عن الرسول الاكرم (٩).

٥٣- التفسير الكبير : الفخر الرازي : المجلد٢٩ ص ١٤٢.

٥٤- تـــفـــســـيـــرالـــتـــبـــيـــان :مجلد ٩ ص ٤٩٣ وتفسيرالبيان وتفسيرالفخرالرازي وتفسير في ظلال القرآن (ذيل الايات).

٥٥- نهج البلاغة : خطبة ١١٤.

٥٦- بحار الانوار : المجلد ٧ ص ٣١٨ حديث ١٤.

٥٧- بحار الانوار : المجلد ٧ ص ٣٢٤ حديث ١٧.

٥٨- سنن الترمذي : المجلد ٤ ص ٦١٧ الحديث ٢٤٢٥.

٥٩- تفسير الصافي : ذيل الاية ١٣ سورة الاسرا ص ٣١٢.

٦٠- تفسير الميزان : ذيل الاية ١٣ اسرا مجلد ١٣ ص ٥٨ مع التلخيص .

٦١- روح المعاني : المجلد ٥ ص ٣٢ :.

٦٢- نور الثقلين : المجلد ٣ ص ٢٦٧ حديث ١١٥.

٦٣- تفسير الميزان : المجلد ٣ ص ٣٤٨.

٦٤- صـــحيح مسلم : لمجلد ٢ ص ٥٨٧ الحديث ٨٥٠ ، ولعل مفهوم الحديث هو اذا تاخر المصلي عن الوقت المحدد لصلاة الجمعة فسوف لن يكتب اسمه في تلك الصحف .

٦٥- الصحيفة السجادية الدعا السادس .

٦٦- الصحيفة السجادية : الدعا الحادي عشر.

٦٧- وجا نظير هذا المعنى في الاية ٥١ سورة الزمر.

٦٨- هناك آيات اخرى بهذا المضمون : النمل ١١١ آل عمران ٢٥ هود : ١١١.

٦٩- سورة الزمر الاية ٢٤ تفيد نفس المعنى .

٧٠- هناك آيات اخرى بنفس المضمون وفي : الاعراف ١٤٧ و١٨٠ ، سبا ٣٣.

٧١- تاج العروس في شرح القاموس مادة (شت) ويقول البعض انها جمع شتيت والبعض الاخر جمع شتات .

٧٢- تفسير روح البيان : المجلد ١٠ ص ٤٩٤.

٧٣- تفسير نور الثقلين : المجلد : ٥ ، ص ٦٥٠.

٧٤- روح المعاني : المجلد ١٥ ص ٢٦٧ وروح البيان : المجلد ٥ ص ٢٥٤.

٧٥- الـــحـــالـــة الاولـــى (واو) ومـــا عملت من سؤ استئنافية اما الحالة الثانية فلكون الواو:

عاطفة وجملة ((تود))جملة حالية .

٧٦- ورد هذا الاحتمال في تفسير (روح البيان) المجلد ٢ ص ٢١ وفي تفسير في ظلال القرآن ــ المجلد الاول٥٦٩ .

٧٧- تفسير روح البيان : المجلد ٨ ص ١٢١.

٧٨- تفسير العياشي : المجلد ١ ص ٢٠٧ حديث ١٥٨.

٧٩- لــقد وردت رواية ابن عباس في كثير من التفاسير من جملتها تفسير القرطبي ، تفسير روح المعاني ، تفسيرالمنار ، ذيل الاية مورد البحث .

٨٠- مجمع البيان : المجلد ١٠ ص ٤٤٤.

٨١- مجمع البيان : المجلد٥ ص ٢٦.

٨٢- لقد ذكر الفخر الرازي ستة اوجه في تفسير هذه الاية (المجلد ١٦ ص ٤٨) واشار الى هذا المعنى تفسيرروح البيان وروح المعاني والقرطبي .

٨٣- تــفــســيــر المنار : المجلد ١٠ ص ٤٠٦ وفي صحيح البخاري هناك باب تحت عنوان (مادى زكاته فليس بكنز) المجلد ١ الجز ٣ ص ١٣٢ وكذلك نور الثقلين : المجلد ٢ ص ٢١٣.

٨٤- تفسير نور الثقلين : المجلد ٢ ص ٢١٣ الحديث ١٣٢.

٨٥- قدر البعض كلمة (على) فيصبح المعنى (على ماكنتم تعملون).

٨٦- تفسير الميزان : المجلد ١٩ ص ٣٨٨.

٨٧- نفس المصدر : ص ٢٢٨ و ٢٢٩ ولكن يستفاد من رواية المرحوم الصدوق في كتاب الخصال ان هذين البيتين قالهما قيس بن عاصم بالبداهة وكان البيت الاول وحسب مانقله الشيخ الصدوق :. تخير خليطا من مقالك انماقرين الفتى في القبر ماكان يفعل . (الخصال المجلد ١ باب الثلاثة الحديث ٩٣).

٨٨- كتاب المحاسن طبق نقل العلامة المجلسي : ٦ بحار ص ٢٣٤.

٨٩- كنز العمال : المجلد ١٥ ص ٥٤٦.

٩٠- كنز العمال : المجلد ١٤ ص ٣٦٦.

٩١- فروع الكافي : المجلد ٣ (كتاب الجنائز) ص ٢٤٠ الحديث ١٤.

٩٢- سورة النسا : الاية ١٠.

٩٣- آل عمران : ١٠٦ ــ ١٠٧.

٩٤- يونس : ٢٧.

٩٥- مــجمع البيان المجلد ١٠ ص ٤٢٣ ولقد نقل هذا الحديث الكثير من المفسرين مثل ابي الفتوح الرازي والقرطبي وروح البيان وتفسير الصافي في ذيل الاية (يوم ينفخ).

٩٦- يــرى جمع من المفسرين بان الاية تعرب على هذا النحو: ان : نافية ولما : بمعنى الا وجميع بــمــعــنــى مجموع خبر(كل) وتنوين كل بدل من المضاف اليه المحذوف وكانت في

الاصل (كلهم) ومحضرون : اما هو خبربعد الخبر او صفة لجميع وعلى هذا المعنى تكون الجملة هكذا (وما كلهم الا مجموعون يوم القيمة محضرون لدينا) وهناك احتمالات اخرى في اعراب الاية .

٩٧- عـد اغـلـب المفسرين الخطاب موجها الى الذين سبق ذكرهم في السورة المباركة واحتمل الـبعض انه موجه الى النبي الاكرم (٩) (تفسير مجمع البيان الفخر الرازي والقرطبي وفي ظلال القرآن ــ وفي الصورة الاولى تفسير كلمة (يكذبك) (يجعلك كاذبا) وفي الصورة الثانية يفسر على مـعـناه الظاهر بمعنى ماينسبك الى الكذب وعلى اية صورة كانت فان المراد ان لامجال لانكار المعاد وتكذيب النبي (٩)لكثرة الايات والادلة الواضحة .

٩٨- جـا في تفسير الميزان : ان (ثم) الواردة في الاية اعلاه تفيد التراخي في البيان لا التراخي فـي الـزمـان فـي حـين انه يمكن تصور التراخي الزماني في مورد الاية ايضا وذلك لان اللّه تعالى يحشر الناس اولا وبعدهايشهد على اعمالهم نظرا لان المقصود هو الشهادة عند الحساب .

٩٩- ورد هذا الاحتمال في تفسير الكشاف : المجلد ١ ص ٥١٢ وكذلك في مجمع البيان المجلد ٣ ص ٤٩.

١٠٠- بحار الانوار : مجلد ١٥ ص ٤.

١٠١- التفسير الكبير : المجلد ١٠ ص ١٠٥.

١٠٢- تفسير القرطبي : المجلد ٣ ص ١٧٦٧ ولقد نقل هذا الحديث الاخرون بشي من الاختلاف .

١٠٣- نهج البلاغة : خطبة ٨٥.

١٠٤- تفسير الفخر الرازي : المجلد ٢٣ ص ١٩٤.

١٠٥- تـفـسير مجمع البيان : المجلد ١٠ ص ٥٢٦ ولقد ورد نفس هذا المعنى في تفسير القرطبي وتفسير روح المعاني وتفسير الفخر الرازي (ذيل الاية).

١٠٦- مـجـمع البيان : المجلد : ١٠ ص ٥٢٦ ــ العبارة الموضوعة بين الاقواس هي مطابقة لرواية روح البيان المجلد: ١٠ ص ٤٩٣.

١٠٧- تفسير القرطبي : ذيل الاية (وقال) ج٢٠ ص ١٤٩.

١٠٨- لالئ الاخبار : المجلد ٥ ص ٧٩ (الطبعة الجديدة).

١٠٩- سورة العنكبوت : الاية ٦٤.

١١٠- روح المعاني : المجلد ١٧ ص ٥٠ ــ ٥١.

١١١- بحار الانوار : المجلد ٧ ص ٢٥٢.

١١٢- تـفـسير البرهان : المجلد ٣ ص ٦١ اصول الكافي : المجلد ١ ص ٤١٩ وقد ورد نظير هذا الحديث في تفاسير اخرى .

١١٣- الــمرحوم المحدث القمي في كتابه (مفاتيح الجنان) ولقد اورد هذه الزيارة كزيارة اولى من الزيارة المطلقة .

١١٤- اللام في (ليوم الحساب) لام الاختصاص وقيل : انها لام التعليل وهذا غير صحيح .

١١٥- بالاضافة الى الاية اعلاه ورد نفس هذا المعنى في الاية ٤ المائدة و ٥١ ابراهيم .

١١٦- مجمع البيان : المجلد ٣ ص ٣١٣.

١١٧- نفس المصدر : المجلد ٤ ص ٢٩٨.

١١٨- روح المعاني : المجلد ٣٠ صفحة ١١٨ و ١١٩.

١١٩- تفسير روح المعاني : المجلد ٣٠ ص ١١٨ و ص ١١٩.

١٢٠- احقاق الحق : المجلد ٤ ص ٢٥٩.

١٢١- مناقب : ص ٢٣٤.

١٢٢- الصواعق المحرقة : ص ١٢٤ (ط القاهرة).

١٢٣- ينابيع المودة : ص ٨٣ طبع دار الكتب العراقية .

١٢٤- ينابيع المودة : ص ٨٦.

١٢٥- اصول الكافي : المجلد ١ ص ١٩٠.

١٢٦- بحار الانوار : مجلد ٦٨ ص ١٨١ حديث ٣٥.

١٢٧- بحار الانوار : ص ٢٥٢ المجلد ٧ (مع التلخيص).

١٢٨- تفسير روح البيان : المجلد ٥ ص ٤٨٦ ذيل الاية ٤٧ الانبيا، ولقد ورد نفس المضمون مع شي من الاختلاف في تفسير الفخر الرازي ذيل الاية وكذلك في تفسير روح المعاني ذيل نفس الاية .

١٢٩- نور الثقلين : المجلد ٢ ص ٥.

١٣٠- الفيض الكاشاني : ورد هذا الحديث في تفسير الصافي ذيل الاية ٧ سورة الرحمن .

١٣١- سنن الترمذي : مجلد ٤ ص ٣٦٣ حديث ٢٠٠٣.

١٣٢- نور الثقلين : المجلد ٥ ص ٦٥٩ حديث ٨.

١٣٣- اصــول الكافي : المجلد ٢ ص ٤٩٤ باب الصلاة على النبي الحديث ١٥ ورد في كتاب بحار الانوار نفس هذا المعنى في المجلد :٩ ص ٥٦ حديث ٣.

١٣٤- اصول الكافي : ص ٥٤٧ الحديث ٥.

١٣٥- خصال الصدوق :(مطابق نقل بحار الانوار المجلد ٧ ص ٢٥٨ الحديث ١).

١٣٦- بحار الانوار : المجلد ٧ ص ٢٦٣ حديث ١٥.

١٣٧- بحار الانوار : المجلد٧ ص ٢٦٣ حديث ٢٢.

١٣٨- بحار الانوار : المجلد ٧ ص ٢٦٧ حديث ٣٣.

١٣٩- الدر المنثور : المجلد ٥ ص ٢٧٣.

١٤٠- نهج البلاغة : خطبة ١٦٧.
١٤١- بحار الانوار : المجلد ٧ ص ٢٦٦ حديث ٢٧.
١٤٢- اصول الكافي : المجلد ١ ص ١١ حديث ٧.
١٤٣- نور الثقلين : المجلد ٥ ص ٥٣٧ حديث ١٢.
١٤٤- بحار الانوار : المجلد ٦٨ ص ٣٨٣ حديث ٢٠.
١٤٥- ميزان الحكمة : المجلد ٢ ص ٤١٤.
١٤٦- بحار الانوار : ٧٠ ص ٢٦٠ حديث ٧.
١٤٧- بحار الانوار : المجلد ٧٢ ص ٣٣٧ حديث ٥.
١٤٨- ميزان الحكمة : المجلد ٢ ص ٤١٩.
١٤٩- الميزان : المجلد ١٤ ص ٩١.
١٥٠- تفسير البرهان : المجلد ٣ ص ٢٠.
١٥١- تفسير القرطبي : المجلد ٦ ذيل الاية .
١٥٢- تفسير ابو الفتوح الرازي : المجلد ٧ ص ٤٣١ (وقد نقل هذا الحديث جمع آخر من المفسرين من جملتهم صاحب نور الثقلين والفخر الرازي).
١٥٣- تفسير الميزان : المجلد٢٠ صفحة ٤٠٩ ، صفحة ٢٨١ طبعة بيروت .
١٥٤- الانوار : المجلد ٨ ص ٦٤ ولقد وردت نفس هذه الرواية في تفسير البرهان المجلد ٤ ص ٤٥٨ كتفسيرلهذه الاية الشريفة (ان ربك لبالمرصاد) ونقلت عن الامام الصادق (٧).
١٥٥- نور الثقلين المجلد ٥ ص ٥٧٢ وتفسير البرهان المجلد٤ ص ٤٥٨.
١٥٦- تفسير القرطبي : المجلد١٠ ذيل الاية .
١٥٧- ورد هذا التفسير في الميزان وفي التفسير الكبير (الفخر الرازي) وفي المفردات والقرطبي في تفسيره ذيل آية سورة النبا وذكروا هنا المعنى كتفسير للاية او كاحد الاقوال في تفسير الاية .
١٥٨- طمسنا : من مادة (طمس) على وزن (شمس) بمعنى محو وازالة آثار الشي ويمكن ان يكون هنا بمعنى محو العين تماما او اطفا نورها والمطموس والطميس : الاعمى الذي ليس في عينه شق .
١٥٩- (عبداللّه بن سلام) كان من علما اهل الكتاب الذين اعتنقوا الدين الاسلامي ، وكان اسمه الاصل (الحصين) وبعد الاسلام غير الرسول (٩) اسمه الى (عبداللّه) ويعتقد بعض علما الرجال بانه مجهول الحال ويعتقد آخرون بان رواياته ضعيفة ، ولكن بما ان ابن داود ذكر في القسم الاول من كتابه في الرجال انه معتبر فقد اعتبروا هذا الشي قرينة على حسن حاله .
١٦٠- تفسير القرطبي : المجلد ٨ صفحة ٥٤٩٤.
١٦١- امالي الصدوق : مجلس ٣٣.

١٦٢- معاني الاخبار : ص ٣٢ حديث ١.
١٦٣- بحار الانوار : ٨ ص ٦٩ حديث ١٨.
١٦٤- ميزان الحكمة : المجلد ٥ ص ٣٤٨ ووردت كلمة ((الصراط)) في حديث الامام الصادق بدل جملة ((ان على جهنم جسرا)) (البحار ج ٨ ص ٦٤ الحديث ١.
١٦٥- بحار الانوار : المجلد ٨ ص ٦٨ حديث ١١.
١٦٦- آل عمران : ١٣٦ ، النسا : ١٢٤ ،الاعراف : ٤٢ ، الحج :١٤ ،٢٣ ،٥٦ ، العنكبوت ،٥٨ ، الزمر : ٧٤ ،الاحقاف : ١٤ ، محمد : ١٢ وآيات اخرى .
١٦٧- من الاصول المتفق عليها عند الخوارج هي انهم يكفرون مرتكبي الكبائر (سفينة البحار) مادة خرج .
١٦٨- هناك الكثير من الايات التي تشير الى العلاقة بين (التقوى) و(الدخول الى الجنة) ومن جملتها آل عمران : ١٥ ،١٣٣ ،١٩٨ الرعد : ٣٥ ، الحج :٤٥ ، النحل :٣١ ، الفرقان :١٥ ، الشعرا :٩٠ ، الزمر :٣٠ ، ٧٣الدخان :٥١ ، محمد :١٥ ، ق :٣١ ، الذاريات :١٥ وغيرها.
١٦٩- نور الثقلين : المجلد ٢ ص ٣١ حديث ١٢١ ، مجمع البيان ذيل الاية ٤٣ الاعراف ، ولقد ورد في تفسيرعلي بن ابراهيم نفس المعنى بتعبير آخر عن الامام الصادق (٧) ذيل الاية ١١ سورة المؤمنين .
١٧٠- ان هذا التعبير (الارث) لم ينحصر في الاية السالفة الذكر بل قد ورد في آيات اخرى نذكر منها المؤمنون :آية ١٠ ،١١ والاعراف : آية ٤٣ الزخرف ٧٢ الشعرا : ٨٥ فهو تعبير واسع .
١٧١- ورد نفس هذا المعنى في سورة الزمر : آية ٣٤ المراسلات : آية ٤٤.
١٧٢- تفسير نور الثقلين : المجلد ١ ص ٥٥٣ الحديث ٥٧٩ ذيل الاية الشريفة ١٢٥ نسا.
١٧٣- سورة الوبة الاية ١١١ ،كما ورد نفس هذا المعنى في الايات ٢٠ ،٢١ ،٨٨ ،٨٩ ،من نفس السورة ، والاية١٢ سورة الصف ، و١٤٢ آل عمران .
١٧٤- تفسير الدر المنثور وطبق نقل تفسير الميزان : المجلد ٩ ص ٤٢٩ (طبع بيروت).
١٧٥- تفسير الدر المنثور : المجلد ٥ ص ٧٢.
١٧٦- تفسير روح البيان : المجلد١٠ ص ٣٢٧.
١٧٧- تفسير الثقلين : المجلد ٥ ص ١٩٧ حديث ٤٨ ، اصول الكافي ، المجلد ٢ ص ٧٠ باب الخوف والرجاحديث ١٠.
١٧٨- لقد ورد نفس هذا المعنى في الاية ٢١ من سورة الحديد وكذا الاية ١٣٣ من سورة آل عمران .
١٧٩- للاطلاع على هذه الاحاديث راجع كتاب احقاق الحق : المجلد ٣ ص ١١٤ والمجلد ١٥

ص ٣٤٥وتفسير نور الثقلين : المجلد ٥ ص ٢٠٩ الحديث ١٨ ، ١٩ ،٢٠ ،٢١.

١٨٠- لقد ورد هذا المعنى في سورة التوبة : الاية١٠٠ .

١٨١- شواهد التنزيل لابي القاسم الحسكاني ، ذيل الاية مورد البحث ص ٤٤ فما بعدها ولقد ورد نفس المضمون بشي من الاختلاف في كتب كثيرة لاهل السنة راجع احقاق الحق المجلد ٣ ص ١٢٢ ص ١٢٧.

١٨٢- لقد ورد نفس هذا المعنى في سورة : الرعد الاية ٢١ ، ٢٤ وسورة الفرقان : الاية٧٥ .

١٨٣- ولقد ورد نفس هذا المعنى في سورة فصلت : الاية ٣٠ ،٣١.

١٨٤- مفردات الراغب : مادة قوم .

١٨٥- تـفـسـيـر علي بن ابراهيم ذيل الاية سورة فصلت والتي تشبه الاية اعلاه (المجلد ٢ ص ٢٦٥) وكذلك في ذيل هذه الاية ص ٢٩٧.

١٨٦- تفسير ابو الفتوح الرازي : المجلد١٠ ص ٢٢.

١٨٧- نفس هذا المعنى ورد في سورة الفتح الايه ١٧.

١٨٨- في هذه الاية يكون ((هذا)) مبتدا و((يوم)) خبر وجملة ((ينفع)) مضافة الى ((يوم)).

١٨٩- بحار الانوار : المجلد ٦٨ ص ٩ الحديث ١٣.

١٩٠- المحجة البيضا : المجلد ٨ ص ١٤٠.

١٩١- ورد كلا الاحتمالين في تفسير مجمع البيان والميزان .

١٩٢- مجمع البيان : المجلد٩ و١٠ ص ٢٠٧.

١٩٣- تفسير روح البيان : المجلد ١٠ ص ١٦٧.

١٩٤- تفسير القرطبي : المجلد ١ ص ٢٠٦.

١٩٥- ورد نفس هذا المضمون في الاية ٢٩ الزمر ايضا.

١٩٦- الـظـل الظليل : كناية عن الظل الكامل والدائم والعالي ، ولقد اشارت آيات عديدة الى مسالة الظل مثل سورة الرعد : الاية ٣٥ وسورة يس : الاية ٥٦ وسورة المرسلات : ٤١.

١٩٧- زمـهـريـر : مشتقة من مادة (زمهر) بمعنى شدة البرد او شدة الغضب والمراد هنا المعنى الاول .

١٩٨- ورد نفس المعنى في سورة الواقعة الاية ٣٠ ، ويس : الاية ٥٦ والمرسلات : الاية ٤١.

١٩٩- تفسير القرطبي : المجلد ٩ صفحة ٦٣٤٩.

٢٠٠- التحقيق في كلمات القرآن الكريم مادة زرب .

٢٠١- تفسير المراغي المجلد ٣٠ صفحة ١٣٣ قاموس اللغة مادة زرب .

٢٠٢- مقاييس اللغة .

٢٠٣- اعترض بعض ارباب اللغة وبعض المفسرين على هذا الجمع وذلك لانه منسوب الى شي لا يجمع الا في حالة مجي الكلمة على صيغة الجمع كان يقال (عباقر) ثم تنسب (عباقرى) ومن

المعلوم ان الجمع بين النسبة وصيغة الجمع غير وارد عند الادبا.

٢٠٤- تفسير ابو الفتوح الرازي : ذيل الاية .

٢٠٥- تفسير الفخر الرازي : المجلد ٢٩ ص ١٣٤.

٢٠٦- تفسير الفخر الرازي : المجلد ٢٩ ص ١٦٢.

٢٠٧- تفسر الفخر الرازي : المجلد ٢٩ ص ١٦٢.

٢٠٨- امـــددنـــاهـــم : من مادة (امداد) وهو العطاا المتتابع او المستمر وقال بعض ارباب اللغة مثل صـــاحـــب القاموس :ان الامداد لمعنى تاخير الاجل وادامة الحياة ، وهو لا يختلف كثيرا عن المعنى الاول .

٢٠٩- ميزان : مجلد ٢٠ ص ١٣٠.

٢١٠- مـــنـــهـــج الصادقين : المجلد١٠ ص ١١٠ (طبقا لنقل التفسير الاثني عشري ، ذيل الاية مورد البحث).

٢١١- تفسير علي بن ابراهيم : المجلد٢ ص ٤١٢.

٢١٢- غـــول (على وزن قول) في الاصل بمعنى غال : اهلكه واخذه من حيث لا يدري ، وتطلق هذه الكلمة على الفساد الخفي الذي ينفذ في الشي . يـــنـــزفون : من مادة ((نزف)) على وزن حذف بمعنى ذهاب الشي بصورة تدريجية ومنه نزف الدم وهذامايفعله الشراب الدنيوي في وجود الانسان ، اذ يحطمه تدريجيا.

٢١٣- فـــي الـــحقيقة : كانت الجملة في الاصل (اكواب من ذهب) وحذفت عبارة (من ذهب) تجنبا للتكرار مثل قوله تعالى (الذاكرين اللّه كثيرا والذاكرات).

٢١٤- التحقيق في كلمات القرآن الكريم .

٢١٥- فخر الرازي : ذيل الاية .

٢١٦- مجمع البيان : المجلد ١٠ ص ٤١٠.

٢١٧- ((عـــالـــيـــهـــم)) مـــن مـــادة ((علو)) اي من فوقهم وقيل في اعرابها احتمالان ، الاول انها ((ظـــرف)) لانـــها تحمل معنى ((فوق))، والاخر ((حال)) للضمير ((هم)) الذي جا في الايات السابقة .

٢١٨- التحقيق في كلمات القرآن الكريم .

٢١٩- معجم اللغة لـــ (دهخدا).

٢٢٠- الـــجامعة الاولى والنبي الخاتم : المرحوم الشهيد الدكتور بال نجاد المجلد : ١٨ ، ص ١٣٣ ــ١٣٤.

٢٢١- روح المعاني : الجلد ١٥ ص ٢٤٩.

٢٢٢- سورة الكهف : ١٣ سورة الحج ٢٣ ، سورة فاطر ٣٣.

٢٢٣- سورة الزخرف : ٥٣.

٢٢٤- البقرة : ٢٥.

٢٢٥- تفسير الميزان : المجلد ١ ذيل الاية (ولهم فيها) وهكذا ذكرها المرحوم العلامة المجلسي في المجلد٨ص ١٤٠.

٢٢٦- هناك احتمالات عديدة في محل اعراب ((حور عين)) ، ومن جملتها مبتدا لخبر محذوف تقديره (لهم حور عين)، او عطف على ولدان مخلدون والاحتمال الاول هو الارجح وذلك لان الحور العين ليست للخدمة .

٢٢٧- ابو الفتوح الرازي في تفسيره نقل ذلك عن بعض المفسرين القدما (المجلد١١ ص ١٣).

٢٢٨- ذكر هذا المعنى الراغب في (مفرداته) ومجموعة من اهل اللغة والتفسير.

٢٢٩- سورة النبا : ٣٣ ، وسورة ص : ٥٢ ، والواقعة : ٣٧.

٢٣٠- مجمع البيان : ابو الفتوح الرازي ، روح البيان ، القرطبي ، وتفسير الكشاف ذيل الاية .

٢٣١- لقد كتب الكثير من ارباب اللغة في تفسيرها ((الغلام هو الطار الشارب)) (مقاييس اللغة ، المفردات ، لسان العرب).

٢٣٢- الفخر الرازي : المجلد ٢٩ ص ١٤٩ ذكر هذا الاحتمال في تفسيره واستبعده .

٢٣٣- تفسير روح المعاني المجلد : ٢٥ ص ٩٠.

٢٣٤- في اعراب ((هنيئا)) اقوال : يرى البعض انها وصف بمحل ((المفعول المطلق)) ويكون التقدير (كلواكلاهنئيا)) ،وقيل : انها وصف المفعول به ويكون المعنى (كلو واشربوا ماكولا ومشروبا هنيئا)، وفي الواقع ان هنيئا هو نفس الماكول والمشروب . وعلى اية حال ، ان المراد من ((هنيئا)) ان الطعام او الشراب لايترك اي اثر سي على الانسان بل انه يهضم بكل سهولة .

٢٣٥- تفسير الفخر الرازي : مجلد ٢٥ ص ١٨٢.

٢٣٦- تفسير المنار : المجلد ٤ ص ٣١٤ ــ لقد ذكر ثلاثة معان مختلفة ومتقاربة في نفس الوقت .

٢٣٧- مجمع البيان : المجلد ٥ ص ٥٦.

٢٣٨- يدعون : من مادة (ادعا) (افتعال من دعا)بمعنى طلب الشي .

٢٣٩- الملفت للنظر هنا ان القرآن استعمل ((واو)) الحالية في جملة ((وفتحت ابوابها)) للتعبير عن انفتاح الابواب مسبقا (كما ورد هذا في الاية ٥٠ من سورة ص جنات عدن مفتحة لهم ابوابها) الا انه يقول عن النار :(حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها) بدون استعمال ((واو)) الحالية .

٢٤٠- هذه الجملة تقديرية ، وتقديرها هو : فنعم عاقبة الدنيا الجنة .

٢٤١- قيل في اعراب هذه الجملة : ((سلام)) خبر ((ان)) ((لهم)) مقدرة و((قولا)) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره : يقول قولا وهناك آرا اخرى ايضا في هذا الصدد الا ان

ماذكرناه هو الانسب .

٢٤٢- تفسير روح البيان : المجلد ٧ ص ٤١٦.

٢٤٣- بلغني وانا اكتب هذه الجمل ان المستعمرين بقيادة امريكا قد بدؤوا قبل عدة ساعات بهجوم على العراق وان المئات من طائراتهم تضرب وبشكل متواصل جميع المنشت الحيوية في هذا البلد(١٠/٢٧/ ١٣٦٩المصادف ليوم ٣٠ جمادى الثانية عام ١٤١١).

٢٤٤- بحار الانوار : ج ٨ ص ١٩٤ ، الحديث ١٧٦.

٢٤٥- ((غل)) مشتقة من كلمة ((غلل)) على وزن كلمة ضرر ، وتعني في الاصل النفوذ التدريجي للشي ولهذايقال للما الذي يجري ويتسلل بين الاشجار غلل ، وكذلك يقال للحسد والحقد والعداوة ((غل)) لانها تنفذالى القلب خفية وبالتدريج ، وكذلك يطلق على الخيانة اسم ((الغلول)) لهذا السبب .

٢٤٦- ورد ما يشابه هذا المضمون مع بعض الاختلاف الجزئي في : الاية (٤٣) من سورة الاعراف ، والاية (٣٥)من سورة فاطر.

٢٤٧- كلمة ((آمنين)) الواردة في الاية ٥٥ من سورة الدخان والاية ٤٦ من سورة الحجر بشان اهل الجنة ،وكذلك كلمة ((آمنون)) في الاية (٣٧) من سورة النبا حيث تقول :((وهم في الغرفات آمنون)) هاتان الكلمتان تشيران الى نفس هذا المعنى .

٢٤٨- يرى البعض ان كلمة ((رفيقا)) جات هنا تمييزا ولهذا وردت مفردة واعتبرها البعض الاخر حالا وان مجيئها مفردة (مع ان الحال جمع) اما لكون كلمة رفيق تعني المفرد وتعني الجمع ايضا او تضمنها لمعنى الجنس .

٢٤٩- تفسير مجمع البيان ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، والمراغي ، وروح المعاني ، وفي ظلال القرآن في تفسيرهم للاية المذكورة .

٢٥٠- مقتبس من تفسير روح المعاني : المجلد ٥ ص ٦٨.

٢٥١- هناك آيات قرآنية اخرى تؤكد على هذا المعنى منها (مريم ــ ٦٢) و(يونس ــ ١٠).

٢٥٢- ورد نفس هذا المضمون في سورة الطور : الاية١٨ .

٢٥٣- ورد نفس المعنى في سورة الروم الاية ١٥.

٢٥٤- جات تعابير مشابهة في سورة القيامة الاية (٢٢) ، وسورة الدهر الاية (١١).

٢٥٥- تفسير الفخر الرازي : ج ٣١ ص ٩٨ (نقله باعتباره قولا).

٢٥٦- نفس المصدر السابق : ص ٩٩.

٢٥٧- روح البيان : ج ١٠ ، ص ٣٧١.

٢٥٨- تفسير الميزان : ج ٢٠ ص ٢٧٤.

٢٥٩- تفسير ابي الفتوح الرازي : ج ٦ ص ٧٠ ، تفسير روح المعاني : ج ١٠ ص ١٢٢.

٢٦٠- تفسير العياشي : آخر الاية المذكورة وفقا لما جا في ج ٩ من تفسير الميزان .

٢٦١- راجع سورة القارعة :الاية ٧ ، وسورة التوبة :الاية ٢١ ، وسورة الحديد : الاية ٢٠ ، وسورة البينة : الاية ٨.

٢٦٢- للاطلاع على مزيد من المعلومات ، يرجى مراجعة ج ٤ من تفسير ((رسالة القرآن)).

٢٦٣- مقتبس من تفسير الميزان : ج ١٧ ، ص ٢٦٠.

٢٦٤- تفسير الفخر الرازي : ج ٢٦ ، ص ٢٨٠.

٢٦٥- بحار الانوار : ج ٨ ص ١٢٦ الحديث ٢٧.

٢٦٦- من جملة ذلك : سورة يس : الاية ٥٧ ، سورة فصلت : الاية ٣١ والتي تشتمل على النعم المختلفة ويتبين ذلك من خلال تعابيرها : ((ولهم ما يدعون)) ((ولكم فيها ما تدعون)).

٢٦٧- نقل هذا الحديث عدد كبير من المفسرين منهم الطبرسي في مجمع البيان ، والالوسي في روح المعاني ،والقرطبي في تفسيره ، والعلا مة الطباطبائي في الميزان ، وذكره كل من البخاري ومسلم في كتبهما.

٢٦٨- قر في اللغة على وزن حر وتعني البرودة .

٢٦٩- بحار الانوار : ج ٨ ، ص ١٢١ ، الحديث ١٢.

٢٧٠- بحار الانوار : ج ٨ ، ص ١٣١ ، الحديث ٣٢.

٢٧١- نفس المصدر ، ص ١٣٩ ، الحديث ٥٥.

٢٧٢- الكافي : ج ٥ ــ ص ٢ ، الحديث ٢.

٢٧٣- نهج البلاغة : الخطبة ٢٧.

٢٧٤- بحار الانوار : ج ٩٣ ، ص ٢٥٢ ، الحديث ١٧.

٢٧٥- بحار الانوار : ج ٧١ ، ص ٤٠٨ ، الحديث ٣.

٢٧٦- ميزان الحكمة : ج ٢ ، ص ١٠٤ (نقلا عن الدر المثور : ج ١ ، ص ٢٤٨).

٢٧٧- الكافي : ج ٢ ، ص ٣٨٩ ، الحديث ٢١.

٢٧٨- بحار الانوار : ج ٨ ، ص ١٣١ ، الحديث ٣٤ ورد هذا الحديث ايضا او ما يشابهه في الكثير من كتب السنة منهم الحافظ ابونعيم الاصفهاني ، في حلية الاوليا (ج ٧ ص ٢٥٦) والحافظ ابو بكر البغدادي في تاريخ بغداد (ج ٧ ص ٣٨٧) ، وابن المغازلي في كتاب مناقب امير المؤمنين (مخطوط) والحافظ السمعاني النيسابوري في مناقب الصحابة والطبري في ذخائر العقبى (ص ٦٦) وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان (ج ٤ ، ص ٨١) ونقله جماعة آخرون (للاطلاع على مزيد من المعلومات يمكن مراجعة ج ٤ من كتاب احقاق الحق ، ص ١٩٩ وما تلاها ، وص ٢٨٠ وما تلاها وص ٣٨٧).

٢٧٩- نفس المصدر السابق ، ص ١٨١ ، الحديث ١٤٠ (ربما يكون المراد من العدد ١٨ مرة هو ان القرض يتضمن عملين من اعمال الخير وهما اولا ((قضا حاجة المؤمن)) وثانيا : الحفاظ على حيثيته ولكل واحدمنها عشرة حسنات ، وبما انه يسترد المبلغ لذلك تنقص منه

حسنتان وتبقى له ثمانية عشر.

٢٨٠- بحار الانوار : ج ٨ ــ ص ١٤٥ ــ الحديث ٦٧ (مع شي من التلخيص).

٢٨١- قال الكثير من اصحاب اللغة ان ((العرض)) يقابل ((الطول)) لكنهم لم ينكروا ان العرض جا ايضا بمعنى السعة ووفقا لما ورد في كتاب ((التحقيق في كلمات القرآن الكريم)) المعنى الاصل للعرض هو وضع الشي في مقابل الانظار ، ولما كان نظر الانسان غالبا ما يقع على عرض الاشيا لا طولها ، لذلك استخدمت هذه الكلمة في المعنى المذكور اعلاه وعلى هذا فعرض السموات والارض في الاية التي نبحثها يعني كل وجودهما الذي يمكن مشاهدته .

٢٨٢- ((ثم)) هنا ظرف مكان و ((رايت)) فعل لازم ، وعلى هذا يكون معنى الاية : عندما تنظر هناك ترى نعمة كبيرة وملكا عظيما وبنا على التفسير الاخر يكون ((رايت)) فعل متعد و ((ثم)) اسم اشارة للبعيد ومفعول به ، فيكون مفهوم الاية : (اذا رايت ذلك المكان رايت نعيما وملكا كبيرا).

٢٨٣- تفسير ابي الفتوح الرازي : ج ١١ ، ص ٣٥٢ والقرطبي : ج ١٠ ، ص ٣٦٦٩ ، والمعاني : ج ٢٩ ، ص ١٦١ ،ومجمع البيان : ج ٩ و ١٠ ، ص ٤١١.

٢٨٤- تفسير البرهان : ج ٤ ص ٤١٥ ، وتفسير مجمع البيان : ج ٩ و ١٠ ص ٤١١.

٢٨٥- مجمع البيان : ج ٢ ص ٥٠٤ والفخر الرازي : ج ٩ ص ٤ وروح لمعاني : ج ٢ ص ٩٤ وابو الفتوح الرازي :ج ٣ ص ١٨٨ ، والقرطبي : ج ٢ ص ١٤٦ ، وروح المعاني : ج ٤ ص ٥١ ، والمنار : ج ٤ ص ١٣٢.

٢٨٦- القرطبي : ج ٢ ص ١٤٤٧.

٢٨٧- رجح المرحوم العلامة الشعراني هذا المعنى في هامش تفسير ابي الفتوح ج ٩ ص ٣٠.

٢٨٨- الفخر الرازي : ج ٣٢ ص ٧٨.

٢٨٩- مجمع البيان : ج ١٠ ، ص ٥٣٠.

٢٩٠- كلمة ((الرؤية)) تفيد معنى العلم ايضا وذلك فيما لو تعدت الى مفعولين ، بينما هذه الاية ليست كذلك ،وينبغي الالتفات الى ان الاية التالية ((ثم لترونها عين اليقين)) يمكن ان تشير الى القيامة .

٢٩١- اصول الكافي : ج ٢ ص ٥٣ باب حقيقة الايمان ، الحديث ٢ (مع بعض التلحيض).

٢٩٢- بحار الانوا : ج ٨ ص ١١٩ ، الحديث ٦.

٢٩٣- تفسير علي بن ابراهيم : ج ٢ ص ٣٣٥.

٢٩٤- ورد مضمون الحديث في الكتب الشيعية وفي الكثير من الكتب السنية مثل : ذخائر العقبى : ص ٣٦ وص ٤٤ ، والمستدرك على الصحيحين : ج ٦ ص ١٥٦ ، والدر المنثور للسيوطي في تفسير آية سبحان الذي اسرى بعبده وكتب اخرى .

٢٩٥- تــفسير العياشي ، وتفسير البرهان ، ونور الثقلين ، وكذلك تفسير الدر المنثور ذيل الاية (٣٧) من سورة آل عمران .

٢٩٦- نــقله كل من الزمخشري في الكشاف ، والسيوطي في الدر المنثور في ذيل الاية (٣٧) من سورة آل عمران ، والثعلبي في قصص الانبيا في ص ٥١٣.

٢٩٧- بحار الانوار : ج ٨ ص ١٤٩ ، الحديث ٨٣.

٢٩٨- ورد هــذا الحديث في كتب كثيرة منها : المحاسن ، ثواب الاعمال ، بحار الانوار وج ٢ من اصول الكافي ص ٥١٧ الحديث ٢.

٢٩٩- بحار الانوار : ج ٨ ص ١٨٦ ، الحديث ١٥٤.

٣٠٠- بحار الانوار : ج ١٨ ص ٣٧٥ ، الحديث ٨٠ (بشي من التلخيص).

٣٠١- بحار الانوار : ج ٨ ص ٢٠٥ ، (ذيل الحديث ٦٢).

٣٠٢- صرح بذلك المرحوم الطبرسي في مجمع البيان والفخر الرازي في التفسير الكبير والعلا مة الطباطبائي في الميزان والبروسوي في روح البيان ، في ذيل الاية (٢٢) من سورة الذاريات او ذيل الاية (١٥) من سورة النجم او في كليهما.

٣٠٣- المصدر السابق .

٣٠٤- الاسفار الاربعة : ج ٩ ص ١٧٦ الفصل العاشر.

٣٠٥- سورة العنكبوت : ٥٤.

٣٠٦- سورة الانفطار : ١٣ ــ ١٤.

٣٠٧- سورة التكاثر :٥ ــ ٦.

٣٠٨- الخرائج للراوندي طبقا لما ورد في ((مقتل الحسين)) للمقرم ص ٢٦١ ، وبحار الانوار ج ٤٤ ص ٢٩٨.

٣٠٩- اخبار الزمان للمسعودي : ص ٢٤٧ (استنادا الى مقتل الحسين ص ٢٦١).

٣١٠- بحار الانوار : ج ٦ ص ٢٨٧ الحديث ٩.

٣١١- تفسير الدر المنثور : ج ٦ ص ١٤٦.

٣١٢- في سور : التوبة ــ٧٢ ، الرعد ــ٢٣ ، النحل ــ٣١ ، الكهف ــ٣١ ، مريم ــ٦١ ، وطه ــ٦٧ ، فاطر ــ٣٣ ،ص ــ٥٠ ، غافر ــ٨ ، الصف ــ١٢ ،البينة ــ٨.

٣١٣- مجمع البيان : ج ٦ ص ٤٦٧ ، وتفسير القرطبي : ج٦ ص ٤٠١٣.

٣١٤- صحيح البخاري ، وصحيح مسلم (نقلا عن كتاب روح المعاني ج ١٦ ص ٤٧).

٣١٥- تفسير البرهان : ج ٢ ص ٤٩٥ ، الحديث ٢.

٣١٦- (استنادا الى مانقله تفسير الميزان في تفسير القمي ذيل الاية المعنية).

٣١٧- المائدة ــ٦٥ ، يونس ــ٩ ،الحج ــ٥٦ ،الشعرا ــ٨٥ ،لقمان ــ٨ ،الصافات ــ٤٣ ،الواقعة ــ١٢ ــ٨٩ ،القلم ــ٣٤ ، المعارج ــ٣٨.

٣١٨- لـــلحصول على مزيد من المعلومات عن هذه الاحاديث راجع كتاب بحار الانوار : ج ٢٤ ص ٤٨وماتلاها ، الباب ٢٩.

٣١٩- تفسير مجمع البيان : ج ٩ ، ١٠ ، ص ٢١٠.

٣٢٠- نفس المصدر السابق .

٣٢١- تفسير روح المعاني : ج ٢٧ ص ٩٦.

٣٢٢- بحار الانوار : ج ٨ ص ١٩٩ ، الحديث ١٩٨.

٣٢٣- بحار الانوار : ج ٨ ص ١٩٩ ، الحديث ١٩٩.

٣٢٤- تفسير روح البيان : ج ٩ ، ص ٣٠٠.

٣٢٥- بحار الانوار : ج ٨ ص ١٢٥ ، الحديث ٢٦.

٣٢٦- تـــفـــسير الدر المنثور ، استنادا لما ورد في ص ١٣٩ من تفسير الميزان (ذيل آيات سورة الاعراف).

٣٢٧- تفسير روح المعاني : ج ١٦ ، ص ١٠٣ ، وتفسير القرطبي : ج ٦ ص ٤١٦٦ (في ذيل نفس الاية).

٣٢٨- علم اليقين : ص ١٠٣ ، (استنادا على مانقله معاد گفتار فلسفي).

٣٢٩- ورد ما يشابه هذا المعنى في الايتين (٩ ، ٣٥) من سورة الجاثية .

٣٣٠- ورد مـــضـــمـــون هذا المعنى في الاية (٢١) من سورة لقمان ، وايضا الاية (٢٢) من سورة ابرهيم .

٣٣١- من سورة الاعراف ، والايتين (٢١ ، ٢٢) من سورة النازعات ، والايتين (٥٥ ، ٥٦) من سورة ص .
٣٣٢- ورد مايشابه هذا التعبير في الاية (٢٤) من سورة ق ، والاية (١٦) من سورة المدثر.
٣٣٣- ورد نفس هذا المعنى في سورة سبا ــ٤٢ ، الزخرف ــ٦٥ ، آل عمران ــ١٥١ ، المائدة ــ١٢٩ ، ابراهيم ــ٢٢ ، مريم ــ٧٢ ، الاعراف ــ٤١ ، الانبيا ــ٢٩ ، والشورى ــ٤٥.
٣٣٤- مصباح اللغة ، صحاح اللغة ، والتحقيق في كلمات القرآن .
٣٣٥- ورد نفس هذا المعنى في سورة ص ــ٢٦ ، والم السجدة ــ١٤.
٣٣٦- ورد نظير هذا المعنى في سورة النازعات : الاية ــ٣٨.
٣٣٧- ورد نفس المعنى في سورة الهمزة الاية ــ٢ الى ٦ ، وسورة مسد : الاية ٢ ــ٣ ، وسورة الحاقة الاية ٢٨الى٣١ .
٣٣٨- لمزيد من الايضاح راجع تفسير نمونة المجلد ٧ ص ٣٩٤.
٣٣٩- مقاييس اللغة ــ مفردات الراغب ــ والتحقيق في كلمات القرآن .
٣٤٠- الميزان : ج ٩ ص ٣٧.
٣٤١- ورد ما يشابه هذا المعنى في بعض جوانبه في الاية ٨١ من سورة التوبة .
٣٤٢- ورد نفس المعنى بصيغة اخرى في الاية (٢١) من سورة آل عمران .
٣٤٣- انظر كتاب وسائل الشيعة ، ج ٣ كتاب الصلاة ، الابواب السادس والسابع والثامن وخاصة ص ٢٢الحديث ١٠ ، وص ١٩ الحديث ٦.
٣٤٤- بحار الانوار : المجلد ٧٦ ص ٢٦٧ ، حديث ١.
٣٤٥- فقه الرضا(٧) : طبقا لنقل مستدرك الوسائل ، ج ١٣ ، ص ٣٣١ ، الحديث ٧ (الطبعة الجديدة).
٣٤٦- تفسير علي بن ابراهيم : ج ١ ص ٣٧١.
٣٤٧- جا في تفسير الميزان : هذه الاية فيها تقدير وهو كمايلي : بدلوا شكر نعمة اللّه كفرا.
٣٤٨- تفسير القرطبي : ج١٠ ص ٧٠٤١.
٣٤٩- اصول الكافي : ج ٢ ص ٣٢ ، الحديث ١.
٣٥٠- تفسير روح المعاني : ج٣٠ ص ٦٨.
٣٥١- تفسير مجمع البيان : ج ١ ، ص ٤٥٢.
٣٥٢- اصول الكافي : ج ٢ باب النميمة ، الحديث ١ ، تفسير القرطبي ج ٢ ص ٧١ ــ ٧٢.
٣٥٣- المفردات للراغب : كلمة سرف .
٣٥٤- التحقيق من كلمات القرآن الكريم : مادة بذر.
٣٥٥- وردت في الايات والسور التالية : الاعراف ــ٤٠ ، ٨٤، ١٣٣ ، سورة الحجر ــ١٢ ، ٥٨ ، سورة الفرقان ــ٣١ ، النمل ــ٦٩ ، وغيرها ، وتتحدث جميعها عن اقوام من امثال قوم

لوط وقوم فرعون واعداالانبيا ، واستخدمت بشانهم كلمة ((المجرم)).
٣٥٦- مقاييس اللغة ومفردات الراغب ،والتحقيق في كلمات القرآن ، (كلمة حد).
٣٥٧- اورد العلامة المجلسي في البحار بحثا مفصلا في هذا الصدد وهو ان اهل الايمان لا يخلدون في النار ،يمكن لمن يرغب مراجعة المجلد الثامن من البحار ص ٣٥١ وماتلتها (باب ٢٧ وهو باب من يخلد في الناروامن يخرج منها).
٣٥٨- قاموس دهخدا : مادة جهنم .
٣٥٩- قاموس دهخدا : مادة جهنم ، التحقيق ، لسان العرب ، المنجد ، واقرب الموارد.
٣٦٠- مقاييس اللغة ومفردات الراغب .
٣٦١- تفسير الصافي : في ذيل الاية ٤٨ من سورة القمر.
٣٦٢- الاعراف ـ٤٤ ، والحشر ـ٢٠.
٣٦٣- مقاييس اللغة ، وصحاح اللغة ، والتحقيق ، ومفردات الراغب .
٣٦٤- سورة الملك :١٠ ـ١١ ، فاطر ـ٦.
٣٦٥- راجع تفسير نور الثقلين : ج ٣ ، ص ١٧ ـ١٩ ، الحديث ٦٠ ، ٦٤.
٣٦٦- لسان العرب : كلمة هوى .
٣٦٧- مجمع البيان : المجلد ، ٥ ، ٦ ص ٣٣٨ ، ونور الثقلين : المجلد ٣ ، ص ١٩ ، الحديث ٦٤ ، وجا ايضا في هذا الموضوع حديث مطول منقول عن الامام الباقر(٧).
٣٦٨- اصول الكافي : المجلد ٢ الصفحة ١١٥ ، الحديث ١٤.
٣٦٩- ورد نظير هذا المعنى في الاية (٧٢) من سورة الزمر ، والاية (٧٦) من سورة غافر.
٣٧٠- الدر المنثور : المجلد ٤ الصفحة ٩٩.
٣٧١- نور الثقلين : المجلد ٣ الصفحة ١٨ ، الحديث ٦٢.
٣٧٢- نفس المصدر : الصفحة ١٩ الحديث ٦٤.
٣٧٣- روح المعاني : مجلد ١٤ الصفحة ٤٨ ، تفسير القرطبي ، المجلد ٥ الصفحة ٣٦٤٦.
٣٧٤- الكافي : المجلد ٥ الصفحة ، ٢ الحديث ٢.
٣٧٥- بحار الانوار : المجلد ٨ ، الصفحة ٢٨٥ ، الحديث ١١.
٣٧٦- تفسير الفخر الرازي : المجلد ١١ الصفحة ٨٧.
٣٧٧- بحار الانوار : المجلد ٨ الصفحة ٣١ ، الحديث ٧٦.
٣٧٨- بحار الانوار : المجلد ٨ الصفحة ٢٨٥ الحديث ١١.
٣٧٩- كلمة ((الفصيلة)) ماخوذة عن المصدر ((الفصل)) ويعني الافتراق والانقسام وتعني هنا العشيرة والقبيلة التي جا منها الانسان .
٣٨٠- يعود الضمير في ((عذابه)) و ((وثاقه)) الى اللّه تعالى ، واحتمل بعض المفسرين كالالوسي في روح المعاني والبروسوئي في روح البيان رجوع الضمير على

الانسان لكن هذا الاحتمال يبدو بعيدا جدا.

٣٨١- يعتقد البعض ان الضمير ((انها)) يعود الى ((النار)) وهو مؤنث مجازي ورغم عدم ذكر النار في الاية الا انه يمكن الاستدلال عليها بقرينة ظل الدخان ، ولكن الافضل هو ارجاع الضمير الى الظل ذي الثلاث شعب وهو الظل الخانق لان الهدف هو الاطلاع على الاثار القاتلة لهذا الظل حتى يتضح موضوع النار بطريق اولى .

٣٨٢- تفسير الامام العسكري (٧) وفقا لما جا في بحار الانوار : المجلد ٨ الصفحة ٢٨٨ ، الحديث ٢١.

٣٨٣- الميزان : المجلد٢٠ ، ذيل الاية مورد البحث .

٣٨٤- ورد في آيات عديدة اخرى تعابير شبيهة بالايات المذكورة ، من جملة ذلك : الاية (١٣) من سورة المزمل ، والاية (٧٠) من سورة الانعام والاية ٤ من سورة يونس ، والاية (٥٧) من سورة ص ،والاية (٤٦) من سورة محمد (ص) ، والايات (٥٢ ــ ٥٧) من سورة الواقعة .

٣٨٥- الايات : ٦٢ سورة الصافات ، و٤٣ سورة الدخان ، و٥٢ سورة الواقعة .

٣٨٦- تفسير مجمع البيان ، وتفسير مروج البيان ، وتفسير روح المعاني .

٣٨٧- تفسير القرطبي : المجلد ٨ الصفحة ٥٥٢٩ (ذيل الاية ٦٢ من سوة الصافات).

٣٨٨- الخليل بن احمد في كتاب العين .

٣٨٩- تفسير القرطبي : المجلد ١٠ ، الصفحة ٧١١٩.

٣٩٠- نفس المصدر السابق ، الصفحة ٧١٢.

٣٩١- مجمع البيان : المجلد ٩ ــ ١٠ الصفحة ٤٧٩ ، ذيل الاية مورد بحثنا.

٣٩٢- مجمع البيان : المجلد ٥ الصفحة ٤٦٦٠ ، وتفسير القرطبي : المجلد ٦ الصفحة ٤٠١١.

٣٩٣- القرطبي : ج ٦ المجلد ٦ الصفحة ٤٠١١.

٣٩٤- تفسير الفخر الرازي : المجلد ١٩ ، الصفحة ، ١٤٨.

٣٩٥- قاموس (فرهنك معين) : كلمة قطران .

٣٩٦- جا في ((قاموس اللغة)) ان كلمة ((السموم)) تطلق على الرياح الحارة التي تهب في النهار وهي في مقابل ((الحرور)) وهي الرياح الليلية الحارة . جا في تفسير الفخر الرازي : بان السموم هي الرياح المتعفنة التي عندما يستنشقها الانسان يتعفن قلبه فيهلك (التفسير الكبير : المجلد ٢٩ الصفحة ١٩٨).

٣٩٧- يبدو ان تنكير النار هنا لتبيان عظمتها.

٣٩٨- نور الثقلين : المجلد الاول ، الصفحة ٤٩٤ ، الحديث ٣١٤.

٣٩٩- مقاييس اللغة ، ومصباح اللغة ، ومفردات الراغب .

٤٠٠- التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، وتفسير الميزان في ختام الاية موضع البحث .

٤٠١- هـنـاك ايضا آيات اخرى تحتوي على نفس هذه المضامين وردت في سورة : المجادلة ــ٥ ، السجدة ــ٢٠ ،الاعراف ــ٥٠ ، الحاقة ــ٣٥.

٤٠٢- مقاييس اللغة ، مصباح اللغة ، صحاح اللغة ، لسان العرب ، والتحقيق في كلمات القرآن الحكيم ، وجـافـي تـفـسير مجمع البيان معنيان آخران لكلمة الخزي وهما : الهلاك ، والوقوف في موقف الفضيحة والذل .

٤٠٣- كـلـمة ((الحريق)) وان كانت هنا اسم مصدر الا ان لها معنى الفاعل ، اما على قول البعض الاخـر فـهـي صيغة مبالغة (او صفة مشبهة)) ، وعلى قول الراغب ف((الحريق)) هنا بمعنى النار وهذا التفسير يبدو اكثر ملائمة لانه اضاف العذاب الى الحريق .

٤٠٤- تفسير القرطبي ، وروح المعاني : في ذيل الاية موضع البحث .

٤٠٥- في ظلال القرآن : المجلد ٨ ، الصحيفة ١٦٨.

٤٠٦- الطبرسي في مجمع البيان .

٤٠٧- تفسير القرطبي : المجلد ١ الصفحة ٢٠٧.

٤٠٨- تفسير المراغي : المجلد ١ الصفحة ٦٩.

٤٠٩- المنار : المجلد ١ ، ص ٣٦٤.

٤١٠- نهج البلاغة : الخطبة ١٢٦.

٤١١- ((الـمـكـث)) يـعني البقا المصحوب بالانتظار ((كما قال الراغب في مفرداته)) ، وكلمة الـمـكـث تطلق ايضاعلى التوقف المؤقت ، الا انها عندما تذكر مطلقة وبلا قيد او شرط فهي تعني التوقف الدائمي .

٤١٢- تـفـسـيـر الـفـخر الرازي : المجلد ٢٧ ، الصفحة ٢٢٧ ، وتفسير القرطبي : المجلد ٩ الصفحة ٥٩٣٧ ، نقل ايضافي تفسير مجمع البيان / مسالة الاربعين عاما والالف عام .

٤١٣- هـنـالك آيات كثيرة اخرى تتحدث عن هذا الموضوع ايضا من امثال : الاعراف ــ٣٦ وهي بـشان المكذبين بيات اللّه ، وسورة البينة ــ٦ التي تعتبر المشركين واهل الكتاب مخلدين في النار ، وسورة التوبة ــ١٧ وفيهاذكر لخلود المشركين ، وسورة البقرة ــ٢١٧ ، وسورة آل عمران ــ٨٨ ، التي تتحدث بخصوص المرتدين ،وسورة فصلت ــ٢٨ والتي تشير الى خلود اعدا اللّه في النار :.

٤١٤- تفسير روح المعاني : المجلد ٥ الصفحة ١٠٤.

٤١٥- راجـع تـفسير مجمع البيان : المجلد ٩ و ١٠ الصفحة ٣٧٣ ، تفسير الميزان : المجلد٢٠ الصفحة ٥٢ ،وتفسير روح البيان : المجلد ١٠ ، الصفحة ٢٠٠ ، وتفسير روح المعاني : المجلد ٢٩ ، الصحفحة٩٤ .

٤١٦- اوائل المقالات : الصفحة ٥٣ طبعة الداوري .

٤١٧- تفسير علي بن ابراهيم : ج ١ ، ص ٣١١.

٤١٨- اصول الكافي : المجلد ٢ الصفحة ٢٧٣ ، باب الذنوب الحديث ٢٠.
٤١٩- يـمـكـن مراجعة ((التفسير الامثل)) ، المجلد ٣ الصحفة ٤٠٩ للاطلاع على شروحات اوسع .
٤٢٠- لـلاطلاع على ايضاحات اكثر يمكن مراجعة كتاب بحار الانوار : المجلد٨ الصحفة ٣٥١ ــ٣٧٦ الباب ٢٧ ، وتفسير الفخر الرازي : المجلد ٣ الصفحة : ١٤٤ وما بعدها.
٤٢١- لـغـرض الاطلاع على ايضاحات اكثر في هذا الصدد يمكن مراجعة كتاب بحار الانوار : الـمـجلد ٨ الصحفة٣٥١ الى ٣٧١ الباب ٢٧ ، وتفسير الفخر الرازي : المجلد ٣ الصحفة ١٤٤ ومابعدها.
٤٢٢- الاسـفـار : الـمـجـلـد الـتاسع الصحفة ٢٤٦ (مع التلخيص) لقد نقل صدر المتالهين هذا الموضوع باعتباره وجها.
٤٢٣- هـذا الـكـلام نقلناه بشي من التلخيص عن كتاب الاسفار نقلا عن محي الدين بن العربي في الفتوحات المكية (الاسفار : المجلد ٩ ، الصفحة ٣٤٩).
٤٢٤- هذا التفسير موجود في حاشية المجلد التاسع من الاسفار في صحفة ٣٤٨.
٤٢٥- جا نفس هذا المضمون مع اختلاف ضئيل في الاية (٢٥٤) من سورة البقرة .
٤٢٦- جا نفس هذا المعنى ايضا في الايتين (٥١ و ٧٠) من سورة لانعام .
٤٢٧- ورد نفس هذا المعنى مع وجود بعض الاختلاف في الاية (٢٢) من سورة سبا.
٤٢٨- ينبغي ان يكون تقدير الاية على هذه الشاكلة : ((الا لمن شهد بالحق)).
٤٢٩- الميزان : المجلد ١٤ ، ذيل الاية (٨٦) من سورة مريم .
٤٣٠- الدر المنثور : (وفقا لنقل تفسير الميزان في الاية موضع البحث في الصحفة ١١٤).
٤٣١- مجمع البيان : المجلد ٧ ، ٨ الصفحة ٥١٩.
٤٣٢- تفسير الفخر الرازي : ٢٧ ، الصفحة ٥٠.
٤٣٣- نهج البلاغة : الكلمات القصار ، الكلمة ٦٣.
٤٣٤- ميزان الحكمة : المجلد ٥ ، الصفحة ١٢٢.
٤٣٥- مسند احمد : المجلد ٥ ، الصفحة ٢٥١ (طبعة بيروت دار صادر).
٤٣٦- نهج البلاغة : الخطبة ، ١٧٦.
٤٣٧- نهج البلاغة : الكلمات القصار ، الكلمة ٣٧١.
٤٣٨- بحار الانوار : المجلد ٨ ، الصفحة ٥٨ الحديث ٧٥.
٤٣٩- بحار الانوار : المجلد ٨ الصفحة ٥٦ ، الحديث ٦٦.
٤٤٠- مجمع البيان : المجلد ٢ الصفحة ٥٣٨ ، (ذيل الاية ١٧١ من سورة آل عمران).
٤٤١- غرر الحكم .
٤٤٢- ذكـر فـي تـفسير الميزان : وبعد ان وضح الشفاعة بانها تاثير الاسباب في المسببات

ــ ان الشفعا يقسمون الى فريقين في عالم التشريع وعالم التكوين ، فمن جملة الشفعا التشريعيين : التوبة والـــعـــمـــل الـــصالح والايمان والقرآن والانبيا والملائكة والمؤمنين ويستدل في هذا الصدد بالايات الدالية على تاثير هذه الامور في هؤلا الاشخاص في غفران الذنوب (رغم ان عنوان الشفاعة غير مـــوجود فيها) كالاية (٥٤) من سورة الزمر ، والاية (٢٨) من سورة الحديد ، والاية (٩) ومن ســـورة الـــمـــائدة ، والايـــة (١٦) من سورة المائدة والاية (٦٤) من سورة النسا ، والاية (٧) من ســـورة الـــمؤمن ، والاية (٢٨٦) من سورة البقرة ٤٤٣- تفسير الميزان : المجلد الاول الصفحة ٧٤ ، ذيل الاية (٤٨) من سورة البقرة .

٤٤٤- بحار الانوار : المجلد ٦ ، الصفحة ٢١٤ ، الحديث ٢.

٤٤٥- بحار الانوار : المجلد ٦ ، الصفحة ٢٦٧ الحديث ١١٦.

٤٤٦- ((رســـالـــة الاربع قواعد)) تاليف محمد بن عبد الوهاب زعيم الوهابيين : من الصحفة ٢٤ الى الصفحة ٢٧وفقالما نقله كتاب كشف الارتياب في الصحفة رقم ١٦٣.

٤٤٧- الهدية السنية : الصفحة ٦٦.

٤٤٨- الـــولـــد بـــمـــعـــنى المولود وتطلق على الصغير والكبير والذكر والانثى والمفرد والجمع (راجع مفردات الراغب).

٤٤٩- تفسير الميزان : المجلد ٨ الصفحة ١٢٦ ذيل الايات موضوع البحث .

٤٥٠- اورد الـــمرحوم العلا مة المجلسي هذه الرواية في بحار الانوار ، المجلد الثامن ، الصفحة ٣٣٦ ، و٣٣٧ونقلها ايضا المرحوم الكليني في اصول الكافي ، المجلد ٢ ، الصفحة ٤٠٨.

٤٥١- التحقيق ، ومجمع البيان ، وغيرهما من القواميس والتفاسير.

٤٥٢- تفسير الاثني عشري : المجلد ٤ ، الصفحة ٧٥.

٤٥٣- تفسير البرهان : المجلد ٢ ،الصفحة ١٨ الحديث ١٠.

٤٥٤- تفسير الطبري : المجلد ٨ الصفحة ١٣٧ طبعة بيروت .

٤٥٥- تفسير البرهان : المجلد ٢ الصفحة ١٨ الحديث ٨.

٤٥٦- مجمع البيان : المجلد ٣ ، ٤ ، الصفحة ٤٢٣.

٤٥٧- مجمع البيان : المجلد ٣ ، ٤ ، الصفحة ٤٢٣.

٤٥٨- الدر المنثور : المجلد ٣ ، الصفحة ٨٧.

٤٥٩- الدر المنثور : المجلد ٣ الصفحة ٨٨.